بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وءاله وصحبه

القسم الثاني

من

المعسول

ويشتمل على الالغيين الذين ليسوا من المرابطين السعيديين

وفيه خمسة فصول :

الفصل الاول في الاغوديديين والتيغشيتيين

الفصل الثاني في القاطنين ولو موقتا في قرية (دوكادير) من الغرباء

الفصل الثالث في الوفقاويين

الفصل الرابع في الايغشانيين

الفصل الخامس في الامانوزيين

الفصل الاول

في الاغوديديين والتيغشيتيين

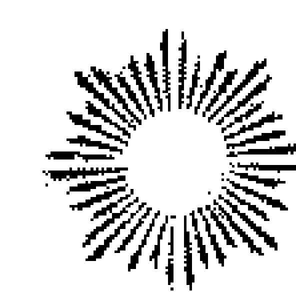
والذين يذكرون فيه :

الشيخ محمد بن أحمد الحرسيلي جد الاغوديديين

الفقيه سيدى الحسين بن أبي بكر الاغوديدى

الفقيه سيدى البشير اخـوه

الفقيه سيدى علي التيغشيتي



الشيخ الصالح

سيدى محمد بن احمد الحربيلى

قبل : ٩٦٠ هـ = ٤ــ١٠٢٠ هـ

شيخ كبير القدر ، له شهرة في عصره ، وقد أعقب اسرة مباركة ظهرت اخيرا بالعلوم والادب .

(قال فيه الحضيكي) :

«محمد بن احمد الحربيـلي ، ثم التاهالي دفين ايسي ، كان رضي اللـه عنه رجلا صالحا خيرا دينا ، ذا عزم وحزم ، وتشمير في الدين ، محبا للمساكين والفقراء ، ومكرما لهم ، مربيا مرشدا ، ناصحا للاسلام ، صحب الاكابر من الاولياء ، وخدمهم بنصح ونية صادقة ، وهو المشار اليه في ترجمة ابن داود التارسواطي»

وقال فيه الرسموكي :

«شيخ الطوائف ومربيهم ، سيدى محمد بن احمد النازل بتـاهالا ، المدفون بايسي ، عند سيدى بلقاسم الفيلالي ، توفي رحمه الله ربيع الثاني عام: عشرين والف»

هذا ما ذكره عنه هذان المؤرخان ، ومحل سكنى المترجم في قرية (أكرض اوسول) من (تاجكالت) وقد كانت القرية قديما تعد من تاهالا ، ثم تحسب اليوم من ايغشان ، ولاتزال داره التي كان يقطنها تقام فيها اليوم حفلة سنوية: (المعروف)

وابن داود الذى ذكره الحضيكي ، هو الشيخ سيدى محمد بن داود العم الاعلى للحضيكي توفي بعد ٩٩٠هـ وقد ترجمه في الطبقات ، وذكر ان الشيخ سيدى داود الدادسي رمى صاحب الترجمة بدعوة ، فعارضها دونه ، فسقطت

بموضع يسمى : (ايودرى) فيبس طويلا ، وذلك بعد ان بدا انكار من صاحب الترجمة على الشيخ سيدى احمد بن محمد السكرادى المشهور ، وهو من اصحاب الدادسى ، فغار عليه ، وقد بسط الحضيكى ذلك واختصرته •

واما سيدى بلقاسم الفيلالى ، فانه بلقاسم بن سعيد ، أخذ — فيما شاع عند الناس — عن الشيخ سيدى خالد الكرسيفى الشهير المتوفى اخر القرن التاسع ، وتوفى سيدى بلقاسم فى العشرة الاولى من القرن العاشرة ، واما سيدى احمد بن محمد السكرادى ، فسيذكر مع احفاده الذين بعضهم على شرطنا ان شاء الله ، (فى القسم الرابع) •

(كنت فتشت عن مشجر المترجم عند أولاده ، وأوصيت بعض الناس ان يأتينى بمن له معرفة بانساب اولاد الشيخ ، ولكن تراخى من اوصيته ، ولم يصلنى ذلك الموصى عليه حتى فارقت الغ) •

❀ ❀ ❀

سيدي

الحسين بن ابي بكر الاغوديدى

قبل : ١٢٨٥ ﻫ = ١–١٣٣٦ﻫ

نسبــه :

الحسين بن ابى بكر ، ويتصل نسبه بمحمد بن احمد المتقدم قبله •
كان الرجل الصالح سيدى الحاج عبلا ، تزوج بامرأة اغوديدية ، وهم اخوال أولاده العلماء ، فكان ذلك مما حفز تلك الاسرة ان تراح رائحة العلم ، فكان صاحب الترجمة ، وأخوه الفقيه سيدى البشير الاتى بعده ، هما الاولان ثم الاخيران من علماء الاغوديديين •

اتصل سيدى الحسين هذا بالاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالغى فاخذ عنه أخذا وسطا ، وحصل عنه بعض تحصيل ، وكان فى عواشر ياخذ عن سيدى سعيد بن الطيب الاكمارى ، فى مدرسة (تاكاترت) ، ويحكى لى أنه ضعيف فى العربية ، وان ميزته بفقهيات وما اليها ، ولذلك ماكاد أخوه البشير النجيب يظهر حتى برز فى الميدان ، وغبر فى وجهه ، فكان ذلك أحد الاسباب لشنآن قام بينهما ، قرب موت سيدى الحسين ، حدثت انهما تنازعا فيما بينهما على شيء فتراضيا شيخنا سيدى عبد الله بن محمد ففصل بينهما •

كان سيدى الحسين ربما جال فى النوازل جولة المتوسط الذى لايسف ولايحلق ، وهو على كل حال ، ادنى من أخيه الصغير فى معلوماته ، هذا ما أعرفه عنه الآن •

ثم وقعت له على رسالة ، لعلها الى بعض الادباء الالغيين ، نصها :
«أيد الله الفقيه النزيه ، سيد أقرانه عن جدارة بلا تمويه ، أديب الادباء ، وفقيه الفقهاء ، وكريم الكرماء ، ونبيه النبهاء ، سيدى البشير ، سلاما اعطر من الروض المبلول ، ومن وصل حبيب فاجأ من غير وعد ولا رسول •
أما بعد فلا زائد عما تعهده من الشوق اليك ، وحلول القلب لديك ، فقد اتصلت بكلامك العذب ، فطاب به القلب ، والغرض ساقضيه لك ان شاء الله خير قضاء ، حتى ترضى عنى أى رضا ، فاعذر أخاك فى هذه المالكة (١) التى تكلفها ، فانها ليست بشيء ، لولا ان اسمك شرفها ، فلست من ارباب فن الادب ، ولا ممن به ترقى وتهذب ، فادع لاخيك بكل خير والسلام»

١) المالكة بضم اللام : الرسالة

سيـــــــدي

البشير بن ابى بكر الاغوديدى

نحو ١٣٠١ هـ = ضحى : ١٤ـ١١ـ١٣٣٧ هـ

نسبـــه :

البشير بن بوبكر

أخذ القرءان فى مسجد قريته وفي مدرسة (ايرازان) ببعقيلة عـــند
لاستاذ : المحفوظ الرسموكي ، وقد أتقن حرف المكي ، ثم اتصل بالمدرسة
لالغية فى نحو : ١٣٣٠هـ فأكب واجتهد ، وتدرج على العادة ، وهــو منافــن
لاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتي ، حتى استتم الادوار التى يترقى فيها
لالغيون وكان يفرغ جهوده في المشاركة التامة ، ولكن تبريزه انما هو فــي
لعلوم الفقهية النحوية واللغوية والفرضية ، ولم تظهر له فى الادب مكانــة
تلقي بالقبول ، مع حرصه الشديد على ان يكون فيه أيضا دائما من الرعيــل
لاول ، فكان في كل مناسبة يقول مع أقرانه مقطعات ، ولكنه يكبو غالبا دون
داهم،وقد كان للاساتذة الالغيين دائما اغضاءعمن لايزالون يؤاخذونهم به تنشيطا
هم الى الامام ، ولذلك كانوا يقابلونه بذلك ، غير ان أقرانه فضحوه مرة من
جل قطعة سنذكرها ، فأثاروا حوله ضجة عنيفة ، حتى سرى ذلك الى خدور
لغوانى ، فتحدثن به فى منتديات النساء ، وقد حدثت ان سيدة من مرابطينا
ايرت امرأة اغوديدية من احدى زوجات آل صالح ، فما ملكت هذه المرابطية
ن قالت لصاحبتها : فيما قالت : هل فيكن قط ايتها الاغوديديات الا النقص
لشائن دائما ؟ فهذا ابنكن البشير بن أبى بكر ، جاء بشعر افتضح به بيــن
لعلماء ، وصار به ضحكة بين الاقران ، ولكن هذه في الحقيقة انما هي كبوة،
الجواد قد يكبو ، ولعله بعد ذلك تقدم فى هذا الفن ايضا ، لانني رايت لــه
ايصلح بين أقرانه ، بل لا أخالهم يفوقونه فى بعض مارايته له

فى سنة : ١٣٢٩هـ انتقل من (الالغية) الى (البومروانية) عند الاستاذ سيدى
لطاهر فلازمه نحو سنة وبعض أخرى

هذه هى المدارس التي اعلم أنه أخذ منها ، ثم شارط فى المدرسة (الامسرائية)
ربض فيها على التدريس ، فظهرت هناك مقدرته ، فانتفع به أناس فى مقدمتهم
ن أخته سيدى الحسين بن ابراهيم الالغى المتقدم الذكر ، وقد كان يدربه
ن المدرسة (الالغية) فـ (البومروانية) ومنهم أيضا فقيه أمسرا اليوم : سيدى

على بن سعيد ، وغيرهما ، وكان أيضا يجول فى النوازل ، ويفتى ، فبرقت منه بارقة ، أظهرته للناس فى سماء ذوى العلوم الراسخة ، فجمع هناك مالا كان لبدره كالهالة ، فصارت الالسنة تتحدث به ، وصار أشياخه يهتــبلون بــه ويكاتبونه ، ثم بعد أربع سنوات ـ على ما أظن ـ فارق تلك المدرسة الى مسجد تاجارمونت ، حيث أمضى سنة

أذكر أننى وقرينى سيدى محمد بن احمد بن الحاج ابراهيم الايفشانــي ـ الاتى ذكره ـ جئنا يوما من المدرسة (التانكرية) الى الغ ، ونحن مترادفــان على بغلة ، وكان الجو يسيل قرا ، واليوم يوم دجن (١) فمررنا فى وسط النهار بأصحاب لاسرتنا بأيت موسى لعلنا نستريح عندهم ، فلم نلقهم ، فذهبنا قدما، ثم لحقنا صاحب الترجمة قرب قريته ، فاقترح علينا أن نمر به ، فذهبنــا ونحن فى ذلك من الراغبين ، فدخلنا عنده بعد العصر ، فجلسنا في بيت داخل، فكان رجل ايفشانى فى رفقتنا يدخل ويخرج ويقول : هاهو ذا المطر سينهمر، وانا وصاحبى ننكمش ، ونتمنى ان لو اقترح علينا رب المثوى البيات ، فصار يقول للرجل كلما قال لنا ذلك ، لاتخوف التلميذين ، ولاتزعج الصبيين ، فانهما لمشتاقان الى أمهاتهما ، كما أن أمهاتهما الان فى انتظار أن يروحا عليهن يقول ذلك ونحن نأكل خبزا وسمنا لذيذين ، وهو يقيم لنا الاتاى بعجلة ، لان الوقت وقت الاصيل ، فملت بعينى ، فرأيت كتابا ففتحته ، فاذا بــه جــزء مطبوع من الاغانى ، فاستعرته منه ، وكان ذلك أول ما رايته ، ثم خرجنا من عنده والمطر كافواه القرب حتى لانستطيع ان نترادف على البغلة ، فصرنــا نختبط فى المياه وفى الظلمة وقد التحقنا بالدياجير بعد المغرب ، وما أدراك ما دياجير فصل الشتاء ، والليل ممطر ، والشقة بعيدة ، ثم لم نصل الى دارنا بالغ ، الا بعد أن مرت العشاء ، ونام بعض الناس ، وقد كنا اذذاك ونــحـن صبية ربما نحمل ذلك الذى عاملنا به الاستاذ على محمل غير محمود ، ولكننى الآن ـ وقد الفت على الكهولة دروسها ـ أقدر أن أحمل ذلك كله على ظاهره، وأن لااتهم الاستاذ رحمه الله ببخل فى ذلك •

هذه هى المرة التى رايت فيها الاستاذ ، ثم لم انشب ان التحقت باحــواز الحمراء فما وراءها ، فتوفى الاستاذ ، ولم أره بعد رحمه الله •

كان رجل جد فى تعليمه ، ورجل المعاملات فى دنياه ، ولو طال به العمر لكان ياقوتة السادة الاغوديديين الافاضل ، ولكن شعوب لم تبق منه من كاد يجول فى ميادين قد يعجز عنها كثير من اترابه •

١) الدجن بفتح فسكون : الغيم المظلم المطبق ، ويطلق أيضا على المطر الكثير

سيـــــدي

البشير بن ابى بكر الاغوديدى

نحو ١٣٠١ ه = ضحى : ١٤ـ١١ـ١٣٣٧ ه

نسبـــه :

البشير بن بوبكر

آخذ القرءان فى مسجد قريته وفى مدرسة (ايرازان) بعقيلة عنـد الاستاذ : المحفوظ الرسموكي ، وقد أتقن حرف المكى ، ثم اتصل بالمدرسة الالغية فى نحو : ١٣٢٠ه فأكب واجتهد ، وتدرج على العادة ، وهـو مثافـن للاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتى ، حتى استتم الادوار التى يترقى فيها الالغيون وكان يفرغ جهوده فى المشاركة التامة ، ولكن تبريزه انما هو فـى العلوم الفقهية النحوية واللغوية والفرضية ، ولم تظهر له فى الادب مكانـة تتلقى بالقبول ، مع حرصه الشديد على ان يكون فيه أيضا دائما من الرعيـل الاول ، فكان فى كل مناسبة يقول مع أقرانه مقطعات ، ولكنه يكبو غالبا دون مداهم،وقد كان للاساتذة الالغيين دائماغضاءعمن لايزالون يؤاخذونهم به تنشيطا لهم الى الامام ، ولذلك كانوا يقابلونه بذلك ، غير ان أقرانه فضحوه مرة من أجل قطعة سنذكرها ، فأثاروا حوله ضجة عنيفة ، حتى سرى ذلك الى خدور الغوانى ، فتحدثن به فى منتديات النساء ، وقد حدثت ان سيدة من مرابطينا عايرت امرأة اغوديدية من احدى زوجات آل صالح ، فما ملكت هذه المرابطية ان قالت لصاحبتها : فيما قالت : هل فيكن قط ايتها الاغوديديات الا النقص الشائن دائما ؟ فهذا ابنكن البشير بن أبى بكر ، جاء بشعر افتضح به بيـن العلماء ، وصار به ضحكة بين الاقران ، ولكن هذه فى الحقيقة انما هى كبوة، والجواد قد يكبو ، ولعله بعد ذلك تقدم فى هذا الفن ايضا ، لاننى رايت لـه مايصلح بين أقرانه ، بل لا أخالهم يفوقونه فى بعض مارايته له

فى سنة : ١٣٢٩ه انتقل من (الالغية) الى (البومروانية) عند الاستاذ سيدى الطاهر فلازمه نحو سنة وبعض أخرى

هذه هى المدارس التى اعلم أنه أخذ منها ، ثم شارط فى المدرسة (الامسرائية) فربض فيها على التدريس ، فظهرت هناك مقدرته ، فانتفع به أناس فى مقدمتهم ابن أخته سيدى الحسين بن ابراهيم الالغى المتقدم الذكر ، وقد كان يدربه من المدرسة (الالغية) ة (البومروانية) ومنهم أيضا فقيه أمسرا اليوم : سيدى

على بن سعيد ، وغيرهما ، وكان أيضا يجول فى النوازل ، ويفتى ، فبرقت منه بارقة ، اظهرته للناس فى سماء ذوى العلوم الراسخة ، فجمع هناك مالا كان لبدره كالهالة ، فصارت الالسنة تتحدث به ، وصار أشياخه يهتبلون بـه ويكاتبونه ، ثم بعد أربع سنوات ـ على ما أظن ـ فارق تلك المدرسة الى مسجد تاجارمونت ، حيث أمضى سنة

أذكر أننى وقرينى سيدى محمد بن احمد بن الحاج ابراهيم الايغشانـى ـ الاتى ذكره ـ جئنا يوما من المدرسة (التانكرية) الى الغ ، ونحن مترادفـان على بغلة ، وكان الجو يسيل قرا ، واليوم يوم دجن (١) فمررنا فى وسط النهار بأصحاب لاسرتنا بأيت موسى لعلنا نستريح عندهم ، فلم نلقهم ، فذهبنا قدما، ثم لحقنا صاحب الترجمة قرب قريته ، فاقترح علينا أن نمر به ، فذهبنـا ونحن فى ذلك من الراغبين ، فدخلنا عنده بعد العصر ، فجلسنا فى بيت داخل، فكان رجل ايغشانى فى رفقتنا يدخل ويخرج ويقول : هاهو ذا المطر سينهمر، وانا وصاحبى ننكمش ، ونتمنى ان لو اقترح علينا رب المثوى البيات ، فصار يقول للرجل كلما قال لنا ذلك ، لاتخوف التلميذين ، ولاتزعج الصبيين ، فانهما لمشتاقان الى أمهاتهما ، كما أن أمهاتهما الان فى انتظار أن يروحا عليهن يقول ذلك ونحن نأكل خبزا وسمنا لذيذين ، وهو يقيم لنا الاتاى بعجلة ، لان الوقت وقت الاصيل ، فملت بعينى ، فرأيت كتابا ففتحته ، فاذا بـه جـزء مطبوع من الاغانى ، فاستعرته منه ، وكان ذلك أول ما رايته ، ثم خرجنا من عنده والمطر كافواه القرب حتى لانستطيع ان نترادف على البغلة ، فصرنـا نختبط فى المياه وفى الظلمة وقد التحقنا بالدياجير بعد المغرب ، وما أدراك ما دياجير فصل الشتاء ، والليل ممطر ، والشقة بعيدة ، ثم لم نصل الى دارنا بالغ ، الا بعد أن مرت العشاء ، ونام بعض الناس ، وقد كنا اذذاك ونـحـن صبية ربما نحمل ذلك الذى عاملنا به الاستاذ على محمل غير محمود ، ولكننى الآن ـ وقد القت على الكهولة دروسها ـ أقدر أن أحمل ذلك كله على ظاهره، وأن لااتهم الاستاذ رحمه الله ببخل فى ذلك •

هذه هى المرة التى رأيت فيها الاستاذ ، ثم لم انشب ان التحقت بأحـواز الحمراء فما وراءها ، فتوفى الاستاذ ، ولم أره بعد رحمه الله •

كان رجل جد فى تعليمه ، ورجل المعاملات فى دنياه ، ولو طال به العمر لكان ياقوتة السادة الاغوديديين الافاضل ، ولكن شعوب لم تبق منه من كاد يجول فى ميادين قد يعجز عنها كثير من اترابه •

---

١) الدجن بفتح فسكون : الغيم المظلم المطبق ، ويطلق أيضا على المطر الكثير

من قريضه رحمه الله ما أرسل به في ربيع الثاني سنة : ١٣٣٥هـ الى تلميذه سيدى الحسين بن ابراهيم المتقدم :

نفحت نفحة فهزت فؤادى   بنسيم حكي شمولا بصدرى
تركته يرنو بعين لركب   صوب جمل صبا بجدة أمرى
دعوة فاستطار قلبي اليكم   طالما رمته فيعكس دهرى
حبذا سادتى ودوحة افنا   ني وتعليق فرض عيني ونذرى
ثم لازال صيت عليا علاكم   مقبلا مدبرا مقيما بشكرى

وقد كتب على ءاخر البيت الثاني : ركب فلان جدة الامر بضم الجيم وشدة الدال : اذا رأى فيه رأيا • ثم أجابه تلميذه :

حبذا أرج الاحبة ينفي   من همومي ويختفي بسرارى(١)
جاء يحدو له الهوى بالتهاني   واعترتني كاس الصفا والمزار
ريح صوب اللوى الست تهبيـ   ـن بريا شقائق الازهار ؟
اطلبى لى متى مررت بسلمى   منة لى منها بشم العرار
انشقي ردنها وسومي رضاها   عن شج مسه الجوى بضرار
بل انيلى منى السلام لشيخ   قدوة القوم ذى ندى مدرار
قرة العين نور قلبي الذى قد   كان منه زند المعارف وارى
سيدى من به إستنارت مرايا   نا فكانت كالبدر في الابدار
ادن واسمح بدعوة الفضل واليه   ن لذا الصب ذي الهيام الشعار(٢)

وقال يخاطب بعضهم في رسالة ـ ولعلهما له ـ

لوجاز ان أرسل من كبدى   بفلذة في وسط المالكة
رايت في وسطها فلذة   لكنني منعت من ذالكه

وقال أيضا يخاطب من اسمه عبد الرحمن :

سلام على حبي وخدني ابي زيد   ومن كان لى كالقلب والعين والايدى
سلام له عطر ذكي كأنما   يمسس نسيم الوهن من زهر الورد
سلام أخ قد كان يعهد منكم التـ   ـودد من بدء التحايا وبالرد
فمالى اراك اليوم اعرضت عن اخ   يكاد يطير باشتياق ومن ود
فان كنت ذا ذنب فاني تائب   او ان كنت ذا سهو فسامح ابازيد
اجبنى بشعر منك اشتاق أن أرى   له لسنا كالريق فى الثغر اوشهد

١) من ساره سرارا من السرور
٢) اى الجنة

وكتب الى بعضهم يستدعيه في المدرسة :

ان الطجين مدرك النضج   فلتعجلن الى لاترج
والماء يغلى وسط مقراجه   مثل الملبين ذوى العج

وهذه نماذج مما يقول ، وهي كما ترى لاتنقص عما يقول اقرانه ، ولكنه على كل حال مقل جدا •

وأما القطعة التي يتندر بها ، وقامت حوله بسببها تلك الزوبعة الهائلة ، فهى هذه ، وقد قالها في يوم قدم فيه أقرانه مقطعاتهم للترحيب بالوفد الافراني :

أنخ ياحبيبى مركبي لزيارة الـ   ـساجلة اعلام اطباء أمجاد
مزيحين اعلام الضلال عن الورى   مروين صديان الفؤاد بارشاد
ومبدين صعب مشكلات الفوائد   وهادين أقواما لخير معاد
فما شئت من فهم لديهم وحكمة   وانشاء شعر للمسائل ايراد
وما قد تشا من علم فقه ومنطق   عروض كلام والفروع من اوراد
لقد حصرت نفسي لعد مناقب   لهم كنجوم لا تعد بأعداد
فمن رام حصر القول في مدح سادتى   فقد رام جعل الحق مثل أبي جاد (١)
بطرفك اشخص للنجوم الطوالع   بـ (بردة) والبدر المنير بامداد
اتعجب ممن هام وجدا وصبوة   بدعوة ذا البدر المنير وانداد
فهذا عبيد مستغيث بجمعكم   فلا تسلموه خلف بعد وابعاد
لقد رام الحاقا بظعن سوابق   ذوى عمل من غير زاد واسآد(٢)
على المصطفى المختار ازكى تحية   تضوع وتزرى بالنسيم وبالجادى(٣)
وعترته أهل الهداية والعلا   ومن بعدهم من أهل رشد وارشاد

ثم أجابه الاستاذ شيخنا الافراني وقد لوح الى ما في القصيدة :

أيا نزهة الحادى ويازينة النادى   ويا طرفة يرتادها الرائح الغادى
ويا ابن أبي بكر بشير جلوت من   بنات الحجا بكرا سنا حسنها بادى
فلازم وسدد سهم عزمك وارم، لا   تكن وانيا فالعلم افضل مرتاد
هو العروة الوثقى هو المرشد الهادى   هو السبب الاقوى هو الري للصادى
عليك سلام ما صبا عاشق وما   تغنت على الاغصان قمرية الوادى

وكتب شيخنا الافراني الى صاحب الترجمة هذه الرسالة الصغيرة في قضية :

١) ابو جاد : الباطل
٢) اسأد أسآدا : سار ليلته كلها
٣) الجادى : الزعفران

«أدام الله سعادة الاخ الابر ، الفقيه المدرس ، سيدى البشير بن أبـى بكر، وسلام عليه وعلى من به واليه ، هذا وموجبه اعلامكم بأن حامله ولد خالـنـا سيدى سعيد بن عبد الله ، حكم عليه سيدى محمد بن عبد الله السوقى حكما مخالفا للحق كل المخالفة ، فرفع الى لافتى عليه ، ولم يتيسر لى نقضه ، فاحببت أن تعلمنى هل تستطيع أن تنقضه صدعا بالحق ، وتأخذ أجرتك ، فان تكفلت بذلك ، رفعنا النازلة اليك ان شاء الله ، والجواب ياتى ، والسلام • أخوكم الضعيف الطاهر بن محمد أمنه الله وتولاه •»

وكتب اليه أيضا فى قضية أخرى :

«وفق الله لمرضاته ، وعامل بألطاف سعاداته ، مقام الاخ الفـقـيه الابر النفاعة ، سيدى البشير بن أبى بكر ، وسلام عليه ورحمة الله وبركاته •

هذا وحامله الفقيه سيدى ابراهيم العينى كانت له دعوى على بعض أهـل ذلك البلد ، فنحب اذا دعاه اليك ان تشد عضده ، وتعينه فى نيل حقـه ان شاء الله ، ولاتنسنا من صالح الدعاء والسلام ، أخوكم الضعيف : الطاهر بن محمد أمنه الله ، مسلما على سائر الاخوان ، اصلح الله الجميع»

والفقيه سيدى ابراهيم العينى هذا ، علمت ان هناك من عين الطلبة بتازروارت ابراهيم بن على أخا للفقيه سيدى محمد بن على الساكن بالبيضاء اليوم ، قيل لى : ان اخاه ابراهيم الم بالعلم ، فالغالب انه المقصود ، وتوفى فى آسفى بعد : ١٣٤٠هـ وسياتى ذكر اسرته فى ترجمة اخيه الفقيه محمد بن على فى (القسم الخامس) ان شاء الله •

وكتب اليه أيضا جوابا عما تراه أمامك •

«سيدنا الذى أصبح فكره محكا لابحاث الافهام ، يروج الخالص وينفـى زائف الاوهام ، هذا وقد لاحت بنتك تتبختر اتضاحا ، وتـلـوح فى سواد النفس صباحا ، فزادك الله حرصا ، واحضر لكل حجة لك نصا ، غير ان الظاهر ان ذلك النصب ، لايتأتى فى كل مثال ، بل الحق ان الجزم واجـب ان قصد الجزاء ، بان لم يكن عيبا من وصف ، أو حال ، اواستئناف وان امكن وقصد، فالرفع ، واما النصب فلم نره فى (الصبان) ولا ظهر وجهه وان قال به شارح الاجرومية المذكور ، والحاصل ان الحكم على الجزم بالجواز على الخيار ، لا يظهر من (الصبان) بعد ما طالعت ، لعدم تأتى قصد غير الجزم ، فـى مثـل قول عمر للنبى صلى الله عليه وسلم : دعنى اضرب عنقه فكيف يقصد مالم يمكن

وأما النقل عن الرهونى فى (العمليات) فقد اتيت به على وجهه ، أبقاك الله لامثالها ، وأزال بك عن المسائل نقاب اشكالها ، ولاعدم العلم انظارك السديدة، وابحاثك المفيدة ، فلله درك من فارس مجال ، ورامى نضال ، والسـلام» • أخوكم الطاهر •

وكتب اليه أيضا قرينه شيخنا سيدى محمد بن الطاهر :

«عليك سلام الله يا ابن أبى بكر   سلاما ذكيا طيبا عطر النشر
سلام اشتياق من محب توقدت   به لاعجات للتشوق والـذكر
سلام امرىء ما حال عما عهدته   وقد يعترى ود امرىء غير الدهر
يسائل عن أخباركم نسمة الصبا   اذا ما سرت وهنا على روضة الزهر
ويستلمح البرق اليمانى علـه   يحمل تحايا من نواحيكم يسرى
رعى الله عهدا قد مضى ما نسيته   على انه ينسى عهود الهوى غيرى

حرس الله مجادة الاخ الصالح ، الذى عبير صيته فى وجنات الطروس الطيب الفائح ، البحر الذى ينتاب بابه كل غاد للمكارم ورائح ، والملجأ الذى يامـن اللائذ به من الطوائح ، العلامة الذى لايزال فى بحار المعارف سابح ، والمنفق بضاعة عمره الغالية فى شراء العلم الذى متجره رابح ، فبشرت بـه أسواق العلوم بعد الكساد بنفاقها ، ونال منه بجده غاية ماطمحت عين احد قط الى لحاقها ، الفقيه المتفنن العلامة ، الذى لم تمسه فى اقتناء المفاخر السـآمـة ، أخونا وحبنا وعصرينا سيدى أبو السراء : البشير بن أبى بكر ، باكر حضرته منا افوح التحايا ، تحكى أنفاسها طيب الشمائل منه والسجايا ، تحية مـلآن الفؤاد تشوقا ، أسأل النوى قلبه ودمعه فتدفقا ، من محب شديدالهيام الى تلقائك، مشتعل الشوق الى لقائك :

اشتهى ان ترى فؤادى فتدرى   كيف وجدى بكم وكيف احتراقى ؟

مجتمع الاحزان بالنوى ، مفترق الصبر باجتماع الهوى •

كانت لقلبى اهواء مفرقة   فاستجمعت اذ رأتك اليوم اهواء

فأين للقلب طاقة بما تحمله من الاهواء ، التى تميت صاحبها وان كـان يمشى مع الاحياء ؟

فيالك من قلب تبذل فى الهوى   وابدل غى الهزل من رشد الـجـد

ثم بعد هذا كله ، نستمد من يد الله تبارك وتعالى عونها ، بقرب تلك الساحة التى باعد المقدور بيننا وبينها ، وان قربت مسافة وساحة ، لعل ان نـنـال ظلال رفارف العز والقبول ، ونبلغ غاية كل سؤل ومامول

هذا وانا نحمد الله الذى لايجب الحمد على الحقيقة الاله ، وهو المسؤول ان يبلغ كلا منا ومنكم من الخيرات سؤله وأمله ، على تعهدكم لهذا العبد الضعيف المسىء الحقير بالسوءال ، عن كنه حاله فى الحلول والترحال ، فلعمرى لقـد بالغت فى الاكرام ، وانعمت بما اثقلت به الكواهل من الانعام ، هكذا تحفظ العهود من الاخوان ، والصدق والوفاء بالذمام ، فالمولى سبحانه وتعالى يتولى عنا جزاءك ، ويزيد رفعتك وسناءك ، وهو المسؤول ان يديم لنا ولكـم السلامـة

والعافية ، وان يسبل علينا وعليكم من وقايته ستورا ضافية ، وان يسقينا من صرف معارفه كؤوسا صافية ، بمنه وكرمه •

اما بعد : فاحوال المدرسة كما علمت ، مازالت في ازدياد ، ولله الحمدوالمنة، وما سمعنا عن نوادى الشيوخ بالغ الا ما سر البال ، لله الحمد ، والشيـــخ الوالد رضي الله عنه وأرضاه ، وأدى عنا حقوقه ، وبارك لنا في بقائه ، وسقانا من فيوض معارفه آمين ، توجه مع الاخ خالنا وحبنا سيدى القرشي ابن الشيخ سيدى المدني الناصرى الى تلك الحضرة السنية ، زاد الله من أنوارها ، وأدام على رغم الحسدة سنا أقمارها ، رزقهما الله سبحانه احسن اياب ، بالنبي وآله وماله من الاصحاب

ولتعلم ان سحائب افكار الادب هطل ودقها ، وجاد برقها ، فرثى الشيخ الوالد ، رضي الله عنه ، وأدامه ، الفقيه المرحوم بكرم الله تعالى سيدى العربي ابن محمد رحمه الله ورضي عنه ، وقدس في بحابح الجنان روحــه ، بقصيدة نحوا من (٣٢) بيتا ، ورثاه الكاتب أيضا محمد باخرى نحوا من (٤٢) بيتا ، ورثاه الاديب سيدى محمد التملي باخرى نحوا من (٣٠) بيتا ، ورثاه أخونا سيدى أحمد بن محمد اليزيدى بأخرى نحوا من (٤٣) بيتا ثم اجابه الشيـــخ بخمسة ابيات ، ثم هنأ كل أديب بالمدرسة : الشيخ الوالد رضي الله عنـــه وأرضاه بما في طوقه ، فاجاب كلا بما يفي بالمناسبة وازيد عن كل ما ذكرناهمن غرر القصائد وبدائعها ، الى غير هذا مما لايسعنا الساعة ذكره ، ولايطاق شرحه وحصره ، فالحمد لله أولا وآخرا ، والسلام في العشر الاول مـن ربيع الاول عام : ١٣٣٠هـ كتب أخوكم الضعيف : محمد بن الطاهر بن محمد لطف الله به

انتهت الرسالة المكتوبة من المدرسة (البومروانية) وسترى ان شاء اللـــه مراثي سيدى العربي في ترجمته في (القسم الرابع)

وكتب أيضا الاديب سيدى البشير بن المدني الناصرى الى صاحب الترجمة في غرض :

محبنا في الله تعالى الفقيه البركة ، الاجل المرابط ، الخير سيدى البشير، كان الله لنا وله الولي والنصير ، وسلام عليه ورحمته وبركاته ، وبعد :

فقد اتصل بنا خطابك ، ولقي بالقبول والاقبال كتابك ، وعليه فتهيا لـمـا يحتاج اليه من الخدمة ، تهيأ لها غاية ، فقد علمت حالة الناس اليوم لاسيمــا من هناك ، وفرق الزرع لمن يظن فيه الخير ، ولاتقصر ، فالانسان عبد الاحسان وطالما استعبد الانسان احسان ، فيوم الاربعاء المقبل أقدم ان شاء اللـه ، فقد نزلت اغيار وأكدار ، نسأل الله ان يكفر بها الاوزار ، وسنوعب لك ذلك، فلولا ذلك لقدمت في الاربعاء الذى ذكرت ، ولايكـون الا خير ان شاء الله ، والسلام ، أخوكم البشير الناصرى •

هذه مخاطبات الينا بها ، وربما يفهم منها القارئ اللبيب ما لا يفهمه مما ترجمنا به صاحبنا ، ونود لو وجدنا مثل هذا من كل ما يتعلق بمن نترجمهم فاذن لانبخل بايراد كل ما نرى فيه فائدة ، ولكن كيف يتيسر لنا من امثال هذه المخاطبات ما نتوقف عليه ؟ وهي عنداهل هذهالجهة من سقط المتاع ، ولاحول ولا قوة الا بالله ، فكم رسائل مثل هذه المذكورة ، اوقد بها طالب في المدرسة فحم مجمره ، لاغلاء المقراج او لطهو طعامه الذى يطهوه بنفسه ، فضاع ماضاع والى الله المشتكى •

هذا هو سيدى البشير بن ابى بكر ، وهذه منزلته في عصره ، وهـــى منزلة لو دام لها ، لكان اليوم من الافذاذ ، ولكن سرعان ما انتقى كما ينتقـى الاخيار ، فرحمه الله رحمة واسعة •

ولنختم الترجمة بمجاوبة بين المترجم وشيخه سيدى الطاهر ، وقـــد كتب على القطعة الاولى التي للمترجم سيدى محمد بن الطاهر مانصه :

القطعة (البالغة) (١) من خطاب الفقيه السيد البشير بن بوبكر المجاطي الاغوديدى الى شيخنا وسيدنا الوالد رضي الله عنه وعنا به ، وهذه هي القطعة كما هي ، يستدعيه بها ليشرف منزله :

أهدت الى هوادى الليل تبشيرا   وعن سنا أسفرت لطفا وتيسيرا
اذ انجم قد بدت والسن نطقت   وانعم ذكرت للقلب تـذكيرا
فكم أياد لليل قد تبدى (٢) بـــه   بدر بـه السير تقديما وتاخيرا
واشرقت أرضناواستبشرت وزهت   ان يسر الله منك العود تيسيـرا
لا غرو ان قد زهت اذ عادهاسندى   في اليومولاى شيخي الطهرتطهيرا
لا اعدم الله لي أمثاله أبـدا   محيـاى مـوتـى تحسيرا وتتشيرا
فاعطف فداك ابي عني وعن خلدى   بزورة نورت قـلـبى تنويرا
صلى الاله على نور الهدى وتقى   والصحب والآل ما حرر تحريرا

الجواب :

لبيك لبيك يـا من كنت مسرورا   بقرب منزله المعمور تنويـرا
دعوتني فاستطار القلب مـن فرح   اليك اذ كنت بالافضال مشهورا
لكن عداني شغل قد علمت به   فاعذر أخاك تكن ما دمت مشكورا
ثم السلام على علياك ما صدحت   ورق فهاجتجوىفيالقلب مستورا

* * *

هؤلاء الثلاثة من تيسروا من الاغوديديين ، وهم مـن وجدنا فيهم شرطنا الذى نتتبعه ، ثمانقضى منهمالعلم ، فلاأعلممنهمعالما اومتعلما فيالمدارس اليوم• ولنتبعهم بمن كانوا على شرطنا من التيغشيتيين •

(١) هذهالكلمةمنسيدى محمدبن الطاهرمقصودةحين وضعهاموضع (البليغة)
(٢) كذا في الاصل •

سيدي على التيغشيتى

نحو ١٢٩٨ هـ = نحو : ١٣٤٧ هـ

نسبــه :

على بن الحاج أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله ابن محمد بن عبد الكبير ، وينتهى النسب الى الحاج بلقاسم بن محمد بن محمد ـ فتحا ـ بن عيسى بن عمر ، بن أبى بكر بن سعيد بن محمد بن عبد الله ابن يوسف بن صالح ، بن طلحة ، بن أبى جمعة بن على بن عيسى بن الفضيل، ابن عبد الله بن كندور بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد ابن حسان ، بن اسماعيل بن جعفر بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب •

هذا النسب الشريف ، وقفنا عليه فى مشجر نسب عند أهل هذه الاسرة المباركة ، ولم نقع عليه عند غيرها الى الان •

كان من بين مساكن اولاد سيدى الحاج بلقاسم (أنكيضا) وفى قرية هناك تسمى (أمى نبكار) انتقل اليها جدود لهؤلاء التيغشيتيين ، بل هناك من يحمل أيضا اسم التيغشيتيين ، وأول من انتقل : محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الكبير ، من الاصل الاصيل فى (أمان أوسدرم) الى (انكيضا) ، فكان له هناك من الاولاد اربعة : على ، واحمد ، وعبد الله ، ومحمد وهذا الاخير هو الذى انتقل الى مساكن أيت (تيغشيت) الان ، وكان هذا المكان عزبا لهم ، فانحاش اليه هذا قاطنا ومجموع التيغشيتيين يسمون (أيت بوشاطر) وهم اليوم على ثلاث فرق : أيت أحمد ، وأيت حمو ، وأيت موح ، ومن أيت احمد صاحب الترجمة ، وهذه السلسلة التى ذكرناها لم تصل الى الجد الاعلى سيدى الحاج بلقاسم ، لان من املاها على لم يعرف ما بين عبد الكبير ، وبين الشيخ سيدى الحاج بلقاسم ، والحاج أحمد والد صاحب الترجمة ، من افذاذ اتباع الشيخ الالغى القدماء ، وممن تلقن منه من أول يوم ، ثم حج معه سنة ١٣٠٥هـ ثم لازم الزاوية ، وقلما ينفتل عنها الا لقضاء ضروريات أسرته ، وهو أيضا جد الاستاذ سيدى بلقاسم بن محمد السليمانى من جهة أمه ، ووفاة الحاج احمد فى سنة ١٣١٢هـ وبسببه اعتنق كثيرون من أهله الطريقة الالغية ، وقد خلف أربعة اولاد : الفقير سعيد بن احمد المتوفى سنة ١٣٥٣هـ وكان أيضا صوفيا كبير المقام متجردا فى صورة متسبب ، ذا احوال ، وقد ترجم فى كتاب (منية المتطلعين الى من فى الزاوية الالغية من المنقطعين) والفقير محمد بن احمدالمتوفى

فى (ايشت) سنة ١٣٢٨هـ وكان ايضا حسن التصوف ، وقد تزوج بنت عمة لنا تسمى : ماماس بنت بلقاسم ، فولد معها اولادا موجودين اليوم ، اكبرهم عبد الله ، رئيس اخوانه رسميا ، وهو الذى افادنى عن اهله كل ما رايت ، وابراهيم بن الحاج احمد ، مات عزبا ، وصاحب الترجمة ، ومنهم سيدى على التيغشيتى الفقير الكبير المتجرد ، ماشاء الله ، وكان من الافذاذ فى التصوف وماماس هذه تعيش كثيرا فى (الغ) وهى سيدة فاضلة هرمت الان ١٣٨٠هـ وكثيرا ما تخدم على وجه الله لحسن نيتها •

التحق المترجم سيدى على بالمدرسة الالغية ، بعد أن جود القرءان ، فالم بما يروج فيها بين يديه نحوا وفقها وما اليهما ، وكان وسط التحصيل ، فليس بذلك المتفوق ، ولا بذلك البليد الخاوى الوفاض ، بل ترقى حتى وجد من العلم ما راى له بركة ، ولكنه بعد أن فارق المدرسة ، لم يتعهد كلما اخذه ، فنزل القياس عما كان عليه ، وان كان لايزال حسنا ، ويجول فى النوازل ، وربما كان مع سيدى احمد ابى الفدام المتقدم بين الالغيين ، يتعاونان تعاون صنفين ، وان كان المترجم أصفى منه جوهرا ، واعلى منه فهما ـ فيما سمعت ـ وقد كان يشارط فى (أمتضى) سنوات ، وفى (ادبودفل) وفى (اغوديد) وفى (أيت حمو) بتاجارمونت ، وفى قرية (تيغشيت) ثم طاف به أمل التكسب بالتجارة ، فاقبل وادبر ، ورافق القوافل ، وكان ناصحوه يردونه الى المشارطة التى تليق به ، ولكنه يلج ، فيابى الا الدوام على ذلك الحال ، حتى خانه الدهر ، فتوالت عليه الخسارات ، ثم لما دهمت سنة ١٣٤٦ هـ جلا باهله الى قبيلة (السمية) فى قرية ايت واكماز ، ثم سقط مريضا حتى أتى على غالب ما عنده، فلما ابل ذهب مع ولد له يافع ، فالتهمته الحواضر وما وراءها ، فلم يظهر له بعد اثر ، الا ان ذلك الصبى ، تحدث من صادفه راعيا فى تلك الجهات ، فاخبره بان والده مات اثر سفره •

هكذا قضى الحياة ، وذهب من غير اثر ، الا بين النوازل التى فضها ، وكان هو العالم الاول من التيغشيتيين والاخير ، وانا لم اعرفه ، وانما حكى لى عن مكانته الاستاذ سيدى بلقاسم السليمانى ، رحم الله الجميع

الفصل الثانى

في القاطنين ولو موقتاً في قرية (دوكاديو) من الغرباء

وفيه من المترجمين :

الصالح سيدى احمد الفقير الساموكنى الاصل

الموثق سيدى محمد بن ابراهيم السلامى

سيدى محمد الاخصاصى الطويلب

الاستاذ سيديا الصحراوى

الاديب محمد بابه الصحراوى

الشاعر محمد سالم الصحراوى

الطالبة رقية بنت محمد بن العربى الادوزية

السيدة مريم الصحراوية

سيدي احمد الفقير ابو الاخبار

الساموكني ثم الدوكاديري

نحو : ٩٥٠ هـ = نحو : ١٠٥٥ هـ

فى صغرى كنت أرى رجلا اشيب ، يقزل (١) باحدى رجليه ، ويتكيء على عصا لاتفارق يده ، وهو حلس زاوية الشيخ الوالد ، والواقف على شؤون الحرث والحصاد ، والقيم على اصلاح الدلاء والوطاب ، وما الى ذلك دائمـا ، وملازم الصلوات الخمس فى الصف الاول وراء الشيخ ، ولايمكن ان يتخلف حتى عن الصبح فى صبارة الشتاء ، والاوحال الى الركب ، وهذه التلعة بين داره والزاوية تتدفق ماء ولا يمنعه كبره ولاقزله عن ذلك ، وعن الدوران مع الحراثين والحصادين على حقول الزاوية التى لايعرفها اذذاك غيره ، ويقول فيه الشيخ : انه رسوم الزاوية •

كان سيدى احمد بن باها الفقير ـ وهو اسم هذا السيد ـ لم يرزق هو ولا زوجته اولادا ، الا بنتا واحدة ، تزوجها العم بلقاسم ، فبقيا منفردين • ثم اتصلا معا بالشيخ • فكانا كفرسى رهان فى العبادة ، وفى اقامة شعائر الدين وفى خدمة الزاوية ، وكانت قرينته هذه تسمي ـ لقبا ـ تبلا اوغليت ـ وكانت مثله فى المحافظة على صلاة الجماعة ، وفى الزهد وفى الاخلاق ، وكانت عاقلة تعرف ماتقول وهى التى تنقل عن الشيخ كلاما كثيرا ، وتذكر ان الشيخ دخل بابها مرة وهى مع نسوة يذكرن مؤذنا صوابيا ، مات وشيكا فى الزاوية ، وكان من اشد الفقراء واصبرهم ، فصرن يقلن هنيئا له الجنة بما عمل ، قالت : فعاصمنا الشيخ وقال : لاتتجرأن فتدخلن بين الله وبين عبيده ، فانه لايطلع على ما بين الله وبين عبيده سواه ، ولكن ادعون له واطلبن من الله ان يغفر له

قالت : ذكرتنى هذه القصة : قضية ام عطية فيما قالت فى ابن مظعون وما اجاب به النبى صلى الله عليه وسلم • وهذا هو مشرب الشيخ المشهور عنه فى امثال هذه المواقف

---

١) يقزل : يمشى مشية الاعرج ، والقزل محركا : اقبح العرج

كنت اعرف ذلك السيد وأنا صغير ، ثم اتصلت بالمدارس ، فكنت اجده على حالته متى رجعت ، حتى توفي سنة ١٣٣٥هـ فكان دائما هو وقرينته التى التحقت به وفاة نصب عينى ، وما كنت أعرف من هو ، وربما كنت احسبه من مرابطينا ، ولكننى بعد ان انفتحت عيناى ، وأرهفت اذناى ، علمت انـه مـن أسرة أخرى تسمى (آل الفقير) تنتسب لسيدى احمد الفقير جدها الاعلى وانه مدفون فى المقبرة الدوكاديرية القديمة ، وعليه بيت ، وازاءه حفيده المذكور، وانه كان رجلا صالحا ، سكن فى (الغ) قبل ان ينتشر فيه مرابطونا •

اذن ، كان هنا سيد اخر صالح يسمى أحمد مثل اسم جدنا سيدى احمد ابن عبد الله ، فلنفتش اذن عن ترجمته ، لندرك ما يمكن ان يدرك عن امثاله البعيدين القدماء ، فان لم تدرك الحقيقة كما هى ، فاننا نقاربها على كل حال •

جعلت أسأل من هنا وهناك ، ثم اخبرت ان احمد بن محمد بن حمو بن عبد الله ، الملقب بابن المؤذن ، من اولاده أيضا ، وانه ابن عم الفقير احمد بن باها المتقدم ، وكنت أيضا اعرفه ، لانه يتصل أيضا بالزاوية فى صغرنا ، يصلـح المحاريث لانه نجار • فكان هذا والفقير بلقاسم السوقى الاغرابويى الوفقاوى ـ المتوفى نحو : ١٣٤٥هـ ـ يقومان دائما بهذه الحرفة للزاوية ، والثانى مـن أخلص اصحاب الوالد ، فان عرض له عذر ، جاء احمد بن محمد المذكور فاتصلت به أسأله ، فافضى الى بما يأتى عن جده ، ثم أتانى بسلة رسوم قديمـة لهم ، فاستطعت ان استخرج بين كلامه وبين الرسوم ما نذكره •

هو أحمد بن محمد ، ويكنى بابى الاخبار ـ كما تذكره الرسوم ـ ولـه ولد واحد يسمى يحيا ، ثم خلف يحيا ثلاثة : عبد الله وبلقاسم وابراهيم ، ثم أعقب بلقاسم ولدا واحدا ، يسمى محمدا ، ـ فتحا ـ واعقب ابراهيم بن يحيا ابن احمد بن محمد ثلاثة : سعيدا ومحمدا ومحمدا ـ فتحا ـ وهؤلاء الاحفاد عاشوا كلهم فى اواخر القرن الثانى عشر ، وربما عاشوا الى اول الماضى ، كما فى استمرار من رسم رأيته هناك ، ثم أخبرنى ابن المؤذن المذكور ان جده حمو مات سنة : ١٢٩٥ هـ فى (تامانارت) واعقب اربعة هلكوا كلهم فى الغ بـعـد دفنهم والدهم هناك ، بوباء سنة : ١٢٩٦هـ وان اخا جده المسمى باها (ابراهيم) وهو والد الفقير احمد المتقدم الذكر مات سنة : ١٣٠٩هـ وذكر ايضا ان والد جده عبد الله ، هو ابن بنت سيدى محمد بن سليمان ، وانه سبط الفقيه سيدى سليمان ، هذا ما افضى به الى ، ثم قال لم يبق اليوم من ابناء جدنا الاعلى الاانا وحدى فعرفت ، أن اولئك الذين ذكرناهم فى اوائل القرن الماضى ربما هلكوا جميعا فى وباء : ١٢١٤هـ كما هلك احفادهم بالوباء كما ترى سنة ١٢٩٦هـ

شاع عند الناس وايده الواقع ان ابناء سيدى احمد الفقير صاحب الترجمة كلما وصلوا ستة (كوانين) ينقرضون الى ان يتـراجعوا الى كانـون واحـد

ـ والكانون : العائلة ـ هذه عبارتهم فى ذلك ، وهاهم اولاء اليوم بعدما تفرعوا رجعوا الى عائلة واحدة ولم يبق منهم اليوم الا ابن المؤذن المذكور مع حفيد له • التحق اليوم بالعمل فى فرنسا ، وابن المؤذن اليوم شيخ هرم ، مبتلى اولا بكسر فى الوقعة الجشرالية سنة : ١٣٣٥هـ ثم بأمراض ، وهاهو ذا اليوم يزجى عمره (ثم لم ينشب ان مات نحو : ١٣٥٨هـ)

ثم ان اصل هذا السيد من وادى (ساموكن) حدثنى حفيده المذكور وقد سألته عما أخذه عن ءابائه عن جدهم : ان سبب انتقال جدهم من (ساموكن) أنه شاع فى ذلك الوادى وباء ، فالتجأ أهله الى الشيخ سيدى محمد بن ابراهيم التامانارتى ، المتوفى فى ذى الحجة ، سنة : ٩٧١هـ فأتوا به الى بلدهم ، ثـم حدثوه أن صاحب الترجمة منعزل فى غار للتحنث ، فأرسل اليه ، فأبى أن يأتيه تأدبا ، حتى الح عليه ، وأنه لابد ءات ، فجاءه • فامره أن يطلب الله ان يزيل ما فى ذلك الوادى ، فذهب فنادى فوق سطح المسجد على سكان الجن ان يرحلوا بأولادهم ، فزعم الرواة أنهم رأوا زعازع واعاصير تدور وتخرج من الوادى ، ثم سمع الناس مناداة من الجن ، ينادون أيضا بدورهم على سيدى احمد الفقير أن يرتحل أيضا عن ذلك الوادى ، والا فلايلومن الا نفسه • وكان ذلك سببا لانتقاله ، فوصل (تاكانزا) فتلقوه بالترحيب ، فانزلوه بين ظهرانيهم ماشاء الله ، ولكن بعد حين رأى من بعض سفهائهم ما لايعجبه ، وصار يتردد الى قرية (دوكادير) عند الحربيليين ، حتى انتقل الى قريتهم ، وقد بنوا له دارا لاتزال موجودة الى الآن ، وذكر لى انها مسقفة بعود (ايقى) الذى يذكر انه من اكبر الاشجار اذذاك فى (الغ) فنقل أهله وأمواله الى داره الجديدة ، فزعم الرواة انه وقعت بسببه منازعة أفضت الى محاربة بين الحربيليين الدوكاديريين والتاكانزيين

ثم ان السيد تأثل املاكا فى مسكنه الجديد ، وفى (تـاكـانـزا) وفى (تاجارمونت) وذكر ان داره بتاجارمونت ، لاتزال الى الآن ، والامـلاك هناك مرهونة ، ثم ذكر الحكاية التى تقدمت لنا فى ترجمة سيدى احمد بن عبد الله ابن سعيد ، حين صادف موته ، وقد بشر بنزوله بعده فى القرية ، ثم قـال ان اولاده انتقلوا بعده الى (تاكانزا) ولم يرجعوا الى قرية (دوكادير) الا فـى القرن الماضى ، قلت قد وقفت بين تلك الرسوم على مصداق ماقـال من انهم رجعوا (تاكانزا) فهناك رسوم حقول هناك ، وما يتعلق بـذلـك فى قـريـة (وسلغت) وقد وقفت بين تلك الرسوم على هذه الرسالة التـى كتبها رئيس (ساموكن) فى ذلك العصر الى سيدى على بن احمد المتقدم فى شان ولد صاحب الترجمة :

(على المجد الرفيع والبركة المرفوعة على المسلمين ، شيخنا وبركتنا سيدى على ابن سيدى احمد ابن سيدى عبد الله بن سعيد ، اسعد الله بنا وبكم ببركتكم سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركته •

وبعد : تعلم علم الخير منا بان الفقير ، يحيا بن أحمد الساموكني ، نحن
رضينا به فيما حصل فى غرضكم ورغبكم ، سمحنا له على وجه الله ، ـ وحقكم
علينا اعظم ـ فيما نابه من المطالب المخزنية ، مما لزمه فيه بين اخوانـه ءال
(ساموكن) فانى سمحت لك فيه سمحة خالصة فى حق الله وحق نبيه والسلام
فانى طلبت منك سيدى الدعاء لله فى وقت الاستجابة ، ليسترنا الله ويسلمنا
من فتن الدنيا والاخرى ، ويجعلنا فى حرمة العالمين ، والسلام ، الشيخ عبد
الرحمن بن عمر الساموكنى ، (وفى طرة الرسالة) وكاتبه عبد ربه الراجى
بركتكم : اخوكم فى الله : احمد بن محمد بن عبد الله بن ناصر الساموكنى
وفقه الله للخير ءامين) .

من هذه الرسالة ترى أنه ليس لسيدى يحيا ابن صاحب الترجمة ، ولا
لوالده ماكان للمرابطين السعيديين اذذاك ، حتى ان يحيا استظل كما تـرى
بظل جاره ، وحرمته حقيقة لم تتجاوز (تاكانزا) وقد رايت بين تلك الرسوم
صدقات عليه وعلى احفاده من التاكانزيين ، وهذا هو الحامل لهم حتى راجعوا
(تاكانزا) حيث يجدون ما لايجدون عند الدوكاديريين .

وتلك الحكاية التي يذكرها الرواة فى سبب النقلة لصاحب الترجمة ممكنة من
جهة التاريخ ، لان محمد بن ابراهيم التامانارتى يمكن ان يعاصره سيدى احمد
الفقير فى اول أمره ، ثم يطول عمره الى ما بعد : ١٠٥٠هـ ان كان معمرا ، ومثل
ذلك يقع ، ولكن ما تخلل الحكاية من الاعاصير المعاينة نهارا ومناداة الـجـن
والناس كلهم يسمعون ، فمما نتوقف ازاءه ، لااستبعادا لوقوع مثل ذلك فـى
قدرة الله ، ولكننا اعتدنا فى كتابنا هذا : ان لانقبل ما يخرج عن سنن الكون
حتى يثبت بما تثبت به المعلومات ، ولو ظنا ـ والظن فى بعض الامور يغنى ـ
لان الله اعطانا عقلا نزن به ، ولانقبل ما يخرج عن طوره الا بكونه ثابتا ، فنقول
اذن : ءامنا بان قدرة الله تاتى بمثل هذا واكثر ، ثم نقول فيما نشك فيه ،
كهذه الواقعة التى لها بعض التواتر (الله اعلم)

هذا ما توصلنا به من ترجمة هذا السيد الذى له مزارة الى يومنا هذا
مشهورة ، والفضل كل الفضل لتلك الرسوم التى استطعنا بها ان نتراءى بعض
ماله ، ولو كان كل الذين نتوقف على ذكرهم يمدنا احفادهم بمثل ما امدنا به
هذا الحفيد ، لامكن لنا ان ندرك بعض شئ ، كما أدركنا اليوم حول مترجمنا
هذا بعض شئ ، ولكن كثيرا من الناس يجهلون ما نريد ، او يستنكفون أن ياتى
أجنبى فيدرك عن آبائهم ما هم يجهلونه وأن أنس لا انس ما قال لى يوما بعض
من يحمل اسم الطلب ، بل له حظ غيرقليل من العلم : ان هذا كله فى متناول
يدى ، ولكن ماهى فائدته لوعرفناه ، فهل يعشينا ذلك او يغدينا ، فلم يسعنى
الا ان الوى راسى تحت طى جناحى ، فاطرقت وقلت ، أرايت ايها المختار مافعل
بك الدهر حتى القاك بين من لايهمه الا بطنه ؟ وما تبجر به حقيبته ، ويزاد به
دانق الى ما فى جيبه ، فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون ايها الجاهلون

الموثق سيدى محمد السلامى

بعد : ١١٨٠ هـ = بعد : ١٢٦٨ هـ

نسبه :

محمد بن ابراهيم بن مبارك

فى ترجمة سيدى ابراهيم بن سليمان من مرابطينا ، تقرا أنه كان دائما
يصاحب سيدى محمدا السلامى هذا ، واصله من قرية (تالات ييسى) وهناك
والده واجداده ، ومنها تربى وتعلم ، ولم نقف على كيفية تعلمه ولا على مشيخته
وله حظ من العلوم ، قال العم ابراهيم : ربما كان افضل من حظ صاحبـه
ابراهيم بن سليمان ، وله فى الفقهيات والنوازل يد جوالة ، ومهارته فى التوثيق
اعلى من ذلك ، هذا ما حدثنى به العم ، وأهل مكة أدرى بشعابها .

كان سكن أولا فى قريته ، ثم انتقل بعد : ١٢٣٠هـ ـ كما يظـن ـ الى
(الغ) فتزوج امرأة اخرى ، فسكن فى دار بقرية (دوكادير) لاتزال معروفة
الى الآن بدار السلامى ، ولها برج عادى ، وكان ربما شارط فى مسجد (تاكانزا)
وفى مسجد القرية السليمانية احيانا ، والرسوم التى يكتبها سيدى ابراهيم
ابن سليمان يعطف عليه فيها او يعطف عليه سيدى صالح بن عبد الله المتقدم
الترجمة ، وتوجد رسوم كثيرة كتبها بيده ، وثلاثهم هم الموثقون فى (الـغ)
اذذاك ، وكتبة الرسوم وما اليها من أول القرن الماضى الى ما وراء الستين منه ،
وقلما يكتب غيرهم الا بعض اساتذة المساجد ، فانهم يكتبون ايضا معهم ، وخطه
مائل الى الجودة فى الجملة ، قال العم وتاريخ الرسوم التى حررت بيده ، تمتد
من سنة ١٢٣٠هـ الى ما بعد : ١٢٦٠هـ أقول قد رأيت له رسما مؤرخا بسنة
١٢٦٨هـ ، ولذلك جعلت وفاته بعد هذه السنة ، ويظن العم انه توفى نـحـو
١٢٧٠هـ وقال أيضا : انه شاخ جدا حين مات ، ولذلك جعلنا ولادته نحو سنة
١١٨٠ هـ فيكون ابن اكثر من (٩٠) سنة وهذا ما يقدره له العم ، وربما قال :
انه ناهز المائة ، والله اعلم ، وقد ادركه أجله فى داره هنا ، فدفن فى مدافـن
القرية ، رحمه الله ، ولم يترك مع هذه الزوجة عقبا يذكر ، بخلاف التى هناك
فى (ايسى) فان له معها عقبا ـ كما احسب ان العم ذكره لى ـ فهذا ماامكن لنا
عنه ، فرحمه الله رحمة واسعة

سيدى محمد الاخصاصى

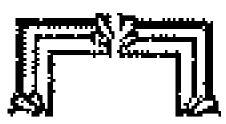
نحو : ١٢٨٥ هـ = ١٠-١٢-١٣٤٨هـ

نسبه :

محمد بن ابراهيم

أصله من قبيلة الاخصاص ، اتصل بالاستاذ سيدى محمد بن عبد الله، فلازمه فى دراسته ، وفي خدمته حتى مات ولازم المدرسة دائما بعده ، وكان ممن له تحصيل لاباس به ، خصوصا في المحفوظات الادبية ، وكان يستحضر كثيرا من المقامات الحريرية ، ويستشهد بها فى كل مناسبة ، وباديبات أخرى أوكا عليها ذاكرته ، وقد كنت احسبه ناقصا جدا حتى ذكره لى العم ابراهيم، ثم الاستاذ سيدى الطاهر بن علي ، فقالا انه متوسط ، كفلان ، وفلان • بل هو من جهة العربية أحسن من فلان الذى اشتهر عند الناس بالنجابة ، قالا وانما همته هى التى اسفت به ، فلا مطمع له لافي علم ، ولا فى كسب دنيا ، واخبرت أنه كان مع الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله فى سفرته الاخيرة الى مراكش ، وانه ممن أرمسوه ، وقد كان الرجل الصالح سيدى الحاج عبلا بن صالـــح دعا له مرة دعوة ، كان يرجو أن تخرج له فى ان لايعــدم الشراب والطعام اللذيذين ، حتى يلتحق بربه ، فكان عمره طاعما كاسيا كذلك الى أن مات ، وكان مع ملازمته للمدرسة فى بيت له معلوم دائما له الى الآن ، يلزم دار الكريم سيدى احمد ابن الحاج عبلا بن صالح ، ويقوم له على صينيته ، ثم يروح الى المدرسة ، وكان يتعاطى بيع السكر ، وما عقلته أنا الا على تلك الحالة ، ولـــم يفارق قط الكاس (كاس الاتاى) ولا الطاجن المزعفر الذى يفوح بالتوابل الطيبة حتى انقضى أجله ، وكان فيه شبه عزلة عن الناس ، حتى فى حين الموت لم يحضره أحد ، بل مات فى بيته مع عدم الشعور بذلك ، حتى تفقد بعد حين ، فوجد كذلك ، وربما حكي لى حاك أن الداخلين وجدوا الطاجين منصوبا ، ولاادرى اذلك صحيح ، ام انما ذلك تفكهة ، ولم يتــزوج قط ، ولاسما له نظـر الى اتــزار بمجد ، أو الى ارتداء بشفوف ، وكل من ذاق تلك المعيشة الحلـوة الطـيبـة اللذيذة فى المدرسة ، وهو مستقل كل الاستقلال ، فانه يزفر عليها ، ويغبط مثل هذا السيد الذى لازمها طول حياته ، نظير سيدى عبد القادر الوادنوني فى بونعمان . ولبعض الالغيين فى ذلك :

سقى الله ذاك الطور سحبا هواميا ... فياطالما اضفت علينا الامانيا
نروح ونغدو والزمان كانما ... نجيل على فوديه عضبا يمانيا
نؤمل ما يقصو فيمثل بيننا ... كعبد فيدنى من يدينا القواصيا
بقرب ما نشهى الينا ونغتـــدى ... ملوكا على كل الانام أعاليا
فان ننس لا ننس المدارس انهـا ... وازمنها كالغانيات حواليا
عليها سلام من بئيس اذا جرت ، ... أحاديثها أجرى الدموع طواميا
وما انا من ان يجمع الله شملنا ... بها وباهليها بمنىء رجائيا
(وقد يجمع الله الشتيتين بعدما ... يظنان كل الظن ان لا تلاقيا)



الشيخ سيديا الصحراوى

نحو : ١٢٩٥ هـ = نحو ١٣٧٣ هـ

نسبه :

الشيخ سيديا ابن الشيخ احمدو ، بن سليمان ، من بنى ديمان الذين ينتسبون الى السلالة البكرية التيمية ، وجميع العرب الداخلين الى الصحراء يحافظون على انسابهم محافظة تامة حتى لايخفى دخيل فى نسب من الانساب وبنو ديمان ، من القبائل الصحراوية التى انتشر فيها العلم ، وتسلسل فيهم أحفادا عن اجداد ، ولذلك كان اجداد المترجم واباؤه كلهم وكل حواشيهم علماء ولم يتيسر لنا الآن ما نذكرهم به

منشأه ومتعلمه

اخذ فى الصحراء ، حيث نشا بين أهله عن اخيه الشيخ محمد ، وهو عمدته كما اخذ أيضا عن الشيخ يحظيه ، ثم وفد على الشيخ ماء العينين ، فى الصمارة هو وأهله ، فارين من جيوش الاحتلال ، التى هاجمتهم سنة ١٣٢٥هـ فى عقر ديارهم - وديارهم فى المحل الذى يسمى (القبلة) وهكذا تسمى هاجروا الى الشيخ ماء العينين المعروف بمناوأته للاحتلال ، ثم اخذ أيضا عنه علوما منها علم الاصول ، ثم هاجر معه الى (تيزنيت) فلم‌يزل ياخذ عنه الى ان توفى الشيخ فى تيزنيت .

أحواله

رأيت المترجم فائض الايمان ، ناهض العزيمة ، عيوفا لايستخذى لمذلة ولا يرضى بالهون ، فقد هاجر هو واهله كلهم فى سبيل الله ، فصاحبوا ماء العينين ، ثم لما بويع الهيبة صاحبه الى (الحمراء) ثم الى (ردانة) ثم فى‌تنقلاته الى ان استقر فى (كردوس) ثم اوى الى الشيخ النعمة فى (أيت رخا) ثم الى الغ عند الاستاذ ابى الحسن سنوات قليلة ، ثم الى (تالعينت) عند القائد عياد الجرارى ، وربما صار يتنقل هنا وهناك ، فقد استحضرت أنه زار يوما مدرسة (تانكرت) وحضر درس شيخنا سيدى محمد بن الطاهر فى الاستعارات ، فكان ربما يتجاذب هو وشيخنا بعض بحوث تتعلق ببعض ما اعتاص من مسائل الدرس ، ثم لم يزل يتقلب فى سوس ، الى أن تم احتلاله مختتم : ١٣٥٢هـفورد

عليه اهله يتطلبون منه الرجوع ، فيعتذر لهم بديون عليه ، فاتوا بما يؤديها به فاخذه فتصدق به فلم يمكن له الا اسعافهم ، فرجع فبقى هناك تصل أخباره، الى ان قيل انه توفى ، والرجل من رجالات العلوم ، فانه علامة جليل محصل، اديب مشارك فى المعقول والمنقول ، وله أدبيات وقصائد قالها فى بعض الملوك العلويين ، وفى الشيخ ماء العينين .

بينه وبين الالغيين

كان يوما جالسا فى حضرة استاذ الغ ، فجرى بحث فى كلمة لغوية - لم يستحضرها الحاكى - فقال أبو الحسن بن عبد لله أيفتى ومالك بالمدينة ايمكن لاحد أن يقول . وهنا الشيخ سيديا الذى اليه الاعنة ؟ فكل الصيد فى‌جوف الفرا ، فقال سيديا منشدا بيت البردة :

استغفر الله من قول بلا عمل لقد نسبت به نسلا لذى عقـــم

فمح تاء الخطاب ، يقصد بالخطاب الاستاذ أبا الحسن ، وجرى يوما ءاخر بحث فى لفظة (الغ) هل تصرف او تمنع من الصرف ، فاتى سيديا ببيـــت السموطى فى الفريدة :

وان البلاد والقبيل والكـلـم على الذى تقصده كما رسم

ومقصوده ان لك صرفه وعدم صرفه ، وهكذا يكون علمه معه رحمه الله

من شعره يخاطب الشيخ النعمة من قصيدة :

بنفسى بياضا نمقـته باحرف يد صاغها الرحمن للبذل واللـــثم
فما البحر يحكيها وان عم نـفعـه ولاالسيف يحكيهالدى الحربوالسلم

ومنه يخاطب بعض الالغيين - ولعله الاستاذ ابو الحسن ابن عبد الله -

لك المجد فى هذه البسيطة ثابتـا ثبوت الرواسى حول الغ الشوامخ
لقد فقت كل النشء وقت شبيبـة كما فقت فى الاسنان كل المشايخ

وقال يهنىء العلامة سيدى على بن عبد الله يوم تزوج بنته العلامة سيدى محمد بن الطاهر الافرانى :

شمس النساأدركت بدرالرجال‌وقد نالا بما اجتمعا عزا ومفتخرا
وليس هذاينا فى قول خالقنا (والشمس لاينبغى ان تدرك القمرا)
فالشمس بنت فقيه العصر سيدنا (على) مـن بالمعالى كلهـا اشتهرا
سليل عبد الاله القرح وارثـــه فى كل فخر ومن للدين قد نصرا
ولا يناظره فى مجده أحـــد ولوعلا النيرين‌الشمس والقمرا(١)

(١) تكرر القمر مرتين

والبدر نجل اديب العصر شاعره … من فاق فى العلم والاداب منحضرا
السيد الطاهر البكرى قدوتنا … محيى رفات العلامن صيته انتشرا
ومن اذا قيلت العوراء او نظرت … يغض جارحتيه السمع والبصرا
فبالرفا.رب والابنا وصل على … خير البرايا عديم الشكل والنظرا

كان المترجم عاتب الاديب سيدى الطاهر الافرانى فى تركه للتشبيب فى قصائده ، فاجابه بقوله :

ان النسيب تركته متخلصا … للمدح لا عيا ولا تقصيرا
لكن ارى المدح الاهم وانما … كان النسيب الى المديح سفيرا
ايلام صب شفه فرط النوى … فنفى الرسول واعمل التسييرا
ذا مذهب ولآخرين خلافه … ولكلها حجج فسل بى خبيرا
هذا اعتذار للاديب السيد المـ … ـبكرى وأرجو أن يكون عذيرا

❀ ❀ ❀

محمد بابا الصحراوي

نحو : ١٢٩٠ هـ = ١٣٤٢ هـ

هذا هو الاديب الكبير المشهور فى الغ ، حيث استقر سنين عديدة حتى صار كاحدهم ، ومن كان فى مثل اخلاقه ، فسرعان ما يالف ويولف

منشأه وأحواله

كتب الى الشيخ محمد الامام ، وقد سالته عنه مايلى : (قبيلة محمد بابه، تسمى (اجاكوجا) من قبائل الزوايا الشنكيطية ، واهلها مشهورون بجودة الخط ، فكان له الخط الاوفر من ذلك ، فاتخذه الشيخ ماء العينين ناسخا لمؤلفاته . وهو من المهرة فى القرءان العظيم ، حفظا ورسما وحسن اداء ، ولذلك اسند اليه الوالد تعليمنا فى القرءان ، اول ماورد عليه نحو : ١٣٢٣هـ فكان استاذ طبقتنا ، وهو فوق ذلك شاعر مفلق ، حسن الاخلاق ، رقيق الحاشية ، لذيذ المفاكهة ، عزوف عن سفاسف الامور ، مهذب الطباع . يتوقد ذكاء . يكرس حياته على علم يفيده أو يستفيده ، مع انقباض عن سوى ذلك ، ويغلب عليه حال التصوف بمعناه الحقيقى علما وعملا ، وفى آخريات حياته لايطيب له المقام فى كثير من الاوقات الا فى (الغ) لما رأى فى أهله من الدين والفضل ، ولهم به حفاوة واعجاب كبير)

هكذا ترجمه تلميذه محمد الامام ، ونزيد نحن انه كان له شرح حسن على لامية العرب ، رأيته بخطه الانيق كماله مؤلف ءاخر فى الاصول - سمعت به - وله نوادر منها أنه رأى انسانا أراد أن يفتح بيتا فى دار الاستاذ سيدى على ابن عبد الله ، نام فيه الفقيه (اكيك) الصعب الاخلاق ، فقال له بملاطفة ورقة صوت ، ويشير بسبابته الى البيت (الفتنة نائمة لعن الله موقظها) فكانت احدى النوادر الغريبة منه ، وقد كان أحمد بن الحاج ابراهيم الايغشانى محب العلماء يحرص على ان لايزول عنه المترجم ، فيلازمه اخيرا اكثر من دار الاستاذ ابن عبد الله ، وله هناك محل اغلق عليه ، وحين توفى فى (كردوس) جاء أهله ، وقد ظنوا ان هناك مكنوزا ، فاذا به صفر وزوجته هى أخت محمد سالم الشاعر المذكور قريبا ، لانه تزوج بنت ابن عبد العزيز ، كما كنت كتبته فى حديث اخذته عن العم ابراهيم ، وقد كان يصحب الشيخ ماء العينين ، وياخذ عنه بعدما اخذ من أهل بلده ، وهو الذى يقرا الحزب الراتب بين يديه ، ثم صاحب

الهيبة بعد ما بويع فى كل تنقلاته الى (كردوس) وقد كان الفتى عنه اخلاق الصحراويين كلها وزيهم ، وتلبس باخلاق من يعاشرهم وبزيهم ، فحببه ذلك الى القلوب ، والمناسبة شرط الصحبة ٠

آثـــــارلا

كان للمترجم ذكاء نافذ ، وقريحة أدبية علمية ، فكان يشارك فى كل ما يعن فى المجالس الالغية من البحوث ، فكان‌مما يشارك فيه ارسال القوافى ، فهذا الاديب سيدى محمد بن الطاهر وفد على الاستاذ قطب رحى الغ ، على بن عبد الله بقصيدة طويلة مطلعها :

سيرى مطية واقطعى البيداء   فعسى يبلغك المسير رجاء

فيجيبه الاستاذ باخرى مطلعها

هذى بروق فى الحمى تتراءى   ام ثغر (مهدد) (١) فى البراقعضاء

فقال المترجم ، وقد هزته الاريحية الادبية :

عهود الصبا ذكرت ياهبــة الصبا   فلا حرج ان حن ذو الشوق اوصبا
ويانسمات القرب هل من وسيلة   الى معهد الاحباب فى زمن الصبا؟
ويانسمة الاسحار هل لك لـمـة   بقلب مشوق بالـغـرام تلهبا ؟
ويا سلسبيل الوصل هل لحشاشتى   شفاء من أشفاء الى القبر قـربا ؟
ويا بارق البرق اللموح معارضا   شتيت لمى ألمى المؤشر اشنبـــا
كفاك فقد حركت ما كان ساكـنـا   وحاكيت لكن كان أضوا واعذبـــا
رعى الله أيام الصبا وصفاءهـــا   من أكدار واش او رقيب ترقبـــا
تقلبت الاحوال من طول عهدهـــا   ولا عجب فالدهر مـا انفك قـلـبا
لحى الله دهرا راعنى بفراق مـــن   أود وأبلى بـالوشاة وعـذبـا
وصير قلبى لايفارق محنتـــى   رقيب تبدى او حبيب تغيبا
فيادهر مهلا قد تنسمت نفحة   بوفد لها لا بد أن أتاهبا
بوفد حبانا ما حبا بقدومـــه   الا مرحبا أهلا وسهلا ومرحبـــا
صحبت بمعسول الشمائل من‌فتى   به خير مصحوب اود ان أصحـبـا
ترحب به ما شئت ما ان رأى‌امرؤ   سنا بدرها الوضاح الا ترحبا
ولا ارتاح مرتاح براح الذ مــــن   قوافى فيها قـد اجاد واطنبا
فناهيك من شعر بليغ مهـــذب   بديع حوى ما قد حوى والنهى‌سبى
بسحر ولكن من طلاوة لفظه   وخمر ولكن من يعانيه غيبا
مباريه فضلا لا يلاقى سوى الذى   على كريم الوجه لقاه مرحبا
ولا غرو ان البدر من معشر ابت   سجاياهم الا الزعامة والابـــا

١) مهدد كجعفر : من أسماء النساء عند العرب ٠

أيهنك يابدر السيادة مفخـــر   تحل بابهى حلة منه واسحبا
وقبت شرور الحاسدين ودمت فى   سرور المنى ترتاح برا محببـــا
بجاه رسول الله افضل خـلـقه   عليه صلاة الله ما هبـت الصبا

وبينه وبين الالغيين مخاطبات نثرا وشعرا ، منها هذه الرسالة التى كتبها الى علامة الغ على بن عبدالله :

(حضرة البليغ السميدع ، من علا ذوابة المجد وافترع ، امـام الادبـاء وهادى العلماء ، ورئيس الرؤساء ، سيدى على بن عبد الله الالغى ، سلاما أحلى من تلك الشمائل ، واغزر من ذلك النائل ، وتحية تملا جوكم عطرا ، وتهمى على مجلسكم قطرا

وبعد : فقد حدث حادث ، وهجمت احدى الكوارث ، فتاخرت عن الموعد، الى ان يمر عيد المولد ، ثم افى بقدومى عاجلا ، راكبا وان لم ياتنى منكم‌ركوب فاتيكم راجلا ، وسيدنا الامام يسلم عليكم ، وهو يشتاق اليكم ، وطالما افاض عليكم ايها الالغيون من دعواته ، لتبقوا دائما مفخرا من مفاخر ندواته ، وقــد الفيته يوما وقد اعتذرت له عن تخلفى عنه بلزومكم وهو يقصد احوالكم ، وكيف يكون الضيف عندكم :

لازلت على ال المهلب شاتيـا   غريبا عن الاوطان فى زمن المحل
فما زال بى احسانهم وافتقادهـم   وبرهم حـتـى حسبتهم أهلى

والسلام ٠

وهناك رسائل أخرى اخترت من بينها هذه لتكون نموذجـا لترسله ، والعلاقة التى ينظر بها هو واهله الكردوسيون الى الالغيين اذذاك ٠

ومما كتب به المترجم الى الاستاذ أول رسالة :

اسلى سلام الى العلامة الحســـن   سيرا بسيرته المثلى ابى الحسن
وبعد فادع‌بظهرالغيب نلت رضاالا   له لى بالرضا والختم بالحســـن

وقد خاطب ايضا الاستاذ ابن عبد الله وقد وفد عليه وفد الايفشائيين :

ابا حسن لازلت بدرا سيادته   مطالع سعد تستدام سعادته
ودمت بانواع النعيم ممتـعـا   تحفك فى نادى المفاخر سادتـــه
ودمت مفيدا مستفيدا ممهـدا   فوائد يا من لاتمل افادتـه
ودمت فريدا فى الارادات كلها   رضا الله فيما حتمته ارادته
وعاودك الرحمن من كل نعمة   عوائده الحسنى كما هى عادتـــه
عليك سلام الله ما مس وافدا   بذا الوفد رفد، فى رضاك وفادته

وقال ايضا فى احد اولاد الاستاذ جاءه عن شوق :

صبت صبا والد صبا بها ولده   الى اللقا وانتشى مـن راحها خلده

فاهتز وابتز ألواب الكرى وجرى — من التشوق ما لم يحتمل جلـده

ثـم امتطى مسرعا مطيه طربـا — الى زيارة من يرتاح من يجده

مسترشدا رشدا من نور حضرته — اذ لم يزل نورها مسترشدا رشده

ادامه الله للانام طود عـلا — وللبلاد كما به اعتلى بلـده

ودام من فيض مولاه يفيض جـدى — ودام يمتد من امداده مدده

لولا تصاريف اقدار بمغترب — عن أهله ما تخطى والدا ولده

وورد العلامة سيدى الطاهر الافراني وسيدى البشير الناصرى الى (كردوس) فى جمادى الثانية ١٣٤٢هـ فخاطبهما بقوله

أقول وقد قالوا اتى الجلة الغـر — فكن لهم ندمان ، غيرى بذا غـروا

أما اعوز ابن الجد جد تلالات — مـن اعـوازه للناس اشعاره الغر

وأنى لصب بالتلاقي وانـمـا — يصد فـؤادى عـن لقائكم العسر

(أذوب حياء من زيارة صاحـب — اذا لم يساعدنى على بره الوفـر)

فاجابه سيدى الطاهر :

عليك سلام الله يا أيها البدر — وان غاب اذ غبت البشاشة والبشر

فلا وجـد الا دون طلعتك الـتـى — اساريرها فيها لنا ظرها سر

فملء جفون لاجفان (١) هى المنى — لديكم ، ففيرى باعتـذاركم غـروا

فحضرة مولانا الامام كفيلـة — بغاية ما يرجو من الجدة الزور

فلا زال نصر الله يقدمه ولا — تزل فى اقتضاءما ابتغى البيض والسمر

وحين انقطع المترجم الى الرئيس احمد الايغشانى • قال يرحب بالاستاذ ابن عبد الله • ثم بسيدى سعيد التنانى • وقد وفدا الى هذا الرئيس • واليوم يوم عيد المولد التبوى •

زار الفقيه وزوره محمـود — وعـلى الصدور سروره ممـدود

زار الفقيه زيارة أنى بها — وبمثلها هذا الزمان يجود

فشفى بزورته السعيدة مدنفا — قد طالما اضناه مـنـه صدود

لازال محمود الـوفـادة مرتضى — عند الالـه صدوره وورود

لازال يروى الزائرين مـعـمما — نعما وعلما بحره المورود

لازال ممدود الحياة ممتعـا — بالمشتهى وله الودود ودود

هذا ولما زار زار باثره الشـ — ـيخ التنانى السعيد سـعـيد

لاغرو أن اليوم يوم مسرة — فيه النبى المصطفى مولود

١) تلميح الى ما كتب به الصاحب ابن عباد الى العسكرى وقد رحل اليه

ولما أبيتم أن تـزوروا وقلتم — ضعفنا ولم نقدر على الوخـدان

أتيناكم من بعد أرض نزوركـم — وكم منزل بكر لنا وعوان

نسائلكم هل من قرى لنزيلكم — بملء جفون لا بملء جـفـان ؟

صل عليه وءاله وصحابـه — والتابعين الهنا المعبـود

ما غردت ورقا وما هبـت صبا — وجلا الظلام من الصباح عمـود

وللمترجم فى هذا الرئيس أبيات تذكر فى ترجمة الرئيس ان شاء الله قريبا مطلعها :

(جازى المهيمن مد من الاحسان)

تلك بعض ءاثار المترجم الالغية ، واحسبه تاثر ببيئتهم ، حتى صار مـا يقوله ، لايشبه ما يقوله المفوهون من شدق ءال كردوس ، كمحمد الامام وابن العتيق ، وقد سمعت ان عنده أقوالا اخرى ، لكن لم يحضرنى الا ما ذكرتـه

وفاته وآثاره

ساقته تربته الى مسكن اشياخه بكردوس ، فهناك توفى واقبر سنة ١٣٤٢هـ فكتب الاستاذ الالغى هذه القصيدة راثيا ومعزيا فيه للامير مربيه ربه:

عظم الرزء والمصاب بموت الـ — ـفرد فى بابه محمد بابـه

ذهب الحلم والعفاف وحسن الـ — ـخلق والخلق مذ أرانا ذهابـه

من لجمع شتات علم ومن للد — رس من بعده يوفى نصابه

من يجيد تجويده اى من القر — ءان يحيى بها ليالى الغيابة

من يروض شوامسا من علوم — للرياضات من يفك حجابـه

من لتقييد ما يند من العـ — ـلم ويابد فى وثاق الكتابـة

من يفيد لنا فوائد قـد او — دعها صدره واخلى كتابـه

من يحرر مـا يؤلـف مـولا — نا الامام ومن يعى مستطابـه

من يبث على الحقيقة فضل الشـ — ـيخ (ما العين) من يصيد خطابه

عالم لـم يـزده الا كـمـالا — غير الدهر والصفا والمهابـة

لازم سدة الامام فيرضى اللـ — ـه ارضاء من ينوب منابـه

عجبا كيف يستر القبر بحرا — زاخرا لم يـزل يفيض عبابـه ؟

ويوارى بدرا يـعـم سناه الـ — ـشرق والغرب سهله وهضابـه

لتجد كل مقلة بـدمـوع — تبك خط ابنها وفقدا اصابـه

ءاه مما أصبت ان كان يجدى الـ — ـتأسف القلب او يزيل الكآبـه

هكذا كل سيد يسرع المو — ت اليه ، وينتخب انتخابه

كان علقا وكل علـق نفيس — يقتنى فادخرت منه مصابـه

فارق الوطن المحبب فى اللـ — ـه وفارق أهله وصحابـه

علم الله منه حب لقاه — فأحـب لـقـاءه ومتـابـه

فدعـاه الى الجـنـان فلبـا — ه وارضى بما يحب جنابـه

لا تسل عن قرى محب لمحبو   ب اذا ما أتى اشتياقا رحابه
واعزى العلوم فيه ودين اللـــ   ــه اذ كان للمريدين بابه
والامام الرضا ، المظفر من ار   ضى الاله بالعدل فيما أنابه
من أهاب بالحظ فاستمع الحـــ   ــظ نداء مشوقه فاجابــه
دام بالله عزه ولسان الـــ   ــكون يتلو على الرعايا كتابــه
حي كردوس اذ يضم عظاما   سقيت بالتقى وحي ترابــه
تربة لم تزل تضم كرامــا   جلهم للنبي يحـوز قرابـة
لو يفدى الكرام بالنفس والما   ل فديناك يا محمد بابــه
غير أنا نفوض الامر للـــ   ــه وترضى عن الخطوب ثوابه
وعليك مـن الالــه سلام   طيب ما أقام طيب طابــة

كما رثاه الاديب ابو محمد الافراني بقوله :

أعينا على خطب الـم فاًلما   وصرف زمان صير الدمع عندما
وفقد خليـل كـان لى خير عـدة   وكان به شمل الهناء منظما
حيـاء وايناسا وعلما وعـفـة   ومجدا وحبا راسخا وتكرمـــا
لحى الله دهرا ما رعى ال ذمة   وعهد لذى فضل سما فتقدمـــا
أما بان من محمد باب ذى التقـى   تهجده فذا اذا الليل هوما
يبيت كما بات السليم مسهدا   يرتل اى الذكر غضا منمنمـا
يبارى السهى فى ظلمة الليل رقة   ولطفا والاهمة وتسـنـمـا
له قدم فى معرك البحث راسـخ   وصارم ذهن كلما سل صمما
الى ورع لاتستخـف ثباتــه   زخارف من دنيا وآنسة الدما
رعى الله دهرا قد نعمنا به كمـــا   تنعم زهر الروض بالغيث انهمى
لطافة اخلاق وصدق مــودة   كما امتزجت راح معتقة بما
سلونا به عن كل هم كما ســلا   بنفح الحمى وهنا مشوق تتيمـا
الى أن أفاق الدهر فاغتاظ من صفا   أويقات انس كلها سحر الحـمـى
ففوق سهما للردى نحو صاحب   نفديه لو يغنى بما صين من دمـا
فياليت ذاك العهد يوما يعائــد   وهيهات ان تجدى لعل وليـتـمـا
(فليست عشيات الحمي براجـع   اليك ولكن ما استطعت ابكها دما)
فلهفى على فقد الاحبة حسرة   وحزنا حشا قلبى لهيبا تضرمـــا
ولولا رجاء الوعد بالصبر والتقى   وتسليم أمر الله ذبت تندمـا
فيا أيها المولى الامام ومن بــه   تتيه العلا فضلا عـلى انجم السما
فصبرا على ريب المنون فـهـكذا   تمر الليالى ابؤسا ثـم انعما

محمد سالم الصحراوى

نحو : ١٣٢٢ هـ = نحو : ١٣٦٤ هـ

*****

نسبه :

محمد سالم بن عبد الفتاح

من قبيلة ادا وعلى من (تاكانت) ورد أبوه عبد الفتاح نحو سنة ١٣٢٢هـ الى (الساقية الحمراء) فنزل على الشيخ (ماء العينين) فهناك ولد المترجم ، وامه خديجة بنت عبد الله بن احمادو ، ثم أخذ القرءان عن الاستاذ محمد بابه ، المترجم قبله ، الذى كان معلما لجميع طبقته من اهل الشيخ ماء العينين ، وكان للشيخ النعمة يد طولى فى تحفيظهم للقرءان ، لانه يواخذهم على تكرار سورهم ثم صارت هذه الطبقة تأخذ العلوم عن محمد محمود ابـن البيضاوى خـال الشنكيطى الباشا الشهير فى (ردانة) وعن الاستاذ الحضرمى ابن الشيخ احمد حفيد الشيخ محمد فاضل بن مامين ـ وهو والد الاديب : المحفوظ المشهـور فى وجان ـ وعن الشيخ محمد بن عبد العزيز ، وعن الشاعر ماء العينين بـن العتيق ، والشيخ سيديا بن حمادو بن سليمان ، وعن الاديب (أبا) بن عبد الاله من قبيلة (ءال بوحبيني) ، وهذا هو الذى انتفع به المترجم كثيرا فى الفقه فقد اخذ عنه المختصر كما اخذ اللغة والادب حتى تمكن عـن الشيخ النعمة ، هؤلاء شيوخه ، هكذا حكى لى قرينه محمد فاضل ، وقد قال محمد الامام ان انتفاعه الكثير انما هو بمحمد بابه وابن البيضاوى ، وهو ادرى من غيره .

أحواله و تقلباته

مات والده فى الصمارة ، قبل انتقال الشيخ الى (تيزنيت) ثم انتـقل المترجم مع ماء العينين ، فظل مع الهيبة فى تقلباته ، وهو يدرس عن المتقدمين ثم لم يتزوج الا فى حدود : ١٣٣٨هـ لما لازم الشيخ النعمة فصار قيما عـلى اشغاله الخاصة ، ثم بعد وفاة النعمة سافر المترجم الى الصحراء ، فلم تعجبه الاقامة بها ، فراجع (ايت رخا) ثم تجول كثيرا ، فكان يتردد بقوافيه ، واذذاك كان يفد علينا بمراكش ، فقدم الى الاكلاوى قصيدة قافية ثـم بعد : ١٣٥٠هـ سكن فى (الغ) عند الاستاذ سيدى المدنى فى داره ، ويقاسمه ما تيسر ، مـع ضيق ذات اليد ، وبعد نحو ثلاث سنوات اتصل بالشيخ سيدى ابراهيم بـن البصير ، فطلب منه أن ينتقل اليه ، فاتى باهله من الغ الى بنى عياط ، الى ان توفيت زوجته ـ وسترى ترجمتها ـ ثم رجع بعد وفاتها نحو: ١٣٥٨هـ الى الصحراء حيث بقى حتى توفى هناك فى نواحى (طنطان)

هذا شاعر فطرى مفوه عبقرى ، يعرف كيف يسبك وكيف يصوغ ، ولم يلفت نظرى مما يقوله الصحراويون النازلون بسوس بعد الفحلين الفذين: محمد الامام وابن العتيك ، الا أقوال المترجم ، وسنعرض على القارىء ، مما عندنا من الغياته وغيرها ، وان كان فى الالغيات يسف كثيرا كما سترى

قال يخاطب الاخ احمد ويستمنحه هذه القولة المهلهلة :

منى اليك مع المدائح احمد   أنمى سلام لايزال يجدد
هذا وموجبه لجانبك العلى   اتحاف قدرك بامتداح يخلد
أنت الكريم ابن الكريم من الورى   والسيد البر الجواد الامجد
فاطال عمرك فى السرور الهنا   قرنا ودمت بجاه احمد تحمد

فاجابه الاديب سيدى الطاهر بن على ، متجاهلا المقصود ، وذلك على سبيل المزاح :

يا من يطيب به الزمان الانكد   ويطيب منه مصدر والمورد
آنس الحزين ونجعة للمعتفى   ذاك الامام ابن الامام الامجد
منا على صوغ غدوت بدره   ما الشعر يصبينا سلام يحمد
هذا وان لشعركم فى قلبنا   معنى (يكاد من اللطافة يعقد) (١)
ما فيه من عيب وحقك غيرما   يبدو بحضرتكم اذا ما ينشد
لم ندر ما قصد الاديب بشعره   أمن النوال به يقام ويقعد ؟
ان كان ذلك مثل ذاك فلا يكن   طول الزمان من المياه توقد
او كان مدحا خالصا فجوابه   ما قال سيدنا النبى محمد (٢)
او قلت ذا لذوى الصنيع جزيتم   خيرا فذلكم جزاء يسعد
منا عليك مع الصباح تحية   تنسى الازاهر ما الحمام يغرد

وزار الاخوان محمد واحمد الاستاذ سيدى المدنى فرحب بهما محمدسالم على لسانه :

لكما الترحب والسلام الامجد   يا أحمد ثم الرئيس محمد
يامرحبا بكما وسهلا انتما   سولى وبى بالتواصل احمد
اطفاتم بقدومكم عنا لظى   قد طالما هى فى الحشا تتوقد
يوم لعمرى ذا النهار مبارك   اذ كان بالغر الاماجد يسعد
فعليكما ازكى سلام دائم   منا وخير تحية تتجدد

١) اوله : بمخضب رخص كان بنانه   عنم يكاد
٢) احثوا التراب فى وجوه المداحين • (حديث)

هذه القطعة رأيت فيها نسخا مختلفة ، فاخترت فيها ما يشبه •

وحين كان ما قاله المترجم فى الالغيين لايمت الى الشاعرية التى يعرف بها محمد سالم ، اردت ان اسوق ما اختاره له مما قاله فى بعض الرؤساء السوسيين :

قال فى الرئيس الاخير فى (تالعينت) ـ واللهى تفتح اللها ـ

من ذكر ناعمة فى طرفها حور   لم يبق للصبر منى فى الحشا اثر
عجزا مهفهفة بيض ترائبها   لعساء ما شانها طول ولا قصر
تفتر عن درر كالمسك ثاوية   فيطبينى ذاك المسك والدرر
وكلما ابتسمت فى الدهر ناطقة   منى اليها تداعى السمع والبصر
وما كتمت هوى الا ونم به   عقيق دمع على الخدين ينحدر
كم ذا كلفت بها والقلب مندمل   ونار شوقى فى الاحشاء تستعر
الى عنانى عنها اليوم منعطفا   الى الخليفة عبد الله ابتدر
سمح جواد ونعم الدين ديدنه   بالمجد مدرع بالجود متزر
نأى عن الذام والاسواء جانبه   عن ذاك بالمجد والعلياء مستتر
الى ما دبه ما انفك ادبه   يمد بالصوت لا يبقى ولايذر
يدعو بدعوته الحسنا له الجفلى   ما ظل فى دهره فى الناس ينتقر (١)
بالفوج ياتيه بعد الفوج مجتمعا   مهما مضى نفر يوما اتى نفر
العلم والحلم والاداب قاطبة   لدى الخليفة عبد الله تنحصر
ما للخليفة شبه فى محاسنه   وليس يدركه فى مجده بشر
اثنى عليه مدى دهرى وامدحه   ما دام لى الاجل الممدود والعمر
ابنى بامداحه مجدى واثبته   به وارفل فى دهرى وافتخر
هذا ولا زال فى عز وفى شرف   عالى المراتب لم يمرر به ضرر
مؤيدا من صميم العز فى كلا (٢)   جار دواما على اسعاده القدر
بخاتم الرسل من فازت بمولده   على جميع البرايا كلها مضر
دامت عليه صلاة لا انتهاء لها   يوما ودام سلام طيب عطر
مادام ذو وله بالشوق فى شغف   من ذكر ناعمة فى طرفها حور

وقال فيه أيضا :

مدح الخليفة ما لم ياتنى أجلى   على اوجبه فى السهل والجبل
قد عاجلتني عطايا منه مسرعة   قد عودت منه للعافى لدى النزل

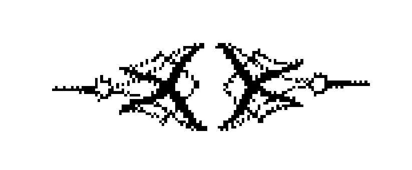
١) الجفلى : محركا ، وبالف مقصورة : دعوة الناس الى الطعام دعوة عامة، والنقرى عكسه ، أى دعوتهم دعوة خاصة ، وفيه اشارة الى قول الشاعر :
نحن فى المشتاة ندعو الجفلى   لا ترى الآدب منا ينتقر
٢ كانه حرك كلا كفلس من كلأه : اذا حرسه •

ذاك الخليفة عبد الله خير فتى ... نال الخلافة في الامصار والحلل
ذاك الكريم الذى فى الدهر قد كتبت ... له السيادة بين الخلق فى الازل
ذاك السخى الذى لم يحك نائله ... سح الغمام بصوب المسبل الهطل
ذاك الجواد الذى جدوى مواهبه ... من قبل مسئلة ياتيك عن عجل
ذاك الهمام الذى فى حرز هيبته ... حصن حصين مدى الايام للوجل
ذاك الشريف الذى قد حاز مرتبة ... في العز علياء لم تدرك ولم تنل
ذاك الاديب سليم الصدر صائنه ... بما لديه دوام الدهر من خول
ذاك الذى ذهبت فى الافق قاطبة ... تفشى مدائحه الركبان فى السبل
ذاك النزيه فريد العصر سيده ... سمح الخلافة ما مونا من الزلل
ذاك الذى نال من مجد ومكرمة ... ما لم ينل ابدا فى سائر الملل
ذاك الشجاع الذى الابطال خاضعة ... أمامه الدهر من خوف ومن خجل
ذاك الذى خصه خلاقه ابدا ... بين الورى بالتقى والعلم والعمل
ذاك الذى غيرما يرضى الاله به ... بين البرية لم يفعل ولم يقل
ذاك الزكى الذى تشفى مناطقه ... وحسن اخلاقه من سائر العلل
ابقاه مولاه فى أمن وعافية ... دهرا بجاه النبى أفضل الرسل
دامت صلاة له ما قال ذو شغف ... مدح الخليفة ما لم ياتنى اجلى

على ان هذه القوافى كلها لم تظهر فيها براعة الرجل ، وانما ظهرت فى مثل قصيدة ميمية نبوية كبيرة ، طبعت فى كراسة فى (سلا) سنة ١٣٥٨هـ تحت نظر الاديب الكبير عبد الرحمن حجى وقد علق على الفاظها اللغوية ومطلعها:

وقفت ابكى ودمع العين ينسجم ... ونار شوقى فى الاحشاء تضطرم

وهى اكثر من ١٢٠ بيتا منعنا الاختصار من ايرادها .



رقية بنت محمد بن العربي الادوزية

نحو : ١٣٠١ هـ = ٢-٣-١٣٤٢ هـ

نسبها :

رقية بنت محمد بن العربى بن ابراهيم بن عبد الله بن على بن عبد الله ابن يعقوب .

هذه والدتى ، أذكرها لوصف تعليم القرءان ، فقد كانت اول معلمة من النساء فى الغ ، ومهذبة البنات فى دار والدى ، فبها انتشر ما انتشر من ذلك فهن ، افيجمل بنا ان نتخطاها لانها امرأة ، ومتى عهد منا احتقار المرأة الى هذا الحد ، أم يجمل بى ان أتنكب ذكرها لئلا اسمع ما كان سمعه بعض اجلاء المؤلفين المعاصرين ، وقد ذكر والدته فى أثناء مؤلف له ، من أنه انما يريد ان يكون نتيجة صادقة لمقدمات صادقة ، وان له نسبا كما ان له حسبا ، فترك ما يستحقه التاريخ ــ خصوصا تاريخ الاسر ــ لامثال هذه الاوهام مما لاينبغى ان يلتفت اليه عاقل ، فليست تلك الطريقة بطريق الانصاف ، مادام الانسان لا يسفح ولا يتزيد ولا يتشبع بما لم يكن ، فان من يترك الحقائق خوف هذاء ومن يتزيد فيها حتى يفسدها سيان فى نظر المنصفين ، على أن للانسان الذى يقف موقف المدافع الذى يقابل حملة بحملة ، ان يذكر امثال هؤلاء الذين يسرعون بالانكار على من يخلدون اعمال والديهم قضية الربيع وزير المنصور العباسى ، اذ أنكر على انسان رآه اكثر من الترحم على والديه بين يدى المنصور، فقال له الاخر : انك معذور ، لانك لم تذق حلاوة الوالدين ، وكان الربيع يزن بانه لغية ، وهل ينكر ذكر الوالدين بخير الا اخوان الربيع هذا ؟

أول ما اعلنه عن والدتى هذه : انها هى التى سمعت منها بادىء ذى بدء تمجيد العلم وأهله ، واكبار تلك الوجهة ، فكان كل مناها ان ترانى يوما ما ممن تطلعوا من تلك الثنية ، وممن يداعبون الاقلام ، ويناغون الدفاتر ، فبذلك كانت تناغينى ، وذلك هو محور دعواتها حولى ، افاكفر لها هذه النعمة اليوم ومن يونسنى الا كلمات من العلوم ازاولها تمطقا استحلى لوكها بذوقى

كانت درجت بين يدى والدها : علامة جزولة فى عصره ، فكان يهم ان يدفع بها الى الدراسة الواسعة فى ميدان العلوم بعد ان أتقنت حفظ كتاب الله ولكن جاءت خطبة الوالد المسرعة ، فحالت دون امنية والدها ، بل وامنيتها هى ايضا التى عرفت من أبيها وبعض اخوالها واعمامها وبنى أعمامها واجدادها كيف التشرف بالعلوم ، فكانت تمنياتها تدور على ذلك ، ولكن ذلك لم يسبق

به القضاء ، وما كل ما يتمنى المرء يدركه ، وقد جاءت بلوحتها بين يديها يوم زفت من دارها الى دار زوجها

في سحر يوم عاشوراء نحو ١٣٢٣هـ ايقظتني فناولتني كاسا مملوءةماء، فقالت : ان هذا الماء ماء زمزم الذى هو لما شرب له ، وهذا سحر يوم عظيم ، وهو مظنة الاستجابة ، فاجرع منه وانو فى قلبك ان يرزقك الله العلم الـذى أتمناه لك دائما ، فأفرغت الماء فى حلقى بنيتها هى التى تدرى ما تطلب ومـا تنوى اذذاك ، ثم استلقيت ثانيا فى مضجعى ، وانا حينذاك ـ ولااكذب القارىءـ لانية لى ولا أقصد بشربى لما قدمته لى بسرعة الا أن ارجع الى الاستمتاع بنومتى لاغير .

أخبرنى استاذها سيدى أحمد بن عبد الله الايجلالنى المجاطي ، قـال استدعانى الاستاذ سيدى محمد بن العربي ، سنة : ١٣١٠هـ من المدرسـة الادوزية ، فأمرنى ان الازم داره ، وان اعتكف فيها على تعليم بناته واولاده ، فخرجت الى والدتك فى دراعة سوداء ، وفى راس لوحتها ـ يوم يفر المرءالآيةـ وكانت تتعلم قبل ان اتصل بها عند غيرى ، ثم دابت عندى حتى ختمت سبع ختمات ، وجودت غاية التجويد ، فعول والدها ان يدخل بها فى طور العلوم، فاذا بتزويجها جاء بغتة ، وذلك عند مراهقتها ، قال : فحين ارادت أن تركب على البغلة جاءت حتى قبلت راسي ، فركبت ولوحتها معها ، كرمز لكونهالاتزال تتعلم ، وقد كان والدها ذكر ذلك لزوجها ، ولكن أيمكن ذلك له مع ما طوق بهمن ارشاد العباد ليل نهار .

كان للوالد رحمه الله زوجتان قبل ، فدرجت منهما بنتان قد ادركتـا ابان التعلم ، قالت لى احداهما وهى السيدة فاطمة ، فانتدينا يوما مع نساء الاسرة ، فدار الحديث حول البنتين ، فقال الشيخ : لابد من تعليم البنتين ، فقالت والدة السيدة المذكورة : أليس سيدى موسى بن الطيب بلائق لذلك، فقال الشيخ اننا نريد من يعلم ويربى ويهذب ، لامن يعلم فقط ، ولا يليـق للنساء الا النساء ، فان المرأة لاتنقاد الا لمثلها ، فقالت تلك الوالدة ـ وهـى عجوز الدار القيمة على شؤونها ـ اننى كنت عند اخوالى بنى اعجلى بيعقيلة ، فطرق اذنى هناك ان للاستاذ ابن العربى بنات يتعلمن ، وانجبهن فتاة تسمى رقية ، وقد استظهرت كل القرءان دون اخواتها ، فقال الشيخ يفعل اللهالخير .

هذا ما حكت لى تلك السيدة ـ ولاتزال حية الى الآن ١٣٥٨هـ ـ فكان عجبا أن يتداول مثل ذلك عند الضرات اولا ، وكان الاعجب ان تشير ام احداهن بذلك ولو لم تخبرنى المذكورة بذلك فاها الى اذنى ، لما كنت صدقت بذلك ، ولكن ذلك هو الواقع ، فلا سبيل الى التشكك فيه ، ثم كانت هناك بشارة روحانية للوالد بتزوج بنت الفقيه ، فيسر الله ذلك له فى حكاية ذكرتها فى كـتـاب

(الترياق المداوى) (١)

فاتح الوالد تلميذه الفقيه سيدى ابراهيم بن صالح التازروالتي التـى كان سلفه ، فأمره ان تفاتح قرينته السيدة خديجة امها زينب بنت صالح ، زوجة الاستاذ سيدى محمد بن العربى ففرح سيدى ابراهيم بن صالح بذلك غاية الفرح ، كما حدث به من رءاه اذذاك والشيخ يكلمه بينهما فى الموضوع، وهو يقبل راس الشيخ فينة بعد فينة ، فلما انفتل من بين يديه القى اليه ذلك الخبر باستبشار زائد ، فسارت المخابرة اولا مع أمها ، ثم قبل أبوها الاستاذ بعد ان اقنعته زوجته زينب بذلك ، فتم الامر على ايدى النساء حتى اصبـح الرجال امام الامر الواقع .

سمع الناس بذلك فكان رابعة العجائب ، لانهم يعلمون تلك الحمـلات التى يلهب بها الاستاذ الادوزى الناصرى الطريقة ، هذه الطريقة الدرقاوية الحدثة بسوس ، حيث يزن اصحابها بالبدع ، ويامر بالمناداة فى الاسواق، ليكون الناس كلهم على علم من رايه فى الدرقاويين ، ولذلك ما كادوايسمعون بهذا الاتصال الجديد ، حتى كانوا بين مكذب وهو الكثير ، وبيـن مصدق ، والدهش ياخذ بتلابيبه .

فـى ١٠ ـ ٤ ـ ١٣١٧هـ كان الشيخ الوالد ، وشيخه الاستاذ الادوزى ابن العربى ، والاستاذ سيدى محمد بن عمرو ، والسيد البركة الحاج محمد بن ابراهيم اباراغ البعمرانى ، ومعلم السيدة صاحبة الترجمة : أحمد بن الحاج عبد الله الايجلالنى فى ءاخرين ، فى دار الاستاذ الادوزى يعقدون النكاح (٢) فيحرره الاستاذ ابن عمر ، ويعطف عليه ابن ابراهيم اباراغ ، فهكذا تـمـت المعجزة ، ورأى من يكذب بامكان هذا الاتصال انه مما وقع فلا ارتياب ، ومـن اغرب المصادفات أن حضر الفقير المعدرى الملقب : أجاكور ، وهو الذى كـان يتولى بنفسه المناداة فى الاسواق والمواسم بما ذكرناه، عن اذن الاستاذالادوزى فقال لسيدى بلعيد الصوابى وسيدى الحاج محمد بن عـدى الـواعظ : الآن اختلطت المياه ، وتعانقت القلوب ، وهتك السجف الذى كان يحول بيـن الطريقتين ، فقال له احدهما ـ وأخاله الاول ـ لم يزل الامر دائما كذلـك ، واهل الله كلهم ذات واحدة ، ولكنك وامثالك ، تكثرون التمويه ، وتهرفون بما لاتعرفون ، او كما قال (وقد توفى اجاكور هذا ازاء الحمراء مع الهيبة فى أواسط رمضان : ١٣٣٠هـ كما بلغنى)

تمت العقدة عشية ، فكتب الاستاذ الى صهره الشيخ الوالد بعد انفضاض

١) مطبوع فى جزء

٢) فى الجزء السادس من كتاب (من أفواه الرجال) رسم عقد النكاح مـع ما يتعلق بغالب هذا الزواج ـ وهذا الكتاب فى عشرة اجزاء لايزال مخطوطا ـ

تلك الجلسة بما نصه :

بعثت اليك بعض كلى فان راعيـ ـــته كنت كل راعيا يا اخى حكما
غرست بكد طال وردا فحين حا ن ازهاؤهاوليتك القلمـا والشما
ولابد من شوك ولطف اقتطافـه يريك من الزراع ما جنه حلمــــا
فان كان بضعة النبى تربيه على حلمه فغيره دونه جزما
فعلمك اغنى عن اذاعة سر مـا هنالك اغناء السمندل شربما (١)
فاسس حديث ام زرع لانس من، يداعبه من كان خير الورى رحمـى
لزوجك حقا بعد ان النبى قا ل هذا لمن يقل النساء ليعلما (١)
ويدرى بان المصطفى حبب النسا اليه واعطى فيهن (١) القوةالعظمى
فسر بكلاءة الاله وحفظـه بآداب تحفة العروس معلمـا (١)
وتمم بناء من شكرت جميله له بحضور الحزب رافضة نومـا
وعلم ـ كما وعدت ـ علما مقربـا بمقدار ذاك العقل فى سنه علمـا
وخاطب بـقـدره فهـن كما رووا قوارير والرجال كالصخرة الصما
فان الزجاج بعد صدع لمن ارا د اصلاحه يابى تشعثه الضما
فلولاك ما اسلمتها لضرائـــر وبعد وقوم لم نصاهرهم قدمــــا
فوالله ما علمت من عيبها سوى وحق ابيك انها تكثر النومـا (٢)
فـان كنت حققت المناط علمت ا ن نوم الشباب لم يكن معه وصما
فهذى وديعة الاله بكف من رأينا له تقوى اذا استسلمتسلمى
بقيتما (١) فى الف ورغـد معيشة ورعى حقوق الله ما ذكرت نعمـى

هذا ما قاله الاستاذ انقله من خطه كما هو بفصه ونصه

فاجابه الشيخ الوالد فى الحين ، قبل ان يغدو الى الغ ، ليتهيا لمقابلة السيدة واهلها الذين ركبوا يقتفون آثاره :

جزاك اله العرش خير جزائــــه أياشيخنا اوليت فوق المنى جرمـا
زففت لنا بنتين بنتا لفكركم وبنتا لصلبكم فذى نعمة عظمـى
جمعت لناالاختين فىعقد واحد(٣) فلم يك ذاك فى قضيتنا اثمــــا

ثم لما وصلت السيدة ومن معها الى الغ ، وصلت على ايديهم ابيـات ، يودع بها الاستاذ بنته ، نصها :

فراق بنتى صعـب علـى فـؤادى جـدا

١) كذا من خط الاستاذ فى الجميع .
٢) يشير آلى الحديث فى عائشة ، من أن النوم يغلب عليها وهى تعجن
(٣) من اضافة الموصوف الى الصفة وهو قليل ، كالكعبة اليمانية ، فىحديث البخارى وقد أصلحه الاستاذ الرفاكي بقول : والعقد واحد ، وهو اصلاححسن

لم ارض للدهر فعلا ولـم اطـق لـه ردا
لـكـن مـولاى ربـى قضاؤه لــــن يردا
افنى الفراق قـلـوبا لما رأت لـك بعدا
لم ار عيبا وشينا أعـده لـك عـــدا
لذاك لم أرض صبرا عنك (رقـيـة) بـدا ،
ودعـتـك الله ربـى يحفظ لى منك عهدا
من أين كنت فقلبى عـنـى هنالـك صدا

الفت الوالدة عصاها فى دارها الجديدة ، قالت ضرتها السيدة فاطمـة المقدمة ، فقال لها الشيخ : ان شغلك الوحيد الذى جئت اليه : هو تعليـم هاتين البنتين خديجة وعائشة ، فلازمت ذلك ، فكانت هى معـلـمة الـدار ، والمرشدة والواعظة للوافدات الى الشيخ ، حتى شدت تلميذاتها ، فكـن ربما يفهن بذلك الارشاد الذى تعلمنه منها ومن ابيهن ، وكان تعليمها للبنات مقصورا على ما تيسر من القرآن وتعليم الكتابة والتهجى ، والتمرين حتى تقرأ التلميذة من عند نفسها الكتب الشلحية الموجودة بكثرة المشتملة على السير والاحاديث والقصص ، وكنا أيضا ونحن فى الطور الابتدائى نأخذ عنها ، قال الاخ أحمد انها هى التى علمته الطور الابتدائى حتى توسط حزب (سبح) ، وكذلك آنـا وربما بلغت من عندها اكثر من ذلك .

تلك سيرتها ، وذلك هو شغلها فى الدار ، وكانت كلما ذكرت الوالدوعده لابيها ان يعلمها العلم ، يقول لها : اننا الى الآن لم نجد فراغا ، فقد رأيت ما نحن فيه من ملابسات الناس والسياحات على عباد الله لنعلمهم دينهموالاشتغال بالواردين الكثيرين ، ولكن ان فاتك انت هذا الموعود به ، فلعل ذلك يكـون لاحد اولادك ، هذا ماحكته لى رحمة الله عليها ، ومقصودها ان تستنهض همتى للعلم حتى أنال به شفوفا ، لعلى اكون انا هو الموعود به

نفست بهذا العبد الكاتب ، فى صفر من السنة الثامنة عشرة وثلاثمائة والف (١٣١٨هـ) فجاء الاشتغال بالاولاد شغلا ءاخر على ما تقدم ، وقد حضرت الاذان والدتها السيدة زينب بنت صالح ـ كما حدثتنى به السيدة فاطـمـة المقدمة ـ والجد ابن العربى هو الذى اقترح ان اسمي محمدا ، فذكر لـــه الوالد ان عنده محمدا ءاخر ، فزيد وصف : المختار للفرق ، فهذا هو سـبـب تسميتى بمحمد المختار ، على خلاف عادات اهالينا فى الاسماء ، وكانت لهـا رحمة الله عليها مع تعليمها هذا : يد صناع فى الاطعمة الحضرية التىتعلمتها فى دارهم الراقية ، فاذا حضر من الاضياف من يستحقون العناية التامة، فانها هى التى تقوم على تهيئة الطعام الخاص ، كما ينبغى ، وفيما سوى ذلك فانها مشتغلة بالتعليم وتربية اولادها الذين تتابعوا

وكان الشيخ الوالد يراعيها حق المراعاة ـ كما حكت لى ـ وجعلها امينة

على الطرف والذخائر التي تكون في الصناديق ، وربما غارت من ذلك ـ على العادة ـ الضرتان الاخريان ، ولكن حسن سياسة الوالد ، يقدر أن يسوى بها كل ما يعن في القلوب ، بمراعاته المساواة الواجبة بين الضرائر ، وقد كان الوالد ـ مراعاة لوالدها الاستاذ ـ بنى اذذاك الكايزة ـ البيت الجميل (١) ـ ليراها والدها متى ورد ، ليعلم ان بنته في الرفاهية التي الفتها عند والدها لا في تقشف الدرقاويين ، هكذا اخبرني سيدى مولود ، وكذلك صار يفتح منها الباب لشرب الاتاى فينة بعد فينة متى طرقه سراة الناس ، وان كان الشيخ لم يتنازل قيد شعرة عن المعهود منه ، وانما مقصوده جبر خاطر استاذه والد السيدة ، وما عبد الله باحب اليه من جبر الخواطر .

هذه حقائق وامور عائلية ، ما كنا لنتعرض لها لو لم يلجئنا اليها ماكتبه الاستاذ الرفاكى حول هذا الموضوع في ترجمة الشيخ الوالد ، وفي ترجمة الاستاذ الجد ابن العربى في كتاب (روضة الافنان في وفيات الاعيان)

وأصل القضية ان الجد رحمه الله طلب من الوالد بعد مضي زمان ان يزيره بنته ، فاجابه الوالد بان ذلك لايتيسر وليس من المعتاد عندنا اليوم ، وهناك ضرات لها اخريات قد يتطلبن مثل ذلك ، فنقع في ذهاب ومجيء في الطرقات ، وذلك ينافى ما اسسنا عليه الاسرة ، وما رضيت به الضرات قبل اليوم ، فبلغ الجواب هذا الى الاستاذ ، فقام وقعد ، واغتاظ . فعاوده الوالد بأنه يحب هو أن يتشرف في الغ باهل دار أدوز كلهم ذكورا واناثا ، فجاء الجميع فصدروا بكل ما يقر اعينهم ، ثم صادف الحال ان بلغ احد الوشاة ولم أدر من هو ـ الى الاستاذ ان بنته ممتهنة ، وانها تطحن ، وانها تكلف ما لاتطيق وانها بين الضرات في سعير يتلظى ، فقال تلك الكلمة التي نقلها عنه الاستاذ الرفاكى : (غدرني فلان ، فلولا المروءة لكان لي وله كيت وكيت) او كما قال، وفي هذا الحين كتب هذه القصيدة الى الوالد ، كما قال الاستاذ الرفاكى في ترجمة ابن العربى :

في حب ءال البيت للانسان ... جميع ما يرجو من الاحسان
اذ حبهم اجر لتبليغ النبى ... محمد رسالة الرحمان
الاجر واجب علينا نغرمه ... وليس ثم اجرة الاثمان
فمن يكن منع اجرة الاجير ... فخصمه خير الورى العدنانى
احرى اذا كان الاجير هو فاحـ ... ـتل بهذا الدار ياذا الشان(٢)
والود لم يكن بسهل يدعى ... ادراكه من عارف ربانى

١) وقد ذكرنا ما قيل في هذه القبة الانيقة من القوافى في ترجمة الشيخ في (الجزء الاول) من هذا الكتاب

٢) كـــذا

فكيف من يقول ما لايفعل ... يوما فيكشف لدى امتحان
الود ايثار القبيح المنظر ... السيء الطبع المسيء الشانى
بالنفس والمال على احتياجه ... لوجه من آتانا بالفرقان (١)
يقى الشريف باعز ولده ... قتلا اذا ما ثار ذو عدوان
يجعل ماله وعرضه له ... وقاية من غير ما امتنان
ان ناله من جهة الشريف ... اذاية في العرض والابدان
يهبها موهبة اتته ... من الشريف ناشر الشكران
وان يكن يستمع المقالا ... مثل عبيد سيد منان
يحب من يحبه لحبه ... ويبغض البغض العدو الشانى
وان تكن عقيلة غيداء ... في ملكه صغيرة الولدان
وكان في خاطره زواجها ... صرم ما عقده البنان (١)
وان يكن في راسه تاج الملوك ... ازاله وصار من عبدان
وكل ما ملكه من خير ... يحسبه من دون حق السانى
يكلاه كلاءة الكلاب ... لدار ربها بكل آن
زن بالذى سمعته حبك يا ... من يدعى تراه ذا بهتان
واعترفن بالقصور والتمس ... تحقيقه من خالق الاكوان

هذه الرجزية التي هي كما يراها القارىء ، ما كنت اعرفها حتى وقفت عليها في كلام (الروضة) ، وعندى حول هذا النظم كلام كثير يجول في هاجسي ولكن الاولى طيه لوجه الله ، لان للجميع نية حسنة ، وفي قضية فاطمة لما اراد علي ان يتزوج عليها ما فيه قدوة .

وفي هذا الحين ، كتب الاستاذ ايضا الى صهره الاستاذ الرفاكى المؤرخ المذكور ، يجيبه عن قطعة كتبها مع قرينته ، وقد ازارها والدها الاستاذ ابن العربى .

جاءني من مقدم الاصهار ... ما به عطر روضة الازهار
وبه قبل نسمة الاسحار ... آنست بنوافح الاخبار
ذكر العهد قل متى كان عهدى ... منسيا ، فيرد بالتذكار (١)
كنت احسنت لم يجىء منك الا ... مونس مطرب من المختار
انت حرز الامان للبنت والكا ... في بنظم القوافي يوم الفخار (١)
نحن نفديك بالدرقاوى واين ... رحمة الله من عذاب النار (١)
ماله معها من اللطف والامن ... بمنزل مزعج جبار
لا تصاهر بسوس درقاويا فالـ ... ـقرب منه بعد من الغفار (١)
واذا ما جهلت تبغي اختبارا ... فلتقف ساحلا من التيار

١) كـــذا

لم يروا لسواهم فضل علم ورشاد والفضل للانصار
لا تسلم اذا دخلنا عليهم تركهم رده على الاختيار
وقل (الله) ثم ذرهم يمدو ن شباك الحطام في الامصار
هذا ! نصحي والنصح ليس اغتيابا لا ولا حسدا من الاخيار (١)
أبقى (١) ربي عليك ستراجميلا وطبيعة احمد المختار
وسلاما تراه في كل أين يا حبيبا به هناك افتخاري

هذا ما يقول الاستاذ رحمه الله تاثرا بما ابلغه ذلك الواشي النمام ، وكان ينبغي له أن يتذكر قوله تعالى : ياأيها الذين ءامنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا الاية ، فان الحقيقة التى تقدمت تكفي في سل غضب الاستاذ لو تاني، ولكن سبق السيف العذل ، ورضي الله عن الجميع

أما الوالد الذي لايعرف للغضب معنى في أمثال هذه المواقف بعد انهذبته التربية ، وشذبه التصوف ، فانه مازال بصهره وشيخه حتى زاره مرارا في الغ ، فلاقاه باحتفالات ، سلت غضبه ، لان غضبه كان عن حق . لوكان ما سمعه حقا ، كما أزاره مرة اخرى كل بناته وزوجته ، فساد الرضا . وعم البشر والتأم الجرح الذى هو عادى بين بعض الاسر ، وقدعاودالاستاذ الزيارة الى الغ مرات أخراها في نحو شوال سنة ١٣٢٣هـ فخرج الفقراء المتجردون من الزاوية ، وهم اذذاك اكثر من مائة ، فلاقوه بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، على عادة التيمكيدشتيين ، ثم أمر الوالد ان لاينزل شيخه عن بغلته الى أن يصل الفراش ، وكنت استحضر ذلك الحين ، وانا كما ابتدات اخط واتهجي ، وقد عقلت انني ذهبت اليه برق فيه كلمات خططتها بخرمشتي ، فقلت له : ياجدى : ان هذا خطي ، وهو احسن من خطك ، فجعلني في حجره، فصار يناغيني ويربت على ظهري ، ثم انفتلت من عنده ، فذهبت لاغسل ما خططته في الرق ، قياسا على اللوحة ، لاكتب فيه ثانيا ، ولكنه ذاب بالماء فتعجبت تعجب صغير رأى ما رأى أول مرة ما كان لايعرفه قبل ، وفي ذلك الحين — كما أظن — خاطبه الشيخ الوالد بهذه القطعة (او هي جواب للنونية المتقدمة) :

هذا الذى فخرت به ازماني تيها على الماضي من الازمان
شيخ المشايخ قدوة الاقران علم الهدى التاج الذى اقراني
شمس الهوى نور الهداية والنهى قطب المفاخر ماله من ثان
من قال هذا مثله او فوقه في الدين دعه يفوه بالبهتان
نصبت له بين الاكابر راية بعناية المولى على الاعلان
فرد له مجد تسلسل في اصو له سيدا عن سيد الاعيان

١) كـــذا

بالله ردوا قلب مضنى قد لـوى بهماكم فالصبر قـد اعياني

وقال الاستاذ سيدى علي بن عبد الله يرحب به :

يا سيدا عمت الدنيا مآثره ومفلقا فاق فهما من يناظره
وبدر تم ولكن لا افول له وشائدا ما بنت قدما عشائره
وشيخ عصرى وصدرا في العلوم به ردت على صدر دهره اواخره
اهلا بمقدمك المنسي مضاضة ما قد مر من مر هجر عاش قاهره

(كان الاستاذ لوح هنا الى تلك القضية ، ان كان ممن سمعها ، ولااظن ذلك)

ومرحبا بك يا من لايماثله في الكون سام وان جمت مفاخره
تنورت بك ارضي مذ طلعت بها يا بدر علم ومن للمجد ناشره
تشرفت بك ارض كنت واردها واخضر منها هدى نصحك ما طره
رضت نفوسا لمحكم الرياضة لم تزل بروض جنان ماد زاهره
لازلت للخلق بابا للوصول الى حضرة خير الورى المشكور ناصره
صلى وسلم رب الخلق اجمعهم عليه ما عمت الدنيا مآثره

هكذا انجبر الكسر ، والتأم الفتق ، وقر الاستاذ عينا ، وربما ادرك ماكان يخفى عنه . ثم لم ينشب بعد رجوعه ان التحق بربه ، رضي الله عنه ورحمه رحمة واسعة

واما الاستاذ الرفاكي ذكره الله بالخيرات ، فقد ذكر من هذا بمشاورتهما ، وعلق في كتابه المذكور ، بما نصه في ترجمة الوالد ، فقال بعد ان ذكر الثلاثة ابيات التى اجاب بها الوالد شيخه :

(جزاك اله الخلق خير جزائه)

الاول : والعقد واحد (يعني في الشطر الاول من البيت الثالث)

(جمعت لنا البنتين في عقد واحد)

ليتزن ، فهذا شعر الفقراء ، ولم يكن من الادب ان يذكر الظهر (يعني في البيت الثاني)

(وهبت لنا البنتين بنتا لفكركم وبنتا لصلبكم فذى نعمة عظمى)

ثم قال : فياليته قال في الجواب ، لياتي بالصواب ، ويترك لفظ الظهر الذى فيه الارتياب : — انقلها من خطه مباشرة —

فسمعا ابا الدلفاء فالوعد مبرم واعطيت قوسا باريا لاتخف غما
واني لجمع شمل الفى عارف اساة القلوب يانفون التذمما
ابو زردكم لا تياسوا منه انني كفيل بخلق كان منه تهدما

زففت لنا البنتين والعقد واحد ... ففكرية صلبيــة عادما ذمـا
بقيت لنخبة المعانى منمقـا ... وللفلذات رائبـا متنـعما
كفاك الاله والسلام يزف مـن ... نديم لمجد عن منكم تسنما

ثم قال بعد ذلك :

ثم ان الصهر لم يف بالعهود ، ولادى الوعود ، بل أهان المهرة ، وعصى للشيخ أمره ، فجعلها من جملة العيال ، تطحن ودمعها سيال ، ومنعها مــن الزيارة ، وزاد فى القحة بالنفس الامارة ، فتمامل الشيخ لذا ، وتمـنـى ان يفديها لو أمكن الفدا ، فلما اعوزه الحال ، ولم تراع الحرمة الرجال ، قـال رحمه الله :

لا تصاهر فى سوس درقاويا فالـ ... ـقرب منه بعد من الغـفـار
واذا ما جهلت تبغى اختبارا ... فلتقف ساحلا مــن التـيار

ولنصرف عن الكر العنان ، طالبا من الله المنان ، ان يمدنا برضا الاشياخ والغفران ، ويقيل عثرات اللسان ، ومازبره فى ذلك البنان ، وحواه الجنان ويرزقنا معهم المجاورة فى الجنان الخ ..

وقال أيضا فى ترجمة الاستاذ الادوزى ، بعد ان ذكر الرجزية النونية:

فى حب آل البيت للانسان ... جميع ما يرجو من الاحسان

هذه الابيات يخاطب بها سيدى الحاج على الدرقاوى ، صهره على بنته رقية ، جعلها من جملة من يخدم فى النوبة حتى فى الطحن ، ولم يعرف حق الشرف ، وكان الشيخ يعاتبه على ذلك ، ويقول غدرنى الحاج على ، لولا المروءة لفعلت معه ما يستحق ، ولكن نلتقى بين يدى الله فنتحاكم ، اخبرنى بذلـك ثقة من خدامه ، انتهى

هذا ما قاله الاستاذ الرفاكى ، ولااعلق عليه شيئا ، لافيما يقولـه عـن الاشعار ، فالقارئ بلا شك ناقد بصير ، ولافيما يتعلق بغيرها ، لان ما أعرفه قد تقدم ، الا اننى اقول ان فى الزاوية طاحونة كبرى تدار بالبهائم قد كفت العيال مؤونة الطحن ، والعشرات من الفقراء اللازمين كذلك ، دابهم : الطحن والاشتغال ، ولكن الاستاذ الرفاكى معذور ، لانه غائب عن الواقع ، وانماهو مؤرخ ، — كما يقوله متكررا فى كتابه — يكتب ما يسمع ، ومن روى ما يسمعه كما سمعه ، فليس عليه من شئ فى مذهب بعض المؤرخين ، من جملتهم الاستاذ الرفاكى (حفظه الله) وازيد ايضا ان هذه القضية ما اثارها بالقلم الا قول هذا المؤرخ الجليل ، والا فلا دوران لها ، منذ رجعت المياه الى مجاريـهـا ، ورضى الاستاذ ابـن العربـى ، وقد رأيـت ان آخر زورة كانـت قبل وفـاتـه

بشهرين ، ولم اعهد قط من والدتى انها نقمت على والدى فلامة ظفر ، الا مـا لابد منه من جراء الضرائر ، وذلك امر مدخول عليه من اول يوم ، على ان كلام هذا المؤرخ الجليل ، يحوم حول غير ذلك الذى يتعلق بما بين الضرائر كماتراه

نعم حدثتنى ان الشيخ حثها يوما على ان تسافر لزيارة اهلها فالـت ، فابيت انا لان عادة ضرائرى لااريد ان اتخطاها قيد انملة ، هكـذا ذكرت لى رحمة الله عليها

ثم لاباس هنا ان اروى حكاية حدثتنى بها الوالدة رحمة الله عليها قال : استدعانى الشيخ الى بيت فى الدار عينته لى ، قبل ان يذهب الى سياحتـه الاخيرة التى توفى بعد رجوعه منها ، فقال لى : يافلانة ان لك علينا حقوقا جمة لانك شريفة ، ولانك حافظة لكتاب الله ، ولانك بنت شيخنا ،ولانك لاتزالين فى مقتبل عمرك ، اريد منك الان ان تصرحى لى بما فى ضميرك بعدى فاننى ان شاء الله ان رجعت من هذه السفرة ساذهب الى الحج او الى ما يريده الله ، فان كان خاطرك يتعلق بالزواج بعدى ، فاذكرى لى ذلك الآن ، فان فلانـة وفلانة ضرتيها الاخريين، أعلم ان الزواج لاغرض بعد لهما فيه ، لكونهمـا تجاوزتا سنك ، ولكنك انت لست مثلهما ، ولذلك اذكرى لى ما يظهر لك ، قالت فانهلت عيناى بالعبرات ، وعلوت شهيقا ، وهو يكرر على ان تكلمى ، حتى الح على كثيرا ، فقلت له ليهدأ بالك ياسيدى فانه لاخير فـى الرجال بعدك ، فلست بهذه التى تكلمك ان قبلت ما ذكرته لى قالت ، فقال لاباس بذلك ، وانما أريد ان اختار لك انا بنفسي ، فان اختيارى اول مـن اختاره انت ، ان كنت ترغبين فى ذلك ، قالت فقلت له كلا ثم كلا ، بل ابقى مع اولادى حتى التحق بك ، قالت فكنت من ذلك اليوم اعلم ان الشيخ ميت لامحالة ، فطويت نفسى على شجن الله اعلم به ، ثم لما رجع وسقط مريضا ، وقع الواقع ، وتعجلت وحدى المضض ، والناس كلهم لايعرفون ما اعرف

هذا ما حكته لى رحمة الله عليها والله شهيد ، وكفى بالله شهيدا ، ثـم قالت لى ان هذا لاينبغى ان تقوله لاحد — تعنى فى ذلك الحين — فاننى لم اذكر هذا القول ، ثم بعد ذلك ذكرت الاخـت عائشة قرينة سيدى سعيد التنانـى انها ايضا ممن تلقاه عنها .

هل يتفضل الاستاذ الرفاكى (حفظه الله) ، ليسمع كل هذا ، ليعرف ما خفى عنه ، فان له الفضل كل الفضل فى اثارة هذا الموضوع حـتـى ظهرت الحقائق ، وبرزت مطويات الصدور ، فكثير مما مر فى هذا الموضوع مـاكنت لاصرح عليه ، لانه من احاديث الاسرة ، ولاينبغى ان يتحدث بمثل ذلـك فـى كتاب عام كهذا ، ولكن بعد ان دفعنا اليه الاستاذ حفظه الله ، فاننا خضناه مكرهين .

واذكر اننى زرت ابا الاسعاد الكتانى فـى عـرصة (الجبـل الاخضر)

في (الرميلة) في (الحمراء) في اواسط سنة : ١٣٥٤هـ فكان ما فاتحني به وقد جرى ذكر كتاب الاستاذ الرفاكي الذى انتسخه وطالعه في تلك الايام ، هذا الموضوع فظللت ابين له ما اعرف ، حتى ادرك الحقيقة ، واظنه قال : انهذا هو المظنون بأولئك الناس ، اومثل هذا الكلام ، وهكذا القلم ماجرى في شيء الا دعا اليه أفكار المطالعين الجفل ، حتى يستكشفوا ما هناك من خبايا •

ثم ان الوالدة بعد ان توفي الوالد : ٢٨ ــ ١٢ ــ ١٣٢٨هـ وفت بوعدها، فلم تصغ الى من يعرضون لها بان لاتئد شبابها ، وكل ما فعلت ان اقترحت ان تخصص لها شقة من الدار لتنفرد فيها بصبيتها الخمسة ، اكبرهم هذا العبد الكاتب ابن عشر سنين ، واصغرهم الاستاذ ابراهيم ابن خمسة اشهر ، فلبست للحداد لباسه ، ثم ولت للتبتل وجهتها صابرة راضية ، فاذا زهرة شبابها تذوى بسرعة ، وصعدتها تنحني الى الامام من آثار ما لابد ان تلاقيه وهى ايم لهـــا صبية صغار ، وربما لاتجد كل ما يحتاجون اليه في كل وقت في (الغ) ، ولذلك ربما حفزها حافز ، فطلبت النقلة الى زاوية المعدر ، لتمضى فيها ما بــقــى من عمرها ، فقد وقفت على مراسلة للاستاذ سيدى محمد بن مسعودالمعدري في ذلك ولكنها هدأت نفسها بعد • واقلعت عن تلك النية ، فلزمت السكون ، حتى دب اليها ما يدب الى كل حي •

مراسلات الاستاذ ابن مسعود

كان العلامة محمد بن مسعود ابن خالة هذه السيدة المترجمة ، ولذلـــك فاتحته في هذا الذى كان خلج في ذهنها ، وهاك ما يتعلق بذلك •

الرسالة الاولى

الشيخ الاعز الاصيل ، ذو الفخر الجليل ، والمجد الاثيل ، مولانا ابـو عبد الله سيدى محمد ابن الشيخ الاكبر العارف الاشهر ، القطب الربانـي الغوث الذاتي الحقاني ، مولانا ابى الحسن سيدى الحاج علي بن احمد الالغي رضي الله عنهما وعنا بهما ، وسلام على السيادة العلية ، ومن تعلق بها اهـــلا وصحابا ، ولازائد بحمد الله الا الخير •

هذا وقد وصلني هنا كتابة للسيدة زوجة الشيخ بنت الفقيه الادوزي، حاصلها : أنها اشارت الى استشارتنا في النزول الى سكنى زاوية الشيخ بالمعدر وذكرت ان الشيخ رضي الله عنه ، كان اشار عليها في حياته بذلك ، فاجبتها بأننا لاننكره ذلك ، بل أحببناه وفرحنا به ، واشرت عليها بالتثبت وعدم العجلة وادامة الاستخارة ، ولم ازد لها على ذلك ، غيراني قلت لها : متى عزمتم عـــلى النزول ، فارسلوا الينا لنهيىء الفراش والاوعية •

هذا حاصل ما كتبت به الي ، وحاصل ماجبتها به ، وسيدنا ينظر في ذلك ، فنحن لايظن بنا اننا نستثقل احدا من اهل بيت الشيخ رضي اللهعنــه ولكن نحب ان لانبخل عليه بما ظهر من النصح ، فان تيسر اعمال مقتضاه، فذاك ، والا فالخير فيما فعل الله ان شاء الله ، فالذى حضرني الان ان الاولى ان يتنازل سيدنا بما امكنه الى الغاية لجميع من في الدار ، فانهم عيال سيدنا الشيخ الاكبر ، والبرور بهم برور بالشيخ ، والرفق بهم والاحسان اليهـم والتواضع لهم ، والرحمة لهم ؛ والشفقة عليهم ، وتحمل اذاهم ومعالجة تباين اخلاقهم ، وايثارهم على النفس ؛ والتحليل بكل ممكن في ستر احوالهم وجمع شملهم ، حتى يبلغ الذكور ، ويقوموا على انفسهم ، كل ذلك من طاعة الشيخ والدكم رضي الله عنه ؛ وما علمت ان يسره لوكان حيا ، كان يتاكد عليـــك السعي فيه بجدك وجهدك ، وما علمت أنه يسوءه لوكان حيا في حقهم ، وحق غيرهم ، يجب عليك اجتنابه بالكلية ، والتنصل عما وقع منه ، وارضاء من اسخطه ؛ ممن كان من جانبك ، حتى يزول ما في خاطره ، ولو بالتطارح عليهم وتقبيل رؤوسهم واقدامهم ، والتباكي بين ايديهم ، حتى يرقوا وتزول حزازة صدورهم •

فهذا وامثاله هو الدال على كمال عقل سيدنا أيده الله ، وصلاحيتهللخلافة المعنوية ، والقيام بأمر طريقة الشيخ ، رضي الله عنه ، وهو الذى يسر الصديق ويكبت العدو ؛ والعكس بالعكس ، فليحذر سيدى ان يسمع عنه سادتنـــا الاخوان ، وجميع من له أدنى انتساب الى الطريقة ، انه اخل بشيء مما يجمع قلوب اهل الدار عليه •

وقد كنت وصلني على يد بعض الثقات اهل الصدق من الاخوان ، خبر باشتكاء السيدة المذكورة بشيء من غليظ الكلام ، صدر اليها من سيدتنا جدتك من قبل الام ، اعنى الغشانية ، وقد قالت لها في جملة ذلك : ان كان لك دار، فالحقي بها ، او ما يقرب من هذا ، هذا بلغني ممن اجزم بصدقه ، من خاصة الفقراء بحيث انه عندى محقق كالشمس ، فمثل هذا لاينبـغــي اهماله ولا التساهل فيه ، بل يليق ويتأكد كالمتحتم ، ان تلقى بالك ، وتصرف حظا وافرا من تيقظك وتنبهك الى جميع أمور الدار ، وتباشر تفاصيلها بنفسك ، وتسد من الذرائع ما يخشى انفتاح الشر باهماله ، واتساع الخرق في شانه ، وذاكر النساء في شأن التواضع بعضهن لبعض ، والصبر والحلم والفتوة ، والصفح من العثرات ، وأمثال ذلك ، واعمل وجوه النظر والفكر ، لينصلح بـه أمر عيالك ورعيتك ؛ ففي الحديث ؛ كلكم راع ، وكل راع مسؤول عـن رعيته ، وابتهل الى الله تعالى في اصلاحهم ، وتأليف قلوبهم ، واحتل لهم بالــرفــق والتلطف في الحضور الى مجالس الذكر والوعظ ، وأقم المجلس بحاله المعهود فالنار لايطفيها الا الماء ، أترى أن سيدنا الشيخ الاكبر رضي الله عنه ، كان

يفعل ذلك كله عبثا ، كلا ، فما الصق زاوية النساء بمحل ذكر الفقراء الالذلك ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، وكل ما لايحبه الله تعالى ، ومنه سوء الشحناء بين العيال ، والتباغض والتحاسد والتدابر ، فهو من المنكر ؛ ولا بد من اعتناء سيدنا ايده الله بهذا الامر وتشميره عن ساعد الجد فيه ، بما ذكرنا من صرف الهمة الى مجلس الذكر ، واقامة الواعظ ، وتوجهه بصفو لبه الى حضرة ربه ، والسعي بغاية جهده ، في اصلاح ذات البين لكل من في دار والده رضي الله عنه ، فهذا كله من طاعته المفروضة عليه

فان سكن ما تشوش منهم فذاك والحمد لله ، وان عزمت السيدة ابنة الفقيه الادوزي على ما ذكرت ، وصممت عليه ، فلاتمنعها قهرا ولو بالتهديد ، وكل امرها الى الله تعالى ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، وأما اولادها الذين يقراون فهم في نظرك ، فانظر ما يصلح بهم ، ليس لها ان تذهب بهم الا برضاك ،الا أن لها أن يزوروها في نحو العواشر ، هذا هو حكم الشرع بعد تعذر الارضاء والله تعالى من فضله ياخذ بايدي الجميع ، ويتولانا واياهم ءامين ، وذاكر في هذا كله في هذا كله الاخ سيدي سعيدا التناني ، فان ظهر له حيلة او وجه ، فاستعن به ،والله المعين ، ولاباس ان نرى كلامك بعد ذلك ، والسلام •

في اواخر ربيع الثاني سنة : ١٣٢٩هـ عبيدكم : محمد بن مسعود

الرسالة الثانية

وقال من رسالة أخرى في مثل هذا التوجيه ، تقدم بعضها في ترجمة سيدي محمد الخليفة في (الجزء الثاني)

(واما امر السيدة الادوزية ، زوجة الشيخ الاكبر ، رضي الله عنه ، فانظر ؛ وذاكرها انت بنفسك ، واعزل لها دارا ترضاها واجبر خاطرها جدا وان طلبت حضور احد اخوتها لذالك ، فارسل اليه ، وان لم تطلبه فانت كاف والسلام •

وقد طال الكلام ، ولكن في بسطه شفاء للنفوس كما قيل :

ما ناصحتك خبايا الود من رجـــل ما لم ينلك بمكروه من الـعـــذل

وليعذرنا الشيخ ، وليدع معنا ، فاننا والله نحب له كل خير والسلام)

نعم اعزل للسيدة الادوزية كل ما ترضاه من متاعها ، وحظوظ اولادها من الغلة ، وافعل معها ما تحب كله ، مما يقطع العلقة بينها وبين بقية النسوة وقل لها : انا خديمكم داخلا وخارجا في الحطب والبهائم وغيرها ، والشيخ كان لم يمت ، فهذا هو الذي يرضاه الله ، والشيخ منك سيدي ، والسلام

* * *

انقاد الاخ سيدي محمد الى ما أوصاه عليه استاذه ابن مسعود ، فعزل لها ولاولادها دويرة خاصة ، فكانت تشكره دائما على ذلك ، وتقول : ان محمدا رجع مني حين حال بيني وبين مخالطة النساء ، ثم ان صحتها انهدت في سنين قليلة بسرعة ، فانتشبت فيها ادواء ، فحفزها مجموع ذلك الى ان تخلص وجهتها لله ، وقد اخبرتني الشقيقة فاطمة التي تلازمها دائما انها تعودت ختم القرءان في كل اسبوع ، وتتحين بالختم يوم الجمعة ، قالت : فتجمعنا حواليها اذذاك فيسملنا بالدعاء ، هذا واني منذ : ١٣٢٩هـ قد التحقت بالمدارس ، وما كنت استحضر من احوالها كثيرا ، ولذلك تراني انقل عن غيري ، وما كنت الم بها الا في العواشر ، فكانت كلما راتني تناولت كتابا للمطالعة ـ هبه الف ليلة وليلة الذي هو أول كتاب طالعته في ابتدائي ـ تجلس الي ، وكلها سرور حين تراني تتطلع الى امانيها في ، وقد استحضرت انني سهرت ليلة في تلاوة قصة عجيب وغريب المشهورة في ذلك الكتاب ، فقالت : الحمد لله الذي احياني حتى رايت ولدي يسهر على كتب العلوم مطالعة ، وسمعتني مرة اسرد من كتاب حديث لبعض الفقراء في رمضان ، تشبها بالشيخ الوالد ، والسر لهم ما فيه فمن دخلت اليها ، لاقتني ؛ وهي ترفرف فرحا ، غير انها انتقدت علي انني اسرع في كلامي ، حتى لايكاد السامع يفهم خطابي ، كما انتقدت علي مرة اخرى انني اسرع عند تلاوة الدعاء ، فقالت : ان التاني هو حلاوة الكلام ، فكانت هكذا تنتقدني ، على حين انها تستبشر بما يخيل لها انني فيه كما تحب •

كنت طالعت من كتاب ترجمة الجيلاني البغدادي كثيرا من اخباره ثم خطر لي سفر الى حوز (الحمراء) اواخر سنة ١٣٣٦هـ فقلت لها : ياماه ، اطلب منك ان تهبيني لله ، كما وهبت ام مولاي عبد القادر ولدها لله ، فقالت : انني اهب منك كل ما املكه لله ، فليكن الله في معونتك ياولدي ، غير انني اطلب منك ان لا تنقطع عني ما دمت حية ، وكنت اذذاك اظن انني بتمثيل هذا الدور اصبح كالجيلاني ، وتلك بعض خطرات الصبا التي لا تؤسس الا على الاماني والمحاكاة ، ثم وفيت لها بطلبتها ما استطعت ، فكنت اقطع ما بين الحمراء الى الغ ذهابا وايابا في اكثر من شهر على البهائم ، ولكن اصحاب والدي في الطريق يجعلون هذه السفرة الطويلة الشاقة كانها نزهة من النزه حين يمر بهم ولد شيخهم فيفرحون به ، ويكرمونه بكل ما في وسعهم ، ثم يرشدونه الى ما يعرفونه من طرق الخير

في سنة ١٣٤١هـ زرتها فرايتها تمشي مقوسة نحيلة ، ووراءها حفيدان لها : بنت للحبيب الاخ ، واخرى لفاطمة الاخت ، فقالت ياولدي : انه قد

حان الوقت ، وقرب الاجل ، فقد كان عهدى بام ابيك – تاكدا – فارقتالحياة حين كنتم يا احفادها تتبعون خطواتها ، كما يتتبع هذان خطواتى ، ثم تطلبت منى ان أرسل اليها بعض ما تحتاج اليه فى نقلتها من هذه الدار الى تلك الدار علىعادة كثيرين من أهل بلادنا الذين ينتظرون اليوم الاخير ، من تهيئتهمللكفن والحنوط ، ثم رجعت انا الى الحمراء ، ولم الق لكلامها هذا بالا والشباب مطية الجهل ، وكل من كان فى مثل سن العشرين يغمى عليه ، فلايدرك الحقائـــق حتى تنطحه بقرونها .

تلتحق بالرفيق الاعلى

فى يوم من ربيع الاول سنة : ١٣٤٢هـ وأنا جالس فى بيت احد اصدقائى فى المدرسة اليوسفية بالحمراء ، حمل الى البريد رسالة ، ما كدت أفضهاحتى سقطت من هول ما قرأته فيها .

كتب الى استاذى سيدى سعيد التنانى رحمه الله تلك الرسالة يعزينى فى الوالدة ، ولكن ليت شعرى هل عبارات المعزين هى التى تسل القـلـوب المرزأة بالكوارث الجلى ؟ او تطاول الازمنة ، هو الذى يضمد الجراح ، ويمسح ما فى قلوب المحزونين .

لايزال ذلك النهار ماثلا بين عينى الى الآن كما لايزال مثله ماثلا بين اعين كثير من القراء الكرام ، وكان الوقت وقت العصر ، فسفحت العين ماسفحت ، واجرت الانفاس الزافرة ما اجرت ، فخرجت مع صاحب لى هناك الى (الباب الجديد) حيث نتنبذ عن جلبة المدينة ، وضوضاء ازقتها ، فصرنا بعد ماسكتنا طويلا نتحدث حول هذا المصاب العظيم على ، فلم البث ان ملت الى اليراع ، وانا على شفير جدول هناك ، فامليت على لسانه مفتتح هذه القطعة فى ورقة صغيرة فكنت كلما ازددت شطرا ، احس باننى استرد من حياتى التى كنت اضللتها منذ حين شطرا ، فاتممتها ، فكان من العجب ان بقيت فى مبيضتها بين اوراق حتى وقعت عليها ، وانا فى هذا المنفى الذى لايقل رزءه عن ذلك الرزء ، وهكذا ترد الصدور الاعجاز حتى فى المآسى – ولله الامر من قبل ومن بعد –

وهاك ما قلت اذذاك على مافيه ، فاقرأ وارق فى درج الجناس ، حتى تتم مراقى الابيات امامك ، لتعرف كيف ينظم المختار سنة : ١٣٤٢هـ :

عجبا لنفسى لاتذوب صفاتها ... والام قد وردت على نعاتها
طلعت رسالة نعيهـم فتناثرت ... من أدمعى الحمراء منظوماتها
ما فى عبارات الرسالة غيرمـــا ... تمرى به من اعينى عبراتها
ما كدت اقرأ ما بها حتى همى ... دمعى فكادت تنمحى جملاتهـــا
فزفرت زفرة مايؤجج من غضا ... فتهيج ما بين اللظى زفراتهـــا

لو لم ازحزحها امامى سرعـــة ... لتحرقت من زفرتى جنباتهـــا
فكانما ينحو الاسى بسطورهـــا ... نحوى كما تنحو الحروب كماتها
فقسيه نوناتها ، وسيوفـــــه ... راءاتها ، ورماحه ألفاتهـــــا
كلم الفؤاد بلفظها فكأنمـــــا ... تلك الكلام تجانسا كلماتهـــا
ياليتنى ما كنت اسمع قبل ذا ... فاصم حين تجاوبت صرخاتها
او ليتنى ما كنت ابصر علنى ... لا أهتدى اذ لاح مخطوطاتهـــا
رزء عظيم ما اصبت بمثله ... مذ فتحت من اعينى مقلاتهـــا
ومصيبة جلى وكارثـــة لها ... ما بين أعماق الحشا طعناتهـــا

* * *

امى وما أمى ، فقدت بفقدهـــا ... عطفا تجللنى به شفقاتهـــــا
امى وما أمى ، فقدت بموتهـــا ... من كان لى كل النعيم حياتها
ياليت انى من يموت فداءهـــا ... كيلا يجرعنى السموم مماتهـــا
من ذا يقابلنى برحمى مثلهـــا ... وهى التى تنهل لى رحماتها ؟
من ذا يشجع للمعالى همتى ... وان اعتلت وتطاولت هاماتها ؟
من ذا يحثحثنى الى قطف العلو ... م وان خير المجتنى ثمـراتها ؟
اه على امى الشفوق فليتنى ... جاءت نعاتى حين جاء نعاتـهـــا

هذا ما شيعت به تلك الوالدة ، حين جرعتنى ما جرعتنى بثكلها رحمهاالله

بعض فوائد عنها

قد كنت استفدت منها بعض فوائد ، نذكرها لا لعظم فائدتها ، بل لابقاء لاثار تعليمها رحمها الله وجعلها فى الفردوس بفضله

منها : انها انشدتنى هذين البيتين ، وكررتهما على حتى حفظتهما مـن املائها ، وهما مشهوران :

ان النـعـاس والكسـل ... أحلى مـذاقـا مـن عسل
ان لـم تصدقـنـى فسل ... من كان قبل قـد كسل

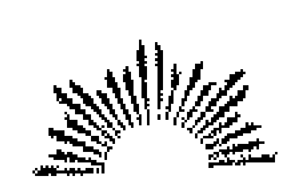
انشدتهما لى فى معرض استنهاض همتى ، وترك النوم والكسل جانبا ، ان اردت ان أكون حقيقة رجلا عاملا .

ومنها : أن من أراد أن يستفيق فى أى وقت شاء من الليل ، فليقرأ بعد ان ياخذ مضجعه ، ويجعله آخر كلامه : آيات : (ان الذين ءامنوا وعمـلـوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس ....) الى تمام سورة (الكهف) علمتنى ذلك لانى الاقى من المعلم ما الاقى ان لم استفق سحرا ، وهذه الفائدة ذكرها بعض المفسرين ومنها ان النوءلول تقرأ عليه آية : (لم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم

الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا) تقول ذلك وانت تدير به اصبعك ، وتكرر لفظة (موتوا) ثلاث مرات •

ولها رحمة الله عليها تمكن فى الذى يحتاج اليه من فقه العبادات بلسان الشلحة ، ويد لا تعرف الا ان تناول بيدها كل مـا فى متناولها كرما ، وقـد سمعت سيدى ابا بكر بن عمر يقول كنا نحن المتجردين ، لانجروء ان نتطلب ما نتوقف عليها الا منها ، لعلمنا بسماحها بكل ما تملك • وختاما : هذه حياة والدتى أكتبها متحريا ان لا أقول الا ما اعلم ، ولاأزكيها ، فالعلم الحقيقى عند الله ، الا أننى احسن الظن بها •

(ووصينا الانسان بوالديه حسنا ، حملته أمه كرها ووضعته كرهـا، وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ، حتىاذا بلغ أشده وبلغ اربعين سنة ، قال رب اوزعنى أن اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى وان اعمل صالحا ترضاه واصلح لى فى ذريتى ، انى تبت اليك وانى من المسلمين ، اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيآتهم فى اصحاب الجنة ، وعد الصدق الذى كانوا يوعدون)



مريم الصحراوية

نحو : ١٣١٦هـ = نحو : ١٣٥٧ هـ

نسبها

مريم بنت محمد سالم بن عبد الله بن احمادو ، مـن قبيلة آل سالـم المشهورين بالعلم من اجيال الى الآن ، وفى اسرتهم علماء كبار يدرسون ويؤلفون وقد توفى من يسمى منها غارى ، ولايزال منهم علماء احياء الآن : ١٣٧٨هـ

مريم هذه قرينة محمد سالم بن عبد الفتاح الشاعر العلوى الشنكيطى المقدم الذى سكن باهله فى الغ ، بعد : ١٣٥٠هـ ماشاء الله ، فكانت هـــذه السيدة العالمة ، حين نزلت مع زوجها فى (الغ) تعلم بنات آل الحاج صالح فى دار الاستاذ سيدى المدنى بن على ، فذكر لى عنه ان لها وراء اتقان حفظ القرءان يدا حسنة فى العلوم ، وكان لها فى تلاوة كتاب الله العجب العجاب بغنتهـــا الصحراوية الحلوة

شهدت نساء دار الاستاذ انها تبقى كذلك طوال الليل ، وفى الاسحار، يقلن : ندرها كذلك عند نومنا ، وان تاخرنا عن المنام كثيرا، ثم نجدها كثيرا عند افاقتنا عند السحر ، ولاندرى متى تنام ، وقد اعتنت باولادها وبناتها فى التعليـم •

احوالها

كانت السيدة (ماحا) والدة الشيخ النعمة ، وزوجة الشيخ ماء العينين عالمة كبيرة محصلة ، مشاركة مشهورة بالتفنن ، فاتصلت بمريم هذه ، فربتها وعلمتها • واخذت عنها حسن السمت والاخلاق الطيبة ، فكل ما ذكرناها به من التلاوة والتهجد انما حصلته من السيدة التى ربتها وعلمتها ، ثم زوجتـها لزوجها المذكور ، حين لازم ولدها الشيخ (النعمة) ووالدة محمد سالم خالـة الشيخ النعمة ، ولذلك زوجته بهذه التى ربتها •

ومما يتعلق بالسيدة انها ضيفت يوما انسانا ، فقال زوجها بسبب ذلك قطعة ليس عندنا الا مطلعها :

ماذا تحاول ويحها لك مريم ولضيفها فى الناس ضيـف مكرم

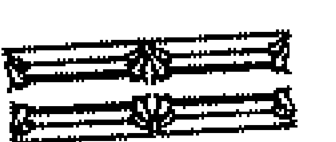
هذا ما سمعته عنها ، وقد انتقلت مع زوجها عن (الغ) اواسط سنة ١٣٥٥هـ الى (تادلة) فى زاوية الشيخ سيدى ابراهيم ابن البصير ، لتعليم بناته ، وهو ساكن فى قبيلة أيت عياط ، ثم انها توفيت هناك فيما بلغنا اما فى سنـــة ١٣٥٦ هـ واما فى التى بعدها •

الفصل الثالث

في الوفقاويين

وفيه من الرجال

العلامة الحاج مسعود الوفقاوى الشهير
النوازلى سيدى محمد بن مبارك
الفقيه سيدى الحاج احمد نيت اوبريك
النجيب سيدى احمد بن مبارك
القاضى سيدى احمد بن ابراهيم الوفقاوى
الفقيه سيدى عبد الله بن احمد نيت اوبريك
النجيب سيدى مبارك بن احمد العكيدى
الرئيس الشيخ ابراهيم الوفقاوى



سيدى الحاج مسعود الوفقاوي

٣ ـ ١٢٩٥ ٤ = ليلة ١١ ـ ١ ـ ١٣٦٦هـ

نسبه :

مسعود بن احمد بن ابراهيم

وآله يسمون (آل تاعدويت) ، ويقطنون قرية (دوتمنروت) وهى مسقط راس هذا الامام الكبير ، العلامة الشهير ، احد مفاخر (الغ) الخالدة ، والفذ المبرز فى التدريس والتخريج فى عهد اقفر فيه من التدريس ساحله ، وعريت امراسه ورواحله ، يقبل كل علماء سوس الباقون على خويصتهم ، وقد لووا الرؤوس تحت الاجنحة ، فيقبل هو على محافل التعليم العربى وفنونه المتعددة بهم مرفرفة الاجنحة ، فسبحان من قسم الحظوظ ، وصير كلا الى ما خلق له .

متعلمه للقرآن

أخذ القرءان فى مدرسة (تازموت) عن الفقيه المعلم لكتاب الله ولفنون المعارف : سيدى محمد المافامانى العلامة الشهير ، بين علماء اسرته الماجدة ، وكذلك أخذه أيضا عن الاستاذ سيدى محمد المعروف باسم (كدرار) الجبل من تلك الاسرة أيضا ، وأخذه أيضا فى مدرسة (المولود) الرسموكية ، عن الاستاذ الفقيه المعلم لكتاب الله ، والمدرس فى فنون شتى : سيدى مسعود ابن مسعود التيروكتى الرسموكى ، فعن هؤلاء جود القرءان واتقن حفظه ورسمه

اساتذة في الفنون ورحلته العلمية

افتتح الجرومية سنة : ١٣١١هـ على يد العلامة الملحق للاحفاد بالاجداد ابى العباس الجشتيمى ، مفخرة جزولة ، فكتب له بيده المباركة : (الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع) ثم التحق بالاستاذ سيدى علي الاسكارى فى مدرسة (تاهالا) فاخذ عنه المبادىء النحوية والفقهية ، واتم عليه الجرومية واخذ عنه بعض رسالة القيروانى ، ثم التحق بالمدرسة (الايغشانية) وفيها الاستاذ الاديب الكبير سيدى العربى الساموكنى ، فصادف هناك لدته سيدى عبد الله ابن محمد الصالحى الالغى ، فكانا معا فى طبقة واحدة ، فى متون الابتداء ، فاخذ هناك (المرشد المعين) ومن (باب الاضافة) من الفية ابن مالك الى آخرها وبعض (الرسالة) ثم انتقل ١٣١٢هـ الى المدرسة (الالغية) فربض فيها ازيد من أربع سنوات ، عند استاذيها ابى الحسن الالغى ، والتاجارمونتى ، ثم انتقل

الى مدرسة (تانكرت) الافرانية ، وفيها الاستاذ سيدى محمد بن على اكيك - الرعد - فثابر عنده عامين ، وفي سنة : ١٣٢٢هـ غادر سوس ، فنزل فى مدرسة (اخليج) في قبيلة وريكة ، عند استاذها العلامة سيدى الحاج على الوريكى ، فلازمه اربع سنوات تامة ، وزيادة ثلاثة اشهر وفى سنة : ١٣٢٥هـ نزل فى الحرمين لاداء فريضته ، وللاخذ ، فجاور هناك سنة ، كان ياخذ فيها عن العلامة شيخنا شعيب الدكالى : الشمائل والفية ابن مالك ، ثم رجع بحجتين ، وفى سنة : ١٣٢٦هـ كان نحو خمسة اشهر فى (مدرسة سيدى حسن او حسين) الكيلولية ياخذ عن استاذها العلامة سيدى محمد بن القائد الكيلولى فيها بعد ماحج معه ذهابا وايابا ، وقد كان قليلا عند أبى العباس البوزوكى الكيسيمى قبل ان يغادر سوس الى خارجه

فهؤلاء مشيخة المترجم ، وهكذا كانت رحلته العلمية التى رجع فيها ريان بالمعارف ، متوجا بالتفوق ، مشارا اليه بالشفوف على الاقران ، أخذتها عنه من فيه

مشارطاته

كان اولى مشارطاته على يد الشيخ الالغى ، فقد قدمه الى القائد عبد المالك المتوكي اثر مارجع من تينك الحجتين المتقدمتين ، فشارط فى قرية (بووابوض) دار القائد سنة ، وقد حكى لى ان الشيخ الاحسن البعقيلى هذا الذى له اليوم شهرة كبرى فى الطريقة الاحمدية ، كان معه اذذاك ياخذ عنه ،قال وقد كان معنا في (اخليج) فى مبادىء اخذه •

ثم شارط بعد فى مسجد (تازانتوت) باد اوتنان مرتين ، وقد كان هناك: ١٣٣٠هـ ثم فى مدرسة (ايت باها) بهشتوكة ، ثم فى مدرسة : (ايفيلالن) الى ان اسود مابينهوبين الطاغية القائد محمد ابنالحاج الحسن الاينزكانى الكسيمى فهرب الى هشتوكة ، فشارط فى مدرسة (ايكونكا) ، سنة ١٣٤٠هـ وفى هذا الوقت جرت المكاتبة بينه وبين شيخه ابى الحسن الالغى فكتب اليه استاذه تلك الرسالة التى ذكرناها فى ترجمته ، وفيها القصيدة الطاهرية التىمطلعها:

ياعجبا كيف يخشى النحس مسعود ⠀⠀⠀ وفوقه ظل لطف الله ممدود

ثم بعد افول نجم الطاغية راجع مدرسة (ايفيلالن) حيث تحيط به السعادة ، وتهمى منه سحائب المعارف الى الآن سنة ١٣٦١ هـ

اجازاته من اشياخه

اخبرنى انه مجاز من الشيخ شعيب الدكالى ، ومن الاستاذ ابى الحسن الالغى ، ومن العلامة سيدى محمد بن على اكيك ، ونص اجازة الاستاذ الالغى

وفيها الاجازة فى الطريقة ايضا :

حمدا لمن أدام بدوام المجددين ، رونق هذا الدين ، وذب عنه بصوارم اقلام العلماء المهتدين ، شبه الفرق الضالة ومختلقات المعتدين ، وجعل اتباع السنة النبوية لامراض القلوب شفا ، وانهل وعل من وفق لخدمتها من بحور الفضل والمنة بما رق وصفا ، والصلاة والسلام بلا نهاية على من يسن سنة الاسناد ، وتلقاها الائمة براحة القبول دون جحد وعناد ، فقال صلى الله عليه وسلم : نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها ، واداها كما سمع فرب مبلغ اوعى من سامع ، وقال فى حديث ءاخر : ليبلغ الشاهد منكم الغائب وعلى ءالهوصحابته الاكرمين •

وبعد : فان الاجازة فى طرق العلم واسناده ، والانتظام بالرواية فى سلك من ارشدهم الله لاصداره وايراده ، قوم أيدهم الله لدى مناضلة الملحدين بنصرته ، وشوقهم لاملاء ادلة الدين والتحلى بنضرته ، مما سنه الاقدمون واكدوا عليه ، ويزكو به علم الرجل وما من الاستنباطات لديه ، والذلك وبسببه استجازنى علامة عصره ، ونبراس مصره ، محبنا واخونا وولدنا وسيدنا الفقيه التقى ، والندب النقى ، زائر الحرمين ، ومحمودالطرفين سيدى الحاج مسعود بن احمد بن ابراهيم الوفقاوى ، صاننى الله واياه من المساوى ظنا منه انى اهل لسلوك تلك المهامه الفيح ، وان الباع فى العلم والعمل به مديد فسيح

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ⠀⠀⠀ كما ان عين السخط تبدى المساويا

والله يعلم انى لست من رجال ذلك الميدان ، ولاممن راض نفسه الا مارة بالعلم والعمل او دان ، والامر كما قيل :

لعمرك ابيك ما نسب المعلى ⠀⠀⠀ الى كرم وفى الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقشعرت ⠀⠀⠀ وصوح نبتها رعى الهشيم

لكن وجب لحسن ظنه اسعافه ، فاقول وبالله التوفيق ، وهو الهادى لسواء الطريق :

اجزنا أخانا المذكور بما أخذته عن اشياخى الذين فضلهم اشهر من ان يذكر ، وقدرهم يعرف ولاينكر ، من جميع مقرواتى ومسموعاتى ، قراءة او املاء او أخذا او اذنا ، اجازة مطلقة عامة ، غير مقيدة ، فى جميعفنون العلم وكذلك اجزناه فى الطريقة الاحمدية الكتمية ، اجازة عامة فى جميع ما تضمنه كتب الشيخ رضى الله عنه ، وما استنبطه اتباعه الجهابذة من الاوراد اللازمة وغير اللازمة ، كما كان الاذن بذلك عن اشياخنا رحمهم الله ، ورضى عنهم وارضاهم عنا ، وذلك على الشرط المحرر ، والامر المقرر ، من كلمة لا ادرىفيما

الايعلمه المسؤول ، فانها للعالم جنة ، متى اخطاها أصابته جنة ، وعلى ما قرر في كتب الشيخ من الشروط الواجبة والمندوبة ، والتحلي بالاخلاق المرغوبة ، والتخلي عن الرعونات المذمومة ، والسير على النهج الذى سلكه المقدمون الاخيار الذين آنسهم الله بقربه واوحشهم من الاغيار ، رضى الله عنهم وعنا بهم ءامين ومنها أبيات اجزت بها بعض الاخوان فى الله كانت أحق بهذه الاجازة المباركة وأهلها ونصها :

هذا وان العبد ليس لما به ... حليت اهلا من شفوف المقعد
حطت لـــه اقـــداره ... وزرت به اوزاره وسط الندى
كسرته بـــاء بطالة انى لـــه ... رفع بفعل فى التقى لم يوجـــد
لكن لحسن الظن منك رأيتـــه ... بابا وسلم نيل ذاك المقعد
وطلبت كتب اجازة اطلاقـــها ... تغدو حقيقتها مجاز المسنـــد
تروى بها عن جلة من شيخـــة ... غر ويروى عذبها القلب الصدى
وذكرت ان لذاك سرا بينا ... ما كان يخفى عن بصيرة مهتدى
فاجزتك المقرو والمروى عـــن ... أشياخنا الاعـــلام للمسترشد
واجزتكم سند الطريقة من ابـــى ... عثمان للشيخ التجانى احمد (١)
واليه من ركن الطريقة سيدى الـــ ... ـحاج الحسين سليل قوم مجـــد
وعليك تقوى الله فهى ملاك مـــا ... تبغى من الخيرات طول المسند (٢)
ودع الملاهى والمناهى واعـــتزل ... متشمرا متشوقا مجد الغـــد
حتى ترى ريان من بحر الندى الـ ... ـفياض من خير الخلائق احمد
صلى عليه الله ما هـــبت صبا ... قصبت الى نجد قلوب المجد
وعلى صحابته الكرام وكل من ... يقفو طريقتهم ليوم الموعـــد

وأوصى المجاز ونفسى بتقوى الله ومراقبته فى السر والعلانية ، والرضا بمقاديره الجلالية والجمالية ، فذلك ملاك الاخلاق الكمالية ، وعنوان سعادة الحقيقة الانسانية ، وأوصيه أيضا بما فى ءاخر العهودالمحمدية للشعرانى رضى الله عنه ونصه :

أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم : الا نغفل عن محاسبة أنفسنا فى جميع أحوالنا ، لاسيما العلم والمال والعمـــر والجسم ، فمن حاسب نفسه هنا خف حسابه هناك ، وكان يسيرا ، ومن أهمل نفسه هنا طال حسابه هناك ، وكان عسيرا ، (الى ان قال آخر العهد) واعلم ان اكثـــر

١) اخذت اولا عن الشريف مولاى عثمان البلغيثى المراكشى ، ثم عن المقدم الاشهر الشيخ الافرانى رضى الله عنهم ءامين • انتهى من حاشية الاجازة •
٢) الدهر

الناس اليوم عدموا مناقشة نفوسهم فى العمل بعلمهم ، ومناقشتها فى المال الذى دخل فى يدهم ، ومناقشتها فى انفاقهاو امساكه ، هل يرضاه الله تعالى ام لا ، وكذلك عدموا مناقشة نفوسهم فى ذهاب عمرهم فى اللهو والغـــفـــلة والمعاصى ، فان كل وقت مضى ، يختم عليه بما فيه ، وكذلك عدموا المناقشة فى جسمهم ، هل بلى فى طاعة الله عز وجل او معصيته ، أو نوم أو غفلةأو لعب ، فياطول وقوفنا والله فى تلك المواطن ، الا أن يتغمدنا الله برحمته •

واعلم ياأخى أنه كلما كثر علم العبد ، كثر حسابه ، وكذلك القول فى المال والعمر ، فيسأل العالم عن كل مسالة علمها ، هل عمل بها ام لا ؟ وعـــن كل درهم اكتسبه ، هل فتش عليه من حيث الحل ام لا ؟ وهكذا ، فلا حول ولاقوة الابالله العلى العظيم • انتهى كلام الشعرانى رضى الله عنه •

وأسأل من أخوة المجاز الا ينسانى من أدعيته المرضية ، لاسيما فـــى الاوقات المرعية ، فالله يجعلنا من عباده المتقين المخلصين ، ومن قبضة اليمين الذين قال فيهم : هؤلاء للجنة ولا ابالى ، ءامين ءامين يارب العالمين ، بـــجـــاه النبى وآله ، والتجانى وانجاله ، وكتبه من اقر بتفريطه وافراطه ، فى الطاعات والمعاصى ، وشهد باجرامه الدانى والقاصى ، ذو القلب القاسى ، وسط ربيـــع النبوى عام : ١٣٤٥هـ العبيد الجهول : على بن عبد الله بن صالح

فاجابه المترجم بقوله من قصيدة لم يحضر عندنا الا هذا منها ، وهى نحو (٢٠) بيتا :

أيا شيخنا تقضى شمائلك العلا ... على كل نفس ان تـــكون على ورد
لبست ثياب العز قدما وبعدمـــا ... خلعت بكتب الشيخ اكسية الكمد
وناه النهى بوصله وتالقـــت ... لوامع برق السعد فى ظلم الوجد
فلا تقنطى يانفس فالشؤم بعدمـــا ... يحكم فى الانسان يعقب بالسعـــد
فبعد ظلام الليل فجر وبعد ان ... يصيح غراب البين وصل على بعد
على اننى الرحمن احمد انه ... تفضل بالنعماء عـــن سنن القصد
واخطرنى فى بال شيخى من أرى ... كتابته الترياق للالـــم الفرد

أحواله واخلاقه واجتهاده فى التعليم

العلامة سيدى الحاج مسعود ، نادرة جزولة فى سعة الاخلاق ، فـــقـــد كان موطأ الاكناف ، دمث الشمائل ، ممتع المجالسة ، مقبولا من كل من يعرفه يالف ويولف • لاتجد لامن طلبته ولامن معاريفه من الخاصة ولا من العامةمن يمكن ان يزنه بفلتة من فلتات المعاشرة ، فبهذا الخال اسس لنفسه مجدا شامخا وشرفا مؤثلا ، وسيادة أرت العالم كيف يسود الانسان بنفسه.؟ وكيف يكون العصامى بين الناس ؟ فان أهله لايمتون الى السيادة العلمية ، ولا الى السيادة

القومية بشيء ، فجاء بينهم كما يجيء البدر المنير ، بين دياجي الليل البهيم •

قل للمشير الى أبيه وجده   اعلمت للقمرين من اسلاف

شرف العصاميين صنع نفوسهم   من ذا يقيس بهم بني الاشراف

استقبل حياته في قلة من متاع الحياة الدنيا ، وتقلب في المدارس على هذه الحالة ، وهو يصابر مضض الحاجة ، ويجاذب الدهر حباله ، فان اراه الزمان كيف مجال الاضرار ، يريه هو كيف يكون صبر الرجال الاحرار ، فكذالك أمضى فجر حياته في ميدان الصبر ، حتى نال اخيرا بركة الصبر ، جزاء موفورا (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) •

كان يجعل بين عينه منذ ملك أزمة الفنون ، أن يمضي عمره في تعليمها فلم يزل يفي المعلم بوعده وعهده ، وهو يشارك الطلبة في كل ما تصل اليه يده ، حتى طارت له شهرة سارت مسير الرياح الاربع ، وهبت أخبارها العطرة هبوب النسيم من حيث ما يطلع الفجر ، فتكون أخباره على السامعين بردا وسلاما فيفدون عليه فيلاقون من جنابه وكرمه دماثة تطيب لهم مقاما ، فهاهو ذا اليوم بعد أن انتصب الى التدريس ماينيف على ثلاثين سنة ، يصدر عشرات فعشرات من العلماء الاعلام ، الذين تقر بهم عيون الاسلام •

تلك آثارنا تدل علينا   فانظروا بعدنا الى الآثار

ولايزال على ذلك الى الان ، والطلبة عنده يصلون مابين سبعين وثمانين في الوقت الذي نرى فيه كل مدارس سوس شاغرة من تلك الكثرة ، ونرى المدرسين يسيرون الهوينى في ميادين التدريس ، فلم اعرف الان من يجتهد اجتهاد المترجم ، الا الاستاذ ابا العباس اليزيدي ، الا أنه مع اجتهاده ، وافراغ جهوده في بث جميع الفنون المتداولة بعزم ونشاط ، لم يواته الدهر كما واتى المترجم (وذلك فضل الله يوتيه من يشاء) (ولا يقال لفضل الله ذا بكم)

وملاك فوزه بهذه المنقبة : اخلاقه الدمثة التي تصيره محبوبا حبا جما عند تلاميذه ، وكرمه الجم الذي لايعرف فيه حدا محدودا ولا اقتصادا ، فلا يفتا يريش من التلاميذ كل من حص الدهر ريشه ، ويزيد على ذلك اقامة حفلات عامة لهم جميعا كل يوم خميس ، فيعطيهم ذبيحة او ذبيحتين ، وقد اعانه على كرمه أوقاف على ذلك المكان : (ايغيلالن) الذي فيه المدرسة ، فان للمدرسة احباسا من عهد بعيد ، وله هو كذلك حظوة في الذي يزاوله من أسباب الثروة فيعود بكل ذلك على من معه ، هذا كله مع احترامه من كل من له سلطة على تلك الناحية ، فقد كان للباشا السيد الحسن بن ابراهيم التامري ، يد كبرى في احاطته بهالة متسعة من الاحترام والاجلال ، وقد أخذ عن الاستاذ كل اولاد الباشا ، وكل اولاد أعيان من يجاورون تلك الناحية من حاحة وهوارة وهشتوكة وما اليها :

وقد كاد يلاقي عنتا بعد هذا الباشا حين تعين في مكانه الباشا ابراهيم الحاحي فقد كنت اذذاك في (اكادير) فذكر لي هذا أن هنا فقيها يبيع احباس المدرسة ويبني بها الديار في (اينزكان) وسماه لي ، فقلت له : على رسلك فبينت له حال الرجل ، وانما سمعه انما هو دسيسة من حسدته ، فكان ذلك هو السبب حتى عرف قدره ، فاجله واحترمه ، ثم أهلك الله الرئيس الماسكيني السماس وشيكا ، ولاريب ان حسن طوية الاستاذ واخلاقه هي التي دافعت عنه مع مخالقته وكرمه •

فهذه هي الاسباب الطبيعية التي رفعته الى المنزلة التي نال فيها ما نال من الشفوف ، واذا أراد الله بانسان مرتبة سنية ، هيأ له أسبابها ، ومهدله طرقها •

وقد كان مثابرا على التعليم في جميع الفصول ، لايعرف بطالة ، ولايشغله شاغل عن الدرس ، فانه يبكر الى المدرسة من داره بكور الغراب ، فلا يزال في موالاة الدروس الى ان تدهم العشية بظلمائها ، ففي ذلك امضى شبيبته وكهولته ، كما يمضي فيها اليوم شيخوخته ، ويتعهد الطلبة احيانا بالعتاب المر والتعنيف المبكي ، فيجلو ذلك عن النفوس ما عسى ان يصدي منصلها ، ويفل غرارها ويجعل فيها الى التكاسل متسربا ، والى عدم تتبع البحوث منفذا •

ما ناصحتك خبايا الود من رجل   ما لم ينلك بمكروه من العذل

محبتي فيك تابى ان تسامحني   بان اراك على شيء من الزلل

وله همة عليا ، وعزوف عن الدنايا ، واستنكاف عن زيارة ارباب الدنيا والاختلاف اليهم ، الا لضرورة تحوجه الى ذلك ، فقد حكى لي انه ما كان يصل السيد الحسن بن ابراهيم باشا (اكادير) الا في النادر القليل جدا ، مع أنه ممن يكبرونه ويشيدون بالثناء المستطاب عنه •

ان وجود مثل هذه الهمة المسعودية العليا ، وانصرافها الى بث العلم في هذا الوقت الذي انصرفت فيه همم كثيرين من انداده من العلماء عن بثه ، لفضل عظيم على هذا الصقع السوسي ، فلو كان معه أناس يسيرون بسيره ، ويطيرون بعزيمته ، لما وصلت العلوم بسوس الى هذه الحالة المخجلة ، فقد اقفرت المدارس ، وغيضت العلوم ، وأصبحت قبائل كانت قبل ميادين العلماء أقفر من جوف الحمار ، فلا مفتي ولا مرشد ، ولاحول ولاقوة الا بالله ، كأن لم يكن بسوس قط اجتهاد شرق ذكره وغرب :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا   أنيس ولم يسمر بمكة سامر

أما ما وقع له مع القائد محمد ابن الحاج الحسن ، فقد سألته عن جليته فذكر ان عونين وصلاه من عنده يوما ، فاتيا به ، فكلفه بان يذهب الى الاستاذ ابى الحسن الالغى فى قضية رسوم املاك تشاجر فيها مع ورثة محمد ـ فتحا ـ ابن عبد الرحمن الماسكيني وكان هذا رئيسا فى (ماسكينة) ثم خاف من القائد فهرب الى حيدة ، فخاس فيه حيدة العهد ، فاسره ومكن منه القائد ابن الحاج الحسن ، فقتله فى (انزكان) ثم فتك ايضا باخيه محمد فهرب اولادهمـا الى هوارة فى ايالة حيدة ، فاستلقى القائد على املاكهم ، وادعى أنه اشتراها من الذين فتك بهم قبل ان يقتلهم ، فتخاصموا فى المحكمة الشرعية عـنـد قاضى (أكادير) سيدى عبد الله المراكشى ، ـ وكان عاميا جاهلا كما ذكره عارفوه ـ فادلى اولئك الورثة بفتاوى علماء مراكشيين ، فاراد القائد من يصحح ماكتبه له عدوله من كسيمة ـ ولم يكتبوا الا ما املاه عليهم ـ ولذلك بعث المترجـم الى الاستاذ الالغى ، قال : فامرنى ان اذهب ليلا ، وبعث معى : ٤٠ قالبا من السكر ، وقلت له اننى لم اتهيا للذهاب ، وليس معى درهم واحد ، فسلف لى عشر ريال فقط ، فذهبت مرغما من غير ان يعرف احد اين ذهبت ، وقد خرجت ليلا ، ثم بعد رجوعى وقد مكثت فى (الغ) اربعين يوما ، حـاول فيها الاستاذ تصحيح الرسوم ، فاخذ بظواهرها وصححها بنثره ثم نظم ذلك الشاعر سيدى الطاهر الافرانى ـ كما يوجد كل ذلك فى المجموعة (الفقهية) التى جمعتها قبل ـ فودعنى الاستاذ وبعث الى القائد حمل جمل من تمر جيد ، وملا لى انا حمل بغلتى ، فحين وصلت هشتوكة لاقيت انسانا لايعرفنى ، فسالته عن اخبار كسيمة ، فقال : ان الناس يقولون ان القائد فتك بالحاج مسعود الفقيـه ، وذهب بامة له صغيرة جميلة ، ثم لما وصلت كسيمة وجدت الامة اتى بـهـا القائد من دارى فاعطانى ثمنها : ١٥٠ ريال ثم بعد استقرارى فـى المدرسة بقليل قيل لى ان القائد وشى اليه باننى اعزم على ان اشتكى به على يد الوزير الشيخ شعيب الدكالى ، ثم بعث الى سيدى ابراهيم الركراكى ، ان لااحوم بعد بساحته ، فهربت مع الطلبة الى السويرة ، فنزلنا عند الحاج عبد الرحمـن الحاحى ، المحتسب ـ المعروف بحاديمان ـ وبعد ١٦ يوما خرجنا مـن هناك الى دار الباشا الحسن بن ابراهيم التامرى ، فلاقينا هناك سيدى سعـيـدا التنانى رحمه الله ، فمكثنا هناك ثلاثة ايام ، ثم الى اداوتنان ثم الى مشهدسيدى ابراهيم بن على ثم الى (الكناوات) ازاء تارودانت ، حيث ءال ابن المصلوت،فوصل خبرنا أهل مدرسة (ايكونكا) فاتوا فذهبوا بنا اليهم فذلك هو سبب المشارطة هناك سنتين ، وقد أرسل الى القائد الكسيمى : (١٥٠) ريالا اخرى ، ولكننى لم ادخل فى يده ، ثم لم ينشب ان عزل فنفى عن بلده ، فاستقر فى مكانـه

الباشا الحسن بن ابراهيم التامرى ، فهو الـذى ردنا الى مكاننا هـذا فـى (ايغيلالن) حيث لانزال الى الان ، قال وقد كنت فى مدرسة (اداومحمد) تسعة اشهر ، بعد (ايكونكا)

اقول : هذا ما كتبته عن الاستاذ فاه لاذنى ، وازيد أنا ان جواب الالغيين لم يرجع به الاستاذ فى الحين ، بل أرسل اليه بعد ذلك من اتى به ، فـاراد الرسول ان يزداد توثيقا للفتوى الالغية ، بفتوى سيدى المحفوظ الادوزى ، فنزل عليه فى (ادوز) فادخل هذا الاستاذ الفتوى الى محله ليلا فصار ينقضها عروة عروة ، لانها لم تعجبه ، ثم مكن الرسول من الجميع ، فبات الرسول فى قرية فيها فقيه فقرأ له ما حمله ـ وهو امى ـ فاذا فيها نقض للفتـوى ، فاضطر الرسول الى الرجوع الى (الغ) لازالة النقض ، فحررت نسخة اخرى من الفتوى أيدها ءاخرون منهم مولاى عبد الرحمن البوزكارنى الذى كتب عليها (ليس فى الامكان ابدع مما كان) هكذا حكى لى جهينة الاخبار سيدى الحسن ابن مبارك البعقيلى الحكاية بتفاصيلها ، وقد عرفنا نحن ماكان بين هذا العلامة الادوزى وبين الاستاذ الالغى من مناقضات شتى فى قضايا متعددة ، وماهذه الا احداها ، فرحم الله الجميع •

ومن أخبار المترجم ما حدثنى به ان الشيخ الالغى هو الباعث الاكبر له حتى تمادى فى التعليم ، فقد كان والده من اصحاب الشيخ واتباعه ، وكان كزا ، فكان يبعث اليه الشيخ فى المدرسة (الالغية) ما يكفيه من الدقيق والادام والتمر ، قال : فان انس لاانس مجيء الشيخ يوما الى المدرسة فى وسط نهار وقت حصاد ، فوجدنى وحدى مضطجعا فى الساحة ، وقد ذهب الطلبة لحصاد زرع الاستاذ ، فسالنى لم تخلفت ، فاريته دملا فى رجلى ، فاخذ رجلى فوضعها فى حجره ، فصار يفجر قيحها بيده ، وانا اكاد اذوب خجلا وانا اتعجب مـن تواضع الشيخ ودماثة اخلاقه ، قال وقد ركبت يوما على بغل فى رفقة الشيخ من (تاماعيت) الى (سيدى ابى السحاب) فركب الشيخ على بغلته ، وقد اردف وراءه احد الفقراء ، فاذا ببغلته عاثرة ، فصاح الفقير : يا الشيخ سيدى الحاج على ، فالتفت اليه الشيخ ناهرا له ، يقول : أادلك على الله ، وتجعلنى انـا الاها تنادى باسمى ؟ افتعثر البغلة بشيخك نفسه ثم تريد ان يغيثك انت ؟ وقد حكى لى تلاميذ الاستاذ انه كثيرا مايحدثهم بهذه الحكاية ، وبـان مـن اعاجيب أحوال الشيخ انه ما دخل بلدة ثم خرج منها الا تاثرت به حتى الجمادات قال تلاميذه ، ولم نسمعه يكثر فى مجالسه ذكر انسان ، كما يكـثـر ذكر الشيخ ، وقد كان هو تيجانيا فى الطريقة ، ولكنه يتحامل عليهم ويرمـي بعضهم بالغلو ، وكثيرا ما يرسل اليه السادة الاحمديون فى احدى اجتماعاتهم، فيقول لهم : اننى لست منكم ، وهكذا بقى على فكرة الفقهاء متباعدا عن فكرة

الفقراء ، وكان كثير الانبساط فى مجالسه ، وقلما يخلو مجلس من مجالسه من النوادر ، وقد حكى كمحدث بنعم الله عليه انه لما فارق الغ ليس لـه الا قميص كتان خلق ، وانه لما كان مشارطا فى (تازانتوت) اشترط على اصحاب المسجد ان يكسوه ، قال : ثم داروا على التجار فى النعال فى سوقهم ليجدوا لى نعلا توافق رجلى هذه فلم يجدوها ، ثم يظهر رجله ، ويقول : انها اكبر من كل الارجل ، وقد كان حسن العهد ، لاينسى اصحابه ، ولاذكر اشياخـه وقد سمعته يوما يحكي عن شيخه سيدى محمد بن على اكيك ، انه بات ليلـة عند فقيه بليد شارط فى مدرسة فسأله البليد عن شروط قيام الساعة ، فقال له : انمنها كونك فقيه مدرسة لان فى الحديث ، اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة .

كان أصيب بضيق فى صدره فى ايامه الاخيرة ، فلا يقدر ان يركب عـلى السيارة ، بل حتى البغلة قد يؤذيه ركوبها ، وكثيرا ماينزل مرارا بين(ايغيلالن) و (اينزكان) ان تسوق السوق ، واتذكر انى كنت تواعدت معهان نزور(تيدسي) لرؤية خزانتها ، واشترط على أن لايركب الا على بغلته ، فاذا بـه أرسل الى ان السيد عبدالسلام القيم على الخزانة رفض الزيارة ، محتجا بان فلاناالدرقاوى لايدخل مقامنا نحن اصحاب مولاى احمد ، فقال لى الاستاذ : ارايت الان مـا أقول لك عن هؤلاء القوم ، وقد كنت ارده عن ذمهم ، فيابـى الا الاسترسال فحين وجد هذا السبب الخاص اطلق لسانه كما يشاء وانا لااجد ما أرده به .

ومن عادته ان يشفق على الطلبة ، وان ينفق عليهم من كل ما فى امكانه، ولاسيما على المجتهدين منهم ، وكثيرا ما يسرب سرا الى من يعرف فيه الهمـة طعاما خاصا ، او سكرا او بيضا أو لحما أوشعيرا أودراهم ، ومتى كان الطلبة يحصدون زرعه على عادتهم فانه يدر عليهم الخيرات ، فما شئت من لحم وادام صباحا ومساء ، حكى لى بعضهم انه كان بكثرة الرافة عليهم ، لايقدر انيراهم يوم الحرارة فى الفدادين ، فقد غشيتهم موجة حرارة بغتة ، بـعـد انقشاع سحاب فسعى حتى داناهم ، فصار يلوحاليهم بذيله ، فقال لهم ، لم تخلقـوا لهذه المشقة ، ولكنه اذا أصبح احدهم نائما عن الصلاة وعن الصبح ، فانـه يسمع الاحجار فى بيته ، وخصوصا من النوافذ ، وكثيرا ما يملأ ذيل ثوبـه بالاحجار فيتتبع النائمين بذلك يرمى أبواب بيوتهم بها ، والطلبة اذذاكيحترمون الاساتذة من قلوبهم ويحسنون فيهم الظنون ، ويصبرون لكل ما عسى ان يمسهم من جهتهم .

بيـني و بينه

كنت دائما أتعالى الى التعرف به ، منذ عرفت لامثاله أقدارهم ، وأدركت لنظرائه قدر مساعيهم ، وذلك منذ نزلت بالحمراء للاخذ ، ولكن تتابـعـت

السنون وتوالت على عوائق ، حتى استقررت فى البلد منفيا، فلماسرحتوملكت امر نفسى ، سافرت فى ربيع الثانى : ١٣٦١هـ فلاقيت المترجم فى سوقالثلاثاء فى مدينة (اينزكان) وقد ذكر لى انه ما تسوق ذلك النهار ، الا لاجل هـذا اللقى ، فكان هذا التشريف منه لهذا العبد من المنن الكبرى ، فمضت لناساعة طيبة ، ملئت بالاستفادة من الاستاذ عن تقلباته فى رحلته العلمية . وتتخلل ذلك انشادات مستملحة طيبة ، كانت تاتى بادنى مناسبة ، واذذاك شاهدت من اخلاق الاستاذ البارزة ميله للمفاكهة والنوادر والمستملحات ، على عادة الادباء الاريحيين ، فمما قيدته عنه فى تلك الجلسة المستمرة من نحو عاشرة النهار الى مابعد العصر ، البيتان المشهوران :

زمانـنـا كـاهـلـه واهلـه كـمـا تـرى
فسيرهـــم كسيره وسيره الـــى ورا

فذكر ان بعض من انشد البيتين ، كسر (زماننا) فى حضرة بعض الامراء فعدل له فى ذلك ، فقال والله لاكسرنه كما كسرنى ، ولاخفضنه كما خفضنى وانشد أيضا لابىزيد الجشتيمى ، وذكر ان الشيخ شعيبا الدكالى كثيرا مـا كان ينشده بعدما سمعه :

كم مـن فقيه سفيه فى تدبـره فلا تلازم بين العلم والـرشد

وانشد لمحمد شكرى ابن الشيخ ياسين حين ذكرت له القصيدة القافية التى كانت لى فى العصيدة :

ان رمت منى عصيدا مالـه مـثـل له شروط بها قد يحسن العمـل
الماء منى ومنى النار اضرمها منك الدقيق ومنك السمنوالعسل
الغرف منك ومنى الاكل اجمعه والشكر منى لما اوليت يا رجـل

وانشد أيضا من الشقرونية فى وصف العصيدة أيضا :

وهى اذا كانت من الدقيـق افضل ما يوكل بالتحـقـيـق
لكنه لا بـــد مـن تسمين كما اتى عـن ماهر مـكـين

وانشد فى الكسكسو :

افضل ما فـى غربنا يلتمس من افضلالقوت العجيب الكسكسو

وانشد أيضا :

خير المجالس خمسة او ستة او سبعة ومن الكثير ثمانية

وانشد لليفرنى صاحب (الصفوة) فى هذا المعنى :

واحسن اعداد الندامى ثلاثـــة الىالخمس وانف الزيد عنهاذا ظهر

وانشد وهو يذكر كبر السن ، وثقل السمع ، البيت الشهير :

ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعى الى ترجمان

وانشد أيضا :

حاكى أباه فلا غرو ولا عجب فوثبه الشبل تحكى وثبة الاسد
فلن ترى والدا طابت مغارسه الا وبهجته تبدو على الولد

وانشد أيضا بيتي ديوان الحماسة المشهورين :

أمانى من ليلى حسان كانما سقتنا بها ليلى على ظما بردا
منى ان تكن صدقا تكن احسن المنى والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

وانشد أيضا :

لك الثناء وان يذكر سواك بـه يوما فكا لرابع المعهود في البدل

وافضل منه قول ابى نواس :

فان نحن اثنينا عليك بصالح فانت كما نثنى وفوق الذى نثنى
وان جرت الالفاظ يوما بمدحة لغيرك انسانا فانت الذى نعنى

وانشد أيضا للشيخ فالح المدنى من علماء الحرمين حين كان المترجم هناك :

اعلموا انني مقيم وقلبى راحل بين ركبكم في الجمال

ومما كتبته اليه متوخيا السجع الذى يالفه ذوقه بعد مفارقته ١٣٦١هـ

«المدرس الذى هو من مفاخر الغ الخالدة ، والذى انتظمت فى لبته بـه ماثر لن تزال طوال الدهر ما كان منها الطارفة والتالدة ، صاحب الشمائل التى تفاوح العنبر الشحرى ، ورب الكرم المتدفق الذى لو شاهدته امـواج البحر لاتجرى ، سيدى الحاج مسعود الوفقاوى ، ثم الايفيلالنى :

على ذلك القدر السنى سلام كما ارجت تحت النسيم كمام
مقام به فخر العلوم بسوس اذ تدار به منها بسوس مدام
فلولا دروس منه اقفر ربعها وضمت ذماء للعلوم رجام (١)
اديم لهذا الدين ينشر بنده وتنفذ منه في يديه سهام
وايدى السعود تستجيب دعاءه ومقعده في المكرمات سنام

أبيات جاء عفوا ، ولذلك تراها رهوا • اما بعد : فكيف مولاى ومجالسه التى يستمتع بها مجالسه ، الايزال جلاسه يستمتعون منه بما كنت استمتعت

١) الذماء بالفتح : بقية الروح • والرجام : القبور ج رجم محركا

به منه تلك الساعة الممتعة ؟ التى قضيتها معه ، فانها زينة عمرى ، وقلادة نحرى ، ومبسم سعادتى ، واتمنى ان لاتنقضى معه جلستى ، لو ملكت ارادتى•

هذا فقد بلغت البلد فرجعت الى عشى ، وانكمشت فى فرشى ، وفى ...وانبى كتب مختلفة ، وبين يدى مسرات مؤتلفة ، فانا اغتبط فى الـغ بنعم ... وان كنت اتعمد الانعزال عن قومى ، فاننى أصبح امنا فى سربى معافى فى بدنى عندى قوت يومى ، نعم شاملة ضافية ، وعيشة هادئة صافية ، اتولى ... الفوائد التى اقتبستها من مثل مولاى ، واجعل اتمام تاليفها يوما ما ...ه مناى ، وقد حررت في الاسبوع شبه رحلة (١) عن هذه السفرة فى ...اريس ، تضم أخبار ما راته عيناى فيها من البلدان والمدن ومن عالم ورئيس وربما تصل يد سيدى عند تخريجها من المسودة ، فينتقدها فكره البحاث الناقد البصير بما عنده •

يوم الخميس : ٤ - ٦ - ١٣٦١هـ

ثم أجابنى الاستاذ ، وقد تعرض لتمر أهديته اليه ، وقد باسطته فى الرسالة بأن مقصودى ان يتذكر عهده فى الصغر حين كان فى أهله الوفقاويين:

«من عبد ضعيف ، مقر بذنوبه لخالقه اللطيف ، مسعود بن احمد الوفقاوى الراجى من ربه غفران المساوى ، الى حبه حبر الاحبار ، وجهينة الاخبار ، المعدود فى مقدمة العلماء الاخيار ، من ذوى المكانة والاعتبار ، سيدنا ومولانا واخينا الفقيه الارضى الوجيه العلامة ، الذى من دابه الاصابة فلا يقابل دائما ...ل ، مه : سيدى محمد المختار ، المعتمد عليه في رواية الآثار ، وتصحيح اسانيد الاخبار ، صاحب الفصاحة التى تزرى بسحبان عند انشاء الاشعار ، زيادة من حلاوة وطلاوة ، يلين بهما قلب ذى قساوة

سعى معشر كي يلحقوه فبرزت بـه غرر مشهورة وعلائـم

جعل الله مغناكم سيدى مغنى الاحباب والاخوان ، سالما من طائف كل ذى بغى وعدوان ، وسلام عليكم سيدى ورحمة الله وبركاته ، وعلى اولادكم الابرار الفالين ان شاء الله من كل عثار •

هذا والحمد لله ثم الحمد لله على معرفتكم ومحبتكم الدائمتين ، المقتضية ابدا الدعاء من الجانبين ، ثم ان ما بعث به سيدى النجيب ، من التمر الجنيب قد اتصل بنا وحصل ، وفى حواصلنا حصل ، وقد رجع الى به الشباب ، وبلغت به سماء صباى بلا أسباب ، فقد تذكرت والدكم الذى هو والدى ، وهو وانا فى المدرسة هناك اكبر مواردى :

جلست بانف شامخ فتناولت يداى الثريا قاعدا غير قائم

١) هى الرحلة الاولى من : (خلال جزولة)

وكيف لا افرح بتلك المكارم ، وقد قام بمنحها خازم وابن خازم (١)

ساشكر عمرا ما تراخت منيتي ... ايادي لم تمنن وان هي جلت

وما احلى كل ما ذكر الشباب ، وبذكراه يحصل له الاياب ، نعم انني لم اكن الفتالتمر كثيرا حين كنت بين اهلي من بني وفقاوة ، اذهم اهل قساوة فلا يتجاوزون منه ملء المزاود ، وانما ديدنهم فـي سعيهم : (أزل اود) (٢) فجزاكم الله ياأهل الاحسان ، جزاء موفورا ، وأدام عليكم سرورا دائما وحبورا والسلام التام على أهلكم الكرماء ، وأولادكم النجباء» .

تخيرتها للنسل وهـي غريبـة ... وقد انجبت والمنجبات الغرائـب

ونب عني سيدي في تبليغ السلام الى اولاد المرحوم المقدس سيدي علي ابن عبد الله ، وطالما انتظرت رسالة من سيدي الطاهر بن علي تتضمن السلام والسؤال لمودة سابقة ، فلم أر أثرا لمودة سابقة ولا لاحقة ، ولعل العلة مـا أحدثك به ، وهو قـول القائل المبين للهجر وسببه :

اذا ما صديق قد تولى ولايـة ... ولا سيما ان كانت الخطة القضا

فكن قانعا منه بمعشار وده ... ولا تطمعن في الوداد الذي مضى

وهذا من الكاتب مزاح ، فان احتمله فلا جناح ، والا فاطو ذلك يـالـراح فلاتبده له يا صاح

ثم كتبت اليه بعد شهور ، احثه على ان يرسل الى ما توقفت عليه فـي ترجمته ، وقد بعثت اليه بالرحلة المتقدمة وبرسالة : (وشي المطارف ، في ثبوت الهلال بالخبر الرسمي من الهاتف) :

(عليك أبا العرفان ياخير مسعود ... سلام كنفح الزهر او عرفة العود

سلام مشوق نحو حضرتك التـي ... متى ارها اصبح بها جـد مسعود)

وعود أمانيي زيارتها فـهـل ... اعيش الى ان اجتلي خير موعـود؟

فاني من تدريه لايطبيه عـــن ... هواه شراب الراح او رنـة العود

المدرس الذي شمس تدريسه في سماء الجد والدؤوب ، لايعرف في سيرها خسوف او غروب ، والعلامة الذي تتدافع امواج معارفه مطردة في تموجاتها في كل انحاء جزولـة ، حتىغمرت والحمد لله سوسا كله حزونه وسهوله ، بقية السلف الذي يعرف كيف يقضي عمره في هتك سجوف الجهالات ، وعمدة الخلف متى طاف عوص او المت اشكالات ، سيدنا ومولانا وشيخ عصرنا سيدي

١) قال اسحاق الموصلي :

اذا مضر الحمراء كانت ارومتـي ... وقام بنصري خازم وابـن خازم

عطست بانف شامخ وتناولت ... يداي الثريا قاعدا غير قائـم

٢) اسع وهات .

الحاج مسعود الوفقاوي ، الذي علت به وفقاوة ما لايعلو اليه السعدان ، كما علت برسول الله صلى الله عليه وسلم عدنان (١) وليس بذي شرف من لم يكن من شرفه لذويه طرف .

وبعد : فقد برح الشوق ، حتى ضاق بي الطوق ، وتطاول الفراق،فمتى يوم التلاق ؟ فقد كدت ازور تلك الجهة في الشهر الماضي ، لولا ان فاجاالمغرب ارعاد المدافع وابراق المواضي (٢) فرجعت من (ماسة) معرجا بافران حيث الفصاحة والبيان ، والبلاغة تتلاعب بها اليدان ، فثويت في دار شيخنا علامة العصر ، ويتيمة الدهر ، فرأيت كيف يحافظ من العلم والادب والكرم الفياض على ما كنا نخاله قد غاض ، فنخوض كرما جما ، وأدبا وعلما ، فدارت هناك ادواتكانهامغازلات ، وقواف ، كانمايجولالحبب على ماءصاف ، ثمابتالى الدار فالقيت عصا التسيار ، مكتفيا من الاغتراب ، وقانعا من الغنيمة بالاياب ، فان لم يعد الحركة فالسكون ، وملازمة الوكون ، فان لم يكن ماتريد فارد مايكون اما البلد وما اليه ، فلازائد على ما يسر القلب ، ويهدد الجدب ، وعلى مايملأ بالانشراح كلسرب (٣) من طلائع الخصب ، فقد توالت امطار هذه السنـة مرارا ، فلم ير الجدب الذي كان يالف هذه الجهة حتى صيرهم بلاقع وقفارا الا ان يزمع الرحيل حين لايرى لنفسه قرارا ، فقد اخضرت الارض وازينت، وبحلت الغ وتزينت ، فكاني بها بعد امد قليل ، وقد جرت أيام الربيعاذيالها واخرجت الارض اثقالها ، تتهادى كغانية رداح ، لعبت بها الراح وتجاذبهـا العشاق بالراح :

ان هذا الربيع شيء عجيـــب ... تضحك الارض من بكاء السماء

ذهب حيثما ذهبنـا ودر ... حيـث درنا وفضة في فضاء

وبعد : فقد تلقت اليدان : الرسالة التي أرسلها مولاي فـي رمضان ، رسالة وما أدراك ما الرسالة ، أقراها فكأنما تغازلني منها غزالة ، ببيانأرق من السحر الحلال ، وأدمث من روض أريض ورفت فيه الظلال ، وبلاغة تستوقف الابصار من ادباء الامصار ، وتخلب الافكار ، بالمعاني الابكار ، ينبعث الميتمن جزالتها ، ويحار الفصحاء من فصاحتها ، ويسجد عبد الحميد لبراعتها :

شرك النفوس ونزهة ما مثلهـا ... للمطمئن وعقلة المستوفـز

١) قال ابن الرومي :

قالوا ابو الصقر من شيبان قلت لهم ... كلا لعمري ولكن منـه شيبان

كم من أب قد علا بابـن لـه شرفا ... كما علا برسول الله عـدنـان

٢) هجوم أمريكا على المغرب ، وذلك مذكور في الرحلة الثانية من (خلال جزولة)

٣) السرب بالفتح فالسكون : الصدر

.. فلله در ذلك اليراع السيال ، وعقد ذلك البيان المتلال ، فقد عرف كيف ينفث ساحره في العقد ، بل درى كيف يزأر اسده على النقد (١) وقد اريت الرسالة للاديب العلامة القاضي سيدى الطاهر بن علي ، فطار بهافرحا ، كانما تحسى بها قدحا ، وقد خامر ذلك المزاح قلبه بسرور فائض ، والممازحة بين الادباء اكبر رائض ، فهذا جوابه في يد الحامل مثنى لافرادى ، وكاد يثلث لو وجد فراغا وقرطاسا ومدادا ، كما في يده (الرحلة) التي جمعتها على وجهها يوم الرجوع من عندكم ، فان وقعت دون المدى فمن عندى ، او وافقت فمن عندكم والفضل للدر الناصع اللون ، لالسالكه في الاسلاك ، ولولا انواركم لما هتكت يراعتى سجفا من سجوف الاحلاك .

لقد وجدت مكان القول ذا سعة ... فان وجدت لسانا قائلا فقل

فليقرأها مولاى وليعدها مع الحامل ، منبها على ما عسى ان يكون فيها من زلل الانامل ، وكذلك الورقات التي معها في حكم ثبوت الهلال بالهاتف، فقد أبديت فيها ما عسى ان يرجع به المخالف ، فتامل وانتقد بفكرك المتقد ، فان لكم أيها السوسيون جناى وخياره فيه ، اذ كل جان يده الى فيه (٢) وحولكم كل ما لفقت وجمعت ، ان أريد الا الاصلاح ما استطعت ، وعليكم جميعا التنبيه على زلاتى ، فذلك عندى اعظم فائدة من المشيخة امثالكم فضلا عن لداتى، فالمرآتان تريان مما اختفى ، ما لاتريه مرآة واحدة في القفا ، واما مالايزال التسويف به ماطلا ، وكان مكان ترجمتكم في (المعسول) به عاطلا ، فاحب من سيدى المبادرة به مع الرسول ، فالتوصل به غاية السول ، مستوفيا كل ما حولكم من آثار منكم واليكم ، ومن ذكر الذين اخذوا عنكم ، فاخوكم الان في فراغ لسوس ، ولاعطر بعد عروس ، فللتعجيل بركات ، وللتاخير آفات .
وليرحم الله القاضي الروداني الذى كنت منه على وعد ، لاستوفى منه كل ما اريد بعد ، فاذا بالحمام استاصل من ذلك كل مرام ، فرمست به آثار،وطويت بهاخبار ، فعلى من يعتب وما على الدهر من معتب ، وهذه احدى آفات التاخير فيرتد الطرف جد حسير ، فربما كان التانى آفة من افات العمل ، وكان الحزم كل الحزم في العجل ، سدد الله الخطا ، وعصم من الخطا .

٣٠ – ١١ – ١٣٦١ هـ

١) النقد محركا : صغار من الغنم
٢) مثل قاله عمرو حين جمع الكمأة فاتى بها أهله ، على حين ان رفقته اكلت ما جمعته منها ، وذلك في حكاية (الزباء)

... الله فـلا نـد لـه ... بيده الخير فما شاء فعل
... هداه سبل الخير اهتدى ... ناعم البال وما شاء أضل

السلام والرحمة على اخينا وصفينا الاتقى ، وحبيبنا الطاهر الانقى ... على جلالته ، وصحة روايته ، المحقق البليغ بلا ريب ولامراء والمفلق الذى ... حال المساجلة لدلوه دلاء الشعراء ، والمدقق الذى اطبقت على تقديمه في ... العلوم سائر العلماء :

... سبوا ان في سر باله رجلا ... ففيه غيث وليث مسبل مشبل

... المسبل المشبل هو سيدنا ومولانا محمد المختار ، وارث هدى رسول الله ... المختار ، الالغى ، المصون بفضل الله من الغاء كل من يلغى

... فالباعث الاعلام بدوام المودة ، وبان ماوقع في شان رمضان من ... اب الناس في دخوله وفي انقضائه دام عندنا كذلك مدة ، فقد اضطرب ... هنا كبيرا وصغيرا ، حقيرا وخطيرا ، فمن قائل هذا اليوم عيد ... الفطر فيه بالخبز او بالفطير ، ومن قائل كيف نفطر ونحن لم نقع في العيد على خبير ، فاستوى العالم والجاهل ، والمتيقظ والغافل ، والمصيب ... والصناع والخرقاء ، والعمياء والزرقاء ، كل طائفة تخالف الاخرى ... ، يخبطون خبط عشوا ، فيتضاربون بالفتوى ، حتى اداهم الحال ... اسفوا اوباش الخرابيش (١) المكدين بالخنانيش (٢) وهكذا كثر ... في صحة الحكم المنقول بالهواتف والبرق ، فلا يفرق المستفتي مافي ... النقل بذلك من الفرق، فتبارى الناس وتحاوروا ، وتشاجروا وتناحروا

... الا فرسان عادية ... الا تجشؤكم حول التنانير

* * *

... اطرافه في مهمه ... أعمى الصوى بالجاهلين العمه

* * *

... حنيفة اثلاث فثلثهم ... من العبيد وثلث من مواليها

ولم يذكر جرير الشاعر الثلث الثالث لطي جناحه اذ :
(من البغي سعى اثنين في قتل واحد)

١) هي الكتاتيب عند الشلحيين
٢) يقصد بذلك جمع خنشة والخنانيش : الاكياس

فلله در ذلك اليراع السيال ، وعقد ذلك البيان المتلال ، فقد عرف كيف ينفث ساحره فى العقد ، بل درى كيف يزأر اسده على النقد (١) وقد اريت الرسالة للاديب العلامة القاضى سيدى الطاهر بن على ، فطار بهافرحا ، كأنما تحسى بها قدحا ، وقد خامر ذلك المزاح قلبه بسرور فائض ، والممازحة بين الادباء اكبر رائض ، فهذا جوابه فى يد الحامل مثنى لافرادى ، وكاد يثلث لو وجد فراغا وقرطاسا ومدادا ، كما فى يده (الرحلة) التى جمعتها على وجهها يوم الرجوع من عندكم ، فان وقعت دون المدى فمن عندى ، او وافقت فمن عندكم والفضل للدر الناصع اللون ، لالسالكه فى الاسلاك ، ولولا انواركم لما هتكت يراعتى سجفا من سجوف الاحلاك .

لقد وجدت مكان القول ذا سعة   فان وجدت لسانا قائلا فقل

فليقرأها مولاى وليعدها مع الحامل ، منبها على ما عسى ان يكون فيها من زلل الانامل ، وكذلك الورقات التى معها فى حكم ثبوت الهلال بالهاتف، فقد أبديت فيها ما عسى ان يرجع به المخالف ، فتأمل وانتقد بفكرك المتقد ، فان لكم أيها السوسيون جناى وخيارة فيه ، اذ كل جان يده الى فيه (٢) وحولكم كل ما لفقت وجمعت ، ان أريد الا الاصلاح ما استطعت ، وعليكم جميعا التنبيه على زلاتى ، فذلك عندى اعظم فائدة من المشيخة امثالكم فضلا عن لداتى، فالمرآتان تريان مما اختفى ، ما لاتريه مرآة واحدة فى القفا ، واما مالايزال التسويف به ماطلا ، وكان مكان ترجمتكم فى (المعسول) به عاطلا ، فاحب من سيدى المبادرة به مع الرسول ، فالتوصل به غاية السول ، مستوفيا كل ما حولكم من آثار منكم واليكم ، ومن ذكر الذين اخذوا عنكم ، فاخوكم الان فى فراغ لسوس ، ولاعطر بعد عروس ، فللتعجيل بركات ، وللتاخير آفات .
وليرحم الله القاضى الروداني الذى كنت منه على وعد ، لاستوفى منه كل ما أريد بعد ، فاذا بالحمام استاصل من ذلك كل مرام ، فرمست به آثار،وطويت بهاخبار ، فعلى من يعتب وما على الدهر من معتب ، وهذه احدى آفات التاخير فيرتد الطرف جد حسير ، فربما كان التانى آفة من ءافات العمل ، وكان الحزم كل الحزم فى العجل ، سدد الله الخطا ، وعصم من الخطا .

٣٠ - ١١ - ١٣٦١ هـ

١) النقد محركا : صغار من الغنم
٢) مثل قاله عمرو حين جمع الكمأة فاتى بها أهله ، على حين ان رفقته اكلت ما جمعته منها ، وذلك فى حكاية (الزباء)

جوابها

احمد الله فلا ند له   بيده الخير فما شاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدى   ناعم البال وما شاء أضل

السلام والرحمة على اخينا وصفينا الاتقى ، وحبيبنا الطاهر الانقى المتفق على جلالته ، وصحة روايته ، المحقق البليغ بلا ريب ولامراء والمفلق الذى سلمت حال المساجلة لدلوه دلاء الشعراء ، والمدقق الذى اطبقت على تقديمه فى فنون العلومسائر العلماء :

لا تحسبوا ان فى سربا له رجلا   ففيه غيث وليث مسبل مشبل

ذلك المسبل المشبل هو سيدنا ومولانا محمد المختار ، وارث هدى رسول الله المصطفى المختار ، الالغى ، المصون بفضل الله من الغاء كل من يلغى

وبعد : فالباعث الاعلام بدوام المودة ، وبان ماوقع فى شأن رمضان من اضطراب الناس فى دخوله وفى انقضائه دام عندنا كذلك مدة ، فقد اضطرب الناس كثيرا هنا كبيرا وصغيرا ، حقيرا وخطيرا ، فمن قائل هذا اليوم عيد فطرنا نفطر فيه بالخبز او بالفطير ، ومن قائل كيف نفطر ونحن لم نقع فى ثبوت العيد على خبير ، فاستوى العالم والجاهل ، والمتيقظ والغافل ، والمصيب والفائل ، والصناع والخرقاء ، والعمياء والزرقاء ، كل طائفة تخالف الاخرى سرا وجهرا ، يخبطون خبط عشوا ، فيتضاربون بالفتوى ، حتى اداهم الحال الى ان استفتوا اوباش الخرابيش (١) المكدين بالخنانيش (٢) وهكذا كثر المخالف فى صحة الحكم المنقول بالهواتف والبرق ، فلا يفرق المستفتى مافى حكم النقل بذلك من الفرق، فتبارى الناس وتحاوروا ، وتشاجروا وتناحروا

الا طعان الا فرسان عادية   الا تجشؤكم حول التنانير

* * *

ومهمه اطرافه فى مهمه   اعمى الصوى بالجاهلين العمه

* * *

بنو حنيفة اثلاث فثلثهم   من العبيد وثلث من مواليها

ولم يذكر جرير الشاعر الثلث الثالث لطى جناحه اذ :
(من البغى سعي اثنين فى قتل واحد)

١) هى الكتاتيب عند الشلحيين
٢) يقصد بذلك جمع خنشة والخنانيش : الاكياس

فلو سكت الجاهل لارتفع الخلاف ، ولوجد في الناس الانصاف ، فمن
الناس عندنا من لم يعيد الا يوم الثلاثاء ، اقتداء بائمتهم الاغبياء ، الذين
اتخذوهم من دون الله علماء واربابا اولياء ، فبينما ذلك المنكر من القول الزور
من القوم البور ، اذ جاءهم منكم الاسد الكرار ، والغيث المدرار ، في مؤلفكم
(وشي المطارف ، في ثبوت رمضان بالخبر الرسمي من الهاتف)فقال لسان حال
هذا المؤلف ، كما قال المبرد في الكامل : (ليس لقدم العهد يفضل الفائل ، ولا
لحدثانه يهتضم المصيب ، ولكن يعطى كل ما استحق) وكما قال عيسى عليه
السلام : (قد جئتكم بالحكمة ولا بين لكم بعض الذى تختلفون فيه) فصارذلك
المؤلف ينادى بقول القائل :

ايه ابا الشداد ان وراءنا   احاديث تروى بعدنا في المعاشر

كيف لا وصاحب هذا المؤلف الوشي ومزركشه ، لاتجده رضى الله عنه الا
رادا (١) يعيش في الاوراق ، ساهر الآماق ، حتى صار في الآفاق ، ممنوع
اللحاق (سنريهم اياتنا في الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق)
ولهذا عز ما في المؤلف بطرق الفحول ، من معقول ومنقول ، المسلم لهم
بالقبول ، فسارت حكم الفتوى بما فيه على أيدى الركبان مسير الدبور والقبول .

فشرق حتى لم يجد ذكر مشرق   وغرب حتى لم يجد ذكر مغرب

* * *

ورأينا اياته فاهتدينا   واذا الحق جاء زال المراء

وما منا الا من له مقام في الشغف به معلوم ، والحق معلن لامكتوم :

ترى المحابر والاقلام قد نفدت   الى المساطير للتقييد والرقم

وما اجدر هذا الوشي ان يقال فيه : مثل ما قاله سيدنا أبو عبد الله ابن
عبد الله الالغى ، في كتاب رآه عند بعضهم مطررا :

رخيص ذا الكتاب وما حوته   مساطره بذلك صاع تبر
وفيه اذا تصفحه حزين   بكسر الجهل جبر اى جبر

وما نقله سيدنا وغيره عن الشيخ عليش من ثبوت الحكم بآلات نقل الاصوات
مسلم الثبوت من علماء السنة ، ولاعبرة بتاليف بل بتويلف شحنه مؤلفه
باقاويل كالتماثيل محاولا ان يرد على الشيخ عليش ومتابعيه بتلك الاباطيل،
والمؤلف تونسى ، وقد نسيت اسمه ، وقد نقض ما ذهب اليه صاحب هذا
التويلف ، العلامة سيدى احمد البرزنجي المدنى ، فكان قوله مقبولا عند
العلماء ، وكان كالسهام في نحور البلداء اللؤماء ، وقد تركته في الحرمين

١) الراد : أصله : الرائد : الطواف ، والرادة : الطوافة في بيوت الجيران

مطبوع ، ولذا ما اثيت به ، ولا بموضوع ذلك المنكر الموضوع ، لوقوع
النهى عن اكتسابه والنظر فيه من المحاكم التركية ، ومن لم يفت بفتوى الشيخ
عليش في فتاويه ، ولا بما في وشي المطارف الموشى بالاقوال المقبولة ، فهو
(العلوش) : ــ الثور ــ :

هل نحت العلوم من معادنها   وما على اذا لم تفهم البقر

او هو (انكور) : التيس :

ساكتم علمى عن ذوى الجهل غايتي   ولاانثر الدر النفيس على الغنم

ولاتنس ياسيدى ومولاى جواب الفقيه ، سيدى محمد بن على اكيك عن سؤال
من سأله عن أشراط الساعة ، والحمد لله ثم الحمد الله بلا نهاية ، على اسباغ
نعمه علينا بوجودكم ، وبث علومكم في صدور الرجال والاوراق ، في هذا
الزمان الذى احسن ما يوصف به قول القائل :

هذا الزمان الذى كنا نحذره   في قول كعب وفي قول ابن مسعود
ان دام هذا ولم تحدث له غير   لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

* * *

والوقت كالمورود والناس القذى   هل ساغ مشروب على اقذائه

وعلى كل حال ، لانخاف من الضلال ، حين تجددون الدين ، ولاتجديد
الا بعلم متين ، وانتم من العلم بمكانة لاتنكر ، فلا تهملوا شكر فضل الله عليكم
الظاهر ، وقد سمعنا ان شمس سوسنا تعزم على الطلوع الى الحاضرة ، وعلى
مراجعة ما كانت فيه قبل من الافلاك السائرة ، فان كان ذلك صحيحا ،
فالشمس تجرى لمستقرلها ، واينما كانت فان كل وجه يكون مقابلها :

كالشمس في كبد السماء فنورها   يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

وان لم تحدث هذا العزم بعد ياعلامة ، فبالله لاتقم علينا القيامة :

كل اليك مع الانفاس محتاج   لو كان في مفرقى الاكليل والتاج

وقال آخر :

وهل بين من يعطيك علما بلفظه   ومن بكتابه يفيدك من فرق

والبيت كما انشدنيه بعضهم :

وقال اخر :

فافخر فما من سماء للعلا ارتفعت   الا وافعالك الحسنى لها عمد
واعذر حسودك فيما قدخصصت به   ان العلا حسن في مثلها الحسد

اما (الرحلة) فهى مع اخيها (وشي المطارف) نعمة سابغة ، وفي الكل حجة

بالغة ، فانا منهما بين الشمس والقمر ، وبين الثمار والدرر ، فان كانت البغية فى تحرير الفقه ، فوشى المطارف ، الذى لايخشى متبعه المتالف فتتحلى المسامع والافواه بحليه وحلوائه :

راق لفظا ورق معنى فجاءت   فى حلاها وحليها الخنساء

وان كانت المنية فى مناقب الناس ، لامثالب النسناس ، فعلينا بالرحلة التى تريك الغائب كالحاضر ، حتى كانك تشاهده وتحاضر ، فلله مولاى وما يكتب

«بقيت سليما لاتقابل بالردى»

فقد عصمت الرحلة من الرذيلة ، وسوء الكيلة ، فخلت من كل المثالب ، الا ما اقتضته النصيحة العامة للمسلمين ، ورفع اعلام الهداية للمستهدين ، فلا يوصف السنى بأوصاف المبتدع ، ولايجعل فى قرن واحد المتهور والورع ، وما راء كمن سمع ، فذكر مساوى ذلك الهماز ، المشاء بنميم ، المناع للخير المعتدى الاثيم ، العتل الذى هو بعد ذلك عين الزنيم ، من فضيحة الحاضر للغابر ، ومن اسر سريرة سيئة فضحته المساطر ، فماله فى التاريخ من ساتر ، فان اخطات فيه النعمة ، فقد أصابت فيه النقمة ، (ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ، قل استهزئوا ، ان الله مخرج ما كنتم تعملون)

عليه من اللؤم سروالة   فليس يرق لمستعطف

* * *

لعن الاله تعلة ابن مسافر   لعنا يشن عليه من قدام

فليذق المعتدى من وبال امره الان ، وليزدد امره افتضاحا يراه كل من له عينان :

فلا تحسد الكلب اكل العظام   فعند الخراءة ما ترحمه
تراه وشيكا شكا استه   كلوما جناها عليه فمه
اذا ما أهان امروء نفسه   فلا اكرم الله من يكرمه

فلعله يجاب ، اذا كان يدور متكففا على الابواب :

فلم يبق فيه سوى عظمه   وذاك لعمرى طعام الكلاب

فلا شك انه ان تاب وعمل صالحا ان الله يقبل التوبة من عباده فيعفو ويصفح ربنا لاتكلنا الى انفسنا طرفة عين

٣ ـ ٤ ـ ١٣٦٢ هـ

ومقصوده بهذا الكلام هو البباز المذكور فى تلك الرحلة (سامحنا الله واياه ولعل ما وقع له بعد يكون له كفارة)

وقد كتبت اليه بديهة هذه القصيدة ، جوابا لرسالة اخرى لم اجدها عندى الان !

مولاى ياعلم الاسلام والدين   وحاوى الخصل فى كل الميادين (١)
من كان يقرى بعلم وافر وبجو   د دائم من يرى من المساكين
انى تلقيت من يديك مالكة   مثل الحديقة رفت بالرياحين
فيلها الف الف أستلذ بما   قد كان ينشرني حينا ويطويني
يا طالما كان ظنى ان افوز بها   فاليوم صار يقينا ، كل مظنون
احيت فؤادى بما أدته عن ندس   متى تخيلته بالوهم يشفيني
ما وصل خود كعاب كاد عاشقها   يردي بسيف من التهيام مسنون
الذ فى رشفاتى من قراءتها   ءايات سحر على القرطاس مكنون
الى ارتشف السحر الحلال بها   مثل ارتشاف رضاب الخرد العين
هل يوافق حسنا من بلاغته   مفتنا بين هاتيك الافانين
كذا كذا ، فليخط الكتب كاتبها   لا المتلوى كامثال المصارين
مقوم السطر لا امت ولا عوج   موضح الفصل بين السين والنون
ليس البيان سوى ما كان يرقمه   مثلك يارب افصاح وتبيين
لله در يد سوت برقتها   تلك السطور بتحبير وتزيين
عليك خير سلام من اخيك ما   فى الود قمت بمفروض ومسنون

١ ـ ١٠ ـ ١٣٦٢ هـ

الآخذون عنه

١) سيدى الرشيد الروداني القاضي
٢) سيدى احمد الروداني أخوه القاضي ، ذكرا معا في (القسم الخامس)
٣) سيدى مبارك البوزوكي الكسيمى المتوفى نحو ١٣٤٧هـ ذكر مع ءاله فى (القسم الثالث)
٤) سيدى الحسن الازاريفى الثانى ، يذكر الازاريفيون فى (القسم الثالث)
٥) سيدى الحاج الاحسن البعقيلى ، الشيخ المشهور يذكر فى (القسم الرابع)
٦) سيدى الحسن بن على الالغى ، أستاذ فى المعهد الردانى (تقدم ذكره)
٧) سيدى احمد بن ابراهيم الوفقاوى القاضي سياتى قريبا
٨) سيدى احمد الهوارى العدوى الاستاذ فى المعهد الردانى ذكر مع اهله (فى القسم الرابع)
٩) سيدى عبد الرحمن التنانى الواعزونى التازنتونى • لايزال حيا يشارط فى المساجد كسيدى ابى موسى • واولاد أبى الرايس

١) الخصل بفتح فسكون : ما يفوز به السابق فى الميدان كالسبق محركا

١٠) سيدى محمد بن عبد الله التانيتي التناني
١١) سيدى محمد بن محمد بن ابراهيم التناني
١٢) سيدى عبد الله الوفقاوى الكاتب في محكمة تافراوت سياتي قريبا
١٣) سيدى محمد بن مبارك الوفقاوى تاتى ترجمته قريبا
١٤) سيدى احمد بن مبارك الوفقاوى سيذكر قريبا
١٥) سيدى احمد بن محمد المافامانى السملالى المذكور مع أهله فى (القسم الثالث)
١٦) مبارك بن احمد الوفقاوى تاتى ترجمته قريبا
١٧) مولاى سعيد ، استاذ مدرسة سيدى ابى السحاب بماسكينة
١٨) ابراهيم البعمرانى (الاستاذ فى (ايغيلالن) الان بعد المترجم)
١٩) محمد بن اسمعيل ، الحاكم المسدد فى محكمة اكلميم ثم فى(تارودانت) ذكر مع أهله فى (القسم الرابع)
٢٠) محمدا بن الفقيه التامرى
٢١) محمد بن كريبض الحاحى ثم الاكاديرى ، توفى منذ نحو ١٠ سنين
٢٢) عبد الله الاكاديرى ، الفقيه فى آكادير الشهيد فى الزلزال
٢٣) ابراهيم الازنيرى الاعرج (العدل فى محكمة اميتنانوت بعد الاستقلال)
٢٤) مولاى سعيد بن مبارك التوايناني عدل فى محكمة (تارودانت) وخطيب فى مسجد (مفرق الاحباب)
٢٥) مولاى احمد أخوه ، عدل واستاذ فى (تازمورت)
٢٦) محمد بن هرماس الرودانى ، الفقيه الجليل ، عضو المجلس الاستشارى كعالم سوس
٢٧) الطاهر بن محمد بن الحبيب الجرارى • نائب قاضى (ايكودار) يذكر مع أهله فى (القسم الرابع)
٢٨) مولاى أحمد اخرباش • نائب الحاكم المسدد فى تارودانت • ويذكر مع أهله فى (القسم الرابع)
٢٩) احمد الخليفة الاينزكانى ، توفى منذ سنين وعنده بنت للاستاذالمترجم
٣٠) عمر الهوارى من (عين البيضاء) استاذ فى محل بهوارة وهو رجل فاضل وهو صهر الاستاذ أيضا على بنته
٣١) عمر البعازيرى ، تزوج الاستاذ اخته ، عدل فى محكمة هوارة
٣٢) الحسن بن محمد بن احمد الاكلويى ، عدل فى محكمة تيزنيت ، وله ذكر فى الرحلة الثانية من (خلال جزولة)
٣٣) محمد ـ فتحا ـ بن محمد بيشواوين الساحلى يذكر فى (القسم الرابع)
٣٤) احمد الرخاوى
٣٥) احمد الوجانى ، نزيل تونس ، العلامة الجليل (وقد رجع من تونس

فصار استاذا فى المعهد الرودانى)
٣٦) عبد الله بن منصور التازمورتى ، رئيس فى بلده
٣٧) عبد الله الكونكى
٣٨) الحسن البونعمانى الاديب الكبير ، ذكر مع اهله فى (القسم الرابع)
٣٩) محمد بن عبد الرحمن الاسغاركيسى ، يذكر معأهله فى القسم (الرابع)
٤٠) عبد الله بن الطاهر الافرانى ، يذكر مع اهله فى (القسم الثالث)
٤١) الحسن بن مولود البعمرانى العلامة الجليل (وهو الان ١٣٨٠هـ) حى
٤٢) على بن سليمان البوكرفاوى البعمرانى نزيل فضالة ، نجيب رفعراية الفكر هناك
٤٣) عبد الحميد بن عيسى التدرارتى البعمرانى ، وقد ذكر مع أهله فى (القسم الرابع)
٤٤) محمد الجد المتاكى ، استاذ فى احدى المدارس
٤٥) احمد الغالب السرغينى الرودانى احد أساتذة المعهد الرودانى
٤٦) احمد بن زكريا البعمرانى ذكر فى (القسم الرابع) مع أهله
٤٧) محمد بن الحسن الباز القائم بفرع المعهد بتزنيت ، وهو علامة جليل محصل
٤٨) محمد بن العربى البرهومى الهوارى ، عدل فى محكمة هوارة، فقيهحسن
٤٩) عمر بن الباشا الحسن التامرى ، المغتبط شابا •
٥٠) الطيب بن احمد بن الدريوش البعمرانى ، أستاذ فى المعهد ، وقدحصل على العالمية رسميا
٥١) محمد بن عبد الله العلالى الهشتوكى عدل فى هشتوكة
٥٢) عبد الله الحمزاوى من القراء الاينزكانى الحاحى الاصل
٥٣) محمد الشركى ، استاذ مذكور
٥٤) العربى الهشتوكى ، استاذ فى عين (المداور) بهوارة
٥٥) عبد الله الايرازانى ، أستاذ فى (ايرازان)
٥٦) مبارك بن على التاكانتى الاخصاصى
٥٧) عبد الرحمن بن محمد بن على امزيل الاينزكانى • وأخذ أيضا عن مبارك البوزوكى • لايزال حيا وهو خطيب فى مسجد (اينزكان) الان ١٣٧٩هـ وابوه عالم جيد ، أخذ عن سيدى عبد الله بن ابراهيم البوفتاركاوى توفى بعد ١٣٢٠هـ وقد ذكر فى الرحلة الاولى من (خلال جزولة)
٥٨) محمد بن الطيب الدحوبى الهوارى استاذ فى (اولوز) ثم فى (دودرار) وكان قبل فى(ادوز) بهوارة استاذا فى مدرسة ابتدائية وهو محمد بن الطيب ابن الحبيب بن الحسن بن العربى واصلهم قرية (المرس) من قبيلة أيت بوبكر واصلهم الاصيل من (تاوريرت) برسموكة • والفقيه الحسن بن العربى الذى

ذكر في النسب كان قاضي تلك الجهة • توفي قبل ١٢٨٠هـ • وولده الفقيه احمد بن الحسن الاخذ عن محمد بن محمد بن أحمد المرابط الادوزي توفي نحو ١٣٢٥هـ وقد عرفت محمد بن الطيب ذا شيبة وشارة ، وقد مثل يوما أمام الملك مع وفد من علماء سوس

مرض الاستاذ ووفاته

كانت صحة الاستاذ منهارة من ازمان ، وكانت الامراض تعتريه كثيرا وقد ذكرنا فيما تقدم انه كثيرا ماتقلب عليه الصفراء ، حتى يغمى عليه ساعة أو ساعتين ، فهكذا كان منذ احقاب ، وفي ءاخر أيامه افتتح دروسا منها المقنع ، في عواشر الاضحى ، ولم يتمكن في استتمامه ، وانما كان يدرس وفي جانبيه مساند • حتى اذا غلب انقطع في الدار • وقد كان الطلبة تفرقوا في العواشر ، وهم يتخوفون من وفاته وشيكا ، ثم امربان يرسل اليهم كلهم فاجتمعوا وهم زهاء سبعين ، فذهبوا اليه في الدار ، فوجدوه منبطحا على بطنه لايقدر أن يرفع رأسه ، فصار يوصيهم ، فكان مما قاله الوصية الاتية التي جمعها بعض الطلبة مما استوعبه من كلامه ، كما هو ، وبعد الوصية صار يقول : الموت ـ الموت ، الموت ـ ثم خرج الطلبة من عنده • فبقي بعد ذلك اليوم أسبوعا • وهو عاقل مستحضر • حتى رجي برؤه ، وقد كان اعرض عن التكلم مع أهله ، وانما يكلم طلبته ، وفي ليلة بلغ نعيه الطلبة ، فهيئ في الدار • وكفن فوورى في مستقره الاخير ، بعد ما اجتمع الناس المتجاورون ، فصلى عليه ودفن بعد الضحى •

وهذه وصية المترجم انقلها من خط تلميذه الاستاذ سيدي احمد العدوى سمعها من فيه ، وسجلها في حينها وقد كان القاها على تلاميذه الحاضرين •

(أيها الاخوان اعلموا أنكم أولادي وأنا أبوكم فان أباكم وصل ءاخر منازله وانه ذاهب الى ربه فمن سمع مني خيرا فهو خيرله ومن سمع مني شرا فهوخير له ، ومن سمع مني كلمة فسينتفع بها دنيا واخرى ان شاء الله فاللهم اجعلها له نورا وهدى وتقى ، وأنا راض عنكم ، لااعزل منكم احدا ، فلا ءاذن لاحد انيذهب الا بعد الموادعة والمسامحة ، فلا احد أحب الى من الله ورسوله والشيخ التجاني ، واشهدوا واعلموا انى لست من المتبدعين ، وما كتبت زورا ولاعقدا يدل على الدنيا ، فاشهدوا اشهدوا لى بذلك ، فان فعلت فاني اوخذ به بين يدى الله ، فكونوا ماستطعتم كذلك ، ولاءاذن لاحد ان يذهب حتى يصلى على ويستغفر لى في مقرى كما هو سنة النبى صلى الله عليه وسلم • والله مالى قدرة على الكلام (واسألوا هؤلاء الحاضرين) الا الان من شدة الشوق اليكم فلا يذهب احد حتى يودع اخاه • فهذا هو الموت ، ولا تقبروني الا بين اخواني

الصالحين • واياكم وبيت سيدي سعيد • وبيت سيدي يحيا ، مخافة رقص النساء على • واياكم ان تفشاوني بشيء • فمن فعل فالمواخذة لابد منها بين يدي الله • واياكم وان يغلبكم العوام ، فيفعلون شيئا من ذلك والسلام عليكم)

مراثيه

سمعت ان هناك مراثي للمترجم ، ولكن لم أتوصل الا بهذه التي قالها فقيهنا سيدي عبد الله بن محمد الالغي :

قامت قيامة أهل الفقه اذ نودي ... بنعي شيخ الورى الفقيه مسعود
الوفقوى ابن احمد امام تقي ... نجم هدى ورضا وكعبة الجود
قد جل موته من رزء المصاب بـه ... اذ كان والله منا خير مفقود
رزء عظيم غدا في الدين ثلمه لا ... يكون طول مدى الدهر بمسدود
قد اظهر الدهر انجازا لموعده ... بالبؤس منه واخلافا لموعود
يا ايها السيد الارضى الامام ومن ... له يد في المعالي غير مجحود
خلفت بعدك وجدا لايريم ولا ... ينسيه لي جمع والد بمولود
افنيت عمرك رسم الدين مجتهدا ... لم تال جهدك في رصف وتشييد
لم يوذ فقدك يامولاي غير ندى ... ومنتدى علم مقصور وممدود
فالعلم في الغرب قد ءال لغربتـه ... والدرس مندرس ليس بموجـود
يامفردا علما بالرفع مشتهرا ... وواحدا صار جمعا عند تعديد
انفقت علمك في الاقراء منتدبا ... لله محتسبا اقراء تجويـد
احييت في الغرب علم الشرع فانبعثت ... للاستفادة منك أهل تسديد
وانتجعوك فنالوا منك كل منـى ... اذ وردوا غير مطروق وتصريـد
مسعود يبكيك أهل الفقر والشرفا ... كذاك أهل المعالي دون تفنيـد
علما بان ليس من بعدك مقريئهم ... نعم ويبكيك أيضا علم توحيـد
قد سعدت (اغلال) منك وابتهجت ... لما احبتك حبا غير معهـود
فافتخرت باحتلالك ومجدهـا ... بك ذوو العلم طرا اى تمجيد
فيابني العلم صبرا يابنيه فقـد ... فاز بقسط من الرحمان محمـود
عمت مصيبتنا لكن يحق لنا ... نلقى القضاء بتفويض وتحميد
تلك المنون سبيل الكل لا أحـد ... يسلم منها ومن يحظى بتخليد ؟

الى ءاخرها ، وقد اختصرنا منها اخيرا •

أولاده

للاستاذ من الاولاد الذكور اربعة :

١) محمد ، اخذ قليلا عن ابيه ، وفي مراكش ، فقد لازمنا هناك زمنا • ثم

تقلبت به الاحوال ، فكان رئيسا على أهله زمنا غير قليل

٢) احمد ، أخذ أيضا عن والده قليلا ، ثم عن الاستاذ احمد بن ابراهيم الوفقاوى القاضي في (تمانار) ، ثم لازمنا في مراكش ، حتى حصل تحصيلا ، وهو اليوم أستاذ في احدى المدارس الحكومية في (اينزكان) وهو ممتاز في اخلاقه وحسن مواخاته ، وفي طيب سريرته

٣) عبد الله ، أخذ اولا عن الاستاذ سيدى ابراهيم البعمرانى الذى قام بمدرسة (ايغيلالن) بعد سيدى الحاج مسعود ، ثم التحق بمراكش حيث يستتم الآن •

٤) مسعود ، هو اصغرهم ، يتابع دراسته في احدى المدارس الحديثة تحت حصانة أخيه احمد •

واما البنات فهن ثلاث ، تزوجهن من ذكرناهم بين الاخذين عن الاستاذ

قولة ابن الحبيب فيه

ومنهم الفقيه الامجد ، العلامة الاسعد ، سيدى الحاج مسعود بن احمد الوفقاوى ، اتفقت الخاصة والعامة على كمالاته ، وقامت الدعوى مصدرة بصدق جلالاته ، لايدرك شأوه في العلم والتدريس والحفظ والجود ، من عرفه عرف ان الناس في رجل ، والدهر في ساعة ، والارض في دار :

(فتى كملت أخلاقه وما ربه)

لاتحل به البأساء ولا الملائم ، ولاتاخذه في الله لومة لائم ، أخذ عن جلة الكرام ، ممن لهم في العلم قدم والمام ، واجازوه في العلوم على أنواعها ، تفسيرا وحديثا • وفقها ونحوا وأدبا وتاريخا ، الا أنه يحب الخمول ، ويكره ان يخاطب بالعالم ، ولما طلب الاجازة من شيخه سيدى على بن عبدالله الالغي ، اجازه وكتب له أبياتا ، نصها :

هذا وان العبد ليس لما به حليت اهلا من شفوف المقعد

(الى اخرها ، وقد تقدمت اثناء الترجمة وكذلك بعض جوابها من المترجم)

ثم قال : وقد كتب الى مرة ما صورته :

«••••وانه من الضعيف ، الطالب من ربه اللطيف ، غفران المساوى ، مسعود بن احمد الوفقاوى ، الى سيدنا وخليلنا الذى لاأجد له بديلا من خليل سيدى الفقيه العلامة ، الذى لايقابل بفضل الله بعلمه ، سيدى على بن الحبيب أحبكم الله وأعانكم ، واغناكم ، ووفقنا جميعا لما يرضاه ، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وعلى أهاليكم •

(وبعد : فلا باس يستدعى الشكوى للغير ، والباعث عليه الاعلام بالمودة المقتضية الدعاء من الجانبين للجانبين ، ومن لوازم المودة الالهية ان يقبل الحبيب حبيبه على اى حال كان عليه ، مع علمي بانكم اكثر منا محبة البناء فلما علم حامله ولدكم وولدنا محبة بذلك ، استشفع بى اليكم ، في أمر عرته العرواء عند ذكره اليكم ، وذلك مساعدتكم في كذا الخ ، وسلم منا على جميع الاخوة والاخوان والسلام)

اذا ضاق صدر الدهر ، فهو رحيب النادى ، وواسع الصدر للحاضر والبادى فاضل تزينت المجالس بمنظومه ومنثوره ، وحدائق العلوم مبتسمة بثغوره ، سمح السجية ، بسام العشية ، يجرى بحر الفضائل من بره ، ويعذب الورد للصدى بما يصدر من صدره ، ويفيض احسانه لراجيه وآمله ، وتبتدر الانام لتلقى عطايا أنامله ، وتتزاحم على سيب علومه ، تزاحم رقاب اعدائه على سيفه وخصومه •

وله مخاطبا لبعض تلامذته ، وقد نزل عليه سقف بيته بالمطر :

همام حليف الصبر لا تستفزه من السقف امطار وبل الدفاتر
على ان سقف البيت يرمي بنبعه وانت بالفاظ كنظم الجواهر
على ان سقف البيت لا شك ينقضي من الضر ما ابدى ، أدر المفاخر
شربت بكاس العلم عذب معينه وحليت حلى النحو زين الاكابر

سيدي محمد بن مبارك الوفقاوي

١٣٠٥ هـ = نحو ١٣٧٠ هـ

نسبـه :

محمد بن مبارك بن ابراهيم ، وهو ابن عم الاستاذ الحاج مسعود المتقدم وهو من فقهاء أيت وافقا النوازليين

متعلمـه

أخذ المترجم القرءان ببلده ، وفي (تاوييت) عن شيخ الجماعـة سيدى سعيد بن عبد المومن ، ثم افتتح الدراسة العلمية عند استاذ المدرسة الوفقاوية سيدى عبد الله الكرسيفي ، اخذ عنه الاجرومية مرات ، ثم انـتـقـل الى (تازاتوت) عند الحاج مسعود ثم كان عنده في (سيدى ميمون) بكسيمة ، ثم لما نجب ، طلب أعبو من الاستاذ ان يرسله اليه ، ليسرد عنده الحديث فـى رمضان ، ولم يبق هناك الا قليلا ، ثم انتقل الى المدرسة (الالغية) فبقـى فيها ثماني سنوات ، فهناك حصل ما حصل من الفنون ، وتحصيله وسط ، ولكنه بملازمته الاستاذ ابن عبد الله بعد ذلك تخرج فى النوازل بكثرة العمل ، فان الاستاذ يتخذه كمعاون وكرسول فى كل القضايا الوفقاوية ، ولاتخلو منهـا حضرة الاستاذ يوما واحدا ، بل تكون عنده عشرات ، ولذلك قال بعض الوفقاويين للاستاذ وهو يباسطه : أتريد ان نرتب لك كل سنة قالبا من السكر على كل دار ، فتزاول قضايانا مجانا ، فقال له بمباسطة مثلها : انني قد أتوصل فى قضية واحدة بمثل ذلك كله ، وفي كل هذه القضايا يقف فيها مـع الاستاذ صاحب الترجمة ، فيقوم مقامه على الحقول ، ويعاين الحدود ، وما أشبه ذلك فبهذا تخرج فى النوازل العملية ، والتوثيق حتى كانت له ملكة فى ذلك ، ثم لما توفى الاستاذ سنة : ١٣٤٧ هـ بقى يتردد فى بعض قضايا ربما يحكم فيها أو يستعين به فيها من يحكمون فيها ، لانه اكثر الناس اطلاعا على مختلـف القضايا وتطوراتها هناك ، وبعد الاحتلال لزم داره الى سنة ١٣٥٦هـ فعينته الحكومة ازاء الاستاذ سيدى الطاهر بن علي ، فهاهما ذان الآن يتمشيان فى ذلك .

وقد شارط في المدرسة الوفقاوية سنة واحدة ، ثم في مساجد اخرى من بلده ، هذا ما حدثني به عنه الناس ، واما انا فلم اعرفه الى الآن : ١٣٥٨هـ حتى احدث عنه بالعيان والمجالسة ، وقد حدثني الاستاذ سيدى عبد الله بن ابراهيم ان عندنا ثلاثة ، هم بانفسهم تواريخ تمشي فى مختلف النواحي المتعلقة بهذه البلاد ، فذكر والده ، والفقيه سيدى احمد أو الشلح الايسي ، وصاحب الترجمة .

اقول هذه شهادة كبيرة ، وأنا أتأسف جدا حيث لـم اتصل الى الآن بهذين كما اتصلت بالعم ، لاقيد عنهما ما نحن مدخروه لاحفادنا غدا ، مما يتعلق ببلدتنا هذه ، ونطلب من الله ان ييسر ذلك فى المستقبل ، وهو على كل شيء قدير

ثم انني بعدما كتبت ماتقدم ، اتصلت بالمترجم يوما في مجلس فرايته وسمعت كلامه ، وقد حضر فى محاورة حول كروية الارض ، فرايت منه ما هو مظنون من أمثاله ، وقد تساقط عليه بعض من لايتقون الله ، فشدخ راسه ، فحمل مغدورا . فبقي شهرا ، ثم لحق بربه ، والسبب هو المخاصمة على ماء واسم الضارب : ابراهيم بن المحفوظ ، وقد سجن لذلك سنتين ، ولايزال حيا الان . وتحرير وقت موته بالضبط ليس عندى الان ، فاما قبل ١٣٧٠هـ بقليل او بعده بقليل رحمه الله

الحاج

احمد نيت اوبريك الوفقاوى

شعبان : ١٢٨٨ هـ = ليلة : ١٢ ـ ٨ ـ ١٣٦٤ هـ

...ooo...

نسبه :

احمد بن ابراهيم بن محمد ـ فتحا ـ بن مبارك بن ابراهيم بن سعيد ابن محمد بن سعيد بن موسى .

هذا فقيه آخر من هذه القبيلة ، نشأ من أسرة أبناء الحاج ، وأصل الاسرة من (تيويسن) من وادى الجبل ببعقيلة .

متعلمه

أخذ القرآن عن والده فى مسجد (ازدوال) بمجاط ، ثم أخذ عن الاستاذ اكيك فى (تانكرت) وعن سيدى الطاهر بن محمد هناك أيضا ، وعن سيدى محمد الفقيه الوافاماني فى (بومروان) فعن هؤلاء أخذ اخذا ليس بمتسع

متقلباته

لازم حضرة الاستاذ على بن عبد الله سنين كثيرة ، وهو شيخه فى الطريقة وفى النوازل ، فكان العضد الايمن للاستاذ فى القضايا التى يحكم فيها ، وفى القيام على حدود الاراضى ، وفى قسم التركات ، وكان يلازم مع ذلك تعليم القرآن فى مسجد (تافكاغت) حيث شارط ، ثم بعد وفاة الاستاذ صار يتردد على خلفه سيدى المدنى فى ذلك ، حتى دهم الاحتلال ، فانكمش كما انكمش كل الفقهاء امثاله ، وقد كان أدى فريضة حجه فى شبيبته ، وهوهادئ ساكن ، كما حكى لى عنه لانى لااعرفه .

تأبينه

صار شيخا مسنا ، فطاول الحياة الى ان توفى فى سنة ١٣٦٤هـ فتيسر لى ان قلت فيه مما ارسلته الى ولده سيدى عبد الله .

احقا مضى ذاك الفقيه المسدد	ومن كان فى سوق النوازل يحمد
مضى طاهر الاذيال لا تستفزه	براطيل من للجور فى الحكم يقصد
ولكن لنا من نجله خلف ومن	له خلف من بعده فمخلد
فذا انت عبد الله أفضل قائم	لنا ان مضى نحو الفراديس احمد
قدم للمعالى والمعارف مشرقا	كما كنت قبل اليوم والناس شهد
فما مات من ابقى نظيرك عالما	له بصر بين الفنون محدد

ورثاه الاديب سيدى محمد بن على الالغى بالابيات الاتية بعد ماكتب مايلى اما توفى السيد الصوفى اويسى زمانه ، واياسى اوانه ، الكاتب اللبيب والاخ الحبيب ، صديق أسلافنا وصديقنا ، وعيبة اسرارهم وبطانتهم ، الاديب الحسوبى المشارك ، سيدى الحاج احمد بن ابراهيم البعقيلى أصلا ، الوفقاوى منشأ ووطنا ، بموضع (ايكيليز) بأيت او الشريف رحمه الله وعظم الاجر فى مصابه ، وفسح عليه فى بحبوحة جنانه . قال الكاتب فى مرثيته ، وتعزية ابنه الارضى الفقيه المفوه ، سيدى عبد الله ابن الحاج أحمد ، الهمه الله الصبر وثبت له الاجر ، ما نصه :

سيدنا الحاج احمد الرضا العلم	مات فمات الحيا والدين والكرم
مات الوفاء وصدق الود واتقدت	نار تشب بها فى اضلعى ضرم
يا عجبا الفؤاد شفه لهب	محلل فيه مذ بانوا ومذ صرموا
عهدى به ما به كفر ولا دخل	ولا نفاق لمن ودهم حرم
الموت سيف له حد يجرده	على الخلائق لم يشبع له قرم
فما نجى منه سوقة ولا ملك	وان حوى حازما ما قد حوى ارم
صبرا وان كان مرا فادحا جللا	عبد الاله فان الصبر معتصم
فيك الكفاية انت المفرد العلم	والسيد الشهم لانكس ولا برم
فالله رب رؤوف بالعباد فما	يرجو سواه عبيد ان هم جرموا
فالله يرحمه وكيف لا وله	بزورة المصطفى وبيته الحرم

ثم رثاه الفقيه المفوه المدره النجيب المدرس سيدى المدنى بن على بمانصه:

هذا مصاب كوى اكباد من طرقا	اسماعه لهيا يشوى الحشا حرقا
اصم آذان هذا الكون مذ نفقت	أسواقه فلهيب الحزن قد نفقا
رزء جليل اتيح للورى عمم	قد هد اركان هذا الدين قد طرقا
والدهر ديدنه قد ما ينغص ما	صفا ويقذى عيونا كيفما اتفقا

هذا ما وجد فى القصيدة وهى اكثر من هذا .

احمد بن مبارك الوفقاوي

نحو : ١٣٠٢ هـ = ربيع الاول ١٣٥٩ هـ

نسبــه :

أحمــد بن مبــارك من آل الشريف ـ قريــــة من قرى الوفقاويــين وامه بنت احمد ارجدال

أخذ القرآن فى بلده حتى حفظه ، ثم مر باستاذ جهة المعدر ، ثم التحق بالعلامة سيدى الحاج مسعود ، منذ كان فى (أيت باها) قبل ان يشارط فى (ايكونكا) ، لازمه سنين كثيرة ، وهو من اوائل اصحابه ، وقد ذكر عارفوه انه نجيب محصل . درس الفنون كلها مرات ، وحين تخرج شارط فــى مدرسة (سيدى مزال)فى (أيتايلوكان) ، ثلاثة أعوام ، ثم فى مسجد (تاكادير نعبادو) فى قبيلة ما سكينة سنتين ، وفى هذا المحل اتصل به الاستاذ القاضى سيدى أحمد بن ابراهيم الاتى ، وذلك فى نحو صفر ١٣٥٣هـ فتعلم من عنده القرءان لانه شغله فى هذا المسجد ، بعدما درس العلوم حين كان فى تلك المدرسة ، ثم افتتح متجرا فىسوق (اينزكان) (١٣٥٥) هـ حيث بقى حتى توفى ، وقد ساقه اجله الى قرية (تاكادير) لقضاء بعض شؤونه عند اصهاره هناك ، لانه اقترن ببنتهم حين شارط عندهم ، فدفن هناك

قال عارفه : كان رجلا دزينا متدينا حييا ، وقد ورث من والــده الفقير مبارك الذى هو من أصحاب الشيخ الالغى ، حتى انه لايسمي الا بالدرقاوى، وكان فى مسلاخ المتجردين ، وان كان يعد من المنتسبين ، وقد مات هذا الاب قبل الابن بنحو عشر سنين

اسم هذه القرية بلفظ الشلحة (أيت او الشريف) ، وهناك مدفن سيد يسمى سيدى محمد ـ فتحا ـ ويضاف الى (توفاسور) وهو اسم الساحة التى دفن فيها ، ولعله هو الشريف ، فنسبت اليه القرية

سيدى احمد الوفقاوي القاضى

نحو : ١٣٤٠ هـ = حــى

نسبــه :

احمد بن ابراهيم بن على بن حمو بن احمد (ارجدال)

ورد الجد الاعلى احمد أرجدال هذا من (أسا) من القبيلة العربية الهلالية القاطنة هناك ، وتعلم الان بأيت اوسا ، وهى قبيلة عظيمة لها رؤساء مشهورون هناك من اوائل هذا القرن القائد الربانى بن حمدى ابن : جما ويسى ، الــذى كانت الزاوية المنسوبة هناك الى الشيخ سيدى يعزى وهدى المتوفى : ٧٢٦هـ مضافة الى ايالته ، وهو من فخذ تسمى (ادحمو اوعلى) ويذكر هذا القائد بعض ودين من جيرانه ، وقد توفى فى رمضان : ١٣٦٠هـ وقد كان رئيسا قبليا قبل الاحتلال ، لتلك الجهة الواقع : ١٣٥٢ وقد خلفه الان القائد بوزيد بن الربانى وقد اشتهر كابيه باكرام كل طارق حتى انه ليقال انه كابيه ، لايزال يحافظ على عادة كرماء العرب من ايقاد النار على اليفاع ليلا ، لهدى السارين اليوم ، ولاهل الربانى ثروة عظيمة من الابل ، تنيف على الالف فيما ذكر لنا ، وقد زكوا فى هذا العام بخمسين جملا ، والرياسة قبل هذين فى الشيخ على الهلم الاسرى جدهما ، وهناك ازاء (ءال الربانى) قائد آخر : محمد بن العربى ، على (داومليل) لايزال حيا ، ورث الرياسة أيضا عن ءابائه ، كنظيره المتقدم ، وفى هاتين الاسرتين رياسة (ايت اوسا) الان ، وقد سمعنا بان هناك عقدا فيه حماية اهل (الغ) وبهذا يعرف اتصال ءال الغ بتلك الناحية قبل اليوم ، ولعل ذلك الاتصال هو الحادى لجد المترجم ، حتى انتقل من تلك الصحراء الى الغ ، فنطق من قبيلة الوفقاويين ، فأدرك بينهم سمعة لاتزال تدوى الى الان ، وقد اشتهر بانه اكل كثيرا فى قرية (أمالوأوسرك) ، وهو من أهل اواسط القرن الماضى ، وقد قفى والده حمو حياته عادية ، وكذلك على حفيده ، الا انه ترك ولدين لهما مكانة ، فالحاج مبارك ، ممنأعمل قدمهحتى حج ، فى عصر لايحجفيه الاالمقدمون من اصحاب الهمم ، ثم انقطع فى تونس الى ان وافاه هناك اجله ، وقد مــر بالقرآن مرورا ، وأما ابراهيم والد مترجمنا ، فانه من حفظة كتاباللهالمتقنين اياه فى مسجد المعدر عند احد بلديه ، ثم صار يشارط فى مساجد قبيلته فاشتهر بحال حسنة محترما مبجلا ، يقصده الناس لتحرير رسومهم لثقته وعدالته بينهم ، وقد انسنا منه ظاهرة سنية حين سمى اولاده باحمد وابى

بكر ، وعمر وعثمان وعلى ، هذه السلسلة المباركة ، وهى ظاهرة تدل على انه مشغوف بالسنة • واكبار رجالات الدين الاولين ، فقد اتم الله امنيته فـــى اولاده ، فنشأوا شببة يتطلعون الى المعالى ، على قدر بيئتهم ، ويقودهم أكبرهم احمد المترجم ، فيسير الاخرون اليوم وراء أحمد بن ابراهيم مترجمنا هذا ، كما كان الخلفاء الاربعة أمس وراء احمد بن عبد الله صلى الله علـيـه وسلم وقد توفي ابراهيم اخيرا : ١٣٦٥ هـ

منشأه وأخـذه للقرآن

رأيت الآن ماهى أسرة الاستاذ القاضى سيدى أحمد الوفقاوى ، وهى أسرة لها ما لها ، فلنر الآن كيف هـذا الفرع الطيب ؟ وهل تكون الفروع الا طبق الاصول •

أخذ القرآن أولا عن والده ، وعليه أتقن حفظه ، وجود عليه تسع ختمات فى مساجد القبيلة الوفقاوية التى كان يشارط فيها أو فى دارهم ان كان شاغرا من المشارطة ، ثم انتقل الى قرية (تاكاديرت) من قبيلة : ما سكينة ، فـلازم الاستاذ سيدى أحمد بن مبارك الوفقاوى ـ المذكور قبله ـ المشارط هـنـاك فأخذ عنه ختمتين اخريين •

هذان هما استاذا المترجم فى القرءان ، ولم يعدهما الى غيرهما

في مناغاة العلوم العربية

القى المترجم جرانه امام العلامة سيدى الحاج مسعود ، فـى مـدرسة (ايغيلالن) من ١٣٥٥هـ فتدرج فى اخذ الفنون ، ولازم غاية الملازمة ، لان الاستاذ كان يلزه ويضغط عليه ، ويريد له التفوق لما بينهما من الرحم ، فان المترجم من اخوال الاستاذ ، وقد كفله كفالة تامة ، فيكسوه ويمونه ويربيه ، زيادة على تعليمه ، فلم تمض سنوات حتى تفوق على يده ، وكرع من حياض النحو وكل العلوم العربية ، والفقه والحديث ، فقد مرعلى المتون مرورا متعددا ، حتى انه مر بالالفية أربع عشرة مرة ، وعلى ذلك فليقس ، ولاريب ان من ثافن البحر الزاخر ، كسيدى الحاج مسعود ، ولازمه ملازمة تامة ، وكان فى مثل حدةذهن سيدى احمد الوفقاوى ، سيكون فطحلا عظيما ، وفحلا لايشق غباره ، وكذلك كان ، فتكشف عن جهبذ محصل ، وعلامة متمكن ، علمه معه اينما سار وهوذا لايزال حيا ، فعينه فراره :

ومن يقـل قـولـه او زوره   قلت له الامام تحت الشجرة (١)

١) يحكون ان ذيبا رأى ديكا فوق عال ، فناداه انزل أيها المؤذن لنصلى ، فقال أيقظ الامام من تحت تلك الشجرة ، فوجد سلوقيا ، فقفز هاربا منـه فنظم بعض الصحراويين مغزى المثل فى البيت •

يشارط في مسجد آيت ماعلا

كان الغلاء المفرط الشديد سنة : ١٣٦٤هـ حين بلغت (العبرة) من الشعير الذى هو جل معيشة اهل سوس ، نحو الف فرنك ، فاثر ذلك فى المدارس الى ان وقعت الفاقة فى ضعفة من فقراء الطلبة فى مدرسة (ايغيلالن) فتفرق بعضهم ، وغادروا مجلس استاذهم الى حيث يتمصصون ما يسدون به ارماقهم ومن بين المغادرين : المترجم الذى تسلل وان لم يودعه الاستاذ بخاطره ، لانه كان العمدة الكبرى فى تعليم المبتدئين من الطلبة ، فهل ينتظر من رب المدرسة ان يسلم فى العمدة الكبرى فى ذلك التعليم ؟ ولكن الواقع انه انطلق فشارط فى مسجد أيت (ماعلا) مـن قبيلة (أيـت سمك) وهو مسجد كبير مشهور ، لايشارط فيه الا الاساتذة الكبار ، فقام الاستاذ بتعليم القرءان ، ثم أبت همته العليا الا ان يضم الى ذلك دراسة الفنون لثلة من الطلبة ، لازموه عامـيـن ، فنجبوا على يديه غاية النجابة ، ولو كان الاستاذ ممن يقنعون بتحصيل الفنون التى يهتبل بها السيوسيون لقبع فى محله ، ولكن الاستاذ العزوف الانوف الطلعة ، لايرتضى الا ان يضم علوما اخرى من الحواضر الى ماكان القفه فى سوس

عندنا في الحمراء

كنت عرفت الاستاذ من الغ حيث زارنى ومد الى قصيدة مطلعها :

اما سيدى أطلق عنانى اطالع   لعل ان ارقى لاوج المطالــع

نكتفى منها بهذا المطلع ، والرسالة تقرأ من عنوانها :

ثم اتصل التعارف حتى انتقل الينا فى الحمراء (١٣٦٦هـ) بعدما قضى سنتين فى المشارطة ، فثابر بهمته القعساء ، فاخذ البيان والاصول ، والمنطق والحديث والادب ، ولو كان ممن يكبون على المطالعة لكان فذا عظيما ، ولكنه يقنع بما ياخذ ، ومع ذلك ، تكشف عن علامة مشارك ، مضطلع بما استفاد ويزعم أنه تاثر ببيئتنا حتى فى فنونه التى كان أخذها من سوس ، كالنحو والفقه ، وحقيقة صارت مرآته تزداد صفاء ، فعاد مفكرا يدرك العصر الحاضر ومتطلباته ، ويكاد ينكر ما مضى له قبل ان يتصل ببيئتنا ، لازمنـا ثلاث سنوات ، ثم دقت ساعته ، فولى وجهه شطر التعليم ، وهل يليق للتعليم الا مثل الاستاذ سيدى احمد الوفقاوى العلامة المحصل ؟

في مدرسة (تمانار) بحاحة

فى سنة : ١٣٦٩هـ وصلت اسلاكه بتلك المدرسة التى افاض فيها مـن معارفه ما افاض ، فقام بهمة عظيمة ، وبعزيمة نادرة النظير ، فى تعليم الطبقات

التى انتظمت امامه ، فادرك الطلبة عنده حوالى ٤٠ طالبا ، فلم ينشب ان تجلت للعيون ءاثار تعليمه فى نجباء اصحابه ، وتهذيبه لمن يحلقون حوله ، ولو كان الدهر يساعف امثاله من ذوى الهمم ، وممن لهم مكانة عليا فى التمكن من المعارف ، لكان الاولى ان لايزايل صفته هذه ، ولكن ، ولكن . ولكن.

تاجر في البيضاء

انقلب المغرب رأسا على عقب ، بعدما طاف بعرش الملك المحبوب سيدى محمد بن يوسف ما طاف ، فكان لابد لامثال الاستاذ ان يختار لنفسه احد الطريقين ، اما الصراط المستقيم الذى فيه سلامة العرض والدين والجسم بشرط ان يصبر على لاواء الدهر ، وعلى تقلبات الاحوال المعاشية، واماالترهة(١) التى فيها ما فيها من مماشاة الوقت ، والولوج من كل باب ، ولباس لكل لبوس فيتطور مع الدهر كيفما تطور ، ويقول بلسانه ما يخالف مافى ضميره .

أترى الاستاذ سيدى احمد الوفقاوى اللبيب الجسور يختار كعادة امثاله الطيبى النفوس المفكرين العارفين بزمانهم ، غير الصراط المستقيم الذى لاعوج فيه ولا أمت ، وكذلك فعل ، فلم يلبث ان طلق تلك المدرسة ، وطلق خطبة الجمعة فيها ، لئلا يذكر بلسانه فيها ابن عرفة ، فالتحق بالبيضاء ، بالبضاعة التى فضلت من اجرة مشارطته ، فها هو ذا الان بيضاوى له دكان ، وقد تزوج اوائل ١٣٧٤ هـ فحمد ما فعل ، وان كان انما ركب هذا المركب الوعر مرغما :

اذا لم يكن الا الاسنة مركب   فلا رأى للمضطر الا ركوبها

في القيادة

جاء الاستقلال ، فاستطاع كل من كان ناكصا على عقبه فى حين الازمة أن يظهر ، فحاول المترجم الذى كان يمت الى ذلك باعراضه عن الخطبة بابن عرفة أن يتعالى هو ايضا الى رتبة ، فاتصل به أهل (تماتار) الحاحيون الذين كانوا مشاهدين منه ذلك الموقف الذى تجلى فيه اباؤه ، فتطلبوا منه أن يكون قائدا عليهم ، فتيسر ذلك حيث بقى شهورا ، لاقى فيها ما لاقى بين الانياب والاظفار ، ومشاكل الرياسة غير مشاكل الاستاذية ، فاخذ ايضا درسا ءاخر فى الحياة لم يكن لياخذه لولا ماكان .

---

١) الترهة : الطريقة التى لا تكاد تبين ازاء المحجة ، وهى بضم التاء وفتح الراء المشددة .

في القضاء

ثم انتقل من وزارة الداخلية — حيث القيادة — الى وزارة العدل ، فتعين قاضيا فى (الشياظمة) حيث بقى نحو عام ، ثم فى (سكتانة) بتالوين حيث هو . ثم نقل الى (ايغرم) حيث هو الان ١٣٨٠هـ

منه واليه في الادبيات

كان اكثر لداته المسعوديين استحضارا للادبيات انشادا ، وربما تعاطى ـها انشاء ، فمما حضر الان من ذلك ما خاطبنى به وانا لاازال فى الغ نحو ١٣٦٠هـ :

لك الله مـن فـذ يفوز بـرضوان   ويحرز خصل السبق فى كل ميدان
لقد زخرت منك العلوم باسرهـا   تخوض فتاتينا بدر ومرجان
ولا غرو ان الفرع قد طاب أصله   وماشبل خفان سوى ليث خفان(١)
فعزكم مـوطـد بعلومـكـم   وسطوتكم تعلو على كل سلطان
امالكم فضل بـكـل فضيلة   مفوفة كالزهر فى وسط بستان؟
فما منكم الا عزيز ممـجـد   مهيب متى يلحظكم اى انسان
ابا سيدى المختار كيف ابين عن   مقامكم عندى فقد ضاق تبيانى ؟

فاجبته بقولى بديهة :

هنانيك لاتصكك صماخى ببهتان   متى كان للمختار ياقوم من شان؟
فالله عمن كان يقزل (٢) خلف من   يجلى ويحجى محرزا خصل ميدان
فما كان الاابن الوجار (٣) لمن دروا   ويحسبه من ليس يدرى ابن خفان
فاى علوم نـال غير مصوح   هشيم الجنى ما ان يهش له جان
نعم كان مهتما ولكن تقاصرت   خطاه فلم تدرك له القصد رجلان
فماذا يفيد الاصل قد طاب ان يكن   له الفرع غصنا قد ذوى بين اغصان
دعونى دعونى اننى قد عرفتـنـى   فاذنان منى تسمعان وعينان
فما هـو اولى ان اكـن ذا بصيرة   ايقان نفسى ام ظنـون لاخـوان ؟
الجهل نفسى ثم احسب عاقلا   فماذا ترى من ذين رجحان ميزان؟
سوى ان اخوانى يقيسوننى عـلى   محاسنهم والود يـغـرى باحسان
على اننى ارجـو وفاق ظنونهـم   مقاما بفضل الله ربـى ورضوان
واعلى مقام ارتجى ان اعيش فـى   رغيد وان القى الاهى بغفران

---

١) بفتح الخاء وتشديد الفاء ، من محلات الاسود فى بلاد العرب .
٢) أقزل محركا : اقبح العرج
٣) وجار الثعلب بالكسر : مسكنه

وقد كان انقطع عني اوائل رمضان : ١٣٧٤هـ فكتبت اليه ارتجالا – اداعبه –

فراقا وبينا مستداما وغضبة ... مذيلة لاتنقضي امد الدهر
فما اقترفت كفاك من طول غيبة ... ففوق الذي من حقه غضبة الشهر
فلست اذا ما كنت أقبل بعدها ... لقاءك بالاغضاء بالرجل الحر
فها انذا خلدت فعلتك التي ... اثور بها غضبان في قطعة الشعر
لتبقى على الايام بندا مرفرفا ... عليك يراها الناس مادمت في العمر
فانت الذي اوقدت جمرة غضبتي ... فكن وحدك المشوي في ذلك الجمر

ثم اتبعت ذلك قولي :

الى الى لست غضبان لا ولا ... تاثرت الا انني تهت في الشعر
فما انت الا ذلك الولد الذي ... تغلغل حتى كنت هاجسة الفكر
وكيف أرى غضبان عنك وانت من ... يشحذ سيفي ان يفلل من الغير
فتق بفؤاد فيه صورتك التي ... يجللها الاجلال مني بالشكر

سيدي

عبد الله بن احمد الوفقاوي

١٣٣٢ هـ = حي

نسبه :

عبد الله بن بن ابراهيم بن محمد ، فتحا ، بن مبارك بن ابراهيم بن سعيد ابن محمد بن سعيد بن موسى

هذا من النشء الالغي الذي نشأ أخيرا في هذا السهل ، فظهر بعلمه واوبه ، فكان له مقام محمود في جيله ، فلم ينشب ان برز الى الميدان ، فكان له ما كان .

مشيخته

أخذ القرءان عن والده الحاج نيت اوبريك – المتقدم قريبا – في مسجد (ناكاكات) حتى ختم عليه اربع ختمات ، ثم عن الاستاذ احمد بن محمد الوماناري ، في مدرسة (بومروان) كان يعلم القرءان تحت نظر الفقيه سيدي عبد الله بن محمد الاناموري الوليلي السملالي – الذي كان استاذ المدرسة – والعادة ان يكون استاذ العلوم ، وأستاذ القرءان فيها تحت نظره – واحمد هذا من المدرين الذين يملأون اوقاتهم دائما في المساجد بتعليم القرءان كالاف امثاله في ذلك الجيل في كل مسجد في أية قرية بسوس ، ثم انتقل الى الحوز واماه حيا الان : شوال ١٣٧٨هـ وقد ختم عليه ختمتين

وفي سنة ١٣٤٧هـ افتتح عند الاستاذ الحاج مسعود في (ايفيلالن) ثم لازمه من هذه السنة الى : ١٣٥٩هـ ، فمر على جميع المتون ، وحصل غالبها فيها من الفنون ، نحوا ولغة وفقها وفرائض وحسابا ، وحديثا وتفسيرا وادبا وقد حفظ من المتون ما يعهد حفظه ، كالالفية والتحفة ، والرسموكية في الفرائض ، والسملالية في الحساب ، وقصائد أدبية ، فضلا عن المتون الصغيرة

بعد التخرج

اتصل بمحكمة القاضي السيد الحبيب المتقال ، السويري في (اينزكان)

كاتبا فبقي هناك سنتين ، ثم رجع الى مسقط راسه ، فشارك في المدرسة (الوفقاوية) سنة : ١٣٦١هـ فبقي فيها الى سنة : ١٣٧٢هـ ولكنه لايزاول التعليم فيها الا قليلا ، لان من أعماله المنوطة به : مزاولة شؤون قبيلته الوفقاوية الكتابية الرسمية ، في قسم الاملاك والفرائض بين الورثة ، ويحضر يوم حكومة اهل قبيلته الرسمي ، فكان يستخلف في المدرسة الاستاذ مباركا الاتي ذكره ، فبهذا امتلأت العشر السنوات التي قضاها هناك ، وكان يرافق العلامة سيدي الطاهر بن علي في هذا العمل طوال تلك السنين ، وقد فارق المدرسة ١٣٧٢هـ فاستقل بهذا العمل وحده ، الى ان جاء الاستقلال ، فاستقبل عهدا اخر اختبط فيه ماشاء الله ، حتى تعين القاضي الشرعي في (تافراوت) فكان احد عمد محكمته الى الآن : ١٣٧٨هـ

كانت لي به معرفة ايام كنت في منفاي الى الغ ، فكان يرد علي ، كما كنت وردت عليه يوما في مدرسته ، فتصفحت كتبا وجدتها عنده ، وقد وجدته في مذكراتي عن ذلك النهار ولا ادري هل انشدهالي او نقلتها من تلك الكتب

رغيف ابي علي حل خوفا   من الاضياف من فوق السماك
اذا كسروا رغيف ابي علي   بكى يبكي بكاء فهو باك

آخر :

غضب الكريم وان تاجج نارها   كدخان عود ليس فيه سواد

آخر :

لقد ضيعت حظك من وصالي   وبعت بابخس الاثمان كنزا
فكيف رضيت يا هذا بدوني   وقربك من جنابي كان عزا
ستعرفني اذا جربت غيري   وتعلم انني لك كنت حرزا

آخر :

واذا رايت العبد يهرب ثم لم   يطلب فمولى العبد كان الهاربا

من منشداته

جاذبته يوما في اختلاف الوجهات بين الناس ، فانشد هذا الشطر :

«وللناس فيما يعشقون مذاهب»

كما أنشد أيضا :   «وحكمة ربي في اختلاف المشارب»

كما انشد أيضا :   وقد اهرقت كاس بيننا ... البيت المشهور

شربنا واهرقنا على الارض فضلة   وللارض من كاس الكرام نصيب

كما انشد أيضا البيت الشهير :

لقد اسمعت لو ناديت حيا   ولكن لا حياة لمن تنادي

وبعده :

فلو في النار تنفخ لاستنارت   ولكن أنت تنفخ في الرماد

وكان هذا المعنى سببا حتى انشد قول المتنبي :

اعيذها نظرات منك صادقة   ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع اخي الدنيا بناظره   اذا استوت عنده الانوار والظلم

مبارك بن احمد الوفقـاوى

١٣٣٨هـ = حـــى

نسبـه :

مبارك بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد – فتحا – بن احمد بـــن ابراهيم بن احمد بن حمو بن احمد

ويقال لاهله (بنو العكيد) كما يقال لهم ايضا ايت همو بن احمد ، مـن قرية (اعلى مستالات) واصل الاسرة من (اسا) وقد سكن اجدادهم اولا فى قرية (اغرابو) فقيه من فقهاء جيله فى تلك القبيلة التى لاتبـض بالعلماء الا بمقدار

متعلمـه

اخذ القرءان عن الاستاذ عبد الله بن احمد الدفلاوى السملالى – من ءال يعزى المخرج لكثيرين – فى مسجدهم بمسقط راسه ، ثم الاستاذ محمد بن احمد الاخصاصى ، ثم الاستاذ محمد بن احمد من بنى المؤذن ، ثـم الاستاذ محمد بن احمد الزيمامى السملالى ، فحفظ القرءان بسبع ختمات ، وبهم جمع القرءان كله فى ختمات ثم افتتح المبادىء عند الاستاذ اليزيدى احمد ابــن الحاج محمد فلازمه نحو سنتين ثم لما فارق الاستاذ اليزيدى المدرسة المولودية التحق هو بالمدرسة (الالغية) ١٣٥٣هـ ، عند الاستاذ سيدى المدنى بن على ، فربض عنده ثلاث سنين ، ثم اتصل ايضا بالاستاذ ابى العباس اليزيـدى المتقدم فى المدرسة (الوفقاوية) ثم بالاستاذ احمد التاجارمونتى فيها ، ثـم التحق بالمدرسة (الايغشانية) عند سيدى الطاهر بن على ، وكان ينوب عنه فى التدريس الاستاذ على بن صالح الاوفقيرى ، وقد الم حينا بالمدرسة (البومروانيه) عند استاذها الرجل الصالح سيدى عبد الله بن محمد الايكدمانى ، ثم لازم المدرسة (الجشتيمية) عند الاستاذ اليزيدى المتقدم اربع سنين ، الى ان توفى فهذه متعلماته ، وهؤلاء اساتذته

مشارطاته

رايت فى ترجمة سيدى عبد الله بن احمد انه كان استخلفه كنائب عنه لمزاول التعليم فى المدرسة (الوفقاوية) سنة ١٣٦٧هـ ثم بعد ان كان هو الوارث للمدرسة من ١٣٥٥هـ الى ١٣٧٢هـ فكان يدرس دائما فى هذه السنين لثلة من الطلبة ، ثم استقل بالمدرسة حينا ، وقد كان يالف التعليم فى الجشتيمية باذن استاذه اليزيدى .

توظفه

ثم بعد الاستقلال كان عضوا مستشارا فى محكمة قاضى السداد الى ان عين كاتب الضبط فى المحكمة الشرعية هناك ، وهو على ذلك الان ١٣٧٩هـ

الرئيس ابراهيم بن داود

٦ - ١٣٠٧ هـ = حـــى

نسبــه :

ابراهيم بن محمد بن داود بن الحسين بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن وشعا .

القبيلة الوفقاوية مشهورة فى هذا البسيط بهذا الاسم منذ ٤٠٠ سنة وقد ورد ذكرها فى القبائل التى مانت مولاى احمد المنصور الذهبى وجيشه فى الغ ، كما ذكرت فيه أيضا القبيلة الايغشانية بهذا الاسم وبوصف الحربيلية ولهذه القبيلة الوفقاوية قناة قلما تلين لغامز ، وكثيرا ما تجرى بينها وبين جيرانها حروب منها ما وقع بينها وبين الحربيليين ، حين انتهب اولئك حصنهم ذلك العالى المبنى فى القنة الوسطى من الجبل المشرف على الغ غربيا ، وعن جنوب المدرسة الوفقاوية ، وقد اشتهر ذلك الانتهاب ، وهناك انسان يسمى انكور ، كان اندفع منه وهو متلو بصوف ، فحفظ من الانكسار ، ثم كالوا لآل (تاكانزا) صاعا بصاع ، فانتهبوا أيضا حصنهم ، وذلك كله لايزال متداولا وان كان مفلتا من قيود التاريخ

ومن الوقائع المشهورة بينهم فى اول هذا القرن :

ان الوفقاويين احتالوا فارادوا ان ينهبوا (تاكانزا) بخديعة ، فذهبوا مع عروس مزفوفة من عندهم بجماعة كثيرة ، بينها (٢٥) مـن السملاليين ، فسبق الخبر الى التاكانزيين بوساطة بعض آل (انكيفا) كان استقى الخبر من أم العروس ، وهى تتافف على ما تسبج حول عرس ابنتها ، فاوعز بالخبر الى الحاج ابراهيم فاغاث آل (تاكانزا) باهله وبأصحابه الامانوزيين ، فيهـم (١٢) فارسا ، فحين وصل الوفقاويون بالعروس لم يخرج اليهم التاكانزيون ولالاقوهم بالترحاب على العادة ، وانما ارسلوا اليهم الطعام ، فعلم الآخرون بافتضاح الدسيسة ، فرجعوا فى الحافرة ، وقد خاب مسعاهم .

وقد جرت أيضا حرب بسبب هذه القبيلة بين بعض المجاطيين ورئيسهم : الحسين ابن الحاج جد على الايشلحينى ، وبين الشريف التازاروالتى سيدى الحسين ، وذلك حوالى ٨٠ فى القرن الماضى ، لان سيدى الحسين غـرم ءال (تاغلولو) خمس ريالات للدار ، فاحب ان يمثل ذلك الدور أيضا فى هذهالقبيلة

فقام هذاالمغوار دونها ، وكانت هذهالقبيلةتثورالحرب بينها وبين سملالة احيانا وكانت مجاط دائما من شيعة الوفقاويين ، وقد كانت حرب نحو : ١٢٨٧هـ على بعض القرى بينهم ثم حرب الاربع سنوات المشهورة بالحرب الايغشانية السملالية ، وقد الممنا بها فى ترجمة الرئيس الايغشانى ، وهى التى استمرت اربعة أعوام متوالية ، تحمل فيها الوفقاويون ما تحملوا ، خصوصا يوم فتحوا التخوم بينهم وبين جيرانهم ، وكذلك دارت تلك الحرب الوفقاوية الايغشانية ١٣١١هـ = ١٣١٥هـ وقد ذكرناها فى ترجمة الحاج ابراهيم الاتية ، وفى : ١٣٢٨هـ انقض السملاليون فى سوق الجمعة على محمد الملقب بوفوس الكشوضى من قرية (ءايت اوالشريف) فاعتقلوه ثم اطلقوه ، فجاء هذا الى الشيخ الالغى يبكى عليه ، قال العم ، فسمعت الوفقاوى يقول له : والله لنقيمن نحن أيضا سوقا أخرى ، وبعد نحو أربع سنوات ، اقيمت سوق الخميس الوفقاوية نحو: ١٣٣٥هـ فقامت العداوة بين أيت وافقا وسملالة ، فانكف كل فريق عن سوق الاخر ، وفى نحو ١٣٥٠هـ قامت بينهم حرب عنيفة ، جاء مربيه ربه فهدنهـا ولم يلبث الاحتلال ان جاء ، فاستوى الماء والخشبة

وأخبرنى العم ان من العجيب ان ذوى التحدث بالغيب كثيرا ما يقولون : ان سوقا ستقام هناك ولا بد ، قال واعرف انسانا يسمى : الطاهر بن ابراهيم يسكن بالربوة المطلة على مشهد لالاتعزى ، يقول ذلك . وهو رجل صالح ، كان غريب الاحوال ، وهو خال الفقيه سيدى سعيد بن على الاعضياوى ، ومات نحو ١٣٢٠هـ

وقد كانت سوق قديمة تقام فى قرية (أغرابو) فى محل لايزال يسمى (السوق) الى الآن يوم الجمعة ، وسبب انهدامها ان رجلا من التاكانزيين واعده وفقاوى أن يتسوق ، فاذا بآخرين القوا عليه القبض بسبب ما بينهم وبين ءال (تاكانزا) ، فقامت الحرب بين الوفقاويين حتى سقط كثيرون ، فانقطعتالسوق بذلك ، وهذا نحو ١٢٨٠هـ أو بعدها بقليل

ويقال ان المكيال الذى يضاف لسوق الجمعة وفيه أربع آصع ، أصلهمن هذه السوق الوفقاوية ، قبل سوق الجمعة السملالية التى ما أقيمت الا سنة ١٢٩٩هـ

ذلك ما تحدث به العم قائلا : انه يعقل ذلك المكيال قبل : ١٢٩٩هـ ويزعم المترجم انمكيال تلك السوق اصغر من ذلك .

هذه نظرة على هذه القبيلة فى أمورها الخارجية ، وهى فى الحقيقة قد اندمجت اخيرا فى الكتلة المجاطية ، يجرى عليها قانون المجاطيين ، الا انها قدرت ان تتملص مما أصاب مجاط فى الايام الاولى للحاحيين ، اذ انضمتأيام

النفلوسيين ، الى الكتلة الولتيتية .

واما امورها الداخلية ، فانها كانت تنقسم الى قسمين كبيرين : ايت اسماعيل وايت عزو ، وكانت الحرب قديما كثيرا ما تثور بين الفريقين بسبب الرياسة ، وكان امغار احمد ارجدال ، من رؤسائها المشهورين ، ويظن العم أنه مات في أول القرن الماضي ، او في ءاخرالقرن قبله ، وقد حج بيت اللهالحرام اخبرني سيدى الطاهر بن على انه رأى بين رسوم احفاده حين قسم املاكهم سنة : ١٣٥٥هـ مكتوبا له كانه وصية وصى بها حين ازمع الى الحج ، ويظهر ان له ديانة هى التى حفزته الى اداء فريضته ، ولكن الاستاذ لم ينقل بذاكرته وقت تاريخه ، وكانهذا الرئيس من فريق ايت اسماعيل وهو الذى تقدم ذكره في ترجمة القاضي الوفقاوى ، وقد زالت منهم الرياسة بعد ذلك ، فتمشت امور القبيلة بالنفاليس — أى الرؤساء — وكان مجتمعهم فى موضع يسمى (زلافة) وهناك كانت المدرسة قبل ان تبنى هذه ، وفي (زلافة) مزارات كثيرة سمى لى صاحب الترجمة بعض رجالها ، ولكن لاتاريخ لهم ، ولذلك لمنهتبل بهم ولا بكثير امثالهم هناك

وممن اشتهر من نفاليسهم فى ءاخر القرن الماضى الفقير محمد اوسار، وهو الذى ينوب عن قبيلته في مجامع تازروالت بايليغ ، عند يعسوب القبائل اذذاك : سيدى الحسين بن هاشم ، وكان ازكن رؤساء قبيلته ، يوثر عنه في ذلك بعض حكم بدائيه ، قيل له في سنة : ١٣٠٠هـ ماذا ظهرلك من (تزنيت) حين يسورها السلطان : قال انها بمنزلة البردعة التي يسويها الانسانلبهيمته فانها متى تمت والقيت عليها ، فلا مناص لها من ان تذهب وتجيء فى نقل الاثقال — او كما قال — واخبرت أيضا انه جاء مع رؤساء قبيلته ليصلواالشيخ الالغى سنة : ١٣٠٦هـ بعد رجوعه من الحج ، فظل الشيخ يعظهم ، ويعلمهم التوحيد وما وراء القبر ، فقال له الفقير محمد اوسار : أصحيح ياسيدى كل ما يقال هناك ، أم انما ذلك يقال لزجر الناس وتخويفهم من الاسترسال فيما لاينبغى ؟ فاطرق الشيخ مليا ثم التفت الى مرابط من ءال (اكادير ايزدى) كان جاء مع الوفقاويين ، ويعتقدون فيه الخير ويخدمونه ، فقال له : بالله عليكماذا تعلم لاصحابك هؤلاء ، فانهم لايزالون ينكرون الحشر .

اقول : ربما كانت هذه المقالة من اوسار انما جرت لمجرد الكلام فقط والا فرجال هذه الجهة وان بلغ بهم الجهل ما بلغ ، لا أخال انهم ينكرون ذلك او كان هو كذلك وحده ، والله أعلم ، وقد هلك اوسار هذا نحو ١٣١٠هـ وهو من احفاد الطالب ابراهيم ، المشهورة به تلك القرية الوفقاوية الى الان ، وابناؤه يرفعون — فيما يقولون — نسبهم الى أبى بكر ، وقد فتشت على مشجر نسبهم

فقيل لى ان عهدهم به يوم ذهبوا به الى سيدى الحاج احمد الجشتيمى ليعلم انهم من ابناء عمومته ، ثم لم يظهر بعد ، هذا ما قيل لى ، وهماليوم قدطلقوا الرابطية ، فدخلوا فى غمار العوام ، وذلك منذ اواسط القرن الماضى ، وذكر امغار ابراهيم المترجم له ، أنهم من أقرب الناس أن يصاب كل من مسهم بأذى فال وقد اشتهروا بذلك كل الاشتهار ، ويذكر انهم أخواله

نشأ الشيخ ابراهيم صاحب الترجمة نشأة شبان أهل بلده ، غيرمتوسع في المال ، فصار يخبط يمينا وشمالا ، وكانت تظهر منه نزعة الى الرياسة منذ بعد ، فكان باها بن باها الرجل المشهور في رفقة الاستاذ على بن عبد الله لايناديه الا بأمغار باها ، لما يرى ذلك من شمائله ، وكان من الذين زحفوا مع الهيبة الى مراكش ، ويحكى أنه لما انهزم مع ناس سلكوا طريق : (فروكة) فعرض لهم اناس هناك ، فكادوا يبطشون بهم ، قال : فسللت سيفى ، فجلت مركتى . فقدر الله ان انجو

وقد كانت له أخيرا في مجمع قبيلته جولات ، ثم لما جاء الاحتلال انتخب للرياسة على قبيلته ، فسار سيرة مثلى ، وقد كنا مرة فى مركز (تافراوت) في السنة الماضية : ١٣٥٦هـ فمررنا بداره ، فشاهدت منه مايدل على أنه ممن يؤسس للرياسة بأسس متينة ، وكثيرا ما أسمع سيدى الطاهر بن على يثنى على جوده ، ويقول انه لايرى الا ان الكرم زينة الرجل

واخبرنى الاخ احمد رحمه الله انه لما طرق هذه النواحي رئيس الزاوية الناصرية بتامكروت ، سيدى عبد السلام ، سنة : ١٣٥٥هـ أرسل الى رؤساء الخ ، فقال صاحب الترجمة : الاولى ان نذهب اليه ، وان نقدم له ضيافته هناك وانا ساعطى مائة ريال حسنية ، فمن هنا تعلم نفسية الرجل، ورأيته مرةأخرى يريد ان يفرح صبية لنا ، فمال بيده الى كيسه ، فصار يفرق لكل واحد ما صادف ريالا اوريالتين ، أو فرنكا ، فادركت من الرجل ما أدركت ، وسبحان الله : ان الناس معادن ، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا ، او كما قال صلى الله عليه وسلم

واشكره شكرا كثيرا ، لان كل ما سمعته عن قبيلته هو الذى افادنيه كما افادنى ترجمته ، ولم يرزق الى الان اولادا ، يسر الله له في عقب صالح ويسر له كسب مال صالح . لان ماجمع من مهاوش ، فالى نهابر يصير

ومن أعظم مزاياه : أنه عمر (المدرسة) في وقت خلت فيه المدارس. وكفاه ذلك مزية ، يعرفها عنه التاريخ

وبعد : فقد كنت كتبت ما تقدم سنة : ١٣٥٧هـ او في السنة التي بعدها ثم توالت السنون ، وشان المترجم يعلو الى ان جاءت الحوادث حول العرش فكان ينجر مع جيرانه من الرؤساء ، فلما جاء الاستقلال ، ذهب كثير من ماله وكاد يذهب هو أيضا لولا ان هرب الى البيضاء مع حفظ الله ، ثم استقر بعد في داره حيث هو الان فردا من الناس ، يعيش في رد هجومات الوفقاويين عليه ، دفاعا عما بقي من أملاكه ، ولعله لم يجد الا بركة بعض المحاسن التي كانت فيه ، ثم اتجه بعد ان استقرت الحالة لكسب الحلال ، ففتح دكانا في سوقهم ، حيث هو الان ، فالله يوفقه ءامين • وفي (الالفيات) قطعة كنت قلتها يوما بعدما خرجت من داره ولم أرهاله ، مطلعها :

اندى الكرام الشيخ ابراهيم ... فلديه يروى المعتفون الهيم

الفصل الرابع
في الايغشانيين

ذكر فيه من الرجال :

القاضي سيدي عبد المومن الدياني
الفقيه سيدي سعيد بن صالح الدياني
الفقيه سيدي محمد بن عبد المومن الدياني
الرئيس سيدي احمد بن محمد بن عبد المومن الدياني
الرئيس محمد الاشكر الدياني
الرئيس الحاج ابراهيم الايغشاني المشهور
الرئيس احمد بن الحاج ابراهيم الايغشاني
سيدي المحفوظ الايغشاني
سيدي محمد بن احمد بن الحاج ابراهيم
الرئيس علي بن احمد بن الحاج ابراهيم
الفقيه الاستاذ الحاج أحمد بن الحسن البناءي
الاستاذ سيدي الحاج محمد بن الحسن البناءي
امغار باها الايكلييي
امغار يوسف بن باها
الفقيه أحمد بن ابراهيم التاوييتي
الفقيه يحيا بن محمد التاوييتي
القارىء سعيد بن عبد المومن التاوييتي
سيدي أحمد بن بوهوش التاوييتي
النجيب محمد بن مبارك التاوييتي
الحسن بن مبارك أخوه
الفقيه محمد بن عبد الله الايكدماني
القارىء علي بن همو الايكدماني
امغار بركا الايكدماني
العلامة سيدي عبد الله بن محمد الاخفش الايكدماني
العلامة سيدي علي بن يونس الانامري

الصالح سيدى يعقوب الايكدماني
الرئيس سيدى علي بن يعقوب
الفقيه سيدى محمد بن علي بن يعقوب
سيدى يونس الايغشاني
الشجاع علي اليبوركي الانامري
سيدى مبارك ومادين الانامري
الفقيه سيدى أحمد بن ابراهيم الانامري
النجيب سيدى الحاج الحسين بن صالح التاكانزي
القارئ محمد بن أحمد الاوكافي الانامري
القارئ مسعود أفلوس التاكانزي
الصالح أحمد الفقير التاكانزي
الصالح سعيد جد ءال بلخير
الفقيه أحمد بن محمد الاوبلخيري
الصالح محمد بن احمد المدونة
الفقيه محمد ـ فتحا ـ بن أحمد الاوبلخيري
الصالح سيدى ابراهيم بن علي الايغشاني

✿

القاضي

سيدى عبد المومن الدياني

نحو : ١٠٢٨ هـ = بعد : ١١٢١ هـ

نسبه :

عبد المومن بن محمد بن علي بن محمد بن عبد المومن

هناك في تلك الزاوية في الشمال الشرقي بالغ اسرة مجيدة لها منذ اربعمائة سنة ذكر خالد في ميدان العلوم أولا ، ثم في ميدان الرياسة والسياسة ثانيا وتسمى الان (ءال الطالب) وتسمى تلك الشعبة التي يثوون فيها من ذلك العهد (اكني اديان) ـ شعب المتدينين ـ وذلك مما يدل على ان وصفهم بالتدين حتى أضيف اليه شعبهم الذى يسكنونه قديم ، قبل صاحب الترجمة الذى ينتسب هذه النسبة الديانية العاصمية في توقيعاته ، ومن امعن النظر ، واعمل فكره في أخلاق هذه الاسرة اللامعة ، يدرك باستشفاف عقله أنها ليست من جذم الذين يسكنون هذا البسيط منذ ذلك العهد من المرابطين وغيرهم الذين عبر عن حالهم الذى يعرفهم احسن تعبير : الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالغي حين قال : ان هذه الاية : (كلوا وارعوا انعامكم) لاتصدق الا على الالغيين الذين لايعرفون الا الاكل ورعى الانعام ، يريد بقولته ان يستفز ذوى الشعور الحي منهم الى تطلب المعالي ، والى عدم الاقتصار على الشهوات الظاهرة ، التي يعرفها كل احد ، والى رفع الهامات والتطلع الى أعلى المقامات .

من صغرى كنت أرى هؤلاء الديانين ، فاراهم من جهة شجعانا مغاوير لا ينامون عن وتر ما استطاعوا الى أخذ الثار ممن وترهم باى سبيل ، مع تطلع دائم الى الشفوف من كل ناحية من النواحي التي يتطلع منها امثالهم من العوام الى الشفوف ، ومن جهة أخرى اراهم متحاشين الى التدين والكرم والاخلاق ، الا خلقا من بعضهم فتخلقا ، كما كنا نعرف الحاج ابراهيم وابنه الرئيس احمد رحمهما الله ، فقد كانا يتراءيان لنا انهما بجمعهما لهذه الاخلاق جمعا ممزوجا ، كانما جمعا بين طرفي نقيضين ، على ماهو معروف في وسطنا هذا ، ثم بعد ان دخلت في السنة الماضية الى ميدان البحث حول الالغيين كافة

تبين لي بعد البحث الممكن ، والتساؤل مع من يظن ان عنده اثارة من علـم
ان جدودهم ليسوا من الايغشانيين اصالة ، وانما حلوا بين ظهرانيهم من عهد
لم نهتد اليه بعد ، ولكن يظهر ان ذلك كان على أقل تقدير قبل القرن العاشر
وقد حدثني كثيرون أن الحاج ابراهيم كان يقول ان أصلهم من (دكراكة) وان
جدهم الاعلى انتقل من جبل الحديد ، المشهور في الشياظمة حيـث جدود
الركراكيين ، وان اسمه عبد الصمد ، وزعم بعضهم ان عند الحاج ابراهيم
مخطوطا في ذلك بين رسومه ، ولكن أهله اليوم لايعرفون لهذا الرسم وجودا
في سلات رسومهم ، وما كان ليخفى عنهم لو كان باقيا الى الان فيها ، وقـد
اتصلت بمشجرين من أنساب الركراكيين ، فلم أقع فيهما على ما يلقى ضوءا
على ما أتطلبه ، مع أنه ذكر فيهما معا هؤلاء الركراكيون في وادي الكبير ومعناه
بلغتنا : (أسيف مقورن) ، وقد كنت أحسب ان المقصود به هذا الذي يسمى
بهذا الاسم في قبيلة ايغشان ، وقد ذكر لي الفقيه سيدي مبارك بن مومادين
الايغشاني ، ان هناك في ذلك المحل دكراكيين ، ثم زاد ان الديانيين اخوتهم
فهكذا كنت أظن أنني وجدت الخيط متصلا ، ولكنني بعد أن راجعـت أيضا
المشجر الاخر ، وجدته كانه نسب الوادي الكبير لهشتوكة على ما يتراءى منه
فضعف حسباني المتقدم ، رغم ان المشجر الاول يكاد ينسب الوادي الكبير الى
ايغشان ، ولكنه مشجر لايقدر عاقل ان يعول عليه ، فيما لم يخالـف فيه ،
فكيف بما خولف فيه ، كنسبة الوادي الكبير ، وقد سقنا ملخص هذا المشجر
وكل ما يحتوى عليه ، حول دكراكة ، في (الفصل الاول) من (القسم الثالث)
في ترجمة يحيا بن عبدالله الركراكي ، الدويملالني ، كما ذكرنا ايضابعض
ما يتعلق بالركراكيين أيضا في (الفصل الثاني) من ذلك القسم حين تعرضنا
لاهل (تاوريرت وانو)

ذلك ما يدل على ان النتيجة في بحثنا كادت تخرج صفرا ، ولكن عدم
وجدان الشيء ، لايدل على عدم وجوده ، لان الاهمال خصوصا في هذه الناحية
مما تمالأ عليه المغاربة ، ما لم يكن وراءه دانق يحتجن اومنصب يرتقى فاذن
ثبت ما ذكره الفقيه سيدي مبارك الموماديني ـ وهو على كل حال ممن لايعرف
بما لايعرف على حسب ظننا به ، ولا سيما في مثل هذا المقام ـ فان ذلك مما
يصحح ويؤيد ما يقوله الحاج ابراهيم ، على أنه كان ينبغي لنا أن نقف عند
كلامه ، وان نكتفي به ، فالناس مصدقون في انسابهم ، كما يقول الامام مالك
ابن انس ، فهذا ما وصل اليه بحث انسان غريب منفى الان لايجرؤ على ابداء
طلبته لكل من يلقاه ، وخصوصا في مثل هذا العلم الذي يصير به الانسان عند
الالقيين اضحوكة اذا رأوه مهتما به ، فيالغربة البحاثين المنكودين في المغرب
المنكود بالجهل

هذا وقد وقفت على مخطوطات عد ملية متآكلة ، مغلفة بالجلود القديمة
وهي على مايظهر من تحريرات ملوكية لاسلاف هذه الاسرة واحدها مـؤرخ
بـ : ١٠٢٠هـ وبعضها ربما كان قبل هذا العهد ، كما ان هناك رسالة ومخطوطات
اخرى تتعلق بموضوعات أخرى لكنها خرجت من أيديهم لان الشيخ اعطاها
لاحد المراقبين في (تافراوت) فلم يرجعها اليه ٠

ثم ان أول من أسس مجد هذه الاسرة او (جدده) فيما نعرف هو صاحب
الترجمة الذي هو الجد الاعلى لهذه الاسرة التي أعانت في تاسيس مجد البيغ
اخيرا ، ولكن بكل أسف لم أتصل عنه الا باخبار ضئيلة ، تمدنا بهـا بعض
نفثات أقلام منه ومن غيره

كنت يوما اطالع (طبقات) الحضيكي ، فاذا بي أرى من بين من اخذوا
عن الاستاذ سيدي عبد الله بن يعقوب ، عبد المومن الايغشاني ، فهذه الكلمة
وحدها هي التي افلتت من قلم الحضيكي ، فنفعتني اليوم ، وكذلك كنت اطالع
في مجموعة من الفتاوى ، فوجدت فيها فتوى موقعة باسمه ، وكذلك رايت اسمه
متكررا في المجموعة التي نشرناها في (الفصل الاول) من (القسم الاول) في
ترجمة جدنا سيدي عبد الله بن سعيد ، وأولاده ، فقد ذكره في الوثيقة الكبرى
التي وقعها ثمانية عشر من العلماء ، وكان أحدهم ، كما شهد أيضا في ابراة
نشرناها في ترجمة سيدي عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن سعيد ٠

في هذه المخطوطات رايت اسمه مذكورا ، وربما رايته في غير ذلك كما
اظن ، ولوكان مشهورا بين الصوفية لتبرع الحضيكي بترجمته ، على عادته في
ان لايترجم الا من كانوا على هذا الوصف ، ولايغرنك انك ترى من علماء القرن
العاشر والحادي عشر مترجمين فيه وهم خالون من هذا الوصف ، فانه انما
التبس ذلك من (وفيات) الرسموكي بعزو ، وكثيرا ما ينسى هذا العزو ،مع
انه ياتي بعبارته نفسها احيانا ، ولما انصرم الحادي عشر ، وقد انقضى فيه
ما كتبه الرسموكي الى سنة : ١٠٩٨هـ صار لايعتني الا بمن ذكرنا وحدهم
مالم يكونوا غير السوسيين ، والا فيذكرهم مطلقا ، متى اتصفوا بالعلم ، وهذا
ليس يقدح في الحضيكي ، ولكنه شيء واقع ، نحب ان يتنبه له المطالع ، لئلا
يتعجب أن رأى عالما كبيرا له شهرة ، وصلت الحضيكي بلا شك ، لم يتنكب
ذكره مع انه يعمد الى محمد بن يزيد من ثمالة فيذكره (١) ولايحمله على الاعتناء

١) تلميح الى قول الشاعر :
أسائل عـن ثمالة كل حي — وكلهم يقول : وما ثمالة ؟
فقلت : محمد بن يزيد منهـم — فقالوا : الان زدت بهم جهالة

به الا ذلك الوصف ، ولكنه مشكور على كل حال ، فلولاه لفقدنا ايضا كثيرين من أهل القرن الثانى عشر من السوسيين

ثم ان سيدى المحفوظ بن الهاشم فقيه الاسرة اليوم من أحفاد المترجم النابهين ذكر لى أن عنده رسالة كتبها بعض العلماء التمليين الى صاحب الترجمة فحلوه فيها بالقاضى فعرفنا بذلك أنه كان قاضيا من القضاة الاسماعيليين فى هذه الجهة ، ويؤيد هذا : اننى رأيت له توقيعات بين الذى رأيته مما مر بين يدى كتوقيعات القضاة فى العادة ، كما رأيت فى فتوى لسيدى محمد بن محمد ابن أحمد الدويملالنى التملى وصفه بالقاضى العدل ، وأخبرنى ايضا أمغار على ابن أحمد رئيس اسرته اليوم بل رئيس كل الايغشانيين — وسترى ترجمته فيما ياتى ان شاء الله — ان هناك بعض رسائل اسماعيل الى أهاليهم فى ذلك العصر ، ولعلها الى صاحب الترجمة ، وكما أخبرنى أيضا سيدى المحفوظ بن الهاشم المذكور أنه رءى رسالة حول ثلاثة من أهاليهم فى ذلك الحين، يدرسون بمراكش ، ولعلهم من اولاد صاحب الترجمة ، ولو كنا اتصلنا بكل هذه الوثائق لفهمنا منها امورا ، ولكن لم يتيسر أن نراها .

وأما مقدار عمره ، فاننا رأينا أنه تخرج بالاستاذ عبدالله بن يعقوب المتوفى (١٠٥٢هـ) فكان لابد فى هذه السنة ان يكون على الاقل ابن نحو : ٢٥ سنة ، لان المعتاد ان لايتصل بالمدارس حتى يحفظ القرءان ، والمعروف ان يحفظ غالبا فى هذه الجهات عند المراهقة ، ثم يقبل على العلوم ، فيتخرج باستاذه تخرجا يمكن أن يصح انتسابه به اليه ، وذلك على الاقل يحتاج الى نحو عقد تام ، ولهذا قدرنا ولادته فى نحو : ١٠٢٨هـ وأما زمن وفاته فقد جعلناها فيما بعد : (١١٢١هـ) لاننا رأينا فى مخطوط الشهادة المنشور فى ترجمة سيدى عبدالله بن أحمد بن عبد الله بن سعيد ، تاريخه سنة ١١٠٢هـ ثم أخبرنى ابن الهاشم انه كان يوقع الى : ١١٢١هـ فهو على هذا التقدير يكون يوم وفاته ابن اكثر من ثمانين سنة ، وهذا على كل حال مقارب للحقيقة والله اعلم

ثم أننى رأيت بخط يده فى كتاب ارسله الى امغار على بن أحمد ، أن له ولدا يسمى محمدا ولد فى : ١٠ — ١ — ١٠٨٢هـ ولم ندر ، اله أولاد ءاخرون أم لا ، وقد تقدم ان ثلاثة من أهاليهم اذذاك يقرأون فى الحمراء ، فلم نعرف أهم اولاده مباشرة أم لا .

وقد وقفت على ايغشانى يسمى يوسف بن عبد المومن يكاتبه سنة : ١١٤٢هـ الفقيه سيدى محمد بن على اليعقوبى الاتى ان شاء الله ، فلم ادر أهو ولد من أولاد صاحب الترجمة املا .

ومما يتعلق بالمترجم اننى رأيت ما يدل على انه تقاتل مع أحد اخوته،

فجرحه أخوه ، ثم سعي بينهما بالصلح ، فابي المترجم الا القصاص ، فلم يرض حتى جرح أخوه فى راسه قدر جرحه ، ثم تصالحا اذذاك وقد ارخ ما حدث فيه ذلك ، بصفر : ١٠٧٣هـ

ثم ان محمد بن عبد المومن له ولد يسمي احمد بن محمد ، ثم ولد لاحمد ابن محمد هذا ولد يسمي : عبد المومن بن احمد بن محمد ، وعبد المومن هذا ممن له مخطوطات مجودة بين الرسوم ، ويظهر أن له الماما بتراث أهله العلمي حتى كان يشكل اسمه مع أسم جده القاضي عبد المومن على كثيرين ، حتى عرفنا الحقيقة في ذلك الكتاب الذى عرفنا به ان هناك جدا وحفيدا ، كلاهما يسمي عبد المومن ، وقد استوقف بصرى فى ذلك الكتاب : عبارة وجدتها بخط بعض هؤلاء الديانيين ، فقد قال في كلام : قال شيخنا سيدى ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن يعقوب ، فلم أعرف من قال منهم هذا ، وليس امامنا من اهل القرن الثاني عشر ، ممن نعرفهم الآن ، الا : محمد بن عبد المومن الاول ، واحمد ابن محمد بن عبد المومن ، وعبد المومن بن أحمد بن محمد بن عبد المومن الاول والفقيه سيدى سعيد بن صالح ، الذى عاش ءاخر هذا القرن الثاني عشر ، وتوفي فى العقد الثاني من الثالث عشر ، كما سياتي ، فامعنت النظر فوجدت أنه لايمكن ان يكون محمد بن عبد المومن ، لانه ولد كما ترى سنة : (١٠٨٢هـ) والفقيه سيدى ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن يعقوب ، ولد سنة (١٠٧٦هـ) فهما يكادان يكونان من الاقران ، فبعيد أن ياخذ عنه عادة ، وأما ولده أحمد ابن محمد ، وحفيده : عبد المومن ، وسعيد بن صالح ، فهؤلاء الثلاثة يمكن ان ياخذوا عنه ، وقد توفي سيدى ابراهيم المذكور سنة : (١١٦٠هـ) على ان الاخير يغلب على ظني أنه ممن أخذ عن الحضيكي ، وقد اخبرني الاديب سيدى احمد ابن الحسن البنائي : أنه رأى رسائل له كثيرة ، بينه وبين اولاد الحضيكي وربما كان ذلك ، لانه تلميذ والدهم المتوفي سنة : (١١٨٩هـ) وعلى ان الثاني ايضا ، وهو أحمد بن محمد ، لاذكر له فيما عرفنا ، ولذلك يغلب على ظني : أن سيدى ابراهيم استاذ عبد المومن الثاني ، الذى ذكرنا ان له مخطوطات ، ولو وقفنا له على ما يستحق الذكر من المخطوطات ، او لو سمعنا عنه بمايستطاب اوما يروج على الاقل ، لافردناه بالترجمة ، ولكن يكفيه ان يستظل بظل ترجمة جده القاضي عبد المومن الاول ، والدنيا حظوظ وقسم

وقد سالت عن قبر صاحب الترجمة ، هل هو معروف هناك اليوم ، فذكر لى ما يدل على أن الاحفاد ، أضاعوا حتى قبور الاجداد ، ولله الامر من قبل ومن بعد

وقد اوردت من (المجموعة الفقهية) فتوى ، وقفت عليها لصاحب الترجمة ولكنها صغيرة وقليلة الكلام ، وان كان قليله لايقال له قليل

(ثم اننى بعد ما كتبت كل ما تقدم بثلاث سنوات اخبرنى مخبر انه راى عند أمقار على الديانى ــ حفيد المترجم ، والذى سيترجم فيما بعد ــ رسوما قديمة بينها تحرير بعض الامراء لعبد الله اخى عبد المومن هذا ، وان عبدالله ممن يمت الى الطلب ان لم يكن عالما كبيرا ، وقد خاطب ذلك الامير رؤساء الديانيين العاصميين ، بانهم يلاحظون سيدى عبد الله بعين الاحترام ، وبينها ايضا رسم ، فيه ان عبد الله هذا عدا على اخيه عبد المومن ، فشجه ، فجرى الناس بينهما بالمصالحة ، وراودوا عبد المومن على العفو ، فيابى الا القصاص فعمد عامد الى عبد الله فشج رأسه ، كما فعل هو باخيه ، فوقع الفصال على ذلك ، وذلك الرسم مكتوب على الفصال التام حول ما وقع بينهما (وهذا يفصل مجمل ما تقدم حول هذه القضية) ، كما ذكر ايضا ذلك المخبر : انه راى ذلك التحرير موقعا باسم احمد بن العافية ، ولاندرى احمد هذا ، ولانستحضر من هو السلطان الذى كان احمد هذا من عماله ، وكما ذكر ايضا انه راى من بين تلك الرسوم ما يدل على ان اخر اسمه ايضا عبد المومن كان من اجداد المترجم فوق الرجال الذين ذكروا انفا عند ذكر نسب المترجم ، وسالته الم يرين تلك الرسوم اثارا اسماعيلية ، فقال ان امقار على ذكر انه كان دفعها لبعض المراقبين المدنيين فى مكتب (تافراوت) ثم لم يسترجعها منه ، فذهبت ضائعة ويظهر من كلام هذا المخبر ان من بين تلك الرسوم ما هو سعدى ، ولم يستوعب المخبر تاريخ تلك الرسوم ، لانه نساء ، ولانه يتوقف كثيرا عند الاخبار عن شىء ، فلا يدلى الا بالمحقق عنده ، لايرجم بالظنون)

وهناك ايضا رسم فيه ذكر لكتب خزانة المترجم واحصائها ، ثم ما وقع لها بعد ، اخبرنى بذلك سيدى المحفوظ .

الفقيه سيدى سعيد بن صالح

ابن محمـد الديـاني

قبل : ١١٦٥ هـ = ١٢١٤ هـ

أول ما سمعت بهذا الفقيه من العم ابراهيم حفظه الله ، فذكر عنه انه فقيه جيد ، موجودة احكامه التى فصل بها النوازل ، ومحرراته فى ذلك كثيرة بين رسوم هذه الجهات ، وأخبر أيضا انه مات كلالة فى وباء (١٤) من القرن الماضى ، ويحكى عن الرئيس الحاج ابراهيم الايغشانى انه أدرك زوجته حوكا بنت عبد الله بن عبد المومن حية بعد : ١٢٦٥ هـ وهى عجوز دردبيس ، وذكر عنه ان هذه الدار التى يسكنها اليوم على ابنه ــ وهو على بن ابراهيم الكبير الديانى زوج اختنا ــ كانت داره ، وقد صارت اليه ــ اى الى الحاج ابراهيم الذى يحكى ــ فهدمها وجدد بناءها ، وقد وجد فيها صرة من الدراهم المحمدية ــ نسبة الى السلطان سيدى محمد بن عبد الله ــ حين كان يهدمها ، هذا ما حدثنى به العم ، ثم سألت الاديب سيدى احمد بن الحسن البنانى ، فقال: انه من بنى عمومتنا نحن وءال أوباها قال : قد أطلعت له على مكاتبات عديدة فى خزانة الحضميكيين ، يكاتب بها اولاد الشيخ سيدى "محمد بن احمد الحضميكى ، وقد كان وعدنى ان يفرغ جهده لعله يتصل ببعض هذه الرسائل لتعرض على القراء ، ولكن ذلك لم يتيسر الى الآن ، وفى أثناء بعض مراجعاتى لرسوم فى سلة ، وقعت على هذه الرسالة اليه ، كتبها اليه بعض ءال تاكانزا من أبناء سيدى احمد الفقير الالغى وقد قرأت ترجمته فى (الفصل الثانى) انفا ، ونص الرسالة :

«الى الفقيه النبيه الورع : سيدى سعيد بن صالح من (هوت اديان) الغشانى ، السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وازكى التحية والاكرام ، يعم جميع أحوالك المرضية .

وبعد : فلا باس عندنا ، ونعلمك بما بيننا وبين أبناء يونس ، فما لنا قسم فى زمن المرض ــ لعله يقصد مرض الوباء الواقع ، سنة ١١٦٣هـ وهو مشهور ــ وكل عمر ماله ، ولم تكن المبادلة بيننا ، وهذا الرسم الذى خرج وفيه المبادلة ، لم نعلم به ولم يره اباؤنا ، فقال لنا سيدى بلقاسم العباسى

ان هذه المبادلة لم تصح ، واما سيدى صالح بن بلقاسم (البوضياشي) فقد كتب
على الحكم ، ولم ارض بحكمه ، ولم تكتب تراضيه ، فقد برحنا عليه في سوق
يوم الاحد . وأيضا منعنا ان نقرأ رسوم ابناء يونس ، فهل هذا هو الشرع في
هذه المسالة اومافيها»

هذا مضمن الرسالة ، وقد اختصرت من بعض جملها ، اما سيدى بلقاسم
العباسي المذكور ، فستراه ان شاء الله مع ءاله العباسيين فـي فرصة اخرى
ان شاء الله .

وأما سيدى صالح بن بلقاسم البوضياشي ، فلم اسمع به قط ، ولارايت
له ذكرا مع أنه فقيه كما ترى ، يفض النوازل – و (بوالضياش) محل فـي
(تيفرميت) ببعقيلة –

وهذا ما عرفته عن صاحب الترجمة ، وقد رايت خطه – وهو وسط –
في بعض المخطوطات ، ولكننا مع كل هذا لم نقف على درجته العلمية ، ولا على
مشارطاته أو ماكان يملأ به حياته ، وكذلك شيخه لم نعرفه تحقيقا ، وقد مر
في الترجمة المتقدمة انه يتراءى لي أنه ممن أخذ عن الحضيكيين ، والله اعلم ،
وأما زمـن ولادته فـقـد حزرنا انها قبـل : ١١٦٥هـ باعتبارنا زمـن اخـذه
للقرءان والعلوم ، ثم عصرا بعد ذلك ، ينال فيه هذه الشهرة التي له،وأمانسبه
فلم أعرف عنه غير ما تقدم لا غير ، وأنه من الاسرة الديانية .

الفقيه سيدي

محمد بن عبد المومن الديانى

قبل : ١١٩٠ هـ = نحو : ١٢٥٠ هـ

نسبـه

محمد بن عبد المومن بن أحمد بن محمد ابن القاضي عبد المومن بن محمد ابن علي بن محمد بن عبد المومن .

هذا وتد من أوتاد الغ في النصف الاول من القرن الماضي ، وأحد العلماء الاجلاء في عصره ، الذين لهم يد طولى في النوازل وفي فصل الخصومات .

قال العم ابراهيم وءاخرون : أنه والفقيه سيدى سعيد بن الحسن بن علي العداني المجاطي : عالما هذه الجهة الكبيران اذذاك ، وكان هذا الدياني اكبر من صاحبه علما وشهرة ، ولم يرتفع شأن الاخر جدا الا بعد وفاة الدياني هذا ، لان وفاة العداني تاخرت الى نحو : ١٢٧٠ هـ .

أما الفقيه سيدى محمد بن عبد المومن ، فقد ابتدأت شهرته فـي حياة ابن عمه الفقيه سيدى سعيد بن صالح ، فعند العم ابراهيم : محرر له ، فصل به نازلة سنة : ١٢١٦هـ وقال العم : انه هو القيم على النوازل الكثيرة التي نشأت عن الطاعون الجارف الماضي اذذاك سنة ١٢١٤هـ قال : وما اكثر مخطوطات تفصيلاته وقسماته للتركات ، وفصله للخصومات ، بين المخطوطات التي مرت تحت يده ، قلت : وقد رايت انا بعضها ، كما رايته ايضا بين الفتين ، ومن بين ما رايت له جولة معهم : الفقيه سيدى محمد بن احمد بن محمد الادوزي ، الذي سنترجم له انشاء الله في مكانه بين الادوزيين في (القسم الثالث) بحـول الله ، والفقيه سيدى عبد الله بن محمد الكرسيفي ، استاذ المدرسة الوفقاوية اذذاك (وستراه ايضا بين الكرسيفيين) في (الفصل الثاني) من (القسم الرابع) وهذه الفتوى المذكور فيها مع هذين في : (المجموعة الفقهية) وهي صغيرة

ثم انني الى الان لم أقف على شيوخه ، وان كان يتراءى لي – والله اعلم – ان احفاد القاضي عبد المومن ، لايزالون يتعهدون مدارس احفاد الشيخ عبدالله ابن يعقوب ، فقد رايت فيما تقدم أحدهم اخذ عن الاستاذ ابراهيم بـن محمد

ابن عبد الله بن يعقوب ، ورأيت صاحب الترجمة يجرى مع عصريه : الاستاذ سيدى محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبدالله بن يعقوب ، شارح المرشد المتوفى سنة ١٢٢١ه افلا يدل هذا على أنه أيضا يغلب ان يكون اخذه عن الاستاذ محمد بن أحمد بن ابراهيم المتوفى : ١٢٠٦ه او عن عمه الفقيه سيدى على بن ابراهيم المتوفى سنة : ١٢٠٧ ه وهما اللذان قاما قياما غريبا فى التدريس فى العصر الذى يمكن ان ياخذ فيه ، هذا ما يتراءى لى ، ويكاد يكون عندى ظنا بكثرة ما يحيط به مما مر من المقويات المذكورة ، بل ما المانع ان يدخل فى هذا الامكان ، حتى سيدى محمد بن احمد المرابط المذكور ، لانه درس فى ادوزحينا من الدهر

ومن عادة الفقهاء السوسيين من قديم : أنهم لايعتنون غالبا بالتاريخ فى مخطوطاتهم كلها ، ولكن سيدى محمد بن عبد المومن ، كثيرا ما يتـركها أيضا حتى فى الرسوم ، فتوقف الناس فيها على رأس القرن الماضي ، فافتى سيدى محمد بن عبدالله الالغى ، بأنه على اكل حال ثقة ، لايلقى رسمه المحرر بيده بسبب ذلك وحده ، ما لم يعارضه معارض أقوى ، وقد حدثنى الاستاذ سيدى الطاهر بن على أنه رأى خط الاستاذ بذلك عند بعض الوفقاويين

ثم اننى سمعت من سيدى المحفوظ الايغشانى ان وفاته جزما ، كانـت سنة : ١٢٥٠ه ولكننى سمعته مرة اخرى تردد فى ذلك اليقين ، ورجع به الى الظن ، ولذلك وقفنا عند الظن ، وذكرنا لفظة : (نحو) التى نذكرها دائما فى أمثال هذه المقامات ، وذكر أيضا أن اخوال احمد ابن صاحب الترجمة من ءال (تيغشيت) لان هؤلاء الشرفاء التيغشيتيين كانوا تزوجوا قبل هذا الجيل امرأة ايغشانية ، فسموا بذلك آل تيغشيت ـ اى ءال الايغشانية ـ ولهـذا الاتصال ، اصهروا بدورهم الى سيدى محمد بن عبد المومن هذا الفقيه .

وسمعت العم ابراهيم يقول : ان صاحب الترجمة استحوذ على كثير من متاع أخواله المجاحين فى وباء سنة : ١٢١٤ه ثـم قال سيدى المحفـوظ ان التيغشيتيين قد استحوذوا بعده على غالب متاع الفقيه سيدى محمد بن عبد المومن ورسومه وكتبه ، فكان ذلك هو سبب تشتت متخلفه ، قلت : وفي هذا يقولون لابد للودائع ان ترد دنيا او اخرى .

هذا ما امكن لى علمه عـن سيدى محمد بن عبد المومـن ، وقد ضاعـت احواله وأخباره وكل مايحوم حوله ، مع انه كان من اعيان عصره ، وممن يتزين بهم إلغ فى النصف الاول من القرن الماضى ، ولم اعرف عنه من الاولاد الا ولده سيدى أحمد خاصة .

وقد كان أبوه سيدى عبد المومـن بن احمد بـن محمد تـزوج عائشة

الحربيلية ، من (ايتايبقى) من سكان (دوگادير) فولدت صاحب الترجمـة وعبد الملك ، وعبد الله ، ثم اقترن باخرى من ايت الخراز من العاصميين فمات عنها وهى حامل ، فولد ولد بعده سمي : عبد المومن ، على العادة المستمرة من ان من ولد بعد موت أبيه يسمى باسمه . هذا ما قصه على سيدى المحفوظ جزاه الله خيرا على ما يفيدنى به عن أهله وحده ، وقد ذكر ان ذلك فـى عدة ورثة سيدى عبد المومن ، فبهذا تعـلـم ان المصاهرة بين الدوگاديريـيـن والديانيين قديمة منذ اواخر القرن الثانى عشر ، ثم جاء القرن الرابع عشر فتجدد ذلك ، لكنه فى هذه المرة مع المرابطين الدوكاديريين العلماء ، لا مـع الحربيليين العوام ، (وتلك الايام نداولها بين الناس) ، وامـا الفقيه سعيد العدانى ، فانه يذكر مع أهله فى (القسم الخامس) حين نترجم لعلى المجاطى الفقيه ان شاء الله



احمد بن سيدي محمد

ابن عبد المومن

قبل : ١٢٣٠ هـ = نحو : ١٢٨٤ هـ

نسبـه :

احمد بن محمد بن عبدالمومن بن احمد بن محمد ابن القاضي عبد المومن ابن محمد بن علي بن محمد بن عبد المومن

معروف في عصره بسيدي احمد نطالب ـ اي الطالبي ـ اضافة الى والده ومن عادات أهل هذه البلدان قديما ان يطلقوا على كل فقيه ، وصف الطالب فيكتفون به ، كما يطلقونه دائما على حفظة القرءان ، ولهذا سميت اسرة ءال محمد عبد المومن الى الان : ايت الطالب ، وهو اطلاق على ءال الفقيه •

حفظ سيدي احمد بن محمد كتاب الله ، والم ببعض معلومات ضئيلة من العلوم ، لايؤبه بها في ميدان القضاء والافتاء اللذين اشتهر بهما من اشتهر من جدوده الماضين ، فكان لايقصد الا لتحرير الرسوم فقط ، ولايقصد بالنوازل وما اليها ، وسيرته محمودة ، ويوثر عنه من العدالة والتثبت والنزاهة وعدم الخروج عن الصراط السوي فيما يزاول : ما يستحق به الذكر ، ومن الكرم ما يدعم به هذه الصبابة التي يجول فيها يراعه ، وهذا ما نسمعه عنه من هذه الناحية ، واما ما نسمعه عنه من ناحية أخرى ، فانه صار من بين افراد اسرته الماضين اول من مال الى مشاركة العامة في امورها ، وينتشب في مشاكل القبيلة ، ويؤيده في ذلك ماله من الاوصاف المتقدمة ، وما ورثه عن ءاله من سيادة وقرت مع طول الزمن في الصدور ، فوجد من يتشيعون لما يقوله من بين افراد القبيلة الايغشانية ، فكان بذلك قذى في أعين ءال باها الايكليين رؤساء ايغشان اذذاك ، وأهل (تافراوت) من اداوعاصم ، فخذ من افخاذ قبيلة ايغشان •

ثم ثارت منازعة بينه وبين ابناء عمه الديانيين المسمين ءال باها ، وهم جيرانه دارا لدار ، في قرية واحدة ، فكان هؤلاء الايكليون ـ وكلاهما يسمى ءال باها ـ اتفاق نسبة ، لا انهم من اصل واحد ـ يدا واحدة عليه وعلى من معه ، قادت هذه المنازعات الى أن فتك بصاحب الترجمة غيلة ليلة صيف فوق شفير سطح لداره ، ولايزال المحل معلوما الى الآن عند أحفاده ، وكان الذي

تولى اغتياله احمد بن باها الايكليي ، وهو من حفظة القرءان ، ولكنه لايتجاوز حنجرته ، اذ رأيناه يرتكب مثل هذا ومعه احمد بن باها الدياني ، جد ءال احمد ابن باها الديانيين الموجودين اليوم ، فقد نصب الاخير منكبه حتى طلع عليه الاول الذي باشر الاغتيال بيده ، فهكذا سقط هذا الفاضل بهذه الفتكة الفاشمة التي ما حملهم عليها الا أنهم شرقوا بسيدي احمد ، الظاهر بشرفه وبمجده وبفضله وباخلاقه في الميدان ، فخافوا ان يكسف نفوذهم ، وهذه الفتكة كانت حوالي سنة : ١٢٨٤هـ وقد حكى لي سيدي المحفوظ ان مخطوطاته التي شاهدها من الرسوم ، قد قارب انقطاع اوقات تحريرها هذه السنة ، وقد امعنت في السؤال حتى ثبت عندي ان موته كان حقا حول هذا التاريخ

ذهب سيدي احمد ضحية غدر الايكليين ، وقد ارداه أحدهم كما اردى جساس كليبا ، وسنرى من ولديه الصقرين محمد الاشكر والحاج ابراهيم من ياخذان بالثار اخذا عنيفا ، ويفضحيان برئيس أسرة ءال باها الايكليين ، ثم لايبوء بشسع نعل سيدي احمد نطالب ، فشتان ما بين طالب مهذب ، وبين عامي جلف •

وقد أعقب من الذكور محمدا الاشكر ، والحاج ابراهيم الاتيين امام القارىء ، والحاج محمد ـ فتحا ـ الذي فتك به أخوه على المعتوه ، وله عقب الى الآن ، وعلى المعتوه ولد سنة : ١٢٥٧هـ كما وجدته بخط والده وقد اخبرني ابراهيم بن موح الايبوركي : ان أهله مكثوا يوما ، اذا بعلى جاءهم يلهث ، فقال : انني قتلت أخي الحاج محمد ، لانه خاصمني ، قال واذ عرفنا عتهه ، ارسلنا الى أخيه محمد الاشكر ، فذهب به ، فالقاه في قيد حتى مات وهو مقتل ومقتوله الحاج محمد ممن أخذ عن الاستاذ محمد بن ابراهيم اعجل الشهير ـ وسنذكره ان شاء الله في (الفصل الثاني) من (القسم الثالث) ـ ثم زوجه بنته ، وقد خلفه عليها أخوه الاشكر ، فولدت له الهاشم الشهير ـ الاتي ـ وأما بنات سيدي أحمد نطالب ، فخمس ١) مماس ، اقترنت بأحمد بن الحسين التاويتي الايغشاني ٢) رقية اقترن بها الفقير عمر من امكرار ، من أسيف اودرار ، وكثيرا ما تزور الوالد بالغ ٣) تعزى : اقترنت بالشجاع علي الايبوركي ـ وسنرى ترجمته قريبا ـ ثم خلفه عليها أخوه بوهوش ، وقد عرفتها يوم كنت مجاورا في المدرسة الايغشانية فكنت اختلف اليها وأنا صغير ، واذكر أنها كوت ساقي مرة من ورم بها من اثر المضاربة بالكرة الرجلية ٤) مريم اقترنت بمحمد الايبوركي اخي علي المذكور ، وهي ام ابراهيم بن موح الذي افادني كثيرا عن عائلته ، وعن أخواله الديانيين هؤلاء وام يبورك ، من رؤساء ايغشان اليوم • ٥) حوكا ، اقترنت بمحمد بن عبد الله بن علي بن احمد بن بلقاسم بن علي بن عبدالله بن سعيد ، من قرية تيبيوت بالغ ، ثم خلفه عليها

صنوه بلقاسم بن عبدالله الى ءاخر هذا النسب ، وهى والدة فاطمة بنت بلقاسم زوجة الشيخ الوالد الاولى ، تزوج بها : ١٠ – ١٢ – ١٣٠٢ هـ فهى أم أخينا الاكبر سيدى محمد الذى مرت ترجمته فى (القسم الاول) وام صنوه عبد الحميد ، ولاتزال فاطمة حية الى الان ١٣٥٨هـ وهى من الضعف بمكانة ، وولادتها نحو ١٢٨٤هـ ، وقد ماتت حوكا اول سنة ١٣٤١هـ وهى من مربياتنا فى الدار ، لانها انقطعت الى دار الوالد منذ : ١٣٠٥هـ الى ان مات ، فقامت بادارة شؤون المنزل ، وكانت زوارة للقبور ، محبة للخير ، وقد حبست مصحفا مجزءا على ضريح سيدى احمد بن عبد الله بالزاوية الدوكاديرية • وفى مرضها الذى ماتت فيه صارت تقترح ان تحضر اليها والدتى لتتسامح معها • ووالدتى قد انعزلت فى دار على حدة بأولادها الصغار • ولاممر بين هذه الدار وما فيه السيدة حوكا الا فى السطح ، وحين كانت نساء ءال الشيخ لايطلعن الى السطح ولو ليلا أرسلت الوالدة الى بنتها فاطمة ، فتجشمت معها ليلة الطلوع على السطح فادت حق المسامحة مع السيدة حوكا التى لم تنشب ان لفظت نفسها الاخير اثر خروج الوالدة • وانما أتيت بكل هذا ليعرف كيف تحافظ نساء ءالنا من الجارات على ان لايخرجن من الدنيا بتبعة بينهن ، فرحم الله الجميع

فهؤلاء صاحب الترجمة وبناته ، أتينا بهم ، لاننا رأيناه منجبا فى الذكور وفى الاناث ، ، وامهم زوجة صاحب الترجمة ، من (أسيف اودرار) اخت زوجة سيدى محمد بن ابراهيم اعجلى • هذا ما عرفناه عن سيدى احمد نطالب رحمه الله •

الرئيس محمد الاشكر الدبانى

قبل : ١٢٥٠ هـ = ١٣٠١ هـ

نسبه

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد المومن بن أحمد بن محمد ابن القاضى عبد المومن بن محمد بن على بن محمد بن عبد المومن

رأيت أخبار سيدى أحمد نطالب ، ورأيت أنه لايزال يلتفت الى القلم ويحرر به ويقصده الناس لذلك ، وهو مع ذلك يتمتع برياسة نسبية اصطدم بها رؤساء (ايكلى) الذين غصوا به ، ونفسوا عليه مكانته ، ثم رأيت كيف اختتمت حياته ، وكيف فتك به اولئك الجبناء الذين لايقدرون ان يواجهوه فى الميدان فمالوا الى الطعنة وراء الظهر غدرا وختلا ، وهل هذه الا افعال الجبناء الرعاديد ؟

نفض ابنه محمد الاشكر يده من تراب قبر والده ، فمد يده الى البندقية وعاهدها على ان لاترجع الى مستقرها حتى يوخذ بثار ذلك المظلوم ، فوفى بالعهد ، وقليل من أمثاله من يفون بمثل هذه العهود ويغسلون العار بادراك الثار ، وهو ينشد بلسان حاله :

ساغسل عنى العار بالسيف جالبا على قضاء الله ما كان جالبا

انتدب الاشكر ويسانده صنوه الحاج ابراهيم الذى رجع اذذاك من المدارس القرآنية ، وألقى اليراع ، وامتشق الحسام ، وأقبل اقبال من جعل نصب عينيه ما جعل • فكان هذا ءاخر عهد تلك الدار بالاقلام والمحابر ومزاولة العلوم والدفاتر ، فجاء عهد البارود والرياسة ، وأقبلت الرجولة تحلق فى سماوات (اكنى اديان) بجناحيها المتراصتين بالخوافى والقوادم ، فكأنما عهد سيدى أحمد نطالب برزخ ، انتقل بسببه ذلك الشعب من شعب الطلبة المطرقين المساكين الى شعب الرؤساء الشامخين بأنوق المغاوير ، فذهب عصر المداد الاسود ، وجاء عصر الدم الاحمر ، وانطوى زمن الدواة والقرطاس ، وانبثق زمن البارود والقرطاس (١) فهكذا تتبدل الاسر ، وتنقلب من حال الى حال ، وذلك كله

١) يقصد الناس فى المغرب بالقرطاس : حشو البنادق الرومية

بحكم الضرورة ، فقد راينا الديانيين سائرين في طريقهم ، ولكن محاككة الايكليين هي التي وجهت سيدي احمد نطالب الى ما وجهته اليه ، ثم بعد ان فعلوا به ما فعلوا ، استثاروا من أشبال الاسد ، من تراموا بحنق حتى هتكوا سجف العار ، بادراك الثار ، ثم صفا بذلك لهم الجو ، فاستبدوا به • ومن خلقه الله لشيء هيأ له أسباب ذلك

في وسط نهار في اليوم التاسع من ذي الحجة ، في سنة لعلها : ١٢٨٦هـ صاح محمد الاشكر من قمة الثنية التي فوق (توكال) بصوته الجهوري : ياءال توكال : احترسوا ، فان أمغار باها ، قد قتلناه الان في هذه الشعبة ، فانجفل التوكاليون ، وقد عرفوا صوت الاشكر الجهوري ، فبذلك ضحى بامغار باها فاذيق ءاله في ذلك اليوم ، ما اذاقوه لابناء سيدي احمد نطالب حين سقط من فوق سطح داره ، والمرء مدين بما دان به وكيفية قتله ستراها في ترجمته قريبا •

هذا أمغار باها قد سقط ، وهؤلاء أقوياء اشداء من آله ، وعلى رياستهم امغار يوسف ، يتربصون هم ايضا بدورهم كيف يضربون خصومهم ضربة قاضية تجعلهم يأسفون على مغادرتهم ما بين الكتب ، الى مجاذبة الرياسة اربابها ولكنهم لاقوا من صاحب الترجمة فحلا هائجا ذا شقاشق ، لايرتد بالخوف ، ولايعلم للفرق وخوف الرجال معنى ، وقد انحاز اليه من القبيلة الايغشانية رجال يستعين بهم على مطلوبه ، ومن بينهم اصهاره من (ءال ايبورك) تحت رياسة الباسل علي الايبوركي الاتي ذكره ، وءال (أسيف مقورن) فبهؤلاء استعان حتى فتك غيلة باثنين من ءال (ايكلي)

ثم حدث في سنة : ١٢٨٨هـ ما أرغم الديانيين والايكليين على ان يواجهوا جميعا متساندين حربا دهمتهم من السملاليين ، كانت تقدمت منها شرارات بايت وفقا ، وبين يدي (توكال) ثم لما احتفل الشر ، وامتخضت العداوة ، وقد انقض السملاليون على قرى كثيرة من ايغشان أرادوا ان يستلحقوها ، فاجمعت كلمة الايغشانيين على مدافعتهم ، ففي ءاخر ١٢٨٨هـ اندلعت نار الحرب ، فبقيت الى سنة : ١٢٩١هـ فكان على الرئاسة العليا صاحب الترجمة وعلي الايبوركي ، وأمغار يوسف الايكليي وقد انجر عليهم ذيل قول الحماسي : (عند الشدائد تذهب الاحقاد) فصارت القبائل تنقسم على المتحاربين ، فكان البعقيليون والمجاطيون والامانوزيون من انصار الايغشانيين ، والتمليون والصوابيون من انصار السملاليين ، فدارت حرب ضروس شديدة ، تتخللها فترات تهدأ فيها الحرب ، مع ابقاء التخوم مملوءة بالحرس ريثما يصل رجال القبائل اهاليهم ثم يرجعون ، فهكذا دواليك ، وقد اخبرني مجاطي ان أخا له كبيرا ذكر له : انهم في حين ينزلون في قرية (زلافة) من أيت وفقا ، وتصلهم

قصاع الايغشانيين هناك ، وتكون قصعة الديانيين كبيرة مختارة ، كجفنة ابن جدعان التي سقط فيها صبي فغرق في حوض ادامها ، او كجفنة المحلق التي تلمع مثل جابية الشيخ العراقي الفاهقة او كجفنة المقنع التي لا يغلق الباب دونها مكللة لحما ، مدفقة ثردا ، قال الراوي فكانت هذه الجفنة الغراء يستدعي لها رؤساء أيت علي المجاطيين ، لما بينهم وبين الديانيين من قديم ، من صحبة ومودة ، ففي وسط هذه الحرب سقط الباسل : علي الايبوركي ، ثم لما مضى منها مضى ، ائتمر البعقيليون وغيرهم في ان يديروا الحرب حول قبيلة سملالة ، وان يفتحوا جميع المنافذ اليها ، ففتحت (تارغنا) و (تيفرميت) و (انامر اوليل) وما يوازي ايغشان فتشابكت اذذاك القوات ، وانتطحت الكباش ، فما أكثر القتلى من الجانبين ، خصوصا في يوم يذكر حول دار (بومزونج) اذ تداول هذه الدار الفريقان بجزر ومد ، وقد استمات المتناحران ، ورخصت فيها الارواح وتناثرت الاشلاء •

اشتدت هذه الحرب الزبون فاكلت نارها الرطب واليابس ، وقد استشرى داؤها الوبيل ، فجاء صالح ذلك العصر سيدي المدني الناصري فصار يسعى بالصلح بين الفريقين ، حتى اتمه الله على يده ، على ان من أراد سملالة يلتحق بها من الايغشانيين ، ومن أراد ان يبقى وسط اخوانه يبقى معهم ، ثم نادى بانه حمى وادي ايغشان ، ودعا على من مد فيه يده بعد اليوم ، وهذه الهدنة اما في أواخر : ١٢٩١هـ واما في اوائل التي بعدها فطويت هذه الحرب وماكادت

ثم ان الحاج ابراهيم تزوج من ءال باها بينت مسعود ، ولا ندري هل المقصود بهذه المصاهرة ان ينسى بها ماتقدم او المقصود من الديانيين ان يستميلوا اليهم بعض ءال باها ، ليفلوا الحديد بالحديد واياكان فهو زواج سياسي ، وهذا التزوج كان في اول العقد العاشر من القرن الماضي ، لان احمد ابن ابراهيم ولد هذه المرأة الايكلية ، ولد سنة : ١٢٩٥هـ ولكن الطاهر بن باها سقط غيلة في ثنية (تيزي اوزرو) ، فاتهم به الديانيون ، فتغلت الجروح من جديد ، وصار كل فريق يتربص بصاحبه فرصة ، فاراد الايكليون ان ينصبوا حبالة متينة لخصومهم ليقضوا عليهم قضاء نهائيا ، ولكن سقطوا فيها ، ومن حفر بيرا لاخيه وقع فيها

اخبرني ابراهيم بن موح الايبوركي انه ذهب هو وصاحب الترجمة لزيارة الرجل الصالح سيدي احمد بن عبلا الكرسيفي (المتوفى ١٣٠٢هـ) فشكا عليه الاشكر ما يناوئهم به الايكليون ، وانهم على كل حال لابد ملاقو كيدهم بكيد ءاخر ، فقال له سيدي احمد ان الله سيجعل لك خيرا ، وما دام لك الايبوركيون ، فقد دامت لك القبيلة ، فلا تاس مما كانوا يعملون •

وفي اوائل سنة : ١٢٩٩هـ سرى محمد الاشكر من (اكني اديان) تحت

جنح الليل ، الى دار الايكليين ، كما سرى هؤلاء ايضا الى دار الديانيين فاستولى الاشكر على دارهم بمن معه ، وقتل من فيها ، ثم انتظر حتى رجع الاخرون ، فتمت المجزرة ، وقضي الامر ، فهدم دارهم • ونقل سقوفها وابوابها الى داره • وافضل على المدرسة الالغية بمصراعين هما اللذان ركبا على بابها الشمالى ، وسترى فى ذكرنا لآل باها ، كيف تم له ذلك النصر

فى ذلك اليوم أصبح الاشكر رئيس ايغشان وحده ، يخلق وحده ويفرى(1) ويؤسس ويشيد بمعاونة صنوه الحاج ابراهيم الذى كان من الجرأة فى مكانة غريبة ، طالما نهاه عنها صاحب الترجمة ، ولكنه لاينتهي ، فصار العاصميون كلهم والايغشانيون من فوق (تيزى) فى يد الديانيين ، وأما الاخرون فلايزالون ينسحبون مع السملاليين

فى سنة : ١٢٩٩هـ ثارت الحرب الامانوزية المشهورة ، وسببها ان ءال قرية (أيت الحسن اوعلى) كان الامانوزيون يعركونهم ويفرضون عليهم مغارم فاحتموا بالديانيين حين راوا منهم هذا الانتصار الباهر على اكفائهم الايكليين فقام الامانوزيون وقعدوا ، فاغاروا على غنم الايغشانيين ، فاغار هؤلاء ايضا على غنم لآل (ايزربى) وقد كان للامانوزيين اذذاك قوة وبطش حتى ان الطريق المارة الى (تامانارت) كادوا يقفرونها من السابلة ، بما يوالونه من النهب وكذلك جيرانهم الالغيون المرابطون وغيرهم ، راوا منهم وجها كالحا ، وبدا محتوشة فهؤلاء الان يصطدمون والديانيين وقد ردوا على غارتهم بالمثل ، وسيرون منهم اباة ضيم ، وذادة اشداء دون حياضهم ، وسيتلقون منهم درسا بليغ الاثر ، لن ينسى الى الابد .

أنف الامانوزيون ان يجدوا من جيرانهم هؤلاء الحديثي العهد بصولجان الرياسة من يقومون امامهم وجها لوجه ، فالتقوا يوما بينهم فكان يوما مستطير الشرر ، سقط فيه تحت السنابك (2) وامام البنادق (أيت اوفناس) المشهورون وسيدى يوسف طالب من الديانيين ، ثم تكررت الملاقاة بينهم اياما ، والاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالغى يجرى بينهم بالصلح مرارا ، فلايكاد يغادرهم على هدنة ، حتى يحدث ما يستدعى احد الطرفين الى هتكها فتعود الحرب قريبا هذا والديانيون يمدون فى اعدائهم الدسائس ، حتى تفرقوا فيما بينهم ، فاذا بالحرب الخارجية تعود بينهم داخلية ، فكفى الديانيون امر اعدائهم ، لان فرقة

1) خلق الجلد يخلقه كنصره ينصره ، اذا قدره قبل أن يقطعه ، وفرى بمعنى قطع وفى المثل : ما كل من خلق يفرى : اى ما كل من قدر شيئا يستطيع انجازه

2) جمع سنبكة بضمتين : طرف حافر الفرس

الاعداء باب يفتح للانتصار عليهم بادنى سبب ، فالتحقت القرية التى قامت حولها الحرب بالايغشانيين ، والامانوزيون خزايا ينظرون ، ثم ما كاد الديانيون يخرجون من الحرب الامانوزية ، بعدما وضعت اوزارها ، حتى جاءت اخرى ، فى (اكنى ايكدمان) بسبب ان السملاليين نزلوا فى هذه القرية من جديد بجيشهم ، فنهبوا ديار من يهبون بريح الديانيين ، وحاصروا ديارا اخرى ، والذين مدوا اليهم اليد من القرية هم (أيت بكو) و (أيت على نبهمو) وسيدى محمد بن على الملقب بالاخفش ، وبلا بن على المقتول فى تلك الحرب فسرى اذذاك الحاج ابراهيم أخو المترجم حتى دخل بعض الديار المحاصرة ، مع (12) عشر رجلا ، ولكن اشتد عليهم الحصار جدا ، فجاء الاستاذ سيدى محمد ابن عبدالله الالغى ، قال ابراهيم بن موح ، فبات عندى ، فتطلب منى ان لا أصنع له الاعصيدة ، ولكننى ذبحت وقمت بكل شيء وفى الصباح سعى بالصلح حتى قبل السملاليون الهدنة ، على ان يتقدم المحاصرون بالذبيحة الى المجمع فقبلوا ذلك ، فخرج المحاصرون بعدما فقدوا حتى الماء ، وقد استطاع الفقيه سيدى محمد بن عبد الله ان يدخل على المحاصرين قبل استسلامهم فصار يعاتب الحاج ابراهيم على ما ورط فيه نفسه من هذه المغامرة ، فقال له الحاج ابراهيم لئن انجيتنى من هذه ، لالتحقن بايت بعمران ، فاشتغل بتعليم كتاب الله فى مسجد اشارط فيه ، ولكنه لما نجا نسى وعده •

قال ابراهيم : فانتصر علينا السملاليون ، ولم يبق فى تلك الجهة ممن يرفع رأسه بموالاة الديانيين ، غير ءالنا اليبوركيين ، فارسلت الى نحو (30) رجلا من ءال (أسيف مقورن) فخبأتهم عندى شهرا ، استعدادا للطوارئ ، لان (اكنى ايكدمان) و (انامر) الا ماكان منا ، قد صار الكل من السملاليين وقد نادى السملاليون على دار الايبوركيين ان من هدمها فله ٤٠٠ مثقال حتى جاءنى مرة ليلا محمد الاشكر ، فطلب منى ان أماشى الزمن ، وان أدارى السملاليين حتى يفرج الله ، فقلت له : لا والله ، مانحن بخارجين عما نحن عليه ، فقال اننا الان ضعفاء ، لانقدر أن نغيثكم بشيء ، قال فقلت له : عليكم بما وراء (تيزى) وأما ما هنا فنحن أدرى بما نصنع فيه ، ثم ان المخابرة جرت بين الايبوركيين مع بعض العروسيين من سملالة فمكنوهم من ١٣٠ ريالا ، فاحتالوا على الايكدمانيين ، فقالوا لهم الان انضممتم الينا ، فلا بد من رهائن تصححون بها أقوالكم ، وتبرهنون بها عن حسن نياتكم نحونا ، فقدموا لهم كل ما يملكونه من الحلى ، وتبرهنون بها عن حسن نياتكم نحونا ، فقدموالهم ايديهم ، قالوا للايبوركيين : شأنكم وما تريدون ، فقام هؤلاء والديانيون ، فصبحوا (اكنى ايكدمان) فاستولوا عليها وغرموا كل من فيها ممن يوالون سملالة : ٤٢ ريالا لكل دار ، قال ابراهيم : فوضعها كلها محمد الاشكر فى جيبه وحده ، ومن يقدر ان يقول له أين حظنا منها :

فاذا تكون كريهة ادعى لها وذا يحاس الحيس يدعى جندب

فصفت بذلك القبيلة كلها للديانيين ، وايس السملاليون من ان يحوموا حولها
بعد لاسيما حين مثلوا ذلك الدور الشائن من اختلاس الحل من اهله بحيلة
وكل من غدرته وخست عهده فقد انقطعت الحبال بينك وبينه

وهنا اقول للقارئ : ان غالب رؤساء القبائل من ذلك العهد الى زمن
الاحتلال ، لايخرج عن مثل هذه العهود ، وعن امثال هذه الميادين التى لايحوم
حولها الشرف ،ونحن الان نتحقق هذا ونعرفه ، وربما ياتى عصر بجيل اخر
يكون عنده هذا من قلم المؤرخ اما كذبا من كاتبه اوتحاملا منه اوسحب جزئية
واحدة على كلياتاخرى غيرها ، وكانى بالمنصف من احفادنا يقف هنا متعجبا
ويقول : أهكذا كان اجدادنا ، وعهود رؤساء قبائلهم ، ثم ينغض راسه (١)
ويقول : أم هذا من المفتريات ؟

وقعت هاتان الحربان : الامانوزية والايكدمانية سنة : ١٢٩٩ھ فانجلت
عن مكانة لصاحب الترجمة ثابتة ، وقد ابتدأ فى تاثيل الاموال ، وكانت
أخلاقه اخلاقا لاتسف ، فقد حكى لى عنه : انه يسخو بما عنده قبل ان يتطلب
من القبيلة اخراج ما عندها ، كما حدثت أنه لايتجاوز صاحبه ، ولا يخيس
فيه عهده . ولم يكد ينال هذه الانتصارات وتمضى عليه سنة وبعض اخرى
حتى سقط مريضا ، ثم هلك حتف انفه .

وكان يقول دائما لاخيه الحاج ابراهيم : اننى لا أموت الا على فراشي
وانما أخاف عليك انت ان تؤديك جراءتك هذه الى ان يفتك بك بعض الفتاك
فى مفازة ، فتسقط مجندلا تسفى عليك الريح والمور (٢)

وقد أعقب من زوجته التيغشيتية ولده الطاهر ، ومن بنت الاستاذ سيدى
محمد بن ابراهيم اعجلى الهاشم الذى نعرفه كوزير للرئيس احمد بن الحاج
ابراهيم فى كل أيامه ، وولادته نحو : ١٢٩٤ھ ووفاته فى ١٣ رمضان ١٣٥٠ھ
بعد الاحتلال لهذه الجبال بثلاث سنوات ، وكان مذكورا مع الرئيس احمد
فى قصائد كثيرة ، ستاتى فى ترجمة المذكور ، وقد استشفع مرة بطلبة
(اداى) الحربيلية عند الاستاذ سيدى الطاهر ، فى قضية ، فكتب اليهم الاستاذ
قابلا للشفاعة :

ياسادتى انى قبلت توسلا	بكم لهاشم المحب الوامق
فالله يكلاه ويهدى قلبه	وينيله من كل خير رائق
ويعز جانبه ويسعده باقـ	ـبال المنى ومنال كل موافق
وكذاك نحن وانتم طرا ومن	أصفى الوداد لنا بقلب صادق

وانما اتيت بهذه القطعة الدعائية لتعلقها به ، والهاشم هذا هو والد سيدى
المحفوظ الذى تكرر ذكره فيما تقدم ، وسترد ترجمته ان شاء الله

١) انغض راسه : حركه كالمتعجب او المستهزىء
٢) المور : الغبار : قال شاعر فى قتيل بفلاة :
تسقى عليه الريح والمور

الرئيس الحاج ابراهيم الشهير

١٥ - ١٠ - ١٢٦٠ھ = ٢١ - ١٠ - ١٣٣٣ھ

نسبه :

ابراهيم بن أحمد بن محمد بن عبد المومن بن أحمد بن محمد ابن القاضى عبد المومن ابن محمد بن على بن محمد بن عبد المومن

هذا هو صقر (الغ) الذى يحلق بعد صنوه المتقدم ثلث قرن فى سماواته الفيحاء ، وليثه الزءار ، الذى يحمى حماه ببرثنه المسنون وبوثباته التى لها فتكات أية فتكات ربما تنسى فتكات البراض وجساس

هذا الرجل هو الذى كان العضد اليمنى لصنوه المتقدم ، حتى اخذا بثار والدهما ، فكان دائما فى الصفوف الاولى فى المعارك التي دارت اذذاك - وقد ذكرنا أهمها - فكان لجرأته ولطفراته دوى ، كان يذر قلب اخيه يخفق دائما عليه ، شفقة وخوفا من أن يتردى فى احدى مهاو تعرض لـه اذذاك كثيرا ، ولكن الحاج ابراهيم مجدود ، يمزق كل الحبالات التى تنصب له ، ثم يبرز وراءها وهو مكلل بالنجاح .

كان ممن حظى بحفظ القرءان ، تلقاء اولا عن بعض اساتذة القرية وبعد أن قدر على ان يتغرب ، كان فى مدرسة (تيزى الاثنيين) عند الاستاذ الكبير المشهور الركراكى : سيدى الحاج محمد احد القراء فى ذلك العصر المذكورين بالقراءات السبع ، وسنذكره ان شاء الله فى (الفصل الثانى) من (القسم الثالث) ثم كان أيضا فى (مدرسة الجمعة) فى قبيلة ايت عبلا البعمرانية وهناك ثاور احد الطلبة ، فغادره بطعنة نجلاء ساقطا فقمص ينتهب الارض الى الغ ، وربما كان مطعونه برىء بعد ذلك .

ثم اننى كنت أسمع ان له اتصالا بسيدى محمد بن ابراهيم اعجلى المتوفى (١٢٧١ھ) وانه كان افضى اليه بانه سيعيش فى احياة عالمين بالغ وصاه عليهما فمن هنا التمس الناس مستندا لهذا الاعتناء الذى يلقاه الاستاذ سيدى محمد ابن عبد الله ، والشيخ الالغى منه ، وهذا عندى مستبعد ، لان سن صاحب الترجمة حين وفاة أعجلى فى السنة المذكورة ، لايمكن عادة ان يفضى الى صاحبها بمثل هذا ، ولعله كان هناك يقرأ مع اخيه الحاج محمد ثم كان هذا الافضاء من اعجلى الى اخيه الاشكر الرجل الكبير حينئذ ، او الى الحاج محمد ، فلفق

الناس هذا على ما ارادوه ، هذا ان كان هذا الافضاء صحيح السند ، واما انا فانما أسمعه بغير تواتر من عند هيان ابن بيان ، والله أعلم بحقيقة الامر

كان عمره يوم قتل ابوه (٢٤) سنة فمن ذلك الوقت طلق المدرسة وطوى الكتاب ، وعلق اللوحة ، بعدما اتقن حفظ القرءان اتقانا ، وحصل حرف المكى فلازم صنوه ، وقد رأيته دائما معه ، يوم احتلال دار الايكليين ، وفى (اكنى ايكدمان) حين حوصر ، حتى فك عليه حلقة الحصار الاستاذ الالغى الذى لذعه حينئذ بتانيب مر ، يقول له : أفى كل يوم تلقى نفسك فى التهلكة ؟فقال له هذا : لئن نجوت من هذه لالتحقن بقبيلة بنى عمران فاشارط فيها فأعلم كتاب الله ، ولكنه ماكاد ينجو حتى كان وعده المخيس كحلفة (١) ابن الرومى المشهورة ومن خلق لشيء ، وركبت فيه غرائزه ، فهيهات ان يتملص منه ، وان حاول ماحاول • لان التخلق ياتى دونه الخلق ــ وقد تقدمت الحكاية ــ

ولمامات صنوه تصدر فى مقامه ، وقد تمهدت السبل ، ووطئت العقبات واجتمعت كلمة القبيلة ، وليس عليه بعد ذلك الا أن يحافظ على ذلك بمهارة فالمحافظة على الانتصار حتى تجنى ثمرته ، أصعب عند الحربيين الدهاةمن الانتصار ، فكم انتصرت المانيا فى اول حرب ــ ولكنها لاتعرف كيف تحافظ على الانتصار الى الاخير ــ

سلك طريقا وفق اليها غالبا غاية التوفيق ، حداه اليها سعده فكان عوض ان يضع الحصون فى تخوم قبيلته ، وأن يشيد المعاقل على قنن الجبال ، مد سماطا لايغلق الباب دونه ، وليس من ورائه حجاب ، فاغناه ذلك فى مدافعة الاعداء ، وفى فتح القلوب ، وتنمية الاصدقاء ما لايغنيه كثير من سابغات الدروع • ولامنيعات الصياصى ، على أنه حاول بناء حصن قديم تهدم فوق داره فى عهد الحاحيين ، ولكن حصنه الحصين حقيقة انما هو فى مائدته الطافحة

كان رئيسا من الرؤساء ، يقدم المصلحة التى تراءت له على سواها فكان لابد له أن يفرط منه مالايدوم له ما هوفيه ــ على رأى أمثاله ــ الا بارتكابه ، ثم لايبالى ان يوافق انظار غيره اولايوافقها ، ولكن كرمه ومحبة العلم وذويه غطيا كل ذلك ، وقد كان هذا مما لوحظ منه من سنواته الاولى ، فاسمع مايقوله فيه الشيخ الالغى فى رحلته الحجازية ، حين ذهب معه حتى شيعه بماسة:

ومعنا محب اهل الخير   من لم يفارقهم بكل سير
ووصفه اوصاف أهل الله   وقلبه لاه عن الملاهى
له عديدة من المناقب   تحط ماله من المثالب

١) يقول
وانى لذو حلف حاضر   اذا ماضطررت وفى الحال ضيق
وهل من جناح على مرهق   يدافع بالله ما لايطيق ؟

اخلاقه طابت سليم الصدر   من كل شين شان اهل القدر
شجرة السخا حمت له الحمى   واطلقت له اللسان والفما
ووجد الفضل لذلك السخا   ففلكه تمخر بالريح الرخا
حبى أبو سالم الغشانى   خادم علم قارىء القرءان

هذا ما يقوله فيه الشيخ فى شعبان : ١٣٠٥هـ وهو يحاول ــ كما نحاول ــ ان يذكر له الحسنات فقط ذكرا جميلا ، فشهد له بالسماحة التى هى بمثابة ستر كثيف ثخين ضاف ، يغطى كل ما لايسلم منه امثاله من المثالب،والحسنات يذهبن السيئات ، وبهمة عالية لاتميل الى الملاهى ، وبتلاوة القرءان ، والاتصاف باوصاف أهل الخير ممن ينحاش اليهم ، وبسلامة الصدر ، وباخلاق طيبة يحوط هذه الخلال بسياجها ، وهذا حقيقة وصف الرجل من هذه الناحية وكان القارىء يراه •

وكان طول حياته بين هذه الاخلاق ، وبين أخلاق الرؤساء الاخرى يتلون فاذا كان مع العلماء واهل الخير ، فانه خادمهم والمتعصب لهم ، واذا كان مع اعدائه ، أومن يتوجس منهم أمورا تضربه فانه يكون كالاسد وسط النقد (١) فويل لمن اصطدم واياه

ومما يتعلق باخلاقه وصراحته فيما يريده من غير مجمجة : ماحكاه بعضهم ، قال : جئت الى دار الحاج ابراهيم ، فوجدت فاضلا من اهل قرية (اكنى ايكدمان) فى بيت مسجونا ، فنادانى ، فقال لى : انظر هذا الرجل باى ذنب سجننى ، فلما ذكرت له ذلك ، قال : لاذنب له عندى الا انه صنع يعرض عنىوعن مجيئه بالاحسان الى دارى ، بعد ما الفت منه ذلك ، فذكرت ذلك للرجل ، فقال : ان كان هذا هو ذنبى الوحيد ، فان الامر سهل ، فوعده بالرجوع الى مايريده ، فاطلقه فاستمر على ما يريد منه •

حكى لى العم ابراهيم ان الاشكر وصاحب الترجمة دخلا على والد ابراهيم بن أحمد بن باها سنة : ١٢٩٩هـ فطلبا منه رغما أن يدفع اليهما اثنتى عشرة غرارة من الشعير ، ليحرثاها فى تلك السنة ، وكان ابراهيم المذكور ذا حبوب كثيرة ، فالتجأ هذا الى الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله ، فما زال يسفر بينهم حتى ردت الى عشر ، وقد انقض عليه صاحب الترجمة مرة أخرى بعد ذلك ، فاراد ان يمتص كل أمواله ، فالتجأ أيضا الى الاستاذ سيدى على بن عبدالله ، والشيخ الالغى ، فمازال الاول يسفر بينهما حتى قنع منه بمائة ريال هذا كله فى مقابلة مسامحته من القتل ، مواخذة له بمافعله والده حين اعان فى الفتك بسيدى احمد نطالب ، ومن أعان بادنى شىء على قتل انسان ، فهو حلال

١) النقد محركا : جنس من الغنم صغير الارجل ، الواحد نقدة للذكر والانثى ويجمع بنقاد ونقادة • كجمال وجمالة •

الدم ، فضلاعن المال فى نظر الموتورين • وقد سقط احمد بن باما اخوابراهيم هذا يوما ازاء (تسنضرت) فى (دوكادير) بطلقات مجاطيين ، فقيل ان ذلك من تتمة الاخذ بثار سيدى احمد نطالب ، وقد تتبع ءال باما الايكليين الذين هربوا سنة ١٢٩٩هـ بعد تخريب دارهم فلم يبق منهم الا من طال عمره ، وكذلك الامانوزيون الذين كانوا قاسى منهم ما قاسى فى تلك الحرب مع اخيه لم يزل يتتبعهم حتى انخنسوا امامه ، فمنهم (ءايت تلحيق) الذين كانوا يماكسونه ويتتبعونه كما يتتبعهم ، فانه سبقهم الى الضربة ، فسقطوا يوما ثلاثهم أمام بسيط (ايكل) وقد رجعوا من مجاط فى حاجة لهم ، وذلك هوماكان سيقع له ، لو سبقوا اليه •

بهذا القمع ، رد ايدى العداء عن حماه ، بل عن الغ كله ، فانكف عنه الانكضائيون • والابراهميون والامانوزيون وغيرهم ممن يعبثون فيه بضعفة المرابطين ، وغيرهم ، فعادت لالغ حرمة زائدة به وباصحابه العلويين من مجاط ، ولواحد تراعيه افضل من كثيرين متشاكسين فعظمت حرمات الزاويتين الالغيتين ، فياويح من حدثته نفسه ان يمد الى احداهما او الى حمى مما حوليهما يدا ، لانه لايعرف الا نصر اصحابه ظالمين او مظلومين ، فكم فاتك يطل الى الظهور من سكان بسيط الغ من الحريبليين ، ثم لم يظهر له بعد قبر ، اووجد ببطن شريان يعوى حوله الذيب (١) وقد ابصرت مرة انسانا اعمى يقاد مسمول العينين ، فاخبرت انه سرق ، فوصل الى يد صاحب الترجمة فسمل عينيه بحديدة محماة

ومن بارز اخلاقه انه صريح الى الغاية ، يقول لك فى وجهك ما يريده شئت او ابيت ، كما انه اذا اراد حاجة او مالا من عند انسان لايعتذر له ، ولايركبمتن التمويه ، بل يقول له والعين تنظر فى العين : ائتنى بكذا ، وهذه لعمرى سياسة ، لايسلكها الا المقتدرون الذين يعرفون من انفسهم مقدرة تامة ، وأما المخاتلة والموارية ، واظهار ان عمرا هو المراد مع انالمراد هو خارجة ، فلايركبها الا الرعاديد الذين كلما راوا خيالا تطير نفوسهم شعاعا ضعفوا فختلوا ، ولو قووا لقتلوا

أراد الله به خيرا ، فادى فريضته فى سنة : ١٣٠٧هـ واذ كان مغرما بمصاحبة اهل الخير ، والاتصال بالعلماء ، ذهب فى جماعة منهم الاستاذ الكبير الحاج محمد اليزيدى ، والفقيه سيدى الحاج احمد اليزيدى ، والفقيه الحاج

---

(١) قال الشاعر :

ابلغ هذيلا او ابلغ من يبلغها	عنى حديثا وبعض القول تكذيب
بأن ذا الكلب عمرا أخيرهم حسبا	ببطن شريان يعوى حوله الذيب

احمد اوالشليح الايسى ، فى اناس فضلاء ءاخرين ، وقد صاحبهم الاستاذ سيدى على بن عبد الله الى ان ودعهم فى السويرة ، واما الشيخ الالغى ، فانه ودعهم بابيات مطلعها :

وفد خير الخلق ان جئتم الى	روضة الحب الشريف المصطفى

توجد فى (مجموعة) من منظوماته ، تلحق بكتاب (من أفواه الرجال)

الحرب الوفقاوية

من أشهر الوقائع التى انتشب فيها صاحب الترجمة ، فظهرت فيها عزيمته الصارمة وثباته وانفته : الحرب الشهيرة التى طارت بينه وبين الوفقاويين ، وسببها : أمر بسيط غريب ، حتى كأنه رواية من الروايات التى يالف ذوو الفراغ ان ينسجوها باخيلتهم ، وهم على كراسيهم جالسون وعلى مناضدهم ينحنون ، ولكن هذه حقيقية لا خيالية ،

اتصل فتى ايغشانى بآنسة من الوفقاويات اتصالا ابتدأ من النظرةالتى ذكرها الشاعر المصرى فى قوله :

نظرة فابتسامة فسلام	فكلام فموعد فلقاء

ثم ذيل ذلك بقول الشاعر الالغى الذى حاول ان يذيل هذا البيت بذيول القضية ، حتى بلغت مابلغت ، وانكانت شاعرية الالغى وقفت دون مدى شاعرية المصرى المفوه :

فوصال فصحبة فوداد	فهيام به الحياة هباء
فهروب الى الحبيب نهارا	فعلى الاهل والجميع العفاء
ملك الحب أرسن القلب حتى ا	نقاد نحو الحبيب كيف يشاء
فليقولن من يؤنب ما شا	ء فآذان ذى الهوى صماء
كان ما كان فلتنسخ هذه الغبـ	ـراء او تسقطن تلك السماء

جرت هذه الحكاية الغرامية التى انتهت بكل ماتنتهى به دائما الغراميات من الافتضاح وحين كان جو الغ اذذاك طاهرا كانت فيه هذه القضية احدى الغرائب ، الاأنها لم تقف عند الغرام بل دخلتها السياسة ، فقام الوفقاويون وقعدوا لذهاب اختهم مع عاشقها ، وقالو ان هذه الا اهانة عظيمة ، وخزى يبقى أمد الدهر ، واحدوثة تتناقلها عنا ألسنة الركبان — وكأنهم نسوا ألسنة الاقلام — فارسلوا بالتهديدات المبرقة المرعدة الى صاحب الترجمة ، وتوعدوه ان لم يرجع الانسة الى أبويها ليملان عليه أرضه خيلا ورجلا ، فكاد الحاج ابراهيم — الذى لاتطبيه امثال هذه الوقائع الغرامية المسفة ، ولايعيرلاحاديثها سمعا ، ولاياْبه بأهلها ، ولايعد ذلك الامن السفاسف التى ما كانت لتجرى على

بالله ، فضلا عن أن تجرى بين يديه ، أو يقر على امثالها من يريدون العبث بالفضيلة ، أو ان يمدوا أيديهم الى هتك العفة والشرف ـ يجيبهم الى مايتطلبونه من رد الانسة ، لولا أنه رأى من هذه التهديدات التى شفعوا بها طلبهم ما يملى على أبائه وانفته ، ان لايقف ازاءها الابهامة مرفوعة ، وانف اشم شامخ العرنين ، فرد عليهم بتهديدات مثلها ، فصارت العقدة بهذه التهديدات المتبادلة عويصة الحل ، بعدما حاول الاستاذ سيدى على بن عبدالله ، والشيخ الالغى أن تسوى المسألة على الوسط ، فتزوج الانسة بالرجل الذى اختارته ، فيطوى ذكر هذا الامر المخجل ، ولكن الوفقاويين صموا عن ذلك ، وصمموا عـلى استرداد اختهم بلا قيد ولاشرط ، فلجوا فى ذلك والحوا الحاحا ، ثم أنهم تمكنوا من اعتقال ايغشانيتين من عرض النساء فى بسيط (باردا) فـزادت الحالة توترا ، وصار الجو يشم منه رائحة البارود ، فجاء امغار محمد المجاطى فتردد سفيرا بين الفريقين ، حتى تمكن من اطلاق هاتين الايغشانيتين ، وضمن أن تطلق الاخرى الى أبويها ، ولكن مضت أيام ولم ترجع ، فصار حينئذ كل من الفريقين يستتبع القبائل ، ويستجيش كل من يجدهم وكان ابتداء هـذه المشكلة فى اواخر : ١٣١٤هـ فما كاد الكيلولى ينزل فى تيزنيت فى اوائـل ١٣١٥هـ حتى اتصل به الحاج ابراهيم بالمخابرة ، على يد القائد سعيد المجاطى فاوعز الكيلولى الى الاخصاصيين ومن وراءهم أن يؤيدوا الايغشانى ، فجاءوا اليه بجيشهم وأرسل ال القائد سعيد المجاطى نحو : ٤٠ فارسا من شيعتهم اليه وأما المجاطيون قاطبة فانهم من شيعة الوفقاويين مضادة للقائد سعيد ، فكان السملاليون والامانوزيون ومن ذكرناهم شيعة صاحب الترجمة ، وكان عنده أيضا فرسان حاحيون ، انحازوا اذذاك عند القائد سعيد المجاطى ، ففى ليلة زحف المجاطيون بقبائلهم الى بسيط (باردا) تحت (توكال) حـيث جيش الاخرين نازل ، قال مجاطى ممن حضروا ، فجئنا نحن الاربعين فارسا المجاطيين حتى التقينا مع اخواننا فى وسط (باردا) فصرنا نتعاتب ساعة ، فاطلق واحد منهم فى واحدنا ، فأجفلنا مغذين الى أصحابنا ، والاخرون يطاردوننا ، فحسب أصحابنا أننا اتفقنا بيننا ، فزحفنا اليهم جميعا ، فماجوا مولين الادبار ، فلم يقفوا حتى ادركناهم ، فعرفوا أننا باقون على العهد .

ثم ان هؤلاء المجاطيين الناصرين للوفقاويين بلغهم مايفعله القائد سعيد المجاطى خفية ومايحاوله فى بلدهم من التمهيد للكلولى ولمغارمه ، فرجعوا كلهم يحاصرونه وأهله فى قرية (ادعلى اوباها) ففل من عند الوفقاويين ، فزحف اليهم خصومهم ، فقامت الحرب ساعة ، ثم انهزم اولئك المهددون المبرقون المرعدون فنهبت قرى حول المدرسة ، وقدم ما سواها الطاعة ، ويذكر ان قرية (أمالو اوسرك) نهب منها متاع كثير ادهش بعض الحاحيين الحاضرين ، فقال : ان هذه الا السويرة الثانية ، كانه يشير الى المتاع الكثير الذى انتهبه الحاحيون من

السويرة سنة : ١٢٦٠هـ هكذا انقضت هذه الحرب ، وخرج منها الحـاج ابراهيم منصورا مظفرا ، وسمعت الرئيس على بن أحمد رئيس ايغشان اليوم يحكى عن جده الحاج ابراهيم : أن الشيخ الالغى ، قال اذذاك : ان منتـهى الحروب فى الغ هى هذه فى هذا الجيل ـ او كما قال ـ

ثم ان مجاط التى ذهبت فحاصرت قرية (ادعلى اوباها) ما كادت تخربها حتى علمت ان أصحابهم الوفقاويين قد وقع بهم ما وقع ، فـزحفوا جميعا الى (تاكنزا) وكانت منحاشة الى صاحب الترجمة تعد من قبيلة (ايغشان) ، وقالوا لانجد ما نجازيه به الا أن نحتل (اكادير تنكنزا) وننتهبه كما انتهب قرى اصحابنا ولكنهم وجدوا فى اكادير من مانعوا دونه ، حتى أغاثهم أحمد ابن صاحـب الترجمة بمائة رجل ، طلعوا من وجه الغ ، فاحتلوا اكادير ، فرجع المجاطيون بخفى حنين ، وبيناهم مستديرون فى مجمع ذلك النهار فى (والكوت) اذا بنذير يسعى ، فقال لهم : ان الحاج احمد الكيلولى صمد الى (تامكرت ايغشان) فاجفلوا كلهم ، فتبع ذلك ماتبعه ، فذهب الوفقاويون تحت غبار مشاكل اخرى انستهم قضيتهم ، وان كانوا هم لاينسون ما وقع بهم ذلك النهار ، الى هذا النهار

في كتلة الجبليين ضـد الحاحيين

رأيت ان القائد سعيدا الكيلولى ، ممن اعان الحاج ابراهيم فى تلك الحرب ولذلك لم يكد خليفته الحاج احمد يغلب المجاطيين ، حتى كان عنده مع الاستاذ ابن عبدالله ومع الشيخ الالغى الذى كان يعرفه هؤلاء الحاحيون قبل اليوم ويحترمونه ، ثم تردد الحاج ابراهيم اليه مرات ، ولكنه لما جد جـيش ولتيتة كلها ضده وتلقفوا من أتباعه بلادهم ، اضطر الى مسايرتهم ، لانه منهم على كل حال ، فكان السور الصغير الذى احاطته هذه القبائل كلها ببلادها ، قد امتد حتى مر أمام شعبه الذى يسكنه ، ثم مر الى (تيزى) الايزربية ودام ايضا على ذلك ايام انفلوس ، حتى انقشع جيش هذا عن سوس سنة : ١٣٢١هـ

الحرب السملاليـة

رأيت فيما تقدم أن قرى توجد بين قبيلتى ايغشان وسملالة ، كانـت دائما موضع نزاع بينهما ، ولكن عاد حسن التفاهم بينهما منذ : ١٢٩٩ ولامر ما انقض أيضا السملاليون سنة : ١٣٢٩هـ على قرى يريدون استلحاقها حتى نزلوا فى (اوبلخير) فقامت حرب بينهما ماشاء الله حتى ذهب علماء منـهم الاستاذان الالغيان : سيدى على بن عبد الله ، وشيخنا سيدى عبد الله بن محمد فوقعت هدنة بمصالحة ، عاد بها حسن التفاهم .

فهذه شهيرات الحروب التى اصطلى بنارها ، وهى كما ترى كان موقفه

دائما فيها ـ فيما اعلم ـ موقف المدافع ، ولذلك يخرج منصورا ، او محفوظ الكرامة على الاقل •

تقلبات اخرى في آخر حياته

جاءت سنة : ١٣٣٠ هـ بما جاءت به من حركة الجهاد تحت راية الهيبة وسمعت أنه كان اولامن لايرتضى ذلك ، ويتراءى له ان ذلك لايجر الا فتنا سوداء وان كنت وقفت له على رسالة كتبها الى الاستاذ سيدى على بن احمد الاسكارى يذكر له فيها ما يدل على ابتهاجه باجتماع الكلمة ، ولعل من نقل عنه انه لم يرض بذلك ـ وهو الاستاذ الرفاكى فى كتابه (الروضة) ـ تسرب اليه ماكان ربما تراءى له اولا ، ثم بعد ان ءانس الاجماع ، دخل فى غمار الناس ، وقد ابتهج كما ابتهجوا اذذاك ، وقد كان من الذين حضروا فى تيزنيت حينئذ ، ثم رجع ، ولم يسافر الى (مراكش) ثم زار (تارودانت) فى اول ١٣٣١ همع الاستاذ على بن عبدالله ، وقد رأيت فى ترجمة هذا ماكان قاله حين وقع للاستاذ ماوقع فى تيزنيت ، وقد كان اذذاك نيف على سبعين، فضعف جسمه وتوالت عليه امراض ، ودب اليه ماكان طوى صحيفته اخيرا

أعماله مع المرابطين الالغيين

المرابطون الالغيون فى نظر الحاج ابراهيم : عظام كبار المقامات ، افضل من كل المرابطين سواهم ، فاذا كان يحب اهل الخير طرا ، ويحترم ذوى العلم اجمعين ، فان له لمرابطيه هؤلاء محبة خاصة ، ولعلمائهم احتراما فذا ، فقد وقف نفسه ازاءهم موقف ذلك الاخصاصى الذى يلقب الى الان : (مران) (أى عفريتا جلدا لايقاوم)

يحكون أنه جاء هذا الاخصاصى الى الشيخ سيدى احمد بن موسى فى زمنه فقال له انني أريد أن أكون مريدك ، فقال له : ان عندى لمريدين كثيرين ، فقال أو مؤذنك ، فقال عندى مؤذنى ، فقال او خادمك ، فقال عندى خادمى • فصار كلما اقترح على الشيخ عملا يتصف به عنده ، قال : ان ذلك عندى، حتى قال له : انني أكون (مرانك) أى عفريتك القوى الذى لايقاومه احد فقال ما تقصد بذلك ؟ فقال له أكون دائما ضد من يحاول ان يمسك بحق او بغير حق فقال له الشيخ : نعم ان هذا ليس عندى ، فقيل له (مران) من ذلك الحين ولايزال أولاده يحملون هذه النسبة فى الاخصاص ، فيقال لهم ابناء (مران) فهذا الدور هو الذى يمثله الحاج ابراهيم مع مرابطيه الدوكاديريين العلماء فقد امتنع مرة سملالى أن يؤدى دينا للاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالغى فركب الى سوق الجمعة ففاوض أصحابه السملاليين ، فخرج معهم حتى القوا

عليه القبض فى وسط السوق ، حتى ادى ما عليه ، وكذلك رايت اعاناته للمدرسة الالغية حين تبنى سنة : ١٢٩٧هـ وهكذا يقف معهم فى كل مايتوقفون عليه من العملة ، حصادا أو درسا او حرثا ، واخبرنى بعض الفقراء القدماء انه كان يحضر بادىء ذى بدء فى الزاوية بين الفقراء ، فاتفق مرة أن صادف مجيء الشيخ سيدى الحاج الحسن التاموديزتى ، فقال الشيخ الوالد له: ان هذا هو الحاج ابراهيم الذى يكون وقاية دون المرابطين ،فادع له ، فقال التاموديزتى : سندعو له الله أن يجعل فيه قوة لاتفلت مجرما ، وهذا معنى عبارته التى هى هذه بلسان الشلحية : (اداس ندعوايك وداكرفن اضن زكفنن) وترجمتها الحرفية : سندعو له أن يكون دائما ممن يربطون الكلاب الكلبة وقد ظهر للعيان استجابة دعاء هذا الشيخ الصالح فكم كلب كلب ربط فانكف شره ، وكم مجرم قمع فاستراح منه الالغيون

وأخبرت أيضا أنه كان فى أول امر الوالد ، كثيرا ما يعرض عليه اداء اشغال كثيرة للزاوية ، فكان الشيخ يعتذر له بان الفقراء موجودون وهم اولى ان يقوموا بزاويتهم ، ثم لايسمح له أن يفعل الا بالقدر الذى يجبر به خاطره فكان ربما حرث بازواج بعض قبيلته او حصد ، والشيخ يراعى منه ما يعرفه من حسن نيته ، ولذلك يستعين أحيانا ببهائم قبيلته فى الدرس ، وقد كان الزرع سنة مخصبا بالغ ، وقدحرث الشيخ فى بسيط (ايمى ايكل) فاقترح عليه الحاج ابراهيم أن يحصده له بالناس من قبيلته ، ولكن اصبحت طائفة من فقراء مجاط بنحو سبعين مع المتجردين الذين يناهزون ايضا المائة ، فحصدوه فذهب اليه ، فقال له : لك نيتك ، فقد أتى الله بمن حصدوا الزرع ونية المومن خير من عمله ، وهكذا كان الشيخ يعامل أيضا القائد سعيدا المجاطى فى حرثه فى (أيت على) وهو يراعيه مراعاة لابد منها •

وكان من عادته رحمه الله أنه لايحب أن يزاول أعمال الزاوية الا الفقراء وحدهم ، ويقول : ان هذا للفقراء ، فهم أولى من يقوم به ، واخبرنى بعضهم ان صاحب الترجمة قال له بعد وفاة الشيخ ، وقد لاقاه فى (باردا) أظن عند ازواج الحرث ذهب الشيخ سيدى الحاج على ، وهيهات ان تلد امراة أخرى مثله ، وبمثل هذا يعامل أيضا الاستاذ سيدى على بن عبد الله ، فيعينه من نواح شتى ، فجازاه الله خيرا عن أعماله هذه

ومن أغرب احواله : أنه يجعل دائما نفسه كالمنفذ لاقوالهم ، فقد وفد مرة فقيه صحراوى ، وكان يقبض بيديه فى الصلاة ، فانكر عليه الفقهاء من الالغيين لانهم خليليون أقحاح ، فما سمع صاحب الترجمة ذلك حتى انتدب اليه وهو ضيف عنده مع اولئك العلماء كانه يريد أن يمنعه بالقوة ان يقبض فى الصلاة مادام عنده

وكان أيضا شيخنا سيدى عبدالله بن محمد فى مبادله ، قد قال مرة ان قولنا عند تكرار الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وسلم ، اللهم صلى على سيدنا محمد الخ ان سكون ميم لفظة (وسلم) وسكون (اللام) فى اللهم حين نصل بينهما يتعين بالتقاء الساكنين ان نكسر الميم ، لا أن نفتحها على ما يجرى فى الالسنة ، فصار يصنع ذلك عند التصلية قبل الصلاة ــ كما هى عادة اهل هذه الجهة ــ أمام من هم أكبر منه اذذاك من الالغيين الآخرين ، فكأنهم باحثوه حول ذلك فى دار صاحب الترجمة ، فانتدب له يحاجه بالقوة ، وهو خال من العلم ، ولكنه يكفى ان يكون الشيء فى نظره حقا • ان يتفوه به الفقهاء الالغيون الكبار الذين يومن بأنهم كالمعصومين ايمانا قويا ، فهكذا كان دائما يحبهم محبة زائدة ، ولايخفى عنه نقص بشرى لايمكن ان يخطئهم ، ولكنه فارضى الخلة اذ قال : (فكونوا كما شئتم انا ذلك الخل)

هذا هو الحاج ابراهيم الايغشانى الشهير ، ولايحسبن القارىء أنناطنبنا فى ترجمته ، فان كل من عرفه يدرك حقا أننا موجزون ، قصدنا منه الى النواحى التى تهم التاريخ ، فاعتنينا بها ، الى ماله من المناقب التى غطت ماله من المثالب ــ كمايقوله الشيخ الالغى فيما تقدم ــ فابرزناها ، وهو بالاجمال : أفضل رجال عصره من رؤساء هذه الجهة واشهرهم ثروة وتاثيل أملاك ، بحسب وسطه ، مع محافظته على تلاوة القرءان وأوراد ناصرية وأداء الصلوات فى أوقاتها فيما نسمع •

وقد متعه الله بأولاده فشبوا بين يديه ، ونبغ من بينهم كبيرهم احمد ابن تلك المراة التى تزوجها من ءال (ايكلى) وولده الاخر محمد ثم على ثم عبد المومن وقد استقلوا كلهم عنه حياته وتزوجوا ما عدا الاخير فكان لكل واحد منهم دار خاصة ، ثم قسم لهم ، وبين لكل واحد ماله ، وهو لايزال صحيحا • وقد اشتهر ولده أحمد بين يديه اشتهارا عظيما ، وتجلى بين الناس بمظاهر ربما أنس والده منها انها بدأت تكسفه ، فكان يغضى حتى انه وقعت مرة نادرة أدبية تستحق التخليد ، وذلك أن ولده أحمد هذا كثيرا مايفوز من السنة الشعراء بامداح ، ولايذكره هو أحد ، وفى يوم اجتمع عنده من العلماء من سترى أسماءهم ، فتساجلوا هذه القصيدة الاتية بينهم ، قالوا فيها أيضا بذكر ولده احمد ، الا ماكان من الاستاذ سيدى الطاهر ، فانه ذكر صاحب الترجمة ، فانتفض هذا فرحا وبهجة ، فقبل رأسه ، وقال له جزاك الله خيرا اذ ذكرتنى حين كان غيرك ينسانى دائما ، فتحدث الناس بذلك متعجبين ، وما كانوا يشعرون أنه ممن يتطاولون الى ان يروج اسمه فى ذلك ، ولايابى الكرامة الا لئيم ، وهذه هى المساجلة :

قال الشيخ الالغى والكؤوس تدار :

شنف مسامعنا بذكر حبيبنا

فقال سيدى عبد الله الانزاضى البعقيلى :

وازل ضروب الهم عن اكبادنا

فقال الاستاذ سيدى الطاهر الافرانى :

فالذكر قد يغنى اذا عز اللقا   وينفس الاحزان حال بعادنا

فقال الاستاذ سيدى على بن عبد الله :

هيهات يغنى الذكر صبا طالما   يرعى النجوم لناى حب فؤادنا

فقال أيضا الاستاذ الافرانى :

وادر سلافة ذكر من نهواه يا   ساقى الهوى واحرص على اسعادنا

فقال الشيخ الالغى :

بسلاف ذكر للاحبة سرمدا   وشرابها حقا دليل رشادنا

لاسيما فى دار احمد من زهت

فقال الاديب سيدى البشير بن المدنى الناصرى :

وتعطرت بشذاه أرض بلادنا

فقال الاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتى :

فرد الزمان وفخره وكريمه   أبدى الاله به صلاح فسادنا

أسدى من الاحسان والاكرام ما   يستوجب الاكثار من امجادنا

يا آنس من قد زاره فى بيته   أسنى المجيد بها بها اعيادنا

فقال أيضا الاستاذ الافرانى :

دار تكامل حسنها وتزينت   بحلى تنسيك الغزال الشادنا

فقال الشيخ الالغى أيضا :

لله در مزخرف لسقوفها   ورتاجها حسنا لوى بمقادنا

فقال الاديب سيدى البشير أيضا :

ما شئت من فرش ومن نغم ومن

فقال الشيخ الالغى :   نوع الشراب ، ومن شذى انشادنا

قد زانها واتم وصف جمالها   روض يذكرنا نعيم معادنا

فقال الاديب سيدى البشير الناصرى أيضا :

ابقاه رب الناس خير احبة   وأراه كل الخير فوق مرادنا

فقال الاستاذ الافراني ايضا :

فهو الحبيب ابن الحبيب اجل من　　　نختصه ابـدا بمحض ودادنا
فهم بنور سماء مجد قد اضا　　　ء سناهم بجبالنا ووهادنـــا
دامــوا ودام السعد يخدمهم كما　　　شاءوا ولازال الزمان مهادنــا

هذه هي المساجلة التي قيلت في ثوى احمد بن ابراهيم الجديد ، اذذاك كما بني ، وهو المعد في داره للاضياف ، كما لايزال كذلك اليوم في يد ولده سيدي محمد بن أحمد حفظه الله ، وقد رأيت القصيدة كلها في وصفها وفي وصف ولد صاحب الترجمة احمد ، ثم كان له نفسه حظه عـلى يـد الاستاذ الافراني ، الذى نال قبلة حارة فوق رأسه ، اظهارا للتاثر بسرور كثير ممــا صنعه ، فهذا أيضا مجلس من مجالس الغ ، اذ الناس ناس والزمان زمان

وكانت صحة الحاج ابراهيم أخيرا ضعيفة ، فاستطب ماشاء الله ، وقد أولع باكل الفلفل الحار حتى انه ليطحن له مع الدقيق ، فتاتي الخبزة منه كانها فلقة من شفق ، وءهدى بطواجين ءاله اذذاك بالفلفل ، لايمس منها من لم يالف أكل الفلفل ، وكأن ذلك سرى اليهم من والدهم رحمه الله ، وأكل الفلفل الحار عادة جارية في كل بلاد سوس ، الا أن الناس متفاوتون في الاكثار منه والاقلال خصوصا في البلاد التي يوكل فيها التمر ، ولكل بني بلد عاداتهم ، ثــم ان الحاج ابراهيم في ءاخر عمره قد الح عليه ماكان يعتاده حتى الحقه بربه •

سألت يوما بعض أدبائنا الالغيين ، هل هناك مرثية له ، فاذا بالالغيــين لم يسعدهم الدهر ان يرثوه ، وهكذا ذهب وحرم اقوال الادباء بعد مماتــه كما حرمها في حياته ، ولاادري كيف لم يقل فيه شيخنا الافراني ، ولعل له اذذاك عذرا كبيرا زواه عن اداء حقه ، والا فلاأحسبه ممن يغفل عن امثال هذه الواجبات ، وما هو اوجب من تذكر هذا الرجل العظيم الكريم المفوار

قول الرفاكي فيه

حاج بيت الله الحرام ، وزائر الصفا والمروة والمقام ، ابو سالم الطالب الابر ، والكريم الاغر ، سيدي ابراهيم الفشاني ، حب أهل الله الربانـــي فهو فرش العلماء ، ومائدة الشرفاء ، يتلقاهم بالترحاب ، وينزلهم فــي دار التعظيم كالمحراب ، لاتخلو داره من الضيوف ، ولاتجده بهم عسوف ، بــل يخفض لهم جناح الذل من الرحمة ، ويقريهم ما لايقدر عليه أصحاب الكلمــة مائدته فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين ، وبابوراته تتلالأ وانخبئت تحت الاحضن (١) الى مواعين مصقولة ، تنسى للعاشقين العقيلة ، اضافنا في ذي

١) يقصد جمع حضن ، والمعروف عنه أنه يجمع باحضان ••• وهو مادون الابط الى الخاصرة •

الحجة عام : ١٣٢٣هـ في زيارتنا لتيمكيدشت ، وارفقنا بخفير شجاع خبير ، فوصاه أن يورنا عليه في الصدور ، وفهمنا اننا رسخنا منه في الصدور ، فاتينا على وفق الفرض ، وأزلنا ثم مابنا من وعث المرض ، فلما حللنا داره وتوسطنا وجاره ، شرع يسالنا ، ويهضم من حق اشياخنا وقال : ان اولئك الان يدعون الشرف ، لما يجدون من الترف ، وأسلافهم كسيدي أحمد ممن سلف ، لايدعي مدعي هذا الخلف ، فسقط في أعيننا وندمنا على ما فعلنا ، فجعل يتبجج باءال (تحت الحصن) فكدر علينا البيات ، وزرينا ما اعجبنا مــن النبات ، وسقط الذباب في الشراب ، ولات حين مناص عن تراب ، فندمنا ندامة الكسعي حين استبان النهار ، والفرزدق لما أبان النوار (١) فلم نر الا أن نكايله بكيله ، وان نغمز فيما تبجج به بخيله ورجله ، فقلت له : في اى شعب ءال (تــحــت الحصن) قال من الشرفاء ، فقلت له : انهم ساموكنيون ، عـلى مانص عليه الحضيكي في (المناقب) (٢) فقال انه موجود ، ارنيه كالنجم الثاقب ، فقلت له: استسعيت يعبوبا ، واستمطرت اسكوبا ، فلما سردته عليه أجاب بانهم لــم يقبلوا ذلك ، وأنهم بمراحل عمن هنالك ، فقلت له ان الحضيكي علامة هــذه الافاق ، بالوفاق ، فقد ذكر أيضا المسعودى ان ساموكن وحربيل أخوان من ولد جالوت ، فسكت عن غيظ • وبات وفي قلبه حر القيظ ، فافترق المجلس عن كدر ، وليس الوقت وقت السفر ، فلما أصبح الحال ازمعنا التــرحال ، وتصمنا البغال (٣) واجرينا الرجال ، حتى خرجنا من ارضه ، وسلمنا من قرضه ، وادينا لله ما علينا من نفله وفرضه •

فثوبا اجر وبغلا نخســت　　　الى ان امنت فقلت عدس

* * *

مشيناها خطا كتبت علينا　　　ومن كتبت عليه خطا مشاهــا
وارزاق لنا متــفــرقات　　　فمن لم تاته منا اتــاهــا

ثم اقول :

فتى خصه الله بالمكرمـــــا　　　ت فناقض منه الحيا بالكــرم
فلو ترك الغمر كان الفتى　　　ولا بد للنضج من ذى الفدم

* * *

١) قال :

ندمت ندامة الكسعى لما　　　غدت مني مطلقة نوار
وكانت جنتي فخرجت منهـــا　　　كآدم حين أخرجه الضرار

٢) يعني الطبقات المطبوعة

٣) نصي الناقة : استحثها شديدا

وفي الصمت ستر للغبي وانما صحيفة لب المرء ان يتكاما

الحريري :

جازيت من اعلق بي وده جزاء من يبني على اسه
وكلت للخل كما كال لي على وفاء الكيل او بخسه

توفي في (٢١) محرم الحرام عام : ١٣٣٣هـ . انتهى ما قاله في ترجمته

ثم قال ايضا في اخر ترجمة الشيخ سيدي الحسن بن احمد التيمكدشتي وقد ذكر رحلته لمشهده ، نعم نزلنا عند الحاج ابراهيم (اغشى) حين ذهبنا فارفقنا احد الامانوزيين ، فقال له : لاتفارقهم حتى توصلهم الى ، ففعل الرجل فلما بتنا عنده في الرجوع هش وبش ، وفرح غاية ، فابدأ واعاد في المآكل والمشارب ، الا انه نغص ما فعل ، بكلام نقص به قدر ءال تيمكيدشت ، كما تقدم في ترجمته ، فبمجرد كلامه سقط في اعيننا ، ولو علمنا منه ذلك ماقاربنا داره ، فهو يحط قدر أشياخنا ، ويرفع قدر اولاد سيدي عبدالله بن سعيد فياله من خبط خبط عشواء ، يحط قدر ءال النبي المحقق ، ويرفع قدرالمظنون والحضيكي رحمه الله ، نسبهم لساموكن ، فهو اعرف بشعاب (١) القبائل ثمه ، فالله يغفر له ، وسبب ذلك انه راى فيهم في الوقت اماجد علماء ربانيين فنظر للحالة الراهنة ، فالعذرله ، (الى ان قال): نقل العلامة سيدي احمد بن ابراهيم السملالي عن مروج الذهب : ان من اولاد جالوت : ساموكن وحربيل فهو في عهدته ، واخذت ذلك عن العلامة سيدي المحفوظ بن عبد الرحمن الادوزي قائلا : قرأته في حكم لسيدي أحمد بن ابراهيم لمنازعة بينه وبين سيدي الحسن بن الطيفور الساموكني القاطن في تيزنيت ، والله اعلم

ثم كتب المؤلف على هذا المكان في نسخته ما نصه ، ويؤيده ما ذكره شارح القاموس من ان البرابر من بقية قوم جالوت ، ومسكنهم فلسطين فلما قتل جالوت تفرقوا الى المغرب ، انظره .

هذا ما قاله الاستاذ الرفاكي حفظه الله ، وقد وصفه ببعض الاوصاف التي فيه ، من الكرم وحب الشرفاء ، وغير ذلك ، وأما هذا الذي استثار من الاستاذ هذا الغضب ، فقد تكلمنا عليه في ترجمة الجد عبد الله بن سعيد بما وصل علمنا اليه ، وأما الجالوتية وغير الجالوتية ، فتمر على ذلك مر الكرام لاسيما حين اطلعنا على أصل البربر الحقيقي ، والاشتغال بذلك هنا عبث . فقد تحقق ان البربر من أصل منه العرب والعبرانيون ، فذلك قول المنصفين من البحاثين المسلمين والجرمانيين ، على أننا وجدنا في ترجمة الرفاكي هذه ما عرفناه وذكرناه عن صاحب الترجمة من نظرائه الى الالغيين ، وذلك هو القصد ، رحم الله الجميع رحمة واسعة ، ، وحفظ ءال المترجم بمنه وفضله .

١) يعني شعوب القبائل

الرئيس

احمد بن الحاج ابراهيم الايغشاني

١٢٩٥ هـ = ١٣٥٣ هـ

نسبه :

احمد بن ابراهيم بن احمد ابن الفقيه سيدي محمد بن عبد المومن بن احمد بن محمد ابن القاضي سيدي عبد المومن ، بن محمد بن علي بن محمد بن عبد المومن

جاء أحمد والرياسة في دارهم قد امتدت اطنابها ، وكلمة أهله النافذة في قبيلتهم طار لها صدى يطن ما بين قبائل الجنوب سهوله ونجوده وبرزالي الميدان ، فوجد للاسرة مآت من الاصدقاء ، بين رؤساء مرهوبي الجناب ، وبين علماء يشيدون بالسنتهم واقلامهم ، ومحبرات رسائلهم ومهذبات قصائدهم ما لايشاد مثله الا بأسلات السن ذوي المعارف . وبأطراف اليراع ، من الذين يعرفون كيف يخلدون الكرام ، ببنات الاقلام ، فان كان هناك واحد او اثنان يعدون أشياء من عثرات الاسرة ومثالبها ــ وكفى المرء نبلا ان تعد معائبه ــ فان هناك عشرات ينظرون اليها بعين الرضا التي تكل دائما عن كل عيب

جاء أحمد والدار الديانية حافلة بالخيرات ، وطئت اليها الجداول من كل ساقية ، ومهدت اليها السبل من كل فج عميق ، والهدايا والتحف والجبايا تترى اليها ، فصار الضرع حافلا ، والروض أنفا ، والاملاك المؤثلة تدر من الحبوب والفواكه بكل ماتحتاج اليه كل اسرة جعلت معاقلها المنيعة في سماطها الممدود أمام كل صادر ووارد ، وقد تعددت الديار ، وتنوعت الاواني ، وتفننت أشكال الزرابي . فما شئت من كل جديدة كما نفضت منها الصناع اليد ، وما اقترحت من أنواع الاطعمة التي تتناول بيد او بيدين ، صنوانا وغير صنوان

حكى الهاشم رحمه الله أنه جلس مرة في ثوى الاستاذ سيدي علي بن عبد الله ، فدخل عليهم الشيخ الالغي ، وقد رجع الساعة من دار الديانيين هؤلاء فسألوه عن الحاج ابراهيم كيف هو ؟ فقال الشيخ : انا لله وانا اليه راجعون ، ان الرجل لايزال سادرا في غلوائه ، مادا أيدي البطش في مخلوقات الله بلا شفقة ولارحمة ، كما هو ديدنه دائما ، فقد كنا عنده آنفا ، فاقبل على ازهاق الارواح ، والقياد الاسرى ترسف في قيودها ، وتعثر في فضل اسارها

فقال الاستاذ الافرانى ايضا :

فهو الحبيب ابن الحبيب اجل من ... نختصه ابدا بمحض ودادنا
فهم بدور سماء مجد قد اضا ... ء سناهم بجبالنا ووهادنا
داموا ودام السعد يخدمهم كما ... شاءوا ولازال الزمان مهادنا

هذه هى المساجلة التى قيلت فى ثوى احمد بن ابراهيم الجديد ، اذذاك كما بنى ، وهو المعد فى داره للاضياف ، كما لايزال كذلك اليوم فى يد ولده سيدى محمد بن أحمد حفظه الله ، وقد رأيت القصيدة كلها فى وصفها وفى وصف ولد صاحب الترجمة احمد ، ثم كان له نفسه حظه على يد الاستاذ الافرانى ، الذى نال قبلة حارة فوق رأسه ، اظهارا للتأثر بسرور كثير مما صنعه ، فهذا أيضا مجلس من مجالس الغ ، اذ الناس ناس والزمان زمان

وكانت صحة الحاج ابراهيم أخيرا ضعيفة ، فاستطب ماشاء الله ، وقد أولع باكل الفلفل الحار حتى انه ليطحن له مع الدقيق ، فتاتى الخبزة منه كأنها فلقة من شفق ، وعهدى بطواجين آله اذذاك بالفلفل ، لايمس منها من لم يألف أكل الفلفل ، وكأن ذلك سرى اليهم من والدهم رحمه الله ، وأكل الفلفل الحار عادة جارية فى كل بلاد سوس ، الا أن الناس متفاوتون فى الاكثار منه والاقلال خصوصا فى البلاد التى يوكل فيها التمر ، ولكل بنى بلد عاداتهم ، ثم ان الحاج ابراهيم فى آخر عمره قد الح عليه ماكان يعتاده حتى الحقه بربه .

سألت يوما بعض أدبائنا الالغيين ، هل هناك مرثية له ، فاذا بالالغيين لم يسعدهم الدهر ان يرثوه ، وهكذا ذهب وحرم اقوال الادباء بعد مماته كما حرمها فى حياته ، ولاادرى كيف لم يقل فيه شيخنا الافرانى ، ولعل له اذذاك عذرا كبيرا زواه عن اداء حقه ، والا فلااحسبه ممن يغفل عن امثال هذه الواجبات ، وما هو اوجب من تذكر هذا الرجل العظيم الكريم المغوار

قول الرفاكي فيه

حاج بيت الله الحرام ، وزائر الصفا والمروة والمقام ، ابو سالم الطالب الابر ، والكريم الاغر ، سيدى ابراهيم الفشانى ، حب أهل الله الربانى فهو فرش العلماء ، ومائدة الشرفاء ، يتلقاهم بالترحاب ، وينزلهم فى دار التعظيم كالمحراب ، لاتخلو داره من الضيوف ، ولاتجده بهم عسوف ، بل يخفض لهم جناح الذل من الرحمة ، ويقربهم ما لايقدر عليه اصحاب الكلمة مائدته فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين ، وبابوراته تتلالا وانخبئت تحت الاحضن (١) الى مواعين مصقولة ، تنسى للعاشقين العقيلة ، اضافنا فى ذى

١) يقصد جمع حضن ، والمعروف عنه أنه يجمع باحضان ... وهو مادون الابط الى الخاصرة .

الحجة عام : ١٣٢٣هـ فى زيارتنا لتيمكيدشت ، وارفقنا بخفير شجاع خبير ، فوصاه أن يمرنا عليه في الصدور ، وفهمنا اننا رسخنا منه في الصدور، فاتينا على وفق الغرض ، وأزلنا ثم ما بنا من وعث المرض ، فلما حللنا داره وتوسطنا وجاره ، شرع يسائلنا ، ويهضم من حق اشياخنا وقال : ان اولئك الان يدعون الشرف ، لما يجدون من الترف ، وأسلافهم كسيدى أحمد ممن سلف ، لايدعى مدعى هذا الخلف ، فسقط في أعيننا وندمنا على ما فعلنا ، فجعل يتبجح بآل (تحت الحصن) فكدر علينا البيات ، وزرينا ما أعجبنا من النبات ، وسقط الذباب في الشراب ، ولات حين مناص عن تراب ، فندمنا ندامة الكسعى حين استبان النهار ، والفرزدق لما أبان النوار (١) فلم نر الا أن نكايله بكيله ، وان نغمز فيما تبجح به بخيله ورجله ، فقلت له : في اى شعب آل (تحت الحصن) قال من الشرفاء ، فقلت له : انهم ساموكنيون ، على مانص عليه الحضيكي في (المناقب) (٢) فقال انه موجود ، ارنيه كالنجم الثاقب ، فقلت له: استسعيت يعبوبا ، واستمطرت اسكوبا ، فلما سردته عليه اجاب بانهم لم يقبلوا ذلك ، وأنهم بمراحل عمن هنالك ، فقلت له ان الحضيكي علامة هذه الافاق ، بالوفاق ، فقد ذكر ايضا المسعودى ان ساموكن وحربيل اخوان من ولد جالوت ، فسكت عن غيظ ، وبات وفي قلبه حر القيظ ، فافترق المجلس عن كدر ، وليس الوقت وقت السفر ، فلما اصبح الحال ازمعنا الترحال ، وأصعدنا البغال (٣) واجرينا الرجال ، حتى خرجنا من ارضه ، وسلمنا من قرضه ، وأدينا لله ما علينا من نفله وفرضه .

فثوبا اجر وبغلا نخست ... الى ان امنت فقلت عدس

* * *

مشيناها خطا كتبت علينا ... ومن كتبت عليه خطا مشاها
وارزاق لنا متفرقات ... فمن لم تأته منا أتاها

ثم أقول :

فتى خصه الله بالمكرما ... ت فناقض منه الحيا بالكرم
فلو ترك الغمر كان الفتى ... ولا بد للنضج من ذى الفدم

* * *

١) قال :
ندمت ندامة الكسعى لما ... غدت منى مطلقة نوار
وكانت جنتى فخرجت منها ... كآدم حين أخرجه الضرار
٢) يعنى الطبقات المطبوعة
٣) نص الناقة : استحثها شديدا

وفي الصمت ستر للغبي وانما　　صحيفة لب المرء ان يتكلمـــا

الحريري :

جازيت من اعلق بـي وده　　جزاء من يبنى على اسه
وكلت للخل كما كال لى　　على وفاء الكيل او بخسه

توفى في (٢١) محرم الحرام عام : ١٣٣٣هـ · انتهى ما قاله في ترجمته

ثم قال أيضا في ءاخر ترجمة الشيخ سيدى الحسن بن أحمد التيمكدشتى وقد ذكر رحلته لمشهده ، نعم نزلنا عند الحاج ابراهيم (اغشي) حين ذهبنـا فارفقنا احد الامانوزيين ، فقال له : لاتفارقهم حتى توصلهم الى ، ففعل الرجل فاما بتنا عنده في الرجوع هش وبش ، وفرح غاية ، فابدأ واعاد في المآكل والمشارب ، الا انه نغص ما فعل ، بكلام نقص به قدر ءال تيمكيدشت ، كما تقدم في ترجمته ، فبمجرد كلامه سقط في أعيننا ، ولو علمنا منه ذلك ماقاربنا داره ، فهو يحط قدر أشياخنا ، ويرفع قدر اولاد سيدى عبدالله بـن سعيد والحفسيكى رحمه الله ، نسبهم لساموكن ، فهو أعرف بشعاب (١) القبائل ثمه ، فالله يغفر له ، وسبب ذلك أنه رأى فيهم في الوقت اماجد علماء ربانيين فنظر المحالة الراهنة ، فالعذرله ، (الى ان قال): نقل العلامة سيدى احمد بن ابراهيم السملالى عن مروج الذهب : ان من اولاد جالوت : ساموكن وحربيل فهو في عهدته ، واخذت ذلك عن العلامة سيدى المحفوظ بن عبد الرحمـن الادوزى قائلا : قرأته في حكم لسيدى أحمد بن ابراهيم لمنازعة بينه وبيـن سيدى الحسن بن الطيفور الساموكني القاطن في تيزنيت ، والله اعلم

ثم كتب المؤلف على هذا المكان في نسخته ما نصه ، ويؤيده ما ذكره شارح القاموس من ان البرابر من بقية قـوم جالوت ، ومسكنهم فلسطين فلما قتل جالوت تفرقوا الى المغرب ، انظره ·

هذا ما قاله الاستاذ الرفاكى حفظه اللـه ، وقد وصفه بعين الاوصاف التى فيه ، من الكرم وحب الشرفاء ، وغير ذلك ، وأما هذا الذى استثار من الاستاذ هذا الغضب ، فقد تكلمنا عليه في ترجمة الجد عبد الله بن سعيد بما وصل علمنا اليه ، وأما الجالوتية وغير الجالوتية ، فنمر على ذلك مر الكرام لاسيما حين اطلعنا على أصل البربر الحقيقى ، والاشتغال بذلك هنا عبث · فقد تحقق ان البربر من أصل منه العرب والعبرانيون ، فذلك قول المنصفين من البحاثين المسلمين والجرمانيين ، على اننا وجدنا في ترجمة الرفاكى هذه ما عرفناه وذكرناه عن صاحب الترجمة من نظراته الى الالغيين ، وذلك هو القصد ، رحم الله الجميع رحمة واسعة ، ، وحفظ ءال المترجم بمنه وفضله·

---

١) يعنى شعوب القبائل

الرئيس

احمد بن الحاج ابراهيم الايغشانى

١٢٩٥ هـ = ١٣٥٣ هـ

نسبه :

احمد بن ابراهيم بن احمد ابن الفقيه سيدى محمد بن عبد المومن بـن احمد بن محمد ابن القاضى سيدى عبد المومن، بن محمد بن على بن محمد بـن عبد المومن

جاء أحمد والرياسة في دارهم قد امتدت اطنابها ، وكلمة أهله النافذة في قبيلتهم طار لها صدى يطن ما بين قبائل الجنوب سهوله ونجوده وبرزالى الميدان ، فوجد للاسرة ما ءت من الاصدقاء ، بين رؤساء مرهوبى الجناب ، وبين علماء يشيدون بألسنتهم واقلامهم ، ومحبرات رسائلهم ومهذبات قصائدهم ما لايشاد مثله الا بأسلات السن ذوى المعارف · وبأطراف اليراع ، من الذين يعرفون كيف يخلدون الكرام ، ببنات الاقلام ، فان كان هناك واحد او اثنان يعدون أشياء من عثرات الاسرة ومثالبها ـ وكفى المرء نبلا ان تعد معائبه ـ فان هناك عشرات ينظرون اليها بعين الرضا التى تكل دائما عن كل عيب

جاء أحمد والدار الديانية حافلة بالخيرات ، وطئت اليها الجداول من كل ساقية ، ومهدت اليها السبل من كل فج عميق ، والهدايا والتحف والجبايا تترى اليها ، فصار الضرع حافلا ، والروض أنفا ، والاملاك المؤثلة تدر مـن الحبوب والفواكه بكل ماتحتاج اليه كل اسرة جعلت معاقلها المنيعة في سماطها الممدود أمام كل صادر ووارد ، وقد تعددت الديار ، وتنوعت الاوانى ، وتفننت أشكال الزرابى · فما شئت من كل جديدة كما نفضت منها الصناع اليد، وما اقترحت من أنواع الاطعمة التى تتناول بيد او بيدين ، صنوانا وغير صنوان

حكى الهاشم رحمه الله أنه جلس مرة في ثوى الاستاذ سيدى على بن عبد الله ، فدخل عليهم الشيخ الالغى ، وقد رجع الساعة من دار الديانييـن هؤلاء فسألوه عن الحاج ابراهيم كيف هو ؟ فقال الشيخ : انا لله وانا اليـه راجعون ، ان الرجل لايزال سادرا في غلوائه ، مادا أيدى البطش في مخلوقات الله بلا شفقة ولارحمة ، كما هو ديدنه دائما ، فقد كنا عنده ءانفا ، فاقبل على ازهاق الارواح ، واقتياد الاسرى ترسف في قيودها ، وتعثر في فضل اسارها

ولولا ان هيانا الله فافتككنا كل من اتصلت به ايدينا ، لعالت المسالة ، ولكان (اكنى اديان) بعد ، لايزال يعج بالاسرى ، قال الهاشم فقلت بيني وبين نفسي والشيخ يحكي ، ويستعظم ما يذكره ، ويتظاهر بوجه المتعض من هول ما راى ليت شعري أيةمصيبة جديدة حدثت بعدى ، فكدت أتمزع هلعا من طول وصف الشيخ ، فما سكت حتى اقبلنا عليه نمطره بأسئلة متتابعة ، كيف ، وماالسبب ومن هم هؤلاء الدين فتك بهم ، فلم ننشب ان رأينا وجه الشيخ عاد يتهلل كانه فلقة قمر ، وقد زال عنه اثر ما تظاهر به ، فقال : لن تراعوا لن تراعوا فماهناك الا الفتك بالكباش والدجاج على عادته ، ثم سوقها في الموائد كماهي مشوية ، وفي الطواجين المكتظة بالدجاج المحشو الوسط باللوز والزبيب ، وهي صفوف صفوف ، مثنى وثلاث ورباع ، فكنا والحمد لله ممن هياتهم الاقدار ففككنا قيودها ، وحللنا اسرها ، ولولانا لبقي ما هنالك يعج بهذه الاسرى التي ترنح تحت قدها (١) قال الهاشم فكان مارأيناه من الشيخ من تمثيله لهذا الدور ، وهو الذى لانعرفه الا بالوقار والهيبة ، عجبا ، لم نزل نذكره فنزداد عجبا على عجب ، قال الهاشم : وان كنت اوقن أن الذى يقوله الشيخ من عرامة الحاج ابراهيم وتسلطه على الناس ، حقيقة لاتنكر ، ولكنه لايتعدى الا عـلى من يستحقون ذلك ، ولم نكن نعهد من الشيخ الا قول الحق دائما •

اقول : هذه الحكاية بهذا الاسلوب من هذا الشيخ الذى نعلم منه انـه لايقول الا حقا ولوكان في صورة مزاح ، لتدل كل دلالة على ما نريد ان نبين كنهه للقارىء من كرم هذه الاسرة في ذلك الحين •

فكما أن الشيخ الالغي رحمه الله خلد مقدار ذلك الكرم بحكايته المحبوكة على هذا النسج الدعابى ، مؤيدا به ماكان قاله في رحلته ـ وقد تقدم ذلك ـ كذلك خلد كرمهم أيضا شيخنا سيدى الطاهر الافراني في قطعة نونية يداعب بها صاحبه الاستاذ سيدى العربى الساموكني ، وهما هناك في ربيع الاول ١٣٢٩هـ ونصها :

ان الموائد انت مـن شجعانها   و (الزرد) حرب انت من فرسانها
لله درك فارسا يفرى بسيـــــــ   ـف السن لحم الشاء عن (اخسانها)
ويفك في قعر الطواجن ظفره   أسرى الدجاج تقاد فـي ارسانها
واذا كررت عـلى (الطبالى) كـرة   اهرقت رشفا من دما كيسانـهـا
وتزج فـي بحر (المكايـل) غائصا   فلك السفنج فتنثني بحسانهـا
وتعوم في جمع من السادات فـي   نعم همت كالسحب فـي نيسانها

١) القد بالكسر : السير يقد من الجلد ، وقد يربط به المعتقل عند العرب

جادت بواكفها يدا بحر الـنـدى   فلـ العلا طرا سنا انسانها
خير الاحبة احمد وابوه من   شاد المكارم في ذرى غسانـهـا
فرد مكارم مـجـده اعيـت عـلى   اعشى البلاغة او على حسانهـا
لازال في شاو البلاغة جاريـــا   طلق العنان الى مدى احسانها (١)

* * *

(اخسانها) عظامها • (المكايل) : السكرجات • (الطبالى) : الصينيات (الزرد) الزردة معربة : وهي الحفلة من الطعام •

هكذا تخلد تلك المكارم بالحكايات الممتعة بأوصافها ، وبالقوافي الرائقة التي تمتزج فيها العجمية بالعربية ، لغلبة الاريحية على وصافها

والناس أكياس من ان يمدحوا رجلا   حتى يروا عنده آثار احسان

قال بعض الوزراء البخلاء لبعض اصحابه وقد راى من في المجلس يكثرون ذكر البرامكة : ان الناس يكذبون على البرامكة فيما يصفونهم به من الكرم ، فقال له: ولماذا لايكذبون على سيدنا الوزير ، وماذا يمنعهم من ذلك . فالقمه حـجـرا لايمضغه ولايستسيغه ، فليسمع البخلاء كلهم هذا الجواب

كان الحاج ابراهيم اعتنى بولده هذا اعتناء يرشحه به الى تمثيل الدور الذى تنتظره منه الاسرة المؤسس شرفها على المجاملات ، وغمر الجفنات ، قبل ان تؤسس على المواضي المشرفيات ، والعوالى السمهريات ، فنشا ابنها احمد ذا جفنة مكللة لحما، مدفقة ثردا تطفح بالطعام، لايوصد دونه كل من الم بالقرية من الوفود ، وذا سياسة مرنة ، لم يزل يترقى فيها حتى بدت للناس بما مازجها من مخانقات زائدة ، ومراعاة لكل واحد في وجهه ، أفضل مـن سياسة ابيه الصريحة المسنونة الحد ، فكان هذا الادب الذى يقابل به كل الطبقات ، ولايمكن ان يجبه معه اى انسان في وجهه ـ والعين تنظر في العين ـ كما كـان يفعله والده ـ وهذا الكرم الذى يقابل به كل وارد ، ويتلقى به كل ضيف ، على حين انه يومىء الى الكوماء :

(نـحـرتني الاعـداء ان لـم تـنـحـرى) (٢)

ماجعل له هالة تستدير به بين المجامع التى يغشاها نيابة عن ابيه ، اذكان

١) اعيدت القصيدة هنا للاحتياج اليها ، والا فقد تقدمت في اوائل الكتاب

٢) قال اعرابى في كريم :

يلقى الرماح بصدره وبوجهـــه   ويقيم هامتـه مقام المغـفـر
ويقول للطرف اصطبر لشبا القنا   عقرتني الاعداء ان لم تعقـر
واذا تأمل شخص ضيف مقبل   متسربل اثواب عيش اغبـر
اوما الى الكوماء هذا طارق   نحرتني الاعـداء ان لم تنـحـرى

لايزال فى الحياة ، ثم ازداد فى ذلك بعده ، وقد رايت فى ترجمة الاخ احمد انهأحد الذين اختيروا بين كبار الناس ، ليعقدوا مايعقدون مع الحاج التهامى ورجال الحكومة فى الزحف الكبير سنة : ١٣٣٥هـ وكثيرا مايعالج المشاكل بهذه الطريقة ، ويجعل المصادمة اخر الدواء ، ولذلك قلت مصادماته مع جيرانه ولم يدرك والده فى ذلك ، وقد قامت مشادة لم يطل أمرها بينهوبين السملاليين على الحدود ، وذلك فى نحو سنة : ١٣٤٩هـ ولكن أمر ذلك كله قريب ، وكثيرا ما يواخذ اضداده من ورائهم وهم لايشعرون ، على حين أنه يتبسم فى وجوههم فكان لذلك خير خلف لابيه فى المدافعة عن حوزة قبيلته ، وعن الالغيين اجمعين وكانت للمجاطيين والقبائل فى عصره : الجولات المشهورة فى الكفاح ضد الاحتلال ، فكان دائما معهم فى كل تلك المصادمات مع الحكومة ، او فى الحروب بين القبائل ، وهو ممن يشار اليه فى المجامع ، وهو الذى وصل الاسلاك بين حمو الكنسوسى وبين القائد المدنى فى القضية التى حكيناها فى ترجمة الاخ أحمدرحمه الله كما سنفصلها فى ترجمة حمو فى (القسم الخامس) ، وكان حاله مع مرابطينا حال والده معهم ، وزاد عليه بأنه صاهرهم ، لان زوجته بنت الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالغى ، كما اصهر أيضا بينتيه الى أخينا الاكبر سيدى محمد، واحدة بعد الاخرى المتوفاة ، وكان الشيخ الالغى يجعله كولده ، ويكرمه دائما زائد الاكرام ، وله أدب معه على عادته مع من هم اكبر منه ، ويحضر مع أقرانه فى مواسم الشيخ ، فيرجعون بخيرات حسان ، قال : كنا مرة عنده يوم الاربعاء الذى يختتم فيه الموسم ، وقد انفض الناس فوجدنا فى بيت زيوفا كثيرة ، فيها كسي مختلفة : جبابا وسلاهم واردية وغيرها ، مما ياتى به الواردون الى الشيخ ، فناولنا الشيخ زيفا لكل واحد منا من غير ان يحله ، فعند وصولنا للطريق ، وقفنا ننظر ما هو المتيسر لكل واحد منا ، فاذا بالهاشم جاء فى حظه شقة تامة من الكتان الرقيق الذى تصنع منه العمائم قال فضحكنا عليه •

قلت هكذا عمل الشيخ بغالب مايرد عليه من الوافدين ، فانه يبرهم ويعطيهم مما وجدوا أمامهم ، فقد اخبرنى فقير، قال أتينا مرة من عند تاجر (فقير) من السويرة ، بمراكش وتحف نفيسة ، كنا اخترناها للشيخ فوضعناها امامه ، فلم يفتحها ولاأعارها نظرا ، فاذا بالاستاذ سيدى على بن عبدالله دخل فمكنه ذلك من غير أنيعرف مافيه ، وحكى لى حاك ان صاحب الترجمة مكث يوما فى داره بعد وفاة الشيخ الالغى ، فصاروا يذكرون الاولياء الكمال ، وفى المجلس سيدى الحاج احمد اليزيدى – وكان لسان صدق عند المترجم – فقال هذا : اين انتممن تعرفونه وتتحققونه ، فقالوا : من هو ؟ فقال انه الشيخ سيدى الحاج على ، فقال له أحمد : او هو من الكمال ؟ قال بلهوممن يشاهدون النبى صلىالله عليه وسلم دائما ، وممن كان على قدم فلان وفلان فعدد لهم

كبارا من مشهورى الاولياء عند الناس ، فقال له صاحب الترجمة : غررتنا ياسيدى الحاج احمد ، اما كنت ترانا دائما نقع فيه وفى اصحابه الدرقاويين امامك ، وأنت ساكت ، فقال ما ذا أقول لكم ، فهل أنتم عمى • أتظنون أن الآلاف الذين يتقاطرون عليه من البلاد النائية كلهم مغفلون ، أغرار جهال؟ فمن ذلك اليوم طوى أحمد بن ابراهيم لسانه عن الشيخ • وحكى لى ءاخر :انه قال له : وا أسفا فاتنا الشيخ سيدى الحاج على ، فقد كنا فى حياته شبانا أغرارا ، وما كنا نذهب اليه الا لما يمنحنا اياه ، وماكنا عرفناله المنزلة التى له

أقول : انني احكى هذه الحكايات بلسان اصحابها ، لان ذلك أدل على المراد ، ولنعرف كيف ينظر بعضهم الى بعض ، فقد صار الجميع اليوم الى رحمة الله ، فالله يلحقنا بهم مسلمين غير مفتونين

من أخلاق صاحب الترجمة اذا كان مع اخدانه ، وخلص اصدقائه ، ان يتجاروا فى المرح ، وان يسترسلوا الى كل وجهة ، وان يطلقوا لهجاتهم اريحية ، ولكنه اذا جلس الى غيرهم كان كالطود وقارا كانه لايتحرك ، وقد رأيت ما وصفه به الاخ أحمد فى ترجمته •

وقد كانت له يد طولى فى الدفاع عن دارنا ، وعن الاخ سيدى محمدزوج بنته ، فى قضية اتهامه بقتل احمدابن الفقيه سيدى على بن عبد الله، فقد وقف حتىانحلت العقدة بين الجانبين على يد الرئيس احمد الامازرى ، ثم على يد مولاى احمد الهيبة ، وقد فصلت اخبار هذه القضية فى محل ءاخر ، ومما يتعلق به أنهكان يعرف كيف يتحدث الى كل واحد بما يوافقه ، فقد استحضرت انه كان يحادثنى بأمور فى دارنا ، وهو يسائلنى عن والدتى ، اما ينقصها شيء اظهارا لاهتمامه الخاص بنا ونحن صغار ، وقد افضى الى بعدما شببت بمساع له خاصة فى الدفاع عن دارنا فى تلك القضية ، بما سمعه باذنه من بعض كبار الالغيين ، تعبر عما ينوى فى كذا وفى كذا ، وأنا لااريد أن أتحمل كتابة ذلك للتاريخ ، لان اقبار مثل ذلك اولى من احيائه ، ونطلب الله ان يسامح الجميع وان يلطف بالجميع •

وقد كان مرة فى موسم تازوالت ، فاخرج جرابا مملوءا بالريالات من حمل بغلته ، فى محضر رؤساء رسموكيين ، فقال لهم : اننا نستعين بما ناخذ من شجر اللوز على الزمان بثمنه ، فقال لهرسموكي : بل انما تستعين بماتاخذه من ظهور المساكين من قبيلتك التى تعركها عركا (جواب مزاح) ولكنه يقصد به الحق ، وكم كلمة مزاح قيل فيها الحق الصراح

وقد تلقى الطريقة الاحمدية عن شيخها فى هذه الجهة ، شيخنا سيدى الطاهر ، فثابر عليها وعلى الصلاة فى الصف فى ثوى الاضياف ، ولايفارقه

علماء دائما مدة حياته ، كسيدى الحاج احمد اليزيدى ، وسيدى محمد بابه وغيرهما ، وقد كان لسيدى الطاهر لذلك فى قلبه منزلة كبيرة جدا جدا وكان يتحفه ويسرب اليه الهدايا والطرف في كل حين ، بيد سخية ، ورجاء متين ولايغب زيارته فى كل فرصة ، ويحرث له بعض السنين فى حقل ازاء قرية (ايكلي) ، ينسب الى الشيخ سيدى محمد بن ابراهيم التامانارتي : جد سيدى الطاهر ، وناهيك انه حين أحس في مرض موته ان اجله قدقرب ، والى اليه الرسل يستقدمه ليغمض عينيه ، وهو اذذاك فى عزبته في (افانتيقى) يحرث — كما أظن — فكان كلما استفاق من غشيته ، يسأل هل جاء سيدى الطاهر ؟ وكذلك شيخنا يخلص له المحبة ، ويبادله هذا الوداد ، ويحنو عليه ، وله في جانبه قصائد ، نسوق ما وقفنا عليه منها ، ثم نتبعها بقطع وقفنا عليها ، جرت من السنة الادباء اليه ، ونحن ناسف لاننا لم نتوصل بذلك وهو كثير تحت يد غير يدنا .

ورد سيدى الطاهر الافرانى فى وفد يوما الى دار المترجم ، فقال يرحب بهم عنده :

يامرحبا بجموع سادات سمـــا ... بهم الفخار الى السها فتسنما

فى دار أحمد قطب افلاك النــدى ... بحر الجدى فى الموج منه يرتمى

وقال سيدى البشير بن المدنى الناصرى الافرانى :

يا احمد الجود ابقاك الالـه لنـا ... فخر اللدات وملجا للمساكين

واصلح الولد والدنيا ومتعـكـم ... فى حفظ بارى الورى بحق جبرين

وبارك الله فيكم والبنين ومـن ... يحف مجلسكم بجاه ياسين

فى يوم الخميس (٨) ربيع الاول سنة : ١٣٢٩هـ وفد صاحب الترجمة على شيخنا سيدى الطاهر بتانكرت بافران ، فرحب به بهذه القصيدة التى ذيلها ولده :

قد زارنا الحب المبارك احـمـد ... بدرا به ليل الهموم مبدد

وافى وسر السعد فى اسراره ... باد ونور اليمن فيه مردد

أهلا بــه اهـلا بـه فوروده ... واللــه للقلب الصدى المـورد (١)

فلقد اتـى متفضلا والفضل والا ... فضال شيمته معـا والسؤدد

ابن كريم محسن جم الندى ... عذب الموارد والمصادر سيد

ندب همام ما جـد متبـاعـد ... عـمـا يدنس عرضه ويسود

متواضع لا لى المعالى والتقى ... سيف على هام الطغاة مجرد

يتضاءل القمر المنير لوجهه ... اذ كان فى جنح الليالى يسجـد

ذو همة لاترتضى الا العلا ... وعزيمة تسمو الى ما يحمد

خلق لطيف كالنسيم اذا سرى ... وهنا بروض ورقــه تتغـرد

١) الصدى بتشديد للوزن ، وان كان فيه ما فيه

وصفاء ود كالزلال لو الـه ... لا يعتريه ترنق وتجمد

قل للذى باراه جهلا اين مـن ... حل السما ممن حوته الاوهد

اعيت مناقبه البليغ وهل يرى ... لنجوم افلاك السماء تعـدد

سبحان من اولاه كل فضيلة ... ونشور صيت فى الورى لا يجحد

اما الندى فيمـينه وشمالـه ... غيث يسح ندى وبحر يزبد

يلقى العفاة ببشره ويرى اذا ... قبلوا العطايا انهم قد ارفدوا

يامن بمقدمه المبارك شرفـت ... ارجاؤنا فسرورها يتـجـدد

اهلا بطلعتك السعيدة ما بها ... يطفا ضرام للتشوق مـوقـد

فالله يجزيك الرضا ويقيك مـا ... كاد العداة الماكرون وحسد

ورضا ابى اسحاق والدك الـذى ... اس المكارم فاغتديت تشيـد

وبريك فى الاولاد والاخوان ما ... يرضيك من خير يلـوح ويشهد

والعلم والدين المتين وطاعـة ... ترضى الاله فما سواه المقصد

ويديم حفظك ءامنا من كل مـا ... تخشى ، فيكبت حاسد بل يطـرد

ويفيض وابل فضله ثجا علـى ... علياك ما لاح السها والفرقد

بالمصطفى المختار احمد من لـه ... عند الاله مقام صدق يشهد

فعليه من رب الورى صلواتــه ... وعلى الصحاب وكل عبد يشهد

وقول الشاعر : (اذ كان فى جنح الليالى يسجد) هو خلق من الاخلاق التى سمعتها من كثيرين عنه ، وقد اخبرنى من اثق به أنه بات عنده فى داره ليلة فى رمضان ، قال فكان فى غرفة فوقى ، فاسمعه يتنفل غالب الليل،واذا سجديهتز السقف ، لانه رحمه الله فىشبابه وكهولته بادن

نبهت على ذلك لئلا يظن القارىء ان ذلك من الاوصاف التى يالف الشعراء وصفها فى مقام المدح

وزار مع صاحبه الهاشم الذى لايفارقه دائما الشيخ الافرانى هذا قبل هذا الحين أواخر صفر سنة : ١٣٢٧هـ ، ولم يذهب معهم الاستاذ سيدى العربى الساموكنى المشارط اذذاك فى المدرسة الايغشانية ، فكتب معهما الاستاذاليه:

مذا يعد المجد من اعـذاره ... فى ترك صحبتهم لبلدة داره

ان كان ذاك لعلة او قـلـة ... فالبدر قد يخفى بيوم سراره

او زلة من ذى المروءة فلتة ... فالطرف ربتما كبا بعثاره

فلنا خذن بك احمدا او هاشما ... فالمرء ماخوذ بزلة جاره

فلنعم بدرا سوددد كل جرى ... ملء الاعنة فى مدى مضماره

فالله ينجح سعى كل منهما ... بالربح مقرونا بنجح مزاره

وينيله فوق الرضا ويديم مـا ... اولاه مرفوعا علـى مقداره

ويجله بسعادة الدارين مـو ... صول الهنا ويفيض من اسراره

ويريه في نفس واولاد لـه ... كل المنى ويحط من اوزاره
وكذاك احباب لنا طرا ومن ... اصفى السواد بسره وجهاره
باجل خلق الله من لا يستمـــ ... ـد الكون الا من سنا انواره
خير الورى سر الوجود اجل من ... يؤوى الفقير المحتمي بجواره
صلى عليه الله ما هبت صبا ... وعلى الائمة صحبـه انصاره

وللادباء الصحراويين الذين يفدون عليه قطع وقصائد فيه ، وليس بايدينا منها الا قطعة لسيدى محمد بابه الشهير • قال فيها :

جازى المهيمن مدمن الاحسان ... عنا اخانا احمد الغساني
وانا له مولاه مما يشتهي ... ما لم ينله سواه من انسان
واسى مواساة المحقق نيله ... من ربه الاحسان بالاحسان

ويمم داره مرة وفد من الادباء ، فحين وصلوا (باردا) – وهو بسيط في شمالي الغ – جرت بينهم هذه المساجلة ، وذلك في سنة : ١٣٤٢هـ :

قال شيخنا سيدى محمد بن الطاهر الافراني

يممت ياركب دار الفضل والجود ... من حل فيها يفز بخير مقصود

فقال شيخنا مولاى عبد الرحمن البوزاكارني – نزيل الرباط الان ١٣٨٠هـ –

ربع وسا الفضل والعلياء فيه كما ... رست سفينة نوح من علا الجودي

ثم قال الاديب سيدى محمد بابه الصحراوى :

حمدا لاحمد لازالت محامده ... معونة بالتقى والعدل والجود

ثم قال ايضا ابن الطاهر :

قطب بها واسترح وادع لمالكها

ثم قال الاديب بابه أيضا :

غدا بظل من الجنات ممدود

ثم قال شيخنا سيدى عبد الله بن محمد :

لازال تكلا مجده عناية لطـــ ... ـف الله ناعم بال خير مجدود

ثم قال الاستاذ سيدى احمد بن محمد اليزيدى :

ودام بالعز محفوف الجوانب ما ... قام بسرب السماء كل موجود

ثم عرضوها على شيخ الجماعة سيدى على بن عبد الله فقال :

لاغرو ان نبغت لهى الوفود بما ... يعجز ، ان اللها مقواد مجهود (١)

---

١) اللهى بالفتح جمع لهاة : الحلق : يقصد : اقوال الوفود ، واللها بالضم جمع لهية : العطية وذلك مثل ، وكأن البيت يشير الى قول ابن وهبون الاندلسي
لئن جاد شعر ابن الحسين فانما ... تجيد العطايا ، (واللهاتفتح اللهى)

طال العمر بصاحب الترجمة الى زمن الاحتلال ، فادى ايضا لهذا الطور ما عليه فيمثل بين يدى الحكومة ، في مركز (تافراوت) بين يدى المراقبين المدنيين من الفرنسيين ، فسار ماشاء الله أحسن سير محمود في النظام ، ثم ضعف عن الخدمة او استنكف منها فطلب من الحكومة ان تقبل ولده عليا في رياسة القبيلة ، ثم لم يلبث مرض عضال كان ألم به منذ سنوات ان الحعليه الان ، فالحقه برمسه ، بعد ان ترك ثلاثة اولاده ، أكبرهم : سيدى محمد والرئيس علي – وستقرأ عنهما – وابراهيم ، وقد عين لكل واحد حظه من المال ودارا فيها كل شيء ، وأغمض عينيه مرتاحا من هذه الناحية ، فكان اخر تلك الطبقة ، فرحمه الله رحمة واسعة ، واوسع عليه في اخراه ، فما كان الاحسن الرجاء في الله فيما نعلم

وقد لاقى عنتا في أيامه الاخيرة باطنا ، لانه لايعرف كيف المعاملة مع الفرنسيين ، ولاكيف يستدرك اصلاح ماكان افسده ، لانه كان يالف ان يرأب الشقوق ، ويشعب الصدوع على كيفية خاصة ، وحين اتصل بهؤلاء ، والطباع مختلفة • والاوضاع انقلبت راسا على عقب ، وقع في حيرة عظيمة ، فقد اخبرت انه يريديوما ان يتقرب الى المراقب فملابغلته تمرا فوقفهاأمام مركز (تافراوت) فقدمها الى من فيه ، فامر أمرا جازما ان يرد ذلك الى داره ، فان الحكومة قائمة بنفسها ، فلم يستطع ان يبتلع ما احس به من الاهانة حين لم يقبل منه ذلك – على مايالف – ولهذا وامثاله استعجل الاستعفاء فاعفى ثم لم ينشب ان لحق بربه

هذا جزاء امرء اقرانه درجوا ... من قبلـه فتمنى فسحة الاجل

بيني و بينه

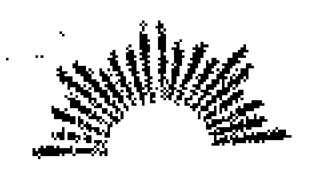
كان رحمه الله يختلي معي أحيانا – على صغرى – فيسألني ويلحف في السؤال عن والدي فكنت اجيبه بعزوف اننا بكل خير ، لانتوقف على أى شيء ولعله – وقد انكف عن ذلك – ادرك انني ازرف عليه ، فلم يعد الى ذلك، ثم لما التحقت بالمدن صرت أزوره كل ما زرت البلد ، فيلاقيني بمثل مايلاقي بـه العلماء ، ويحكي للناس انه سمع من والدى بشارة علمية عنى ، وقد باسطني يوما فقال لي : انكم ساموكنيون فدافعته عن ذلك – كما يفعله كل مرابطي منا متى لمز بذلك – فقام فاتاني بطبقات الحضيكي فسكت ، ثم كان ذلك اول ما ابتدأت بحثي في الموضوع حتى بلغت فيه الى مايجده القارئ في ترجمة الجد الاعلى سيدى عبدالله بن سعيد في (الفصل الاول) من (القسم الاول)

وقد كنت عنده يوما حين كان استاذنا مولاى عبد الرحمن البوزاكارني ثاويا عنده ، وقد كان ثوى عنده حقبة من الدهر ، واخال ذلك حوالى ١٣٤١هـ فاذا به استدعانا فوجدنا عنده رجلا من قبيلته ، فعدله امامنا ٢٢ مائة ريـال

حسبتى ، مقابلة املاكه ، فاستشهدنا على ان اعطاه ذلك ، وكان حازما فى كل اموره ، فلا يتعامل الا باشهاد او بكتابة ـ عادة اهل تلك البلاد كلهم ـ وهكذا رحمه الله كان ينظر الى امثال من الطلبة احتراما واجلالا واكراما ، فطالما اكرمنى اكراما خاصا ، ولذلك قلت فيه بعد وفاته رحمه الله بديهة :

نامت بل ماتت مئاثر فـى الندى ... ما عد فـى امثالها كـعـب يـدا
ما كنت الا بحر اكـرام طما ... او سيف (أمر) لايـزال مجردا
صنت القديم مع الحديث مكارما ... شتى الشعاب طريقها والمنتدا

الى ءاخرها ، وهى اكثر من هذا الا ان مثل هذا النوع من النظم لاينبغى ان يسود به قرطاس الا لعائدة خاصة ـ كما نفعله كثيرا فى امثاله للفوائد التى لاتخفى عن اللبيب ـ .



سيـدي

المحفوظ بن الهاشم الايغشانى

نحو : ١٣١٤ هـ = حـى

نسبـه :

المحفوظ بن الهاشم بن محمد الاشكر بن أحمد بن محمد بن عبدالمومن ابن أحمد ابن القاضى عبد المومن بن محمد بن على بن محمد بن عبد المومن

أحد الظاهرين الان فى هذه الاسرة الماجدة ، وان كان ظهوره فى ميدان المعارف قليلا ، اخذ القرءان عن سيدى ابراهيم ابن الحاج بلقاسم الكرسيفى حتى ختم عليه ختمة ، ثم عن شيخ الديانيين أجمعين : سيدى على بن همـو الايكدمانى ، فبهذا تخرج ، وفى رمضان : ١٣٢٨هـ التحق بالمدرسة (الالغية) فذهب بلوحته عند الاستاذ سيدى على بن عبد الله بداره ، ليفتح له ـ وكانت العادة أن لايفتح لاحدسواه بيده تبركا ، وان كان سيدى بلقاسم التاجارمونتى قيم المدرسة ـ فوجد هناك الشيخ الالغى ، فأمره الاستاذ ان يبدأ له بيده ، ثم قال له الشيخ : الحقنى فى الدار ، لاناولك كتبا ابتدائية ، ثم لازم المدرسة وقد نجب ، ودخل فى اصحاب الدور الثالث على العادة ، فلم تات سنة : ١٣٣٥هـ حتى صار يجول فى المتون الكبرى اعادة ، بعدما ختمها اولا ، ثم التحق بعدهذه السنة بالاستاذ التاجارمونتى ، حين انتقل الى المدرسة الايغشانية فحكى الاستاذ سيدى بلقاسم السليمانى انه كان اذذاك ممن يعيد الدروس لطبقته ، ويواخذهم بتحصيلها ـ ولايتصدر لمثل هذا عندنا الا من جود وحصل ـ ثم انه بعد ١٣٤٠هـ أقبل على بعض التجارة اقبالا ما فى أوقات جنى اللوز ، فعرف بذلك ، والرجل من يصلح لكل مقام ، ثم لازم داره ، ولم يقدر له ان يشارط فى المدارس ، ولا ان يشتغل بترويج معلوماته ، ولوكان قدر له ذلك ، لكان كبير المقام . لاننى رايته فى مجالس فى السنة الماضية ١٣٥٦هـ ذا قريحة وذكـاء واستحضار لجل ما كان اخذه ، يشارك فى المباحثة ، ولم يات ما هو فيه مـن اهمال مزاولة معلوماته على كل ما حصله ، ثم اقترن ببنت الرئيس احمد ابن الحاج ابراهيم ، فله معها ما يمتد به نسبه ان شاء الله من الاولاد

كنت جالسته مرات ، فاستفدت منه عن اسرته استفادات كثيرة ، ولـو تيسر له ان يوصل الى كل ما تحت يده ، لتمت هذه الفوائد ، وقد كنت حثثته

على ان يوصل الى بعض ءاثار له ، رايتها او سمعت بها قبل ، فكانت فى مستوى ءاثار أقرانه ، ولو كانت عندنا اليوم لعرف القارىء مقدرته فى ذلك

انشدنى يوما وقد جالسته امام الزاوية :

هموم رجال فى أمور كثيرة — وهمى من الدنيا صديق مساعد

ولو كنت تنبهت الى جمع نبذة من انشاداته لعرفنا منها كيف اختياره ، وقد وقفت على قطعة ميمية كتبها اليه الاستاذ سيدى احمد بن محمد اليزيدى ولعل ذلك حين كان مشارطا فى المدرسة (الايغشانية) بعدما غادرها سيدى بلقاسم التاجارمونتى – يلومه على انه لايلازم تلاوة كتب الادب يوم الخميس على ماهو العادة المتبعة عند الالغيين حين يمضون العطل اما فى التلاوة للكتب الادبية واما فى النساخة –

اخى الصفا المحفوظ مالك لم تزل — عن الغى والاعمار اضيق من سم
وانت سليل الامجد ابن محمد — نهجت طريقا لم تلق بذوى العلم
فان الخميس للكتابة او لسر — د كتب تزيل الهم عن قلب ذى هم
من الخبر المأثور والادب الذى — ينيلان فى العلياء اوفر ما سهم
عليك سلام مثل روض يجوده — فيضحكه الولى ويعقبه الوسمى

ثم وقفت له أيضا على هذه الرسالة ، وهى عادية ، ولكنها على كل حال نوع من ترسله – وما فى الرسالة مفصل فى مواضع متعددة فى هذا الكتاب –

«أخانا الاديب ، اللوذعى الحسيب ، والصديق الاود ، ومن منه المستمد • أبا الحسن • صاحب الخلق الحسن • امن الله روعك • ووقاك ممن يريد صدعك • وسلام عليكم وعلى من بكم من الاحبة والاعوان ، والاوداء والاخوان وسلام الله وتحياته ، ورحمته وبركاته • هذا ولازائد سوى ما يسر المسلمين ويقر أعين المومنين ، من اعلاء كلمة الله العليا • والحمد لله الذى انعش الامل واحيا • وقد ورد رسول من عند التيبيوتى ، وتركه فى حزن عظيم • وكرب جسيم • وقد ملأ اداوزكرى ، وايدوسكا ، واما جيش المسلمين ، فانه فى قبيلة أيتعبلا • ولاتسل عن كثرة الناس ، فأملن (٤٠٠) وايت ايسى ٣٠٠ واداكنفيف (٥٠٠) وءال امانوز بنصف رماتهم ، وخيل المسلمين تزيد على (١٠٠٠) فرس ، وقد جاء ءايت بعمران ، وبنو رخاوة وسيبيتون هذه الليلة فى تيزلمى ، والفقيه سيدى على بن عبد الله ، قد نادى بالنفير العام ، ولاعذر لمن تخلف • وبنو رسموكة سيذهبون أيضا فى الاربعاء الاتى ، وقد حلف الناس ان لايرجعوا الابهدم دار الزكرى ، وهذا ماصح عندنا ، والسلام، كتبه عن عجل : المحفوظ الديانى»

والغريب انه نسى هذه الرسالة مع اننى نقلتها من خطه ، وقد وقع لى بنفسى مرارا مثل هذا ، نسيت ما كتبته بقلمى حتى فى القوافى ، وسبحان من لاينسى ، وهذا مايصدق ما يقوله المحدثون حين يقولون : حدثنى فلان عن نفسى

ثم ان سيدى المحفوظ بدا له حينا أن يغادر سوس فشارط فى محل ماشاء الله ثم غادره فرجع الى أهله ، ثم لايزال يختلف الى الحواضر بعد الاستقلال ، وقد توفيت زوجته الاولى ، وتزوج اخرى ، وهى بنت سيدى عمر ابن الحاج عبد الله الصالحى ، وقد رزق منها ولدا ءاخر ، ولا ازال أتأسف عليه لان أمثاله يعمرون المدارس ، ولكن الدنيا احاظ وقسم

الحق هذا فى جمادى الثانية سنة ١٣٨٠ هـ

سيدي

محمد بن أحمد بن الحاج ابراهيم

١٣١٦هـ = حـي

نسبه :

محمد بن أحمد بن ابراهيم بن أحمد بن محمد بن عبد المومن بن محمدبن علي بن محمد بن عبد المومن .

ان أنس لا انس تلك الايام الاولى ، التي بسمت لى فيها الحياة البسمة الاولى فى المدرسة الايغشانية ، حين كنت مع أترابى هناك ، نجرى وراء المنى فنصطادها ، ونتبين من بعيد الرياض الاريضة من الامال الحلوة فنرتادها وأنا كما تملصت اذذاك من قبضة معلم القرءان - وما ادراك ما قبضات معلمى القرءان اذذاك - فاجتلى وجه الحياة مستبشرا ، بعدما كان لعينى قبل ذلك مستبسرا .

فى صباح يوم من سنة ١٣٢٩هـ نزلت بتلك المدرسة انا واخى احمد ، فمثلت بين جماعة من الولدان كما جاءوا أيضا الى المدرسة ، منهم الاديب سيدى أحمد البنائى الايغشانى ، وصاحب الترجمة فى نحو عشرة ، كما افتتح الجميع الاجرومية ، فكان شيخنا سيدى عبد الله بن محمد بنا معتنيا ، فكثيرا مانحفظ مافى الواحنا من المتون أمام ذلك الهرى الموجود اعلى الدرج الصاعدة من باب المصلى ، ونحن نرتجف من صوت الاستاذ ، فضلا عن سوطه ، جزاه الله خيرا فطرق الجد غير طرق المزاح ، ثم اذا تملصنا من هناك فما شئت من قفزات وجمزات ، كالغزلة المقمرة ، فنتجارى الى (بئر النجمة) حيث نستقى ماتريده من الماء فى القلل على كواهلنا او الى (حوض الخميس) حيث نغسل ثيابنا اوالى ملعب الكرة ازاء المدرسة ، اوالى (مسبح بئر بو الرمان) حيث نستدير فى وسط الماء حلقة متصلة ، فنسبح سبحة القعود ، ونحن ندور متواجهين فويل لمن أعيا

هذه من ذكريات الصبا التى لاازال اتمثلها الآن سنة ١٣٥٨هـ وبينى وبينها ربع قرن فكأنها وقعت أمس ، فيا لسرعة دورة الدهر ، ويا سرعان ما نفضت عنا الكهولة رشاقة الصبا ، ونضرته وخفته وطيشه ، فلولا الطيش ما احلولى التصابى .

بين هذه القفزات والجولات ، استطاع استاذنا بضغطاته ان يسرب الى

ذاكرتنا شيئا من المعلومات ، فقطعنا الدور الاول الى الثاني وكان لصاحب الترجمة بما يواخذه به خاله استاذنا من لـزات وغطات ، ولكمات متواليات - لانه دائما فى يمينه ، وهو رئيس فرقتنا - شفوق علينا ، ولاازال اذكر ان الطلبة كلهم اجتمعوا يوما على شرب الاتاى فى ليلة - على عادتهم فينة بعد فينة والاستاذ غائب ، فجلسنا فى ذلك البيت المتسع الجديد الذى بنى على مربط بغلة الاستاذ ، فجعل الاستاذ عبد الله بن ابراهيم ابن العم ، يمتحن طبقتنافى ارجوزة (الزواوى) ونحن كما اتممناها ، فكان المترجم سيدى محمد بن احمد هو الفائز بيننا بالخصل ، فمال الاستاذ ابن العم على بالتانيب حتى بت كل تلك الليلة فى بكاء حار ، لانني لااحب ان أتاخر ، ولكنني مع ذلك كسول

فى نحو مختتم : ١٣٣١هـ افترقنا ، فزرت بونعمان سنة : ١٣٣٢هـ وفى اخرها ثويت بالمدرسة التانكرتية ، ثم التحق بى صاحبى هذا ، فرجعنا ديدننا فى كل ماذكرناه ، فقام الملعب الذى فى شمالى تلك المدرسة مقام ملعب المدرسة (الايغشانية) ، ومسبح (بويزكرن) المتدفق مياها ثجاجة ، مقام مسبح بئر (بو الرمان) ، فكان لنا من سيدى على الاعضياوى رحمه الله ، ومن الاديب سيدى الحسن الكوسالى ، ومن الاخ سيدى احمد ابن سيدى الحاج الحسين الافرانى خير اعوان مونسين ، وقد وجدنا من سهولة استاذنا سيدى محمد بن الطاهر حفظه الله ، ماينشطنا على مسلكنا هذا ، ولذلك نتساهل فى الدروس جميعا ، الاماكان من الكوسالى ، فانه يمثل بين ما يشتغل به معنا وبين دروسه قول الملك الاديب :

وللملك منى جانب لا اضيعه ... وللهو منى والخلاعة جانب

وأما نحن أنا وصاحب الترجمة ، فما كنا نشتغل بعد خروجنا من الدروس عند الاستاذ الا بما ذكر ، أو بمزاولة كتب ادبيات كنت اتلو منها على الاديب البوزاكارنى حفظه الله فكنا معا نقرض الابيات ، ويخاطب بعضنا بعضا ، وقد وجدت فى أوراق أتانى بها الاخ الكوسالى ، بعض ابيات لى خاطبت بها صاحبى هذا اذذاك ، فلنسقها كنموذج لما اروج فيه سنوات : ١٣٣٦هـ :

ادر بدا من نحر خود خرائد ... ام الجوهر المنضود ضمن العقائد
بل نظم خل حاز كل العلاء بل ... وكل العلوم بل وكل المحامد
خليل اريب عالم متادب ... له فى فنون العلم خير القصائد
وقد شهدت عنه العلوم بانه ... على رتبة والعلم افضل شاهد
قريض حوى من الفصاحة كل ما ... يسليك عن سحبان او كل قاصد[1]
فلله فكر حاك ذا النظم انه ... لحسنه قد ازرى بنظم القلائد
مدحت بنظمك البديع سليل من ... يقضى مدى الازمان حاجة قاصد

---

١) اى قائل القصيدة

عنيت ابا العباس احمد من حوى ⁂ مجادة اجداد وعرفان والد
وقد نلتما كل المعالي وكنتما ⁂ بدور سماء العلم رغما لحاسد
وبعد الا ادعوا لعبدكما دعا ⁂ يرجى به النجاة يوم الشدائد
وازكى السلام من ضعيف اليكما ⁂ واطيبه يا ابنى كرام اماجد

هذه هي القطعة ، تركناها بـ (عقائدها) وكل ما قدر لها ان تصاغ به من مختار ذلك العصر ، عليه من مختر هذا العصر ـ عصر النفي والمواخذة ـ الف سلام وسلام

وهذه أيضا قطعة كتبها اليه استاذنا في الادب : البوزاكارني جوابا عن قريض قرضه اذذاك ، لم اتوصل به اليوم :

قريضك هذا ام بدت انجم الافق ⁂ ونظمك ام در تناسق في الطوق
آتاني وقلبي قد تسلى عن الهوى ⁂ فعاوده داء الصبابة والشوق
وذكرني ما مر من زمن الصبا ⁂ وحملني ما ليس يحمله طوقي
فيالك شعرا قد حوى رقة بها ⁂ اقرت له كل القصائد بالرق
الا كل شعر بعد شعرك زائف ⁂ فسائل بذا يخبر به سالم الذوق
كذاك يكون الشعر اولا فليس يبـ ⁂ ـين در البحور والحجارة من فرق
محمد نجل الاكرمين الالى بدوا ⁂ بقشان فاختالت على الغرب والشرق
يحاول مني الجواب وانه ⁂ وحق العلا ما ليس يحسنه نطقي
يكلفني ما لا اطيق وان ذا ⁂ اذا سمته فكري دليل على حمقي
فكيف اجيب والفحول تضافروا ⁂ جميعا على احرازه قصب السبق
على انني استفرغت وسعي جاهدا ⁂ وان كنت ما وفيته واجب الحق
فعذرا على ما قصرت فكرتي عـل ⁂ مداك فلا امضي سراعا من البرق

وخاطبه ايضا اذذاك شيخنا سيدي محمد بن الطاهر بهذه القطعة يوصيه بالاجتهاد :

محمد كن فيما يهمك ساعيا ⁂ ولا تتكاسل في اكتساب المحامد
فشمر ذراع الحزم للمجد والعلا ⁂ تفز بقذى عين العدو وحاسد
وما الفخر الا بالمعارف والتقى ⁂ وليس بشيء عاجل الفوت نافد
فكن ذا اهتمام حافظا متيقظا ⁂ سئولا عقولا طالبا للفوائد
ولازلت تسعى للسيادة والعلا ⁂ الى ان ترى فوق السها والفراقد

مكثنا هناك في ارغد عيش ، وفي دراسة تمشي الهوينى وذلك منا لا من استاذنا سيدي محمد بن الطاهر ، وفي تعاطي «اداب عند امثال الاديب البوزاكارني ، ولكننا انما نتمشى بمقدار فتر (١) أنا وصاحبي هذا وقد كان

١) الفتر بالفتح : مابين الابهام والسبابة اذا فتحهما

في امكاننا ان نخطو خطوات واسعة ، لولا ما اغرقنا فيه ـ ويا ضيعة ذلك الوقت ـ ولم يقبل على الدراسة الجدية الاالكوسالي ، وسيدي احمد بن عبدالله الاساكي فكان شيخنا يحثنا احيانا كما رايته في الابيات المتقدمة ، ولكن النفوس لاتكبح بمثل هذه الوصاة اللينة ، ثم لم نزل سادرين حتى جرى بين صاحب الترجمة وعلى الاعضياوي ماكان كنتيجة لهذه الحالة

كان بعض الطلبة يلقب هذا السيد الاعضياوي بلقب ينبزه به ـ وقد اخترنا أن لانذكره ـ فسمع الاعضياوي مرة صاحب الترجمة يذكره بذلك اللقب وكان بينهما في تلك الايام شنآن ـ فبعد صلاة العشاء توجهنا لنتعشى في القصعة التي تصنع باسم الاستاذ من مطبخ المدرسة ، ونحن جماعة خاصة ناكل منها ، وأما غيرنا فياكل من القصعة التي تاتي بها القبيلة بالمناوبة فجلسنا ازاء تلك الثقبة المفتوحة الى المطبخ ، ونحن على شفا السطح المطل على موقع الباب الخارجي للمطبخ ، وكان هذان مستعدين فقد تقلدا معا بخنجريهما ، غير ان الاعضياوي اظهر سلاحه ، وتقلده على قميص صوف متهيئا للملازة ، وللاخذ بالتلابيب ، ولذلك ازال قميص كتان كان عليه ، وأما الاخر ، فقد تقلد خنجره تحت قميص كتان وقد اخفاه ، فلما جلسنا ، قال السيد الاعضياوي لصاحب الترجمة ، لماذا ياابن كذا وكذا (سبا وشتما) تقع في بلسانك ، فقال له الاخر : انني فعلت ذلك عمدا على عينك وسأفعله على رغم انفك ياكذا (فلقبه بذلك اللقب المشؤوم) فثارا معا ، فتماسكا باليدين ، وكان من لطف الله بنا نحن الذين هناك : انهما ترديان أمام باب المطبخ ، بمجرد ماتلازا بينهما ، فهربنا لندور من أحد بابي المدرسة ، اذا بنا لقينا صاحب الترجمة وقد دخل من الباب الاسفل للمدرسة ، وهو مجروح بطعنة قريبة تحت احد اضلاعه ، واذا بالاخر جثة هامدة لاحراك بها ، هذا كله في دقيقتين او أقل ، فاخبر هذا ان صاحبه الاعضياوي هوالذي باداه بتلك الطعنة ، فسل اذذاك الخنجر من غمده ، فتهيأ له مطعن الاخر من ظهره ، وقد انحنى أمامه لشيء فادغم خنجره بين كتفيه فسقط في الحين

طلع شيخنا سيدي محمد بن الطاهر الى المدرسة ، فرأى مارأى ، فما عدا ان امر بالميت فسجي في الهري الاعلى الذي يوالي سطح المصلى ، وبابه مفتوح الى السطح وبالجريح فنقل الى الدار عنده محمولا في رداء ، وقد صادف ان كانت جدته مريم زوجة الاستاذ سيدي علي بن عبد الله اذذاك في بيت استاذنا عند بنتها زوجة سيدي محمد بن الطاهر ، فكانت هذه المصيبة على الجميع ، مصيبة لها وقع سيىء ومن تلك الليلة نفرت من ذلك الوسط ، فلم تمض الا ايام حتى جمعت متاعي الى الغ وقد ودعني الاستاذ سيدي بلقاسم التاجارمونتي بالمدرسة الايفشانية على نية ان انقطع اليه ، ولكن ساقتني الاقدار فالتحقت بالساعدات بالحوز ، وذلك نحو شعبان : ١٣٣٦ هـ

حمل صاحب الترجمة الجريح ليلا على أيدى اصحاب ابيه الذين ارسلهم بسرعة فسلكوا به طريق (اداى) الى الغ ، خوف ان يكمن لهم السملاليون فى الطريق وقد كان بين الاعضاويين والايغشانيين صحبة اكيدة ، فجاءت هذه الفعلة فقطعتها ، وقد تكررت امثال هذه المناطحات بين طلبة المدارس اذذاك فقد قتل واحد في ادوز وشيكا .

بهذا انقطع سيدى محمد بن احمد عن اتمام دراسته ، فحاول ابوه بعدان برىء ان يستدرك له على يد الاستاذ سيدى على بن صالح الاوفقيرى ما فاته فشارطه له في داره ، ولكن اليد الواحدة لاتصفق فيما يقول الناس ، فرده والده الى معاونته فى أشغاله ، ثم استبد بمزاولة كل اشغاله بعد ان سوى القضية مع الاعضياويين ، فوجدمنهوالده آميناهينا لينا وقد كان لسعة اخلاقه مثلا مضروبا بيننا فى المدرسة ، فلايكاد يغضب من اى غامز ، ويحكى لى انه لايزال كذلك الى الان

فى جمادى الاولى فى السنة الفارطة : ١٣٥٦هـ وقد رزئنا باخينا احمد رحمه الله ، جامع اخويه : الرئيس على وابراهيم ، فعزونا فيه ، فرايت صاحبى الذى فرقت بيننا الايام منذ عشرين سنة . فقال لى - وقد قلت له الى متى تلزم دارك ؟ وقد اخبرت انه لايخرج الا لغرض - هذا زمان السكوت ولزوم البيوت والرضا بالقوت ، الى ان تموت ، فاعجبتنى منه هذه الحكمة البالغة التى ايدها بالفعل ، وله الان اولاد مع بنت شيخنا سيدى عبدالله بن محمد ، ومما اسف له : اننى أخبرت عنه انه لايطالع فى كل هذه السنوات ، فلاشك ان ما كان حصله من (المختصر) والالفية ، والدراسة العليا ، سيتقلص ظله وان كانت فائدتــه باقية ، فهو لايــزال مستحضرا لادبيات ولحـكم وامثالها مـمـا درسه ، شاهدت منه ذلك فى تلك الجلسة ، وهو دين خير مـلازم للسكينـة . جلس بيته ما لم يضطر الى ادارة اشغاله ، وقد تخلى عن الرياسة لاخيه الصغير على باذن من ابيهما لان اخلاقه الوديعة قلما تتمشى مع الامـور التى تحتــاج الى صلابة غير قليلة ، والى مراوغة ومداجاة لايحسنها ، ولا هو مـن أهلها .

وقد زار الاديب الكوسالى سيدى الحسن مرة : (أكنى اديان) اثر مساكته من دم الاعضياوى ، فكتب اليه من الباب :

مـن مبلغ نجل الكريم الاديـب   اللوذعـى الالمعـى الاريـب
بحر الندى بدر الهدى خير من   حلت وفود فى فناه الرحـيـب
بان عبدكم اتى واقفـا   ببابك العالى وقوف الغريب
قد قادنى الشوق المبرح بــى   اليكم والشوق شىء عجيـــب
غبتم فلا كتب ولا خبـر   يبل بعض ما التظى من لهيـب
ان غبتم عنـا بحكم النوى   فودكم فى القلب ليس يغـيـب
او جف غصن الوصل ما بيننا   حاشا ففى الاحشاء غصن رطيب

فليهنا العـلـيـا معافاتكـم   وليهنها التسريـح عما قريـب
عليكم مـنـى سلام رضا   ما حن مشتاق للقيا الحبيـب

مقصوده بالمعافاة معافاته من ذلك الجرح ، وبالتسريح : كون الاعضياويين سرحوه من المطالبة ، وقد قبلوا الدية

وهناك أيضا مقطعات ذكر لى ان الاديبين البوزاكارنى وسيدى على الاوفقيرى خاطباه بها ، ولكننا لم نتصل بها

فحياك الله وبياك ياصاحب صباى ، فلئن فرقت بيننا الكهولة ، فقد جمعتنا تلك الاحلام التى كنا فيها زمن صبانا ، ثم نتمثلها وعليها اغصان الشبـاب تميد - كما يقول الاديب الشاعر - فها انذا لم انسك ، وليت شعرى كيف انت اليوم نحوى ، وقد تزوج بنت خاله (نفيسة) بنت سيدى عبدالله بن محمد وله معها من الذكور عدة

(ولايزال حيا الان فى رمضان ١٣٨٠هـ وقد ماتت هذه السيدة ، ثم تزوج اختها ، ثم فارقها ، فتزوج اخرى . وقد كبر اولاده ، فصار شبه غريب بينهم وقد شاب الان وان كان لايزال ذا قوة ، وهو محافظ على دينه وعلى اذكـاره كـاد ينسى معلوماته كانه ليس بذلك النجيب ، وهذه عاقبة من اعرض عن التعهد:

اذا هجر العلم يوما هجر   وزال فلم يبق منه الـر
كماء ترقرق فوق الصفا   اذا انقطع الماء جـف الحجر

وقد انقطع اليوم فى مسجد القرية اماما فيه ، فقه يظل ويبيت ، وقد طابت له الوحدة ، واشتغل بربه .

فاز من خل الشواغل ولمولاه توجه

الرئيس على بن احمد الايغشانى

١٣٢١ هـ = ١٣٧٧ هـ

نسبـه :

على بن احمد بن ابراهيم بن أحمد بن محمد بن عبد المومن بن احمد بن محمد ابن القاضى عبد المومن بن محمد بن على بن محمد بن عبد المومن

هذا صنو المتقدم الذكر ، اخترنا ان نجعلهما متصلين فى التاريخ كما كانا متصلين فى نسبهما ، وقدمنا هذا على من ياتون ، مع انهم اكبر منه، لهذا الذى ذكرنا .

ذكرنا ان والده كان اعتنى باولاده ، ونصب كل واحد فى داره على حدة وكان يرشح عليا من صغره من بينهم ليخلفه فى منصبه منذ رشح سيدى محمدا المتقدم ليكون عالما فقيها ، وعهدى به حين كنا فى المدرسة (التانكرتية) يجول على صهوة طرف ابلق ، كأنه فلقة من الفجر الساطع، وفى يده (رباعية) صغيرة، يصمى برصاصاتها كل ماعن له فى الطرق من القنص ، وقد ارخى له والده العنان ، وتركه ليخالط ويتربى كما يريد ، لاكما يراد منه ، وتلك طريقة مثلى تجدى احيانا فى تربية الاولاد ، فيقف الوالد مشيرا من بعيد ، لامسيطرا من قريب ، وفى اخر عمره صار ينيبه عنه فى المهمات ، فعرف بذلك كيف توكل الكتف ، فتأتى له بذلك ان يرث بعض خصال والده المتقدمة فتراه عند المجالسة يشبه ان يكون أباه ، وكذلك حكى لى ان معاملاته كلها كادت تقتبس من معاملات والده رحمه الله ، فبذلك استطاع اليوم ان يتمشى فى عهد الاحتلال ، وأن يتربى فيه تربية جديدة ، تليق به وهاهوذا فى ذلك على سيرة خاصة فى أموره كلها وفق ما يقتضيه العصر ، الاأنه بعدما امتدزمن رياسته ، اغتر ببعض المراقبين الفرنسيين ، فصاروا يجرون له الرسن، فلم ينتشب ان ظهر منه ما ظهر مما يراه كل احد مما لايوافق مجد اسرته ومروءتها وحبها لمعالى الامور — وذلك شئ مقدر عليه من الازل — وقد اجمع على ماأشرنااليه كل عارفيه من التمليين والامانوزيين والالغيين قاطبة، ولذلك صاريقدم على جميع رؤساء مركز (تافراوت) وقدنفس على من هم اكبر منه مركزهم السامى فلم يزل يتزلف الى المراقبين ، حتى بما انزه قلمى عن ذكره حتى استطاع ان يزلزل بعضهم عن داره الى بعيد ، والمعاصرة تمنع المناصرة ، ثم لماصفا من منافسيه الجو ، تعين قائدا وان لم يسم به رسميا ، ثم ابتدات الازمة التى كانت فى

عهد (جوان) فاعلن انه فرنسى على اعين الناس ، ولم يعلن ذلك سواه فى هذه الجهات فنال شغوفا بذلك ، فحضر وحده فى بيعة ابن عرفة بعد نفى الملك ثم لما انقلب الفلك وجاء الاستقلال دب اليه مادب الى امثاله من المواخذة ، فاستلت منه أولا اموال ، ثم ذهب بسيارته ، ثم ذهب به ، فجمع مع امثاله رؤساء الجنوب ، وبعد شهور ابعدوا او اهلكوا فى الصحراء فى صبيحة يوم ، اظنه فى مفتتح : ١٣٧٧هـ ، هذه قصته ، سلك الله بنا سبل النجاة ، وحفظنا من كل ما يمس ديننا وعرضنا وكل ما الينا بفضله وكرمه ، وجعل ما وقع له سبب مغفرة ذنوبه فاننا كلنا مذنبون ، ونطلب الله ان لايواخذنا

وقد كان أفادنى فى جلسات له مع الاخ أحمد تغمده الله برحمته ببعض مايتعلق بآله ، وأرسل لى ببعض الكتب تتعلق بذلك ، استفدت منها ، فكان بذلك مشكور السعى ، محمود الوصلة

وقد كان اقترن ببنت عمه الهاشم ، كما تزوج اخرى من (ايكلى) ، وله معهما اولاد احياء ، ذكورا واناثا ، واخوه الثالث : هو ابراهيم ، تزوج من الاعضياويين بنت سيدى احمد بن الحسين الذى تزوج بنت الاستاذ على بن عبد الله ، فهى اذن بنت خالته ، وام هؤلاء : فاطمة بنت الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله من فضليات النساء ، وكان الشيخ معنيا باكرامها فى وفاداتها اليه وهو خالها ، وذلك فى صغرنا (ولاتزال الى الان : ١٣٨٠هـ حية) وقد دب اليها الهرم ، وقد بربها ولدها ابراهيم المذكور غاية البر وقد تجرعت علاقم ولدها على ، حياة ومماتا ، ختم الله علينا وعليها بالايمان والاسلام ، وابراهيم هذا من الافاضل

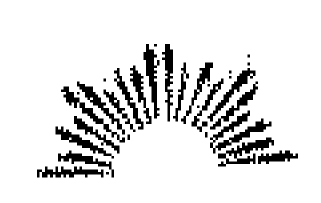
وصاحب الترجمة هو احد الرؤساء الرسميين المتعاصرين بالغ ، وقد رأيت الاخ سيدى محمدا منهم ، والرئيس ابراهيم الوفقاوى وهذا هو الثالث وسترى الرابع بلقاسم الازريبيى بعد ان شاء الله ، وقدكان المترجم من اثرياء الغ ، ومن ذوى الاملاك الموروثة ، ومما زاده بنفسه ، وذكر لى الاخ أحمدان أملاكه فى (ايشمت) وحدها لها اثمان كبيرة جدا ، وقد قدر ذلك ، وهذه الثروة فى بلادنا قليل أربابها فى سنة : ١٣٥٦ هـ

ومن اخباره أنه وجد له — بعد هلاكه — كناش كتب فيه بخط يده ديونا له على الناس كثيرة ، فاتصل به بعض من لهم الامر ، فصار ياخذها من اربابها فحلف كثيرون ان ذلك لاأصل له ، وبعضهم اداها له ، فصار هؤلاء يدعون عليه ثانيا بعدما استثار بعض رقة من بعض القلوب حين لاقى تلك الفعلة

وهكذا قدر للمترجم ان يعيش وان يموت ، وقد كان فى لائحة الخونة وهو الوحيد فى دائرة مركز (تافراوت) فحكمت عليه لجنة البحث بنصف ماله مصادرة ، كما حكم على امثاله المهلكين فى المغرب جميعه ، احسن الله عاقبتنا فى الامور كلها ، واجارنا من خزى الدنيا وعذاب الاخرة

الول : اننا في هذا الكتاب مؤرخون ، ولابد من ذكر مثل ماذكرنا من اجل التاريخ للعبرة ، وكم تعلق بي وراسلني بعد الاستقلال ، ولكن اجيبه وهو لايزال في داره في أوائل الاستقلال ، بان يحسن التوبة الى ربه ، لان ذلك هو الباب الباقي ، وليكن عبده مستسلما مفوضا ، رحمه الله وغفر لنا ولـه ، وقد كان يذكر الورد الاحمدي عن شيخنا سيدي الطاهر الافراني ، وفي جانب الله لايستقل شيء (وولده الطاهر شب الان فصار ينفع اسرته)

هذا وقد جرى ذكر المترجم بين ما في رسالة (نـجـوى الصديقين) المطبوعة مع الرحلة الاولى من كتاب (خلال جزولة) وترى هناك كيف كـان يحترم شيخه سيدي الطاهر ، وياليته يحترم اذذاك علماء قريته من اخوانه وابناء عمومته ، ومن أهل قبيلته ، فانهم جميعا عنده من المحتقرين ، فلم يستطيعوا ان يتنفسوا الا بعد زوال رياسته ، سامحه الله بفضله ، وانـا لاتعجب ممن يتدخل بين الله وبين عباده ، فانما للناس ان يحكموا بالظواهر والله وحده هو الذي يتولى السرائر ، فاللهم اغفر لجميع المذنبين ، لعلنا يغفر لنا بينهم ، امين .



سيدي

احمد بن الحسن الايغشاني

١٠ - ١٣١٧ هـ = حـــي

نسبه :

أحمد بن الحسن بن سعيد بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن احمد ابن يحيا .

أخبرني الرجل الصالح والد صاحب الترجمة : انه سمع من الحاج ابراهيم ان عبد الصمد الذي كان الجد الاعلى لكل الديانيين ، له ثلاثة اولاد احدهم جد ءال عبد المومن ، وأيت علي بن الحسن ، الذين لم يبق منهم اليوم الارجل واحد يسمى يوسف ، والثاني جد أيت همو بن علي ، والثالث جد أيت أوعمي ، والبنائيين هؤلاء ، وحكى عنه انه راى ذلك من مخطوط قديم، وسيدي الحسن هذا من أصحاب الشيخ الالغي ، وممن أقبلوا على شانهم ، وقد وضع الله البركة في يده فاشتهر بالرقى والتمائم ، وستري من حالة اسرته مايدل على تاثره بصحبة الشيخ ، حتى كانت له مكانة صوفية ، وهو من عباد الله الصالحين ، كان الرئيس احمد ابن الحاج ابراهيم يتبرك به في ءاخر حياته خصوصا في مرضه الاخير

سيدي أحمد البنائي أحد ادباء الغ المتازين اليوم ، واحد علمائه الذين اذا حضروا في مجلس احسنوا الاستماع ، واحسنوا الجواب ، واذا باحثوا أروك كيف الذكاء والفهم ، واذا بوحثوا ، ثروا بافانين من كل علم علم

جالسته في السنة الماضية ١٣٥٦هـ فاعجبت به ، فحمدت الله على أن صار صاحبي في صباي ، أفضل من أتحلى بمعرفته في كهولتي ، وقليل أمثاله من أقراننا ، ولاينبئك مثل خبير

مأخـذه

أخذ القرءان عن شيخ الديانيين سيدي علي بن همو الايكدماني ، ثـم التقينا معافي الميدان الابتدائي في المدرسة (الايغشانية) ، فكان بيني وبينه اذذاك صحبة اكيدة ، وذكر أننا كنا معا نحفظ (بانت سعاد) في الموضع الذي يكون فيه حطب المدرسة اذذاك فـي جنوبيها ، فكنا نتنافس اينا يسبق الى

اتمامها ، ثم لما افترقنا ءاخر سنة : ١٣٣١هـ انتقل الى المدرسة (الاكفيئية) عند الاستاذين سيدى عمر ، وابن أخيه عبد الله ، فافتتح هناك الالفية حيث كنا وقفنا فيايغشان (خير ابج قسم بأو وابهم) فأخذ هناك من النحو والفقه والفرائض والحساب • وكان لذينك الاستاذين يد في اتقان هذين العلمين الاخيرين ، يرحل اليهما من اجل ذلك ، ثم في سنة ١٣٣٤ هـ انتقل الىالمدرسة (السعيدية) بالاخصاص عند شيخناسيدى عبدالله بن محمد ، قال فصادفت هنا الاديب سيدى البشير بن المدنى الناصرى ، فافتتح لى بيده المختصر ، ولم أكن ابتدأتهبعد ، ثم في أول سنة ١٣٣٥ هـ انتقل الى المدرسة (الالغية) والتاجارمونتى لايزال فيها ، فافتتح باب الاستحقاق ، مع انه لايزال في مبادىء المختصر ، وذلك باذنهذا الاستاذ الذى لم ينشب ان فارق المدرسة• فبقى فيها صاحبنا يأخذ الدروس عن الاستاذ على بن عبدالله ، وعن الاستاذ سيدى أحمد اليزيدى الذى شارطه اذذاك ، ثم التحق بالتاجارمونتى في (الايغشانية) ، وبعد حين انتقل الى مدرسة (تاهالا) عندالاستاذ سيدى الحاج احمد الصوابى أقاريض ، ثم راجع المدرسة (الالغية) ثم التحق سنة ١٣٤٠هـ بالمدرسة (التانكرتية) حيث تعتقت خمره عند الاستاذين سيدى الطاهر ، وسيدى محمد ولده ، فهناك ترقى في الادب ترقيا كبيرا ، وفي سنة ١٣٤٥هـ ودعهاستاذاه وداعا مجيدا ، وقد حصل وشارك وتثقف ، وزاحم اقرانه في استحضار كل مااخذه ، وقد وفقه الله الى الاكباب على المطالعة ، والمباحثة متى لاقى منيباحث ، ومجاذبة الادباء ، فاستطاع بذلك ان يحافظ على ما حصل بل ازداد كثيرا ، وقد استعار منى السنة الماضية : طبقات السبكى ، وناهيك بها ، فكانت هى وامثالها مما يقبل على مطالعته بشغف ، وقد يمر على بعض الكتب الست الحديثية واخاله اخذ البخارى مرات كثيرة ، لانه منه على بال ، وكذلك طالع بنفسه صحيح مسلم ، والم بغيرهما ، ولسانه ويراعه متفوقان بالعربية ، وسترى من ءاثاره ما يدل على ذلك ان شاء الله • وقد كون لنفسه خزانه واسعة ، على قدر طاقته •

مشارطاته

لسان حال هذا العالم الاديب ينشد بملء فيه :

تقلدتنى الليالى وهى مدبرة ... كالسيف منصلتا فى كف مهزوم

فان أمثاله من المحصلين يستحقون ان يتصدروا فى المدارس وينتصبوا للتدريس ، لماله من التحصيل فيما اخذه ، ولكن ذلك لما يتيسر له ، الىالان ١٣٥٨هـ فلم يتجاوز غالبا الا المساجد ، فكان فى مسجد (واكشرير) ثلاث سنوات ، اثر خروجه من المدرسة وفى مفتتح : ١٣٤٩هـ وقف له شيخنا سيدى الطاهر حتى شارط فى مسجد (اداى) الذى ابى ان يستحيل به مدرسة

يومها الطلبة ، كما كان فى ايام شيخنا سيدى عبدالله بن محمد ، ثم بعد الاحتلال ، شارط سنة : ١٣٥٣هـ فى مسجد (تارصواط) قرية الاستاذ الحضيكى التى مات فيها العلم واهله اليوم فلا عريب ولاديار ، الا من اناس قليلين مثل سيدى الحاج المحفوظ وفى السنة الماضية ١٣٥٦هـ فشارط فى مسجد (تيليوا) بمجاط ، حيث لايزال الى اليوم ١٣٥٧ هـ

آثاره

ربما كان صاحب الترجمةهو الوحيد الذى اعاننى بكثير جدا من أدبيات هذه البلاد ، وبما صدر عنه هو ، حتى كانت مجموعة كل ماقال فىزمن الدراسة عندى من يده ، فاودعت كل ذلك فى كتابنا : (جوف الفرا) وقد كان معتنيا بنسخ كل ما تصل اليه يده ، وذلك مما يدل على همته المشكورة ، فلنختر مما نراه الان مكدسا بين أيدينا ما حلا فى الذوق ، وحلى فى العين ، قال يعاتب بعض اخوانه من قصيدة :

عجبا لمن نادمته بصفاء ... ويسر حسو الارتغاء ازائى
اسقيه من كاس تزحزح مابه ... فاراه يجزينى ببعض الداء
لو اننى عاملته بفعاله ... لقطعت ايديه بصنع جزاء

وقال يخاطب شيخنا الافرانى ، وأظنه فى بعض وفاداته الى بلدهم :

بارق ال (١) شطر(غشمان) فاشـ ... ـدت بمرآه لوعتى وغرامى
فابان الجوى واوقد نار الشـ ... ـوق فالقلب بالجوى فىاحتدام
لم أمل سادرا لظبية قصر ... اولشمس الضحى وشدو الحمام
لا ولكن لحضرة الصدر هادى النـ ... ـاس من علمه اصبح قوام
استنارت ببرقه الطرق فى البلـ ... ـدان من سوسنا لاقصى الشام
دأبه البث والسماحة فى العلـ ... ـم وفى ماله ممر الدوام
من اذا ما أتاه يوما بليد ... عاد عضب اللسان كالصمصام
شيخنا منبع الهداية بحر ... مزبد يرتمى بدر الكلام
ملجا للجهول منجى لمن خا ... ف وشمس ضاءت بدون غمام
شيخنا الطاهر الخلائق والاعـ ... ـراق عذب لكل صديان ظامى

الى ءاخرها :

وقال يجيب الاديب سيدى الحسن الكوسالى عن قصيدة خاطبه بها وصاحبا له :

تبدت فرمنا وصلها فتمنعت ... فلا عدة منها الى ولا وصل

---

١) ال البرق : أومض ، والبارق : السحاب فيه برق

وتلحظنا شزرا بسيف مهنـد   سليلة فكر زانها الحسن والدل
جلاها المجلى فى الميادين كلها   اديب اذا ماقال فهو الرضا العدل
هو العالم الارضى الكسالى محتدا   حليف العلا من دابه البر والبذل
سليل الاصول الطيبات يشيدما   بنوا من أمور الدين تاه به الاصل
ففيهم رسا المجد الصميم وفلكه   فيافهم افق المجادة والكهـل
فقل للذى يبغى الفصاحة يممن   فناء الكسالى تظفرن ولك الفضل
وقصوى ثناه لايـرام وذا بـه   اقر جهارا وهو لى قول الفصل
امد عليه الله ضافى حفظـه   ولافاته من ربه السيب والنيل
ولاطرقت مدى الدهور كمالـه   مصائب منه لاالخطوب ولاالهول

* * *

أيا سيدى هل ذاقريضك امسنا   بروق ام الزهر الذى زاره الطل؟
فمن حسن صدق الظن منك زففتها   لتزرى عـار اصابهما الـكسل
جزاك اله العرش مـولاى جنة   تفوز بها والام والاب والاهـل

الى ءاخرها •

وقال يخاطب شيخنا سيدى الطاهر الافرانى ، وقد رجع من سفر الى وطنه:

أهلا بمقدم شيخنا الامام ومـن   عاد السرور به اذ عاد للوطـن
قرت بك البلدة الغرا وساكنها   لاغرو انت لها كالروح للبدن
فادع لنا بنجاح القصد انت لنا   باب النجاح وهادينا الى السنن
على مقامك يامولاى نفح سـلا   م الله ما غنت الورقا على الغصن

وكتب الى قرينه بالمدرسة الاديب الكوسالى المذكور :

ايا بدر تم حل برج المفاخر   ليهنك فاستبشر بوفد العواشر

فاجابه هذا الاديب :

أيامن غدا انسان عين المفاخر   وروح المعالى من شاى كل فاخر
شأوت بميدان العلا كل سابق   وبرزت فلتصدع فهل من مفاخر؟
تأخرت ميلادا تقدمت سؤددا   فاحرزت ما للاولـيـن والاخر
تفضلت والافضال منك سجيـة   على العبد اذ هنأتـه بالعواشر

وقال أيضا يخاطب بعض طلبة المدرسة (التانكرتية) وقد وجدهم يسبحون فى مسبح (بوبركين) يوما فيه قر ، يؤنبهم على فعلهم :

اتسبحون كما الصبيان تفعلـه   والناس بينكم واليوم مقـرور

فاجابه الاديب الكوسالى :

انا ذوو الستر عند السبح مثلكم   والسبح بالستر ليس فيه منكور
طاب الزمان وطاب النهر فاعتدلا   والسبح مما به فى الشرع مامور

وقال يصف ليلة طاب فيها الانس ، وابتهجت فيها النفس :

لله ليلتنا كأنها اقتطفـت   وحق ربى من ليلات جنات
جمع كما اتسق الدر المنظم فى   سلك النضار عـلى لبات غادات
ناد كما افتر زهر جاد ساحته   صوب الحيا سحرا بوسط روضات
لاغرو فالقطب شمس الدين حل به   من حازدون الورى كل المجادات

الى ءاخرها :

وكتب الى أخيه سيدى محمد ــ فتحا ــ بن الحسن الاتى ذكره ، يستحثه بالرجوع من البلد بما يؤدى به دينا :

اخى طر بجناح الشوق وائت بما   يفكنى من وثاق الدين والضيق
قد هد ركنى مالاقيته من اليـ   م الدين حتى دنا عرضى لتمزيق

وقال للطلبة وقد اظلت العواشر :

الا يابدور التم منى اليـكـم   سلام كما مر النسيم على الزهر
وبعد فقد تاقت ضمائرنا الى الـ   عواشر اعيتنا الدفاتر والسهر

وكان الاديب سيدى محمد ابن الحاج احمد اليزيدى انتقل الى المدرسة (الادوزية) من (الالغية) ثم رجع اليها ، فقال قصيدة سينية يعتذر بها للاستاذ على بن عبد الله ، فأجابه هذا بمثلها ، فقال صاحب الترجمة ، يقرظ ما اجاب به الاستاذ :

اذى قلائد عقيان ام الدرر   ام ذى الدرارى اضاءت قمة الحسن[1]
بل ذى عقائل قد اوفى بها عجلا   نور الهداية شيخنا ابو الحسن
عليه من ربنا المامول نـائـلـه
سحب الرضا ما الورى اشتاقوا الى الحسن

فاجابه الاستاذ ارتجالا :

احسنت يامن له كل المحاسن فى   تجنيسك الحسن المرفوع كالحسن
اتيت فيه بمعنى حسن بسـن   زريت صنع ابن هانىء به الحسن

---

١) اسم جبل

لاشك انك انت اليوم اشعر من ... بقطرنا الاخذ الانشاء بالرسن

وولد للاستاذ سيدى محمد بن الطاهر ولد فهناه بقوله :

الحمد لله سعد الدين قد ولدا ... فلتهناى يادنى فالدين قدسعدا
بدر بدافبدا رشد الورى وعلت ... هداية الله من ضل ومن رشدا
مجد تـولد والعلياء تـرضعـه ... والعز يكفله • لله من ولدا
وافت ولادته وفـق ولادة مـن ... بنوره يستضيء كل مـن وجدا
ياخير من أم باب السعد منفتحا ... له وكان بحـق اعظم السعدا
يهنيك ياسيدى الابن المقربه ... كل البرية من دنا ومـن بعدا
فالله يكلاه بمنه من اذى ... صرف الزمان ومن مكر الذى حسدا

وقال يجيب الكوسالى حين خاطبه بالقطعة التى مطلعها :

انعم بليلك يا أبا العباس ... وامزج بخمر الظرف خمر الكاس

يقول :

يحوى العلا من بين ما اجناس ... من فاق اقداما جميـع الناس
بحر المكارم من اذا يحبو تخط ... ـى الحد لاياوى الى مقياس
ممس باقق المجد حبى سيدى الحـ ... ـسن الخلائق ذو العلاء الراسى
نال العلا والمجد عفوا دون مـا ... كد ودون الشد لـلامراس
ياخير اخوان الصفا يـامفـردا ... ما ان يرى ند له فـى الناس
اطريت عبدا لم يكن اهلالما ... مـدح الفريد الطيـب الانفاس
هنأتنى بالشرب من ناد حـوى ... ظرفا يلائـم خمرة الجـلاس
هنئت ايضا سيدى منهـمـه ... درس وتدريس وشرب الكاس

وخاطبه صاحبه مبارك التوما نارى بقطعة مطلعها :

لئن سفرت عن البدر الخراد ... او ان صرمت مواصلتـى سعاد

فاجابه بقصيدة منها :

رب ليل مبارك جاد فيه ... طالع السعد بالمنى والمراد
هكذا يوم الاربعا فاركفوا فى ... حضر آدابكم بخيل اطراد

يقول فيها :

كنت اهديت لى عروسا جلاها ... ليدى طبع فكرك الـوقاد
شرفت قدرذى خمول غزير الذ ... نب قد مال عن طريق السداد
لم اكن كفؤها ولكن رفعت الـ ... ـعبد حتى علا بحسن اعتـقـاد
سيدى قل بالله شعرك ذاام ... عقد در على نحور الخراد

الى آخرها

وقال يخاطب قطعة خاطبه بها بعضهم

ارسلت منك فكرة غادة شمـ ... ـست لفرط الحياء حسن الدلال
هذب الطبع سبكها يالها مـن ... غادة توجت بكل جـمـال
سحرت كل ذى حصاة بماضمـ ... ـنه من رقة وسحر حلال
سيدى ما الذى اراه بطى الطـ ... ـرس ما قلـت ام نفيس لئال
انت من سادة ابى الله الا ... ان يفوقوا الورى على كـل حال

فتلك نماذج من أقواله الكثيرة وهي غالبا قطع صغار يخاطب بها اصحابه اذذاك • وبعضها أبيات مفردة • واما القصائد فقليلة فيما تحت يـدى مما يقوله في ذلك الطور ، وقد ترقي شعره بعد ذلك بكثير ، ولايزال يقول بكثرة الى الان ، وقد حشرنا ماتوصلنا اليه في (جوف الفرا) والبعض فى (الالفيات) لمن أراد التوسع لغرض من اغراضه ، على أنه تغلب عليه العلوم والخوض فيها حفظه الله

زوجه والده وأخاه الاتي بعده ، فعكف الوالد على تعليم زوجيهما فـى الدار ، وقد حجبهما ، فيقضي هو بيده ضروريات الخارج ، حتى ان أمـلاكـه أعطاها لمن يحرثها مشاركة حين لم يالف هو أن يعمل فيها بنفسه ، ولا ان يترك أولاده وبناته لذلك ، وقد دفع بولديه الفقيهين الى المشارطة ، فهكـذا تلك الاسرة اليوم ، وقد حفظت الزوجتان القرءان كله اوبعضه تحت يده ، وهذبهما وعلمهما الديانة ، فصار بذلك غريب الاحوال عند الناس ، خصوصا بين (الديانيين) ، وأما هو فلا يبالى باحد ، لانه ادى ماعليه ، ونفذ ماامـلاه عليه ضميره ودينه • وجعل القناعة سياجا وراء ذلك ، وقد نشا ولداه وزوجهما تحت صيانته ، فرسخت فى الجميع الاخلاق المتوجة بالعلم والدين ، فلتحى القناعة ، وليحى العلم وليحى الدين والاخلاق والمروءة ولتحى امثال هذه الاسر وببركة كل هذا بقيت دار هذه الاسرة هى المصونة علما ودينا ودنيا في تلك القرية الان ، بعدماكان وكان • ولصاحب الترجمة الان نسل اقر الله بهعينه

أخبار عنه أخرى

كانت هذه الترجمة المتقدمة مكتوبة سنة : ١٣٥٦هـ اومابعدها بقليل ثم هانحن اولاء الان في سنة : ١٣٨٠هـ فقد تطور الحال بالمترجم وعلا شأنه وتصدرفي المدارس ، فقد كان فى مدرسة (افيلال) بايسى ، ثم فـي (ايمور) حيث هو الان ، وقد ادى فريضته بالحج منذ سنتين ، وقد تكونت حوله هالة علمية وتلاميذ ، باكبابه على التدريس اكباب المجدين ، وقد توفى والده نحو ١٣٦٠هـ فقام بنفسه ، وبعد أن كان هو وأهله من الذين لايؤبه بهم فى قريتهم ازاء اولئك الرؤساء الكبار اذا بالزمان انقلب ، فصاروا هم المغبوطين : كفاية وعزا وحرمة ببركة العلم الذى اشتغلوا به ، فداره ودار أخيه ، هما المصونتان المكفيتان الان في القرية ، بما يتوصلان به من اعمالهما ، ولاارى الا أن بركة والدهما الرجل الصالح ، هي التى عادت عليهما ، ومن كان لله كان له •

سيدى محمد بن الحسن البنائى

نحو : ١٣١٨ هـ = حي

نسبه

محمد ـ فتحا ـ بن الحسن بن سعيد بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن احمد بن يحيا .

هذا أخو الاديب المتقدم ، وتلوه فى المعلومات ، وان كان دونه بمراحل بل لاتكاد معلوماته تذكر ازاء معلوماته

أخذ القرءان عن سيدى على بن همو الايكدمانى ، ثم عن والده سيدى الحسن فى بعض مشارطاته، ثم افتتح عند الاستاذ سيدى بلقاسم التاجارموتى فى المدرسة (الايغشمانية) ثم انتقل الى المدرسة (الالغية) فاخذ فيها عن سيدى أحمد بن محمد اليزيدى ، ثم بعد حقبة اتصل بصنوه فى المدرسة (التانكرتية) فحرص صنوه على تهذيبه ، فترقى بذلك ترقيا حسنا ، وبين اشعار أخيه مخاطبات كثيرة يخاطبه بها ، وقد بقى هناك بعد اخيه سنوات اخرى الى سنة ١٣٥٢هـ فذهب الى هشتوكة ، فشارط فى ايت عميرة فى مسجد احدى قراها ثم رجع الى بلده ، فشارط ايضا فى مسجد (ايكلى) بالغ ، ثم فى جمادى الاولى من سنة ١٣٥٦هـ شارط فى (القصبة) بتامانارت ، باشارة شيخنا سيدى الطاهر الافرانى

وقدره من المعلومات لاباس به ، وان لم يتسع ، فقد أهله ما عنده ان يشارك أحيانا فى الميادين ، وقد أتى على كل الفنون ، وانما خانته كما أظن ذاكرته ، وهو على كل حال من المتوسطين فى التحصيل ، وله أدبيات جال فيها مع أخيه ومع غيره

صاحب مرة الاديب سيدى الطاهر بن على الالغى فى سفر ، فقال له سيدى الطاهر :

محمد الخلق يامن وده فرضا ... جد المسير فان الليل قد عرضا

فاجابه صاحب الترجمة :

ياسيدى انت لى بدر فلست أرى ... مادمت لى ظلمة كلا ولا غرضا

وقال له أخوه مرة يمرنه :

اجز ولا بد ياصنوى الشقيق ويا ... من مجده لاينى زينا واشراقا

فاجابه :

اعذر فقد عاقنى ياسيدى حصر ... يمنعنى القول ان اكثرت اطراقا

وقال يخاطب صنوه وقد غاب عنه كثيرا :

سيدى مونسى شقيقى عمادى ... مامنى ملجئى وموضع سرى
هذه غربة تطول على العبـ ... ـد فما ان سواكم ضمن صدرى
غبت عنى فغاب نومى وعقلى ... ومضى من يشد لى كل ازرى
أبشرع الاخاء يحسن هذا ... أم بشرع الوداد ذلك يجرى
اقبلن لى ليقبل السعد والصفـ ... ـو وعيش يفتر عن خير ثغر
ان يك العبد قد جنى ما جناه ... فاخوه اولى بأجمل صبر

وقال يخاطب الاديب الاستاذ سيدى داود الرسموكى الشهير ، وذلك فى : ١٠ ـ ١٢ ـ ١٣٥٢هـ حين كان مشارطا فى (ايت عميرة) كما تقدم

ابرق تجاه الرقمتين بدا لنا ... فصارت قلوب العاشقين تواجد
ام الوجه من ليلى انار ضياؤه ... فنارت به ارجا الحمى والمعاهد
خليلى لاشوق لهيفاء بضة ... ولا كان فيما شادن لى مقاصد
نعم كان لى شوق الى عالم الهدى ... وبحر الندى من فى الورى هو ماجد
فريد الورى علما وفخرا وسؤددا ... وجودا على رغم الذى هو حاسد
هو السيد الندب الكريم المبجل الـ ... ـجناب ، فياسعدى له وهو واجد
فهذا الذى شوقى اليه كانه ... لظى فى ضلوعى من نمته الاماجد
سمى نبى الله داود من له ... مقام على طول المدى يتصاعد
عليه سلام الله منى ورحمة ... معطرة ما فاز عنده قاصد

فاجابه الاستاذ :

اتى فاتى فورا سرور مجدد ... ولذ الهوى لذى الهوى والتودد
قريض بديع صاغه فكر سيد ... له عادة الاحسان عفوا وسؤدد
قريض تعالى عن قريض حبيبهم ... وجل له الحبا الكميت واحمد
اتى يوم عيد وهو عيد بنفسه ... وبينهما سرورنا يتردد
أياسيدا أهدى محاسن شعره ... فهاجت من الاشواق نارا توقد
لك الله من ندب تواتر فضله ... وطبق آفاقا ثناه المخلد
ولا زلت يارب البلاغة مفردا ... ووافاك دائما سرور مجدد

ولو كان سيدى محمد بن الحسن مقتديا باخيه ، فى الاكباب اليوم ـ ومستقبله لايزال بيده ـ لنجب ، لان له الفكرة الديانية التى نعلمها من اخيه ومن بنى عمومته

أخبار عنه أخرى

التحق ككاتب عند الرئيس علي بن احمد ماشاء الله ، فتحمل منه ما تحمل سنين ، وقدصادفناه هناك يوما مع شيخنا سيدي الطاهر الافراني فشارك في قواف في الترحيب بشيخنا على العادة الالغية ، فسمعت من أهله الذين لايحترمون طلبتهم لانهم عوام تهانفا (١) يغمزونه بانه ليس هناك فغرت على الرجل ، وان كنت لم اقل لهم شيئا :

ومنزلة السفيه من الفقيه   كمنزلة الفقيه من السفيه

وقد كان هذا الامتهان نفسه يصل أخاه العلامة الجليل من تلك البيئة، فكان لايكاد يلم بالقرية الا خلسا ، ثم لم يستطع المترجم ان يتمادى على هذا الامتهان فطلق البلد ، فمربى في مراكش ، وقد رجعت اليه نحو : (١٣٦٨هـ)ولاازال استحضر انه دخل علي ، فلم استحضر بعد محياه . فسالته من هو ؟ فاستحييت حين أخبرني من هو – وكثيرا ما انسى ملامح الوجوه حتى يقع لي مثل ذلك وطالما اصابني خجل عظيم مما يقع لي ، حتى ليظن بعض من لايعرفون مني هذا ان ذلك تكبر مني – ومن هو المختار حتى يتكبر ؟ وهل التكبر سهل ؟

ثم أنه سافر برا الى مصر ، ثم حج ، فمربى ثانيا ، ففاز بها حجةمبرورة ثم تعين استاذا في مدرسة القرية يعلم العربية ، ولايزال على استاذيته الى الان ١٣٧٨هـ وفقه الله وحفظه .

وهناك ثم الذين يستحقون الذكر من الديانيين الايغشانيين ، وقد مناهم على غيرهم لشرفهم امس واليوم بالعلم ، ثم بالرياسة ، ولنذكر الان من يستحقون الذكر من الايكليين (ءال باها) الذين كانوا رؤساء قبيلة ايغشان قبل الديانيين ، والله يسدد خطانا ، ويعصمنا من خطا الفكر ، وخطل القول بمنه ءامين .

١) التهانف : ضحك في فتور كضحك المستهزىء ، وهوخاص بالنساءقال:
فتهانفن وقد قلن لها   حسن في كل عين من تود

امغار باها الايكليي الايغشاني

قبل ١٢٣٠ هـ = نحو ١٢٨٦ هـ

ليس عندي عن هذه الاسرة اخبار تظهرها في المكانة التي كانت لهاطوال القرن الثالث عشر ، وربما كانت لها ايضا في اواخر القرن الذي قبله ولم يخبرني كل من اسائلهم عنها الا بنتف ضئيلة ، لاتسمن ولاتغني من جوع ، حتى ان سلسلة نسبها لم اتوصل الان بها ، ولكن نلقي ماعندنا عنها فهو سداد من عوز .

سمعت انها من الحربيليين ، وانها تقطن (ايكل) منذ ثلاثة قرون ، هذا مازعمه من ذكره أنه رأى رسومهم ، ثم أنهم تولوا الرياسة بعدما فتك بامغار اوبركا الايكدماني – وستسمع فيما ياتي ان شاء الله ماعندنا عنه وعن عصره – ثم تتابع فيهم الرؤساء ، الى ان وصلت النوبة الى هذا المترجم ، فظهر منه ومن اولاد له عفاريت جبروت على القبيلة ، حتى ليحكى ان لهم وظيفة تؤدى صباح كل يوم قبل الشروق ، وذلك انهم يكلفون سكان وراء (تيزي اوزرو) ان يبكروا بالخضر والفواكه في اوقاتها الى دارهم بايكل ، وكل من تاخر في يومه حتى تطلع الشمس على مايحمله على بهيمته ، فانه يبطش به ، وكان سيدي احمد بن محمد بن عبد المومن اذذاك ، قد ظهر في الميدان ، ولاندري كيف كانت صلة ءال (ايكلي) مع آبائه ، حتى يمكن لنا ان نجد منه مالعله هو الحافز لهذا السيد ، حتى برز الى ميدان ماعرف لآبائه قبل ، ولكن اذا اردنا ان ناخذ بالاشباه والنظائر ، فاننا لانكاد نشك ان العلاقات بين الديانيين والايكليين كانت فسدت قبل سيدي احمد ، ولعل ذلك في أيام والده ، وربما كان الحسد الذي يحمله الرؤساء العوام لاهل العلم دائما اذا راوهم في جاه عظيم ، لم يدركوا بسياستهم عشره ، هو الذي صدر من (ءال باها) لهذا الفقيه ، ثم انه يتغاضى في حياته ، ولكنه لما جاء ولده احمد ابى الا ان يجاذب الحبال ، وان يوفى الكيل صاع بصاع

فتك أحمد ابن صاحب الترجمة ، وأحمد بن باها الدياني ، بسيدي احمد ابن محمد ، كماذكرناه ، فقام محمد الاشكر والحاج ابراهيم يتربصان وينتظران الفرص ، ليفحوا بابي هذه الاسرة الايكلية ، كما ضحت هي برئيس الاسرة الديانية ، وكان لامغارباها دار اخرى في (تافراوت) من اداوعاصم كبيرة ، فيها زوجة له اخرى ، وقد بنى فيها طاحونة كبيرة ، من النوع الذي يدار بالبهائم . وذلك يدل على عظم مقامه ، لانه لايصنع ذلك في هذه البلاد الا

الكبار العظام ، ففي يوم تاسع ذي الحجة ، من سنة لعلها : ١٢٨٦هـ والناس يتهيأون لعيد الاضحى ، كان في داره هذه ، وفي وسط النهار خرج وحده يقصد داره في (ايكل) وبينهما ثنية وبسيط لاباس به ، وفي يده زق مملوء ادامًا ، ذهب به من هذه الدار الى تلك ، فمشى وحده ، وهو ءامن مايكون ولاسلاح في يده • فجلس له بين صخرتين معلومتين هناك في الثنية التي تسمى (تيزكي) شرقي قرية (توكال) محمد الاشكر ورفيقه محمد بن عدى ، فلما سامتهما اطلقا فيه فجندلاه ، فهلك في الحين ، فصاح محمد الاشكر فوق الثنية فاسمع من في اسفل (توكال) يقول لهم : انكفوا واحرسوا أنفسكم من الايكليين ، فانا قتلنا امغار باها ، فهكذا ذهب فداء لسيدى احمد بن الطالب ثم لم يبؤ بشسع نعله ، سامح الله الجميع •

هذا ما عندى عنه ، وهو اذذاك شيخ كبير ، ولذلك رمزنا لولادته بماقبل ١٢٣٠هـ واما سنة قتله ، فالغالب الذى ظهر لي في حكايات اناس أنها ١٢٨٦هـ والله أعلم

ثم بعد ما حررت ما حررت مما تقدم ، وقفت على هذه البطاقة :

«في يوم الخميس : ٢٣ – ٢ – ١١٢٤هـ نزل القائد عبد الكريم ، قائد مولانا اسماعيل نصره الله بايكل ، ببنى عاصم : بلاد الغ بقسانة ، بعشرين الفا من الخيل والرماة ، وقبض الشيخ محمد بن عبد الله الحاج ، وتسعة رجال من أعمامه ، ومع رجلين من الاحرار ؟ (١) وربطهم في الحديد دون الشيخ لم يربطه ، وأدوا لخبوانه لايكل ، وفساد زرعهم في الفدادين ، وما في ديارهم من المتروكات والزرع • وقبضهم بخمسمائة مثقال ، واحصنتهم وبغلاتهم انتهى كماوجد ، بلا ولا ، وبه يحيا بن محمد بن على التاويبتي الغسانى وفقه الله»

والغالب ان هذا الرئيس الذى القى عليه القبض ، من اسلاف امغار باها وان الرياسة قديمة في لاسرة

١) كـذا .

امغار يوسف بن باها الايكليي

الايغشاني

قبل : ١٢٥٠ هـ = ١٢٩٦ هـ

كان لامغار باها من الاولاد المذكورين في هذه المجاذبات ستة : (١) محمد (٢) أحمد (٣) مسعود (٤) عدى (٥) حمو (٦) يوسف وهو صاحب الترجمة وكانه اكبرهم ، لانه هو الذى أسمعه يذكر بامغار من بين هؤلاء بعد ابيهم فأما الثاني فهو الذى باشر قتل سيدى احمد نطالب ، وقد مات قبل سنة : ١٢٩٩هـ ولاادرى احتف انفه ام قتلا ، وكذلك مسعود مات قبلها ، وفي بالى انني أخبرت ان بنته هي التى تزوج بها الحاج ابراهيم وهي ام الرئيس احمد الشهير ، وأما الاول محمد ، فان اخوته قتلوه قبل ان يقع بهم ماوقع سنة ١٢٩٩هـ بحجة انه يميل للديانيين ، وكذلك ولده حمو بن محمد ، قتلوه أيضا بهذه الحجة ، فهرب الى الديانيين اخوه ابراهيم بن محمد ، محتميا بهم ، لئلا يقع به ما وقع بابيه واخيه حمو

وأما يوسف ، فانه كان مال الى مسالمة الاشكر في كل أيامه ، وكان رخو العزيمة ، وربما كان الاقلال الذى طاف به ءاخر عمره مما اذله ، فقد حكى لي مجاطي انه رءاه سنة : ١٢٩٥ هـ جاء الى مجاط يتكفف اصحابا له هناك • فصار الناس ينظرون اليه ، ويتعجبون مما ءال اليه امره ، ولم ينشب ان مات •

وخلف ولديه احمد وعبد الله ، وكانا مغوارين ، فهما وبعض اعمامهما من وقعت عليهم الواقعة حين تطلبوا الفتك بالديانيين ، وذلك أنه بعد ان مات أمغار يوسف ، مال هؤلاء الى اجتثاث الديانيين ، فبدأوا بمن مال اليهم من اخوتهم ، ففتكوا بمحمد أخيهم • ثم بولده حمو بن محمد ، فهرب ابراهيم ابن محمد اخو حمو ، فالتحقت العداوة بهذا • فصار كل فريق ينتظر الفرصة فصار هؤلاء يفاوضون انسانا ديانيا يسمى سيدى مسعودا ، حتى اتفق معهم على أن يريحهم الى داره ليلا ، فبمجرد ما يخرج غرماؤهم عند الفجر ، ينقضون عليهم في حقول يشتغلون بها تلك الايام في افنية ديارهم فجاء هذا الجاسوس نفسه ، فبلغ سيدى مسعود نفسه لجيرانه الديانيين فأمره الاشكر أن يتمشى في ذلك حتى يريحهم عنده في ليلة معينة ، ثم انهم سينقضون عليهم عنده ، ووعدوه على ذلك بماوعدوه ، ففي الليلة المعينة ، بينما الايكليون ينسلون الى دار ذلك الجاسوس اذا بهؤلاء الديانيين الاشكر والحاج ابراهيم في رجال من المغاوير ينسلون ايضا فيسلكون طريقهم الى دار الايكليين ، فوجدوها بلاحارس ، وهى منتبذة عن القرية ، فحاول احدهم القفل حتى فتحه بلطافة ، فتوسطوا حلقة الدار فتحرك

الدجاج ، فخرجت زوجة احمد بن يوسف ، وكانت مع زوجها فى الفراش وقد حسبت ان بعض الضوارى البرية انسل الى الدجاج من بعض اسراب الجدار فخرجت لتطرده ، فاذا هى بالرجال ، فصاحت بزوجها ، فانتفض الى بندقيته وهى معه فىالبيت • ولكنه محاصر بهؤلاء ، وقد اوقدوا النار عليه أمام البيت حتى خنقه الدخان ، فخرج مرغما فأردوه فى الحين ، كما أهلكوا فيما سمعت كل منوجدوهم فىالدار فتمكنوا ، وجلسوا ينتظرون رجوع غرمائهم الاخرين وكانت فى الدار بقرة ، فذبحوها فنصبوها لتنضج ، وكان العام عام مسغبة

هذا مايصنعه هؤلاء ، واما من اختبأوا فى دار ذلك الجاسوس فانهم صاروا ينتظرون ليتموا مرادهم فى جيرانه ، كما صار رب الدار ينتظر ان ياتوا حسب الاتفاق ، حتى كاد النهار يصبح ، فخاف الجاسوس على نفسه من جيرانه ، ولم يدر ما الذى أخرهم • فأوعز الى من عنده ان الفرصة لمتمكن الليلة ، فرجعوا قبل ان يفضحهم النهار ، فوصلوا أمام دارهم فى ايكلى فى الغلس ، فتركهم من فى الدار حتى وقفوا أمام الباب ، فمالوا اليهم ، فلم يتركوا ممنحضر احدا • وممن سقط هناك عبلا بن يوسف ، فاصبح النهار وقد عرف أهل القرية ماعرفوا من الهيعة التى سمعوها ، وقد ملكت الدار وقتل اصحابها ، وقضى الامر • فهرب من (ءال باها) من كان لايزال حياء كمدى بنباها ، وحمو بن باها ، ثم ان الديانيين خربوا الدار تخريبا ، حتى لميدعوا فيهاحجرا على حجر ، ونقلوا سقوفها وكل مافيها الى دارهم ، وتولوا أملاك ءالباها الذين دخلوا منذ ذلك الوقت فى خبر كان

هؤلاء ءال باها الايكليون ، وهذا ما وصلنى عنهم ، وانا هنا فى منعزلى الذى ارغمنى عليه الدهر (١) ، والحمد لله على كل حال

الآن وقد ذكرنا الايغشانيين الالغيين ، نذكر تبعا من عرفناه مشهورا بالعلم اوبالرياسة ، أو مذكورا فى التاريخ – فيما علمنا – من الايغشانيين الاخرين ، وأذكر بعض الاحياء اليوم ، اومن كانوا فى عصر ما ودرجوا ، ولايمكن لنا الاستقصاء فى كل الايغشانيين فيما وراء تيزى ، ولكن نذكر من تيسر الآن والله الموفق وسنبدأ بمن فى(تاوييت) ، ثمبمن فى(اكنى ايكدمان) ثم بمن فى (أيت أوبلخير) والله المستعان •

---

١) لاينسين القارىء ان هذا الكتاب كتب فى هذا المنفى الذى منع فيه جامعه من آن يتصل بأحد ، فكانت داره التى هى مسقط راسه سجنه ، وكانت قريته التى منها درج هى منفاه ، فكانت الغ مجمع عمومه ، افلا تكون أيضا مجال يراعه ؟

الفقيه احمد بن ابراهيم التاوييتى

قبل : ١٠٥٥ هـ = بعد : ١٠٩١ هـ

= * =

نسبـــه :

احمد بن ابراهيم بن على بن محمد (كما وجد فى رسم)

قد كنت رأيت فى الوثيقة الكبرى المارة تحت رقم (٥) فى ترجمة جدنا الاعلى ، سيدى عبدالله بن سعيد فى مفتتح (الفصل الاول) من (القسم الاول) ان الذى تولى تحرير أصلها هو هذا الفقيه ، ثم رأيت فى ترجمة الفقيهسيدى سليمان بن محمد : أول فقيه من فقهاء مرابطينا • ان جده للامهو الحسن ابن على، وهومنأهل هذا الفقيه ، وهناك الى الآن بيت علىقبر يزار ينسبالىابن اعلى • والحسن بن على قد وصف فى عقد نكاح حفيده المذكور سيدى سليمان بالطالب الحسن ، والغالب انه ليس بفقيه ، وان كان يذكر بصلاح كثير،وعبادة وخير الى الان ، وقد سالت بعض طلبة الايغشانيين عما يعرفه من علمائهم القدماء، فذكر لى من بينهم فقيها سماه ابراهيم بن على ، يسكن فى قرية (اكنى ايكدمان) وقال أنه من أهل القرن الحادى عشر ، ويشبه ان يكوناخذ من (تامكروت) قال : انني رايت رسائل كثيرة للتامكروتيين اليه ، هذا ماقال هذا الفاضل ، وربما كان من بنى اعمام صاحب الترجمة ، لقرب مابين القريتين ، ويبعد ان يكون هو جده لانهذا الجد ممن يكون أقدم من الشيخ سيدى محمدبنناصر المتوفى فى سنة : ١٠٨٥هـ ولان هذا الحاكى ، قال أيضا: ان ابراهيم بنعلى هذا هو الذى كان فقيه تلك الجهة ، ثم ورثه اليعقوبيون الآتون بعد ، واليعقوبيون انما عاشوا فى أوائل القرن الثانى عشر وفىاواسطه كما سياتى بعد انشاءالله ، ولهذا يتراءى لى انه ربما يكون من ابناء اعمامهذا الذى ترجمنا له ، وقد يختلج فى ذهنى ان الذى قال لى ماقال ، ربما رأىتلك الآثار لصاحب الترجمة بعينه ، ثم انقلب النسيان عليه ، وكل من لم يعتن بناحية ، فكثيرا ماتنقلب عليه اسماء أصحابها • ولذلك اخترنا ان نذكرهذا فى ترجمة هذا الفقيه ، ولابد ان تكون هناك آثار مخبوءة له ، انلم يكنمن بينها ماذكره هذا الفاضل ، ولكننى الى الان لم أتصل بها ، وكيف أتصلبها واننى الان بهذه العزلة الجبرية فى وسط صندوق ؟

نعم غادرت ذلك الصندوق فصرت حرا ، ولكن الحواضر التهمتنى ، حيث ابتعد الان : ١٣٧٨هـ عن مجالات تلك الابحاث ، ولم اكن راجعت قط هذه التراجم ، منذ كتبت فيها ماكتبت نحو سنة : ١٣٥٧هـ الا الان ، ولذلك يجب على المطالع ان يقنع بما تيسر •

يحيا بن محمد بن علي التاويتي

قبل ١١٤٠ هـ = بعد ١١٩١ هـ

= ⋆ =

وقفنا على اسمه في البطاقة التي تقدمت في ترجمة امغار باها الايكليبي ويظهر ان له توسعا في المعارف ، ومن تلك البطاقة التي نقلها يظهر اعتناؤه وهل يعتني بالتقاييد التي لادرهم وراءها الا ارباب الهمم العليا والغالب انه من اسرة ءال علي أخوال الفقيه سيدي سليمان الالغي ، وهي اسرة علمية نابهة وحدثت أن هناك محررات فقهية بيده •

ولاريب ان عرق هؤلاء العلماء ، هو الذي اندس في شرايين أول فقيه من ءال عبدالله بن سعيد ، سيدي سليمان المتوفي : ١١٩٩هـ فنزعه العرق فكان ممن يحملون الراية العلمية ، فكان يجب علينا ان نطيل البحث عن رجالاتهم ، ولكن حال الجريض دون القريض ، فما لايمكن كله ، لايترك جله

(هذا وقد كتب الى سيدي المحفوظ بانه رأى رسوما متعددة ارخ بعضها بسنة ١١٩١هـ بخط يحيا بن محمد بن علي ، كما رأى رسما ءاخر بخط محمد بن سعيد بن محمد بن علي مؤرخا بسنة ١١٠١هـ وءاخر بخط محمد بن علي بن محمد ابن ابراهيم التاويتي اخراز مؤرخا ١١٥٩هـ وءاخر بخط محمد ـ فتحا ـ بن محمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم اخراز مؤرخا بسنة ١١٠٥هـ وءاءاخر بخط علي بن احمد بن محمد بن محمد مؤرخا بسنة ١١٦٦هـ والحسن بن محمد بن عبد الله مؤرخا بسنة ١١٠٠هـ وءاخر بخط عبد الله بن محمد بن عبد الله التاويتي وءاخر بخط محمد ـ فتحا ـ بن محمد بن محمد ـ فتحا ـ بن عبدالله • وهذان غير مؤرخين • وقد وصف كل واحد من هؤلاء بانه فقيه تاويتي وبذلك تعلم ماكان في تلك القرية من العلوم في القرن الحادي عشر والثاني عشر • وحين لم نقف لهؤلاء على مايبين ماهيتهم ولاوصفا من اوصافهم اعرضنا عن ذكرهم بعد ماعرضنا اسماءهم لمن عسى ان يبحث عنهم)

سيدي

سعيد بن عبد المومن التاويتي

قبل : ١٢٨٥ هـ = بعد : ١٣٢٠هـ

= ⋆ =

شيخ الجماعة في تعليم كتاب الله ، فقد اخذ عنه اجلاء ، في مقدمتهم شيخنا سيدي عبد الله بن محمد ، وأخواه : احمد وعبد الرحمن ، والاديبان سيدي البشير الناصري وأخوه الطاهر ، والاستاذ سيدي أحمد اليزيدي ، هذا العلامة الذي يرفع راية التدريس اليوم في المدرسة (الوفقاوية) ، وفي غيرها قبل اليوم ، وسيدي محمد بن مبارك النوازلي الوفقاوي ، وكثيرون ءاخرون وكان ممن اخذ عن سيدي محمد بن عبد الله الالغي في مبادئه ، فحصل بعض معلومات لاباس بها ، وكان دينا خيرا ، لم استحضر الان من هو شيخه في القرءان ، لان الناس انما يعتنون باساتذة العلوم ، ويرمون الاعتناء باساتذة القرءان ظهريا ، وهذا لعمري غمط لحق عاملين عظماء ، تحملوا اعظم امانة فادوها كما تحملوها • وكان ينبغي ان يفسح لهم في الصدور ، وأن يرعى لهم من المقام وفي الحديث : خيركم من تعلم القرءان ثم علمه

شارط في مسجد الزاوية ماشاء الله ، وفي مساجد اخرى حوال الغ وفي مسجد قريته (تاويت) وفي ذلك امضى عمره ، وقد كان يحترم عند كافة الالغيين ، فكان الشيخ الالغي والاستاذ علي بن عبد الله يحترمانه متى لقياه او زارهما ، وكثيرا مايزورهما ، وكذلك الرؤساء الديانيون يجلونه ، ولايتركون احدا يمسه بسوء • وقد خلف ولدا يسمى محمدا ، كان احد لداتنا ، وفردا من الذين افتتحنا معهم الاجرومية سنة : ١٣٢٩ هـ في المدرسة (الايغشانية) ثم لم يستتم دراسته ، ثم توفي من غير علم كثير •

⋆ ⋆ ⋆

سيـــدي

احمد بن بوهوش التاويتى

قبل : ١٣٠٥ هـ = حـــى

= ★ =

أحمد بن بوهوش بن سعيد بن عبد المومن

أخذ القرآن عن جده المذكور ، ثم ألقى مراسيه فى المدرسة (الالغيـــة) فجال في العلوم ، ومختلف الفنون ، وقد اخذ عن التاجارمونتى وابى الحسن كما اخذ فى بدايته عن سيدى موسى بن الطيب الالغي ، وكذلك اخذ فى المدرسة (الايغشانية) عن سيدى العربى الساموكنى ، واخبرت انه متوسط فى معلوماته ولم يكن بذلك المتمكن ، ولكنه مال الى اخلاق اضفت عليه بهاء ورونقا ونهضت بمعلوماته على ضؤولتها ، فاخرجته من عالم الخمول الى عالم الظهور ، وهاهو ذا اليوم فى القبيلة البعمرانية ، قد أتاه الشرف من وراء نقلته من بين أهله وكم انسان محتقر بين أهله ، يشرف ان غادرهم :

لايدرك المرء فى اوطانه شرفا   حتى يكيل تراب الارض بالقـــدم

ولم أعرفه ، وانما تلقفت بعض اخباره ، وهو هناك اليوم مقدم للطريقة الاحمدية يروج بها ، وفقه الله ، ولم أقف على مايستحق الذكر من ءاثاره ، مع أن له ـ فيما أظن ـ مايستحق الذكر ، وقد كان معنا عمه سيدى محمد بن سعيد ياخذ في المدرسة (الايغشانية) كما تقدم ، وهو اذذاك اكبر منا ، وان كان من المنخرطين فى طبقتنا ، وقد فارقناه اذذاك ، وله من اسس المبادىء المتينة ما كان يبنى عليه لو سار قدما ، حتـــى يكون كابـــن اخيه هـــذا ، ولكنـــه لم يكد يفارقنا هناك حتى فـــارق تلك السبيل ، وولى وجهـــتـــه الى أذناب البقر .

(ثم اننى سألت عن المترجم بعد، فلم ازدد عنه على ما تقدم شيئا ، وهذا الذى وقع له وقع لاثنين ءاخرين من تلك القرية : سيدى بلقاسم ، وسيدى مسعود وقد انقلبا على عقبهما ، واندمجا فى غير الطلبة ، ولايـــزالان حيين الى الان وهما طالبان خيران ، لايزال سلامهما يصلنى الى الان ، ويا ليتهما صابرا ورابطا حتى يستتما ، ويالمصيبة المغرب على اعراض شبيبته عن المعارف التى لاحياة الابها وخصوصا فى هذا العصر .

سيدي محمد بن مبارك التاويتى

نحو : ١٣٠٨ هـ = نحو : ١٣٣٩ هـ

= ★ =

طالب نجيب تقى مائل بكليته الى الخير ، بهذا وصفه الاستاذ سيدى عبد الله بن ابراهيم ، وذكر انه اخذ عن الاستاذ سيدى محمد ابن عبو بالمدرسة المحمدية الهشتوكية الشهيرة ، ثم التحق بالمدرسة (الالغية) فسدك (١) بها عشر سنين ، فحصل النحو والفقه وحفظ المتون ، وجل (الرسالة) و (المختصر) وتفوق بين اقرانه ، وصلح لسانه ، وجاد فهمه وجمعت مشاركته بين اطراف الفنون التى أخذها ، ثم فارق المدرسة بعد ١٣٣٠هـ

ومما اشتهر انه عاكف على خدمة استاذه ابن عبد الله فى كل ناحية لايسبقه اليها أحد ، فعادت عليه بركة ذلك ، فبعد ان تخرج التحق بالزاوية الرسموكية باقا ، حيث بقى سنتين . ثم شارط فى مدرسة (تاكنزا) الى ان مات وهو مشارط فيها ، هذا ما أملاه على ابن العم حفظه الله ، واما انا فلم أعرفه ولاوقفت له على اثر ادبى ، اورسالة ، أو مايستحق الذكر ، وهكذا كتب له مع هذه النجابة الكبيرة التى ذكره بها ابن العم ، ان لايخلف فينا الا هذه الترجمة التى تنقصها المدعمات مما يطمئن به قلب المطالع ، وكم للنجباء الشباب الذين ماتوا فى غضارة الشبيبة من مثيل .

---

١) سدك به كفرح : لزمه .

سيدي

الحسن بن مبارك التاويتي

نحو : ١٣٢١ هـ = حـــي

= ★ =

هذا هو صنو المتقدم واصغر منه بكثير ، وقد اتصل ايضا بالمدرسة (الالغية) بعد : ١٣٤٢هـ ، وهو من الرعيل الاخير الذى كان فيها ءاخر حياة استاذها علي بن عبدالله ، فاكب وحصل واجتهد ، وشارك في الفنون كلها مشاركة متوسطة ، لم يدرك فيها صنوه المتقدم ، بهذا وصفه لى عبدالله ابن العم ، والاستاذ سيدى الطاهر بن علي • ولكن ابن العم زاد علي هذا انه بعد أن فارق المدرسة التى مكث فيها نحو ست سنوات ، وهو كما تبجبج في وسط الدور الثالث أعرض عن تنمية معلوماته ، وعن اتمام دراسته ، فآل ماحصله الى الفسولة ، والاعراض آفة العلم ، وكل من لاينفق مما علمه فانذره بانه بعد حين سيكون منه افرغ من جوف الحمار ، كما يقولون

ولم أعرف أنا هذا السيد ، ولاوقفت له على اثر ، والمنة لابن العم الذى افادنا ترجمته ، وهو ماهو في نظراته الى الرجال ، لايرفع أحدا فوق مقامه وذكر أنه اليوم في بلده ، وقلما يشارط ، وله أيضا اخ آخر ، اخذ من المدرسة (الالغية) لاباس بما اخذه • ولكنه لم يتعال حتى يصل الدرجة التى تعتبر بها من مروا بتلك المدرسة

فهؤلاء من يستحقون الذكر من التاويتيين ، ولنذكر من الايكدمانيين امثالهم •

سيدي محمد بن عبد الله بن علي

الايكدماني

من أهل اواسط القرن الثاني عشر

= ★ =

وجدت بين أوراق قديمة مخاطبة بينه وبين شيخه الحضيكى ، يطلب منه هذا : ان يكتب اليه مايعتمد عليه في طاعون وقع اذذاك ، ولعله طاعون : ١١٦٠هـ اوالذى وقع بعده ايضا بسنوات قليلة ، فلم اعرفه الا من هذه الرسالة لاغير ، وهذه الرسالة وجوابها مخطوطة بخط انسان لم نعرفه ، سمى نفسه: أحمد بن عبدالقادر السملالى ، وقال انه نقلها من خط الفقيه سيدى بلقاسم العباسي الشهير ، الذى لوحنا اليه في ترجمة الفقيه سيدى سعيد بن صالح الديانى •

ونص رسالة صاحب الترجمة :

«الى شيخنا الفاضل ، سيدى محمد بن احمد الحضيكى ، السلام عليك مع الرحمة والبركة ، تعم جميع أحوالكم المرضية ، فان سألتم فنحن في صحة وأمان ، لله الحمد وله الشكر • والحمد لله الذى نشر علينا هذه الرحمة الواقعة في البلاد •

أما بعد ياسيدى ، فغاية مايحتاج عندك : ان تكتب لنا شيئا من الاخبار الواردة في هذا الامر ، فهل نحن نمكث في ديارنا ؟ أردنا من الله ومن كمال فضلكم ان يختم علينا وعليكم بخاتمة السعادة ، مع كافة احبابنا ، وثانيا ياسيدى ، نريد أيضا من الله ثم منك ان تقيد لنا بعض الاخبار الواردة فيه لمن صبر في بلده ، هل يكون شهيدا ام لا ، أوحصلت له الشهادة ، ولو فر من هذا الامر لاحواز بلده ، احببنا ياسيدى جوابا بينا فنحن نتعلق بشيء من العامة ، أردنا من الله ثم منك ان تكتب لنا أيضا مايحتاج فيه الى التنبيه ، وبه تلميذك ، مرتجى غفران مولاه : عبد ربه محمد بن عبد الله بن علي ، من (هوت ايكدمان) الغشانى وفقه الله»

جواب الحضيكي

«وعليكم السلام والرحمة والبركة ، أما بعد : اكرمنا الله واياكم بما فيه رضاه ، وكفانا واياكم شر نفوسنا ، وهم الدارين ، وختم لنا جميعا بما ختم به للشهداء • بجاه سيد الشهداء والانبياء صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين ، فهنيئا لمن اتبع اوامر ربه ، وخالف هواه ، وقد نهى الشارع صلى

اللهعليه وسلم عن الفرار من الوباء ، ولايتقرب الى الله ورسوله بالمنهى عنه
وكل من أمر بالفرار ، فقد أمر بمخالفة الشرع ، واعان الشيطان ، فى ضلاله
واضلاله • وليعلم العبد ان الجزع لايفيد • بل يؤدى الى الهلاك ، باخلال ماجبه
بالواجب عليه ، وتضييع العمر فيما لايجدى من الاوهام التى هى كالهباء ،
وانما عليه القيام بتكاليفه ، والسعى فيما يخلصه من ذنوبه ، قبل ان يوخذبها
مستعدا للرحلة والقدوم على ربه ، وقد قدر الله الحركات والسكنات ، والاجل
والارزاق والانفاس ، ولن تموت نفس حتى تستكمل اجلها ورزقها ، (ولن يوخر
الله نفسا اذا جاء أجلها) ، ولاملجأ ولامنجى الا الى الله ، ولاينجو منه هارب
ومن أحب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، والرضا
بقضاء الله واجب ، والايمان بالقدر واجب ، خيره وشره ، وهو الطاعة
وبهاامر اللهبه مثل الصبر عند نزول الوباء ، وقد دعابه صلى الله عليه وسلم
لامته ، وهوأعلم بمصالحهم الدنيوية والاخروية : (النبىء اولى بالمومنين من
أنفسهم) وهو ارحم بهم من انفسهم ، وفى الحديث ، قال شرحبيل بن حسنة:
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الطاعون رحمة بكم ورحمة
نبيكم ، وموت الصالحين قبلكم ولاتتفرقوا عنه ، واشار الى ماجاء فى الحديث
اللهم اجعل فناء امتى بالطعن والطاعون ، فرغب الشارع فيه ، وحض عليه
فذلك فناءأمته بالطعن والطاعون ، وانه موت الصالحين ، ودعا صحابة ان
يموتوا به فماتوابه ، قال معاذ بن جبل • لما قاموا بالانكار على عمرو بن العاص
اللهم اذكر معاذا فيمن ذكرت فى هذه الرحمة ، وذلك لان النبى صلى الله
عليه وسلم قال : انه شفاء ورحمة للمومنين ، ودعا به لهم ، ورغبهم فى اغتنام
الشهادة ، ونهاهم ان يفروا • وذلك أيضا تسلية لاهل موضع الوباء ، ولاشك
أن الاجر على قدر الصبر ، والقيام بالوظائف الواجبة لاتنحصر ولاتعد ، وناهيك
بالشهادة التى لايعدلها شيء من الاجور ، وفضائلها كثيرة ، منها : انهم احياء
عند ربهم يرزقون ياكلون ويشربون فى الجنة • وانهم يغفر لهم كل ما اذنبوا
الاماهوحق ، وقد روى أن الله عز وجل يحمل عن الشهداء مظالم العباد ،
ويجازيهم عنه ، وان يشفع فى سبعين من اقاربه ، ويتزوج مثل ذلك من الحور
وانه لايفتن فى قبره ، الى غير ذلك مما لايحصى ، اللهم اختم لنا بما ختمت
به للشهداء ، واجعلنا منهم ياارحم الراحمين ، وحصولها بشروط مذكورة فى
الحديث ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : فليس من رجل يقع الطاعون فيمكث
فى بلده صابرا محتسبا ، يعلم انه لايصيبه الا ماكتب الله له ، الاكان له اجر
شهيد ، بشرط ان لايخرج من البلد ، وأن يكون قاصدا فى اقامته ثواب الله
تعالى ، راجيا صدق موعده ، وان يعرف ان ما أصابه فهو بقدر الله ، وان
صرف عنه فهو بقدر الله وان يعتمد على ربه فى حالة محنته ومرضه ، غير
متضجر به ، اى غير ساخط لقضاء الله ، فمن اتصف بهذه الاوصاف • فمات

فهو شهيد• وان لم يمت فله مثل اجر شهيد ، واما الفرار من الوباء على ماهو
المعمول فى هذه البلاد من التفرق فى الشعاب ، وتضييع المامورات فى المرضى
والموتى ، فحرام بالاجماع ، لايحل ، ولايقول احد من المسلمين باباحته • واما
الاجر الموضوع فيه للصابر الماكث ، العارف أن مايصيبه لايخطئه ، وما يخطئه
لايصيبه ، معتمدا على الله تعالى فى حالة الصحة والمرض ، فكثير لايحصى ، منها:
انه لايسأل فى القبر • ويامن من الفزع الاكبر ، وياكل ويشرب عاجلا فى الجنة
ويتزوج اثنتين وسبعين حوراء ويشفع فى مثل ذلك من اقاربه ، الى غير ذلك
ممالايعد ، والسلام ، والله الموفق للصواب ، ولاحول ولاقوة الا بالله العلى
العظيم • فحسبنا الله ونعم الوكيل»

هذا هو الخطاب وجوابه ، ولولا هذه المخاطبة لما عرفنا تلميذ الحضيكي
هذا ، ويظهر ان له شهرة فى بلده ، وقد رايت ان هناك اناسا يقتدون به ،
ولاأخاله الافقيها من الفقهاء الكثيرين الذين اخذوا عن الحضيكى ، ثم اعتنقوا
طريقته ، وهو من قدماء تلاميذه ، ان صح ان هذا الوباء الذى سئل بسببه•
هو ماوقع سنة : ١١٦٠هـ اوفى سنة : ١١٦٤هـ لانه وقع فى هاتين السنتين
معا ، ويظهر من عبارته انه وسط فى ملكته العربية ، وهو على كل حال ، لم
تبلغ شهرته — ان تجاوزت بلده — اذن الاستاذ عبد الرحمان الجشتيمى ،
الذى لم يذكره فى الذين ذكرهم من اصحاب الحضيكى ، ثم ان لم يكن من فائدة
ذكره الا اظهار هذه الاثر لكفى ، فانه مما يدل على بعض ما للحضيكى علامة
ذلك العصر ، وصالحه والمتبوع فيه • من الورع والتضحية بنفسه فى اتباع
السنة رحمه الله ورضى عنه

أمغـــار

اوبركا الايكدمانى الايغشانى

من أهل القرن الثانى عشر

= * =

كانت رياسة القبيلة الايغشانية قبل ان تنتقل الى الجدود الاخيرين لباها الايكلكيبيالمتقدم ، فى قرية (اكنى ايكدمان) وكان المعروف منهاصاحب الترجمة الذى لانعرف عنه الا بعض نتف مما يتداول عند الناس فى اسمارهم .

قالوا : انأمغار اوبركا كان مغوارا مسعر حرب ، جمع قبضة كفه على هذه القبيلةبعد اليعقوبيين ، ثمثارت بينه وبين القبيلة عداوة متمكنة ، ادت الى أنمال عليهأناس منهم ، يوم عيدالاضحى اوفطر ، وقد اجتمع اهل القرية فيالمصلى ، فاختلفهؤلاءالناس الىديارهم ، ثمبواسطتها تمكنوا منامغاراوبركا وثلاثة مناولاده وبنتمنبناته ، فذبحوا الجميع ، فالتهموااداره ودياراصحابه أجمعين ، قالوا : فمنذلك اليوم جرتالعادة من الايكدمانيين انهم فى كل يومى أضحى وفطر ينقسمونفرقتين :فرقة الى المصلى ، وفرقة فيأثناءالديار تبقى حارسة ، ثمدامت هذه العادة من ذلك القرن ، الى زمنالاحتلال ءاخرسنة : ١٣٥٢هـ هذاماسمعته من أناس ، وذلك كله مجمل كما ترى

ذكر لى بعضهم ان دار امغار اوبركا لاتزال ، وانغلقا لبيتله مشهور لايزالمحافظا عليهالىاليوم ، محافظة اصحاب المتاحف على ما فيها من الآثار وأخبرنى أيضا بعض من يعتنى بالاخبار من طلبة تلك القبيلة انه يحزر أنـه قتل فى أوائل العقد السابع ، من القرن الثانى عشر ، والله أعلم

الاستاذ سيدى على بن همو الايكدمانى

قبل : ١٢٩٠ هـ = بعد : ١٣٦٥ هـ

= * =

هذا هواستاذ سيدى المحفوظ ، وسيدى محمد بن أحمد والاديب سيدى أحمد بنالحسن الديانيين ، وكذلك اخذ عنه الاستاذ سيدى بلقاسم بن محمد السليمانى المتقدم ، كما أخذ عنه كثيرون غيرهم ، وهو استاذ مجدفيتعليم كتاب الله ، فكان بذلك خير الناس • وفي حديث : (خيركم منتعلم القرءان وعلمه) ولايزال حيا الى الان ١٣٥٨هـ وانما ذكرناه من بين كثيرين من الاساتذة القرءانيين الايغشانيين ، لانهاستاذ من اساتذة الالغيين فكان بذلك على شرطنا لاننالتزمنا انتذكر كبارهم بقدر الامكان

ولما ولد احمد نجل ولد للمترجم اسمه محمد فى : ١٨ ـ ٥ ـ ١٣٦٠هـ خاطبهالاديب تلميذه احمد البنائى بقوله :

هل الهلال فطاب القلب وانشرحالـ ... ـصدر وعم الهنا منكان فيالحضر
ذاك الوليد النجيب البر منزهرت ... بنور طلعتـه سرائر البشر
ياشيخ ياسيدى ليهنك الولد الـ ... ـبر الرضا احمد المبارك الاثـر
ذاك وليد نجيب نجل سيدنا ... محمد من بعظم السر منك حرى
يدب فى المجد والعلياء تكفله ... والسعد يخدم في الاصال والبكر
ممتعا منعما بالوالدين وبالـ ... ـجد النبيه الشهير شهرة القمر

الى ان قال :

ياشيخ يا سيدى على يا ندسا ... لولاه كنت رهين العى والحصر
ربيت ادبت علمت فكم منن ... قلدتها بل وكم اسديت من درر

الى ان قال :

الله يجزيك افضل الجزا وحبا ... ك الخير من عنده يا حلة الفخر
ثم السلام على علياك ما لمست ... ريح الصبا سحرا كمائم الزهر
وما تبلج صبح من سناك ومــا ... تلألأ النور من شمس ومن قمر

عبد الله بن محمد الايكدمانى الايغشانى

نحـــو : ١٣١٠ هـ = حـــى

= ★ =

نسبـــه :

عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن محمد ـ فتحافيهما ـ وينتهـى النسب الى سيد يسمى الحبيب عليه مشهد يزار فى القرية

هذاأحد العلماء الافذاذ تحصيلا وورعا وعبادة ومنشئا طيبا مصونا • يذكر منذ صغره بالتصون والعفاف الى الان • وهو يدب الى السبعين • وقد كنتجمعت له ترجمة بقلمى • ثم كتبت اليه ليوافينى بكل ما امكن عن أهله وعن نفسه فكان من فضل الله على ان اعتنى برسالتى فاجاب غاية الجواب • ومما كتبته اليه فى اول الرسالة :

سلاما كنفح الورد منخفل الروض   يطيب به جـو السماوات والارض
ارى لك ما بينى وبينك وحدة   صفائية فـاشتا قبعض الى بعض
فياليت شعرى هل يحم لقينا   وشيكا فيقضي كل قلب بمايقضى
عسى رحمة من فضل ربك ينقضى   بها البين عن صب يكاد به يقضي

فاتانى الجواب هكذا :

سلام يجوب الكون طولا على عرض   يقضي تحيات النوافل والـفـرض
على السيد المختار مختـــار عصره   بما اختار من شان الصيانة للعرض
صدود عزوف عنقذاريفتنقى(١)   يصد ويخشى دائما محن العرض
تملك اشتات المعالى وراثـة   تملك مولى بالعصوبة والفرض
فداه بنو الاداب مما يشينه   وفداهم جما غفيرا بـنـو الارض

سيدى ومـولاى ، وفخار دهرى وانس محياى ، امدك الله بامدادالتوفيق وسلكبنا وبك مسلك أهل التحقيق • وتولى جنابك بحسن عنايته ورعايته • وكفالته وحياطته ، ان كتابك الكريم • وخطابك الشهى السليم • وصلنى فجدد الافراح ، وأزاح الاتراح ، واشتمل على مطالب • فلم يسعنى الامتثال امره والمسارعة فىأثره ، لكن منعنى من تلك العجلة ما اوجب بطئا فى الجواب • من اعذار يعلمها الكريم الوهاب • منها صداع ملازم يمنعنى غالبا من جل اشتغالى

---

١) القذروف كزنبور : العيب

فاما وفاة الوالد والجد بالضبط • فالوالد توفى فى ثالث ربيع النبوى عام ١٣٤٣هـ بعدصلاة ظهر ذلك اليوم • وكانيوم الجمعة قيدته فى ذلك العام بيدى

واخبرنى أخي الثقة الفقير احمد : انه مرض قبل ذلك مرضا مخوفا فأوصاه بمافى نفسه • وقال له أرى أن وفاتى فى هذا المرض • فان سنى اليومعلىسن والدى • وكان والدى يعني سيدى عليا عاش اربعاوثمانين عاما• وقد استكملتهااليوم • ثم تأخرت وفاة والدى عن هذا المرض والوصية عاما وافيا • فيكون عمره ٨٥ عاما فاقتضى هذا ان تـكـون ولادته فـى السابع والخمسين بعد المائتين والالف • وكان رحمه الله محبا لتلاوة القرءان يقطع مابين الظهروالاصفرار فى تلاوة القرءان فى المصحف • ويقوم فى الثلـث الاخيرمن الليل ، يصلىويتلوالقرءان •الى ان يصلىالصبح • فان كان له شغل مهمقاماليه • وان لم يكن بقى فى محله الى الضحى • هذه حالته منذ عقلت• وكنت قرأتعليه الحروف والهجاء والاربعة الاحزاب (سبح) وما بعده • ثم ردنى الى امام المسجد سيدى على بن همو المخرج زهـاء خمسين كلهم اتقنـوا القرءان بقراءة نافع ، فلازمته حتى ختمت سبع ختمات والحمد لله • وكان الوالد رحمهالله سالم الحواس كلها حتى قبض • وكان يصوم مع الوالدة شهرى رجب وشوال حتى قبضا ، وكان باعه فى الفقه أطول منه فى غيره من الفنون، يذكر لى انه حفظ مجموع الشيخ الاميرقى (قم اكشتيم) وترك نسخة منهقررها بيده تقريرا يضاح ، لابحث ولازيادة ولاعزو ، ولاتزال ، ولماكنت فى (تامصلوحت) بالشرط والسكنى ارسل الى مصحفه الذى يقرا فيه معذلك الديوان • وسفرا ءاخر مع رسالة يقول فيهاهذه هديتى اليك • وقد رضيت عنك رضى الله عنك حين اشتغلت بتعليم ماعلمك الله • فاوصيك ان لاتترك التعليم ما استطعت ، جعلك الله عينا يستقى بك الخاص والعام • مع وصايا اخرى • فادهشتنى تلك الوصايا وفزعت الى زيارته فكنت عنده ٢٢ يوما• ففرح بذلـك ، ولما خرجت من الـدار للسفر الى (تامصلوحت) شيعنى الى خارج البلد وودعنى • وقال أعييت أعييت • وعند الاعياء يقبض الانسان • فلما وصلت (تامصلوحت) وصلنى نعيه ، فرجعت الى بلدي • وكان يقول لى عليك بالفقه ولـو رفعت المجرور • فبالفقـه يعبد الرحمن ، وبـه يعرف الحلال والحرام • وكان يقول لى أوصانى والدي بقوله ان الفواحش ما بينها وبين الانسان الا درجة واحدة • متى رفع رجله اليـه لم يبـال بعدها بـاى عظمة •

وأما الجد سيدى على بن محمد ـ فتحا ـ فقد أرخ الوالد موتـه • فقال توفى والدي السيد على بن محمد وقت الظهر من يوم الجمعة الخامس عشر من ذى الحجة الحرام عام ١٣٠٢ هـ وكانت وفاة الجد وهو يخدم فى ارض له فجاة ، وكان تعتاده ذات الجنب ، وهى السبب فى موته وموت الوالد رحمة

الله عليهما • وكان الوالد يقول هـذا المرض هو السبب في مـوت ابـي ، وفي موت أخي سيدي عبلا بن علي • وهو ايضا سببي • فكان الامر كما قال• غير أن والدي بدأ فيه ذلك المغص والانحصار يوم الاربعاء فلم يبل ولم يتنفس الى أن صلى الظهر بايماء • والجد سيدي علي رايت له ببلدنا حكمين ابرمهما، أحدهما في ابطال صدقة بعدم حيازة المتصدق عليه • والثاني في منع اخي الام من الميراث ، مستدلا فيهما بكلام ابن ابي زيد في الرسالة • ووثائقهمـا كثيرة جدا في البلد •

أما الجد سيدي محمد بن محمد ــ فتحا منهما ــ فكان الشيوخ الطاعنون في السن ببلدنا يذكرون أنه كان يهرب من المكتب • ويوثقه والـده حتى يرده الى الكتاب • فسمع يوما معلم الصبيان • يملي عـلى بعضهم (أتريدون أن تهدوا من أضل الله) فأوقف ولده وحل الوثاق من يديه • فقال له سر في حال سبيلك • لا أراك أبدا • وبعد حين جاءه ولده بفلوس • وقال له ما هذا ؟ فقال هذه ستون مثقالا • فقال له والده انك لا تغويني بستين مثقالا• فلو أتيتني بستين حزبـا لقبلتها • فذهب عنه فلم يعلم أحـد بخبره حتى رجع حافظا للقرآن •

ورايت بخط الجد سيدي محمد بن محمد تقييد موتى الوباءين الاول والثاني على هذه الكيفية في يوم الاحد مات فلان او فلانة او الفلاني ، ثم فلان ثم فلان ، وفي ليلة الاثنين فلان الفلاني ثم فلانة • الى ءاخر من ماتوا فارخ ابتداءالمرض وفتوره وانقطاعه يوما فيوما في كاغد كبير • هذا ماحضرني عنهما والناس يعرفون فخذنا بأولاد سيدي همو من (اكني ايكدمان)• أما ابتداءي أنا الى انتهـاءي فاني تعلمت الهجاء في حجر والدي ، ثم بعد الاربعـة الاحزاب الاولى دفعني الى ابن ولد عمي سيدي علي بن محمد ــ فتحا ــ بن احمد بن محمد ــ فتحا ــ التقى معه في محمد هذا ، وعلمني القراءة والخط ، واتقنت عليه القرءان بقراءة نافع • ثم دفعني الوالد الى سيدي العربي الساموكني • وذلك أول عام ١٣٢٤ هـ في مدرسة (غشانة) رحمهما الله • فوكلني الى سيدي محمد ابن علي الفقيه الالغي • فأقرأني الاجرومية والجمل والزواوي ولامية الافعـال والمرشد المعين • ثم افتتحت الرسالة في باب الصيام الى ءاخرها والالفية من أولها الى نون التوكيد عند السيد العربي الاستاذ نفسه • ثم انتقلت الى (أداي) عند العلامة سيدي عبد الله بن محمد الالغي ، فقرات عليه المختصر من أوله الى الزكاة مع حفظ أوله الى فرائض الصلاة • ومقصورة ابن دريد تفهما وحفظا • والفية الجياني ، من النائب عن الفاعل الى التوكيد • والثلاث المقامات الاولى مع الخطبة ، وفارقته من غير وداع لامر اقتضى ذلك • ثم لقيني بعد عام في موسم سيدي احمد بن موسى فرحب بي ، ودعا لي ، وسامحني ونصحني وودعني لله بعدما سألني عن حالي فاخبرته باني عند سيدي عبلا بـن أحمد

السملالي في (ميرغت) ثم كنت في (ميرغت) عند هذا السيد ، وقرات ارجوزة الزواوي ومبنيات اباراغ والالفية ، والرسالة ، ولامية الافعال ، والمختصر الى الانكحة • وبعض الميراث ، وبعض الحساب ، وقرات عليه بردة المديح مع الهمزية •

ثم انتقلت عنه الى سيدي مزال بن هارون في (ايت ايلوكان) عند سيدي علي بن عبدالله الكوسالي تلميذ سيدي محمد بن عبو ، فقرأت عليه جل المختصر من الجمعة الى السلم • والبردة والهمزية والالفية كلها ، وبعض السلم، وبعض ارجوزة ابن عاصم • ثم انتقلت عنه بعد رجوع مولاي احمد الهيبة من مراكش الى (تاكوشت) وفيها العلامة أبو العباس الاقاريضي • فلما دخلت على استاذها الكبير • ومدرسها الشهير • وجدته اوحد زمانه حفظا وحلما وزهدا وعزمـا ولطفا بالمتعلمين ، وصبرا على مكابدة التعليم وتجملا لجفاء الخلق • كان يجلس في مصلاة الغداة الى طلوع الشمس • فيدخل لمجلس التدريس • فيدور عليه ١١ أو ١٢ درسا اولها التفسير وءاخرها جمع الجوامع مع الاصفرار

ولما دخلت عليه نظر الى نظرة اختطفت لبي • واثرت الهيبة في قلبي فلايزايلني بعدذلك جلاله • ولايغيب عني جماله • فسالني عـن مرادي • فذكرت القراءة • ثم سالني عن اسمي وبلدي فشرحت له ذلك • وعن سابق قراءتي فاعلمته • فقال لا يليق بك الا الثبـات والرسوخ • ان اردت لنفسك النجاح • فكنت عنده ثلاث سنين • وختمت عنده الالفية مرتين • والمختصر الى الاجازة• والمقامات والمرشد المعين • ولامية الافعال ، وبانت سعاد والدالية لليوسي • ولامية ابن الوردي والميراث والحساب ، والحمدونية في العروض والقوافي ، والسلم ، والتلخيص الى الحقيقة والمجاز • والتسهيل الى الموصول والبردة والهمزية ومقصورة ابن دريد وارجوزة ابن كيران في المجاز والاستعارات وفي العام الثالث فضلت له ساعة يفرغ فيها قبل الظهر في الايام الطوال فامرني أن اتعلم عليه سرد الحديث لاتمرن عليه ، فسردت عليه ربع البخاري في نحو شهرين ، فدار الزمان متنكرا واصبح كل ما من معنا لشانـه متفكرا واستولى المحل على البلاد ، ونفد النشب والتلاد • فراودت الشيخ على تزويدي بالدعاء ، فتشاغل اياما حتى قلت له اني ساخرج بلا وداع ، فودعني فخرجنا من عنده ونحن اربعة نحمل زادنا على عواتقنا الى مراكش • ولانجد مانأكل من غبرزادنا • وقد أخذنا رسالة الى سيدي محمد بن الحاج الافراني وهو اذذاك فقيه الشيخ التيبيوتي فرحب بنا وأدخلنا الى محله وسقانا الاتاي وحده وقال ان الشيخ لايطعم الطعام • ولانزيد على شرح تلك الازمة التي ازعجتنا ونحتناعن ذلك الشيخ ، ونلقى الرفاق يكتالون من مراكش ، لاينقطع الطريق من الصباح الى المساء ، وكنا نسالهم عن سوم الشعير • فيقولون مائة مثقال• فلما دخلنا مراكش وجدنا الشعير انتقل الى مائتي مثقال للخروبة المراكشية

ولمادخلنا مراكش كنت في دكان التجارة اشهرا • ثم بدالي فدخلت المدرسة اليوسفية • فوجدت الطلبة اذ ذاك اقل من خمسين • والخبزة سبعون خبزة • فقرأت على سيدى أبي شعيب الشاوى الالفية من المفعول المطلق الى أفعل التفضيل • والمختصر من الزكاة الى الجهاد • وعلى سيدى احمد بن المحجوب بعض الخلاصة ، فعدا على افلاسى • وقلة المواسى • فخرجت الى دكالة في بلد بني يخلف ، فشارطت على اولاد الفقيه ابن الصحراوى بـ ١٦ ريالة حسنية اقرىء القرءان لثلاثة اولاد لهم • فوجدت طلبة دكالة يحفظون المختصر ، ويقرءونه كما نقرأ سور القرءان ، فتصاغرت الى نفسي كيف لا احفظ مثل حفظ هؤلاء ، فكنت آخذ النسخة المطبوعة الفاسية فاقرا فيهاوجها وجها ، حتى أحفظه في يوم او يومين ، فلم يدر على الحول حتى حفظت نصف المختصر ، واقرأه ليلا ونهارا • وحين خروجي للرياضة خارج المسجد • فلما اتممت العام ، ودعت اولئك الناس • ورجعت لصلة رحمي في البلد • لانني اشتاق الى أهلي • فلما وصلت ذلك الشيخ الصوابي • وكان في (تاهالا) في طريقي الى داري ، دخلت عليه فرحب بي وفرح وقال (وحبيب آتي بلا ميعاد) وبت عنده ، فلما أصبحت ودعني الى داري ، وقال لاتبق في الدار ازيد من أسبوع وجيء لقراءتك • فامتثلت ورجعت اليه • فوجدتهم في باب الاجارة من المختصر ، وبقيت حتى ختمناه • ومع ذلك الخلاصة والمقامات والجوهر المكنون والحمدونية في العروض والقوافي ، ولامية سيدى احمد بن سليمان الرسموكي في العروض والحكم لابن عطاء الله والتفسير • ولما دخل رمضان ولم يكن عنده من يرضاه لسرد الحديث ترك تلك الانصبة كلها واقبل على بكليته يمرنني على الحديث فقرأت عليه البخارى ومسلما والموطا بالتمام • ولايكلم أحدا ، ولايجيب سائلا • ولايذكر وردا فيما أعلم • الا ان يكون وقت نومي واذا سألته عن معنى لفظة فسرها بكلمة او كلمتين • وهكذا حتى فرغ رمضان • ونحن على تلك الحال • وأهل (تاهالا) وغيرهم يهابونه ، ولا يجرؤون على مراجعته اذا رأوه مقبلا على ثم بعد سابع العيد عيد رمضان رجعت الى تلك (المدرسة) فتذللت للشيخ وشكوت اليه خصاصتي وقلة ذات يدى • ليسرحني الى مراكش • فكان لايجيبني بشيء ، وفي كل يوم ادخل عليه فاسأل منه الدعاء فيمد لي نسخة الشفاء ويأخذ في يده شرحا للشفاء الفه بعض العلماء الجشتيميين • بخط متين صحيح ، ويقول اقرا حتى اكملناها فدعالي • ولما قبلت يده مودعا • قال لي ياهذا انما ارسلتك للقراءة • فلاتحدث نفسك بغيرها ماحييت ، فدخلت مراكش ووجدت الفقيه السيد المدني الاكلاوى مضى على موته شهر او شهران ، فبقيت في مراكش ادور نحو شهر ، ثم دخلت المدرسة اليوسفية ثانيا ، بنية الاستقرار أيضا للاخذ • فقرأت على المرحوم بالله سيدى الحاج العربي الرحماني المختصر من الجهاد الى البيوع • وكنت اجلس وراء الصف لان الصف استدار وانغلق قبل التحاقي به (والعادة ان كل من

سبق الى محل من اول يوم فانه يستحقه دائما) فاعجبني تحقيقه وايضاحه • وقلت فيه أبياتا ذهبت عن حفظي • الا نحو ه ستاتي فمكنتها له • فلما اصبح في الغد ورجع الى مجلسه ، وجدني في محل وراء الصف • وكان جل اهل الصف مراكشيين ، فقال لهم وسعوا للفقيه السوسي وعظموه ، فانه فقيه مشارك • وكان دائما يلحظني بعدها • ولم يكن في الصف من يكلمه الا انا وذات يوم ونحن في الانكحة سمعته يقول مرارا صدقات بفتح الدال وانا الااملك ولو المصباح فضلا عن غيره • فقلت له نعم ياسيدى (وءاتوا النساء صدقاتهن نحلة) فضحك الى وقال الله يرضي عنك يا فقيه ، قال في القاموس صداق كسماء وصداق ككتاب وصداق كغراب وصدق كفلس وصدقة كسجدة ، وصدقة كقصبة فعلى هذا قل صدقات ولا عليك • وفي يوم ءاخر اكثر يكرر كسوة بالضم فقلت (وكسوتهم) بالكسر في القرءان فقال نص في القاموس على ان الكسوة بالضم والكسر مايلبس فعلى هذا الضم هو الافصح (أقول : ان مثل الحظوة يجوز فيه تثليث الفاء) وقرأت على الفقيه ابن الحسن الصغير الدباغ متن جوهرة اللقاني • في التوحيد وعلى سيدى الحاج احمد الزعراوى منظومة السلم في المنطق • وعلى مولاى احمد العلمي جمع الجوامع الى الكتاب الرابع منه غير أنه فاتني شيء قليل من اوله • وقرأت التلخيص الى (الفصل والوصل) على الفقيه ابن الحسن الكبير وهو القاضي • امشي الى المسجد في (ازبزض) قرب داره فيخرج الينا ونحن خمسة • وعلى الموقت موقت ضريح الشيخ سيدى ابي العباس الفقيه ابن شقرون منظومة المقنع مع جل (روضة الازهار) وقليلا من رسالة المارديني في التوقيت • ولم استكمل العام في المدرسة • فخرجت الى بلد (مسفيوة) فشارطت في مسجد يسمى مدشرة (اغريس) فاقمت فيه عاما ثم دخلت مراكش • فتزوجت فكنت اخيط الكتان • وبعد حين ورد علي كتاب من الشيخ الصوابي يوصيني ان لااتزوج الا بعد مشاورة الوالدين • لينجح الارب ، ولم اكن أرسل اليه ولا الى الوالدين لاستيلاء الغفلة على ، ثم بعده وصلني خبر الوالد • وقد اخبر خبرى يزجرني على تركي للتعليم • ففي اليوم الذى قبضت فيه رسالة الوالد ذهبت الى القاضي مولاى احمد السوسي مخاطبا له شعرا لم يبق في خاطرى منه شيء • وضمنت تلك الرقعة سؤاله ان يوجهني الى مدرسة (تامصلوحت) فلما قرأها ضحك حتى سالت دموعه وحمد الله وقال أتدرى مم ضحكي ؟ انما هو من شانك وشأن أهل (تامصلوحت) • فهذه ستة اشهروهم يطالبونني بطالب يعمر مدرسة مولاى عبلا بن حسين ، فلم اجد من يوافقهم ، فالان أنت توافقهم • لانهم سماويون وأنت ارضي وكتب لي اليهم • فلما وصلت مدرستهم استعجلوني للقراءة ولم يمهلوني ولو ليلة واحدة وارى ذلك لخبث نية فيهم • فشرعت في القراءة تلك الليلة الاولى بعد قراءة حزب المغرب • وغالب الحاضرين اميون ، فذكرت احكام البسملة بعضها وبعض فضائلها • وما قيل من انها من الفاتحة ومن كل سورة الى ءاخر مايقال

عادة في ذلك ثم لما ختمنا المجلس نادى اولئك الشيوخ الاميون : الله يرحم من اقراك ، فاستبشر الشرفاء يقولون كذا من فقيه اقرا في هذا المجلس ولم يكن فيهم من ذكر البسملة ، ولا بعض مافيها • ثم لما وصلنا الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت بعض فضائل اهل البيت ، فامتلأ اولئك الملا الشرفاء سرورا • وكادوا يطيرون حبورا • فقرأنا عندهم ابن عاشر ولما دخل ربيع النبوى شرعنا شرح الهمزية ، ولايحضرني فيها الا ماطالعت في شرح بنيس فلما كنافي محفل التعييد في بعض الدور • تكلم طالب من وسط الناس وقال يحق عليك ان تكمل الهمزية على هذا الشرح ، فان حد سماعنا منها في كل عام (واذا سخر الالاه اناسا) ففعلت واتممناها بفضل الله (اذا اراد ان يظهر فضله عليك خلق ونسب اليك) ثم أتممنا المرشد المعين ، وشرعنا في رسالة القيرواني نقرأ فيهاماتيسر ، ثم مع تمام السنة وصلني رجال من غسانة برسالة من الوالد مع الديوان اليوسفي (١) • وسفر ءاخر ومصحفه الذى فيه القرءان وفي الرسالة التي أرسلها وصايا افزعتني وازعجتني الى زيارته منها انه قال فيها أوصيك متى توفاني الله فلاتبع شيئا مما اورثك الله مني • ولاتهبه ولا تتصدق به ، ولاتفوته بوجه من التفويت ، فتكون من العاقين • وقد ورد ان العاق لايراح ريح الجنة • وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام • فانزعجت فاسترضيت امين المدرسة القائم بها ، ليوافق على صلة الرحم فرضى فذهبت فوجدت الوالد بخير • وكنت عنده ازيد من ٢٠ يوما ، فسالته ان يودعني فشيعني الى خارج البلد • وقال اعييت اعييت وعند الاعياء يقبض الانسان فلما وصلت (تامصلوحت) وصلني نعيه • فكررت راجعا • وسرحت تلك المرأة وكان لي معها ولد وبنت استأثر الله بهما • فاقمت في البلدة كاني فيها غريب لولاان الوالدة رحمها الله تونسني وتمتيني وقد اقمت فيها سنة • وبعدها ، وكنت في مسجد ٥ سنين اعلم الصبيان وفي تلك السنين لااكتب لاحد وثيقة الرهن ، ولابيع أوراق البنك بالنسيئة ، فقضى لي ان خرجت من ذلك المسجد ، ولازمت داري لااجد شرطا يوافقني ، لان الناس لايقبلون طالبا يتمنع من كتب مايريدون فبقيت في داري نحو عام • ثم أرسل الى الشيخ الصوابي فوصلته فراودني ان اقيم عنده ، حتى ياتي الله بما يرضى لنا من شرط بعض المساجد او المدارس • فاقمت عنده عاما ءاكل واشرب • واكرر للطلبة دروسهم فقرات عليه تحفة ابن عاصم والمنهج ، وتكميل المنهج ولمادار رمضان قطع الانصبة كما هو عادته ، فاقبل بي على سرد الحديث (البخاري) نهارا و(الموطا) ليلا • حين نشرب الاتاى • ففرغنا منهما لعشرين ليلة • ثم شرعنا في (مسلم) ففرغنا منه واتبعناه بـ (الشفاء) واتممناه في ليلة العيد •

(١) يعني ديوان ابن الاحمر المطبوع اخيرا في تطوان فمن عند هذا الاستاذ اكتشف

واعطاني قميصه الذي يلبسه ، وقال هكذا فعل بي سيدي الحاج احمد الجشتيمي ولما خرج رمضان والعواشر اتاه كتاب من فقيه (مدرسة ابي مروان) سيدي محمد كودرار يطلب منه ان يوجهني اليه فاراني الكتاب وقال ارى ان تصبر حتى تكون مدرسة تستقل فيها بنفسك ، ولاارى لك ان تكون تحت يد الغير فأجبته بان كوني تحت يد الغير احب الي من الاستبداد لاني لااعرف مكايد العوام • ولاأقوى على مداراتهم فضحك وقال نعم هذا السيد يكفيك كل عناء دنيوى • وأنت أقبل على التعليم ، فلما دخلت المدرسة (المروانية) وجدتها لايقام فيها الصف • ولايتلى فيها الحزب الا في المغرب • فكنت فيها ٢٤ عاما والحمدلله على ستره الجميل وفضله الشامل • ولما رجعنا من ملاقاة مولانا الملك نصره الله بدا لي أن أبقى في داري • فلم يتفق لي • ولم يرد الله ذلك ، فشارطت في (مدرسة ايغشان) الآن

هذا منتهى ترجمتي ، اما اجازات الاشياخ فلم اتحل منها بحلية • ولا كانت نفسي قط تتوق الى تلك المنية وما كنت ارفع رأسا ان أكون عالما ولافقيها ولامدرسا ، ولشان نفسي اصغر عندي من ذلك • ولولا الالتجاء مادرست درسا واحدا • ولكن كان ذلك في الكتاب مسطورا • ومن أدرك وعرف اولئك العلماء لايحدث نفسه ان يلتحق بنجوم السماء • ولما كنت في المدرسة المروانية كنت احمل الطلبة على سرد البخاري واكماله في رمضان ، فكل من سمع بنا يطعن فينا • ويقول لافائدة في هذا السرد • وينهي الى الطلبة مقالات اولئك الطاعنين • فأتاح الله الى طالبا سملاليا يجول • وفي يده رحلة ابن بطوطة ، ولم أرها قبل ذلك • فاخذت الكتاب وفتحته • فنظرت في وسطه ترجمة جامع دمشق أوغيره من الجوامع، يقول مؤلف الرحلة قرات صحيح البخاري كله على شيخ ذلك الجامع في أربعة عشر مجلسا ، فحمدت الله وترحمت على ذلك الشيخ وعلى شيخي الصوابي ، وكلما دخلت على شيخي الصوابي للزيارة يسالني عن قراءتنا فاشرح قضيتها وكثيرا مايقول لي

قليل منك يكفيني ولكن   قليلك لايقال له قليل

أما شعري فما كنت أبيض له أبدا • وما أراه الا نفثات مصدور ، غيرانه علق بقلبي منه أبيات في أول قصيدة قلتها في مراكش مدحا للسيد الحاج محمد النظيفي رحمه الله :

الاطف بكعبة المعالي وسلم   وركن الهدى جزما هنالك يمم
واحرم بميقات الغنا واخلع المرا   فليس سوى الاخلاص يرضى لمحرم
وقف بعد ذاك للوداع وغلسن   ركاب المنى نحوا لمنار المعظم
امام له في المكرمات معالم   متى ما يسمها الوهم يخسا ويسام
معالم لو تكسى النجوم سناءها   لما اعتاد نهج الغي راى منجم
ولو نال من ذاك السنا ماأختفى السها   او البدر لم يمنح محاقا ويظلم

فذلك مولانا النظيفى من له   براهين مجد افحمت كل مخصم

ومنها :

سل الخافقيـن ان نبا عـن كماله   بنات الدجى فالحق ابلج مبهم
اذا نكبة جنت جلاها بهمـة   كما كشف الاصباح اذيال مظلـم

ومما علق بخاطرى مما قلت فى السيد الحاج العربى الرحمانى :

دوح المشوق براح الشوق سكران   والقلب مهما صحا فالـوجد ندمان
مازال يسقى رحيق الشوق وهو على   مافيه من شغف ريـان ظمآن

الى ان قلت :

ابو المواهب للرحمان نسبته   فى رمزها للعلا قد قام برهان

وبعد أبيات :

يارب حورا عن الافكار تحجبـهـا   من الخفاء جلا بيت وتيجان
سما اليها وسامها ممنعة   كشف الحجاب واضنى القوم هجران

خاتمتها :

تذاد عن سوحـك الاتراح دائرة   عليك من قهوة الافراح كيزان

وهى تنيف على العشرين بيتا

ولما أتممنا عنده الربـع الثانى من المختصر استدعى الطلبة لمحله ليكرمهم ونهاهم أن يتكلفوا شيئا قلت ٨ أبيات أولها :

اليك تناهى المجد وانتسب الفخر   وفيك انطوت كل المآثـر يابـدر
وفيك معان لايكاد لوصـفهـا   اذا لم ينل من سرها يهتدى الفكر

الى ان قلت :

كفاك من العلياء أثواب سودد   سما بك منها بعد طيتها النشر

وكنت خاطبت شيخى الصوابى بأربعة أبيات نسيتها فاملى على خمسة تلقيتها هذا مابقى فى حفظى منها .

طائر اليمن عـن دوام السجال   دمت فـى نعمة بحسن المثال
نجم سعدك طالع فـى بروج   من كمال مشـيـدة بمعال
صانه الله من محاق ومحو   لنمو الى بلـوغ كمال

وزارنى فى المدرسة (المروانية) سيدى عبد الله بن مسعود التيبيوتى الالغى فخاطبنى بهؤلاء الابيات :

على السيد الفقيه نجل محمـد   حبيب قلوب الناس ازكى سلام

وبعد فانى ذو اشتياق اليـكم   فزورتكم رضا بحكم غرام
ايا سيدا قد حاز علما وسوددا   وجودا ومجدا ثم عز تمام
ادامكم الرحمان ياخير سيد   دوام الحيا فى طى كل غمام
بجاه رسول الله افضل مرسل   الى الناس طرا كان خير ختام

وكتبت الى طلبة (تارسواط) الذين يقرءون بفاس أيقاظا لهممهم وتفريجا لغممهم وذلك اثناء الحرب الكبرى الثانية :

سلام كريم كوصل الحبيب   بعيد الصدود لمضنى كئيب
على سادة شاوهم فى العلا   يقصر دونـه هـم الاريـب
سما بهم المجد فوق السها   وساموا الفخار برأى مصيـب
أهانـوا النفوس لحفظ الطرو   س بين الدروس لمعنى عجيـب
وعافوا الرقـاد وعانوا السهـا   د لغنم الرشاد ونعم النصيب
وطاروا اشتياقا فطابوا اعتناقا   لحور المعانى برغم الرقيـب
أجابـوا ارتياحا نـداء الهـدى   على حين نادى فقل المجيـب
هم السادة الغر فى قطرنـا   فحسبك من كل خرق حسيب
بنوا لشم مـن كـل محتسـب   وكل عفيف عيوف نسيب
بدور الـدجا وشموس الهدى   خلوف بفاس حموا مـن مغيب

وكنا يومامع طلبة العلم من سملالة فى مجمع ، فاقترحوا ان يقول كل على قدر وسعه فى ذلك ، ونحن فى دار الشيخ رشيد العروسى . فتهيأ لى ان قلت :

طوبى لهم خلع الكمال جمالـه   عفوا عليـهـم والجمال كمالـه
خلعوا الخلاعة ماارتضوها حلية   وكساهم الدين المتين جلالـه
ضحك الزمـان اليهم فترشفوا   لاغاض من صفو الهناء زلالـه
طوبى لهم آل الرشد حباهـم   خلق الرشيد طباعه وخلالـه
ماشيئت من بشر يروق ومن ندى   ينسيك شهرة حاتم ونوالـه
وعفاف نفس للفضائل انشئت   ووقار حلم لايزايل حالـه
ومناقب أرغمن كل معانـد   اذ فاتهم من حرها ما ناله

وكتبت فى صدر رسالة لبعض طلبة أملن وهو الاديب محمد بن اسحق:

كتاب سلام الحب جاءت به الرسل   فحيا واحيا ما أتتنا به الرسل
كتاب حوى معنى البلاغة والهوى   على حال ذاتتنا المودة والفضل
لئن كان سلوان فللهجر والنوى   فبعد انصرام الهجر لاكان من يسلو
أ أسلو ومن أهوى من الناس فضله   صحيح فلا يعروه قطع ولاعضل
همام على هام الكواكب رفعـة   على الطوع للعليا منازله تعلـو
لئن كان من اسحق وهو محمد   فقد طاب من ذا الفضل ذيالك الاصل

وكتب الى بعض تلامذتى ابياتا لم تبق فى يدى ولاحفظى ، يستعير منـى

(ريحانة الالباء) فجاد الخاطر الكليل بما هذا نصه :

وافت تناغي نجيا بالتحيات ... واصفت الود من تلك الاشارات
ناشئة انشئت من فكرة جمعت ... اى النجاح فكانت خير ءايات
أراحت الفكر من هم ومن كدر ... اهلا بها انها احدى المريحات
وافت تحاول فى دل وفي خفر ... ريحانة سحرها اشهى مناجاة
حقت شفاعتها لاخاب ذو ادب ... مستنجح اربا يوما بـابيات

واشئات لمن استعار منى سفرا من الد سوقى

يا نخبة الاخوان والا ... بناء من ابنا الزمان
أنت المجل والمفـ ... ـدى بين فرسان الرهان
هاك الكتاب فوازن الا ... فكار فيه مع الجنان
نعم الكتاب لمن يغو ... ص على جواهره الحسان
ابدا يريك محاسنا ... حتى تشاهد بالعيان

ولما رجع مولانا الملك من غيبته قلت بالفرح قصيدة فى مدحه ، فلما رايت قصائد أدبائنا وأحبتنا استبردت قصيدتي فلم أرها لاحد ، حتى خطر سيدي عبلا الكرسيفي لزيارتي في المدرسة (المروانية) فتذاكرنا قصائد مدح سيدنا ومولانا الملك فاريته تلك القصيدة المخبوءة المضنون بها• لعطلها من حلى البيان فلما قرأتها عليه ، قال لى لم يمدح سيدنا بمثل هذه الا ماكان من قصيدةسيدي محمدالكثيري • فهي اعلى • واخذها مني واخرجها للطلبة فنسخوها ، ولولا ذلكلاستولى عليها الضياع ، وهى :

ابى الله والاسلام الا محمدا ... ابى الحق الاذا الحسام المهندا
أبى الدهر اذعانا لاى كريمة ... فلما استوى المولى عنا وتقيدا
أبى الدين والدنيا امانة مفرد ... سوى من تحلي بالكمالات مفردا
امام له فى المكرمات معالم ... متى ما يسمها الفكر يوما تبلدا
امام على هام الزمان جلاله ... وهمته من دونها الشهب مرصدا
امام ارى شمل الفضائل والهنا ... به انضم والبين المبين تبددا
امين به جور الزمان مقلص ... كما العدل والاقبال حقا تجددا
امين على دين الهدى فحياتنا ... نرى خيرها فى ضمن مافدتعمدا
امين على الدنيا فلا دردر من ... طوى دونه كشحا واب ليحمدا
شهوده يمن والمغيب نباهة ... اجل انه الميمون غيبا وشهدا
يرينا يقينا من شمائل جده ... وفاء واقداما وحلما وسؤددا
تبدد ديجور الخطوب برايه ... كديجور ليل بالنهار تبددا
وعلما يريتا الحق حقا وعزة ... سرت في نفوس المخلصين توددا
اولئك حزب الله لاريب انهم ... اهانوا نفوسا كي يعزذو والهدى

البيوا بما قالوا سنا وسعادة ... وفازوا برضوان المهيمن سرمدا
وخلقا كما ماس النسيم لطافة ... وصفحا يناغى المجرم المتمردا
وعدلا به تهوى النفوس حياتها ... وجود ايريك البحر كفه مزبدا
الى غير هذا من خصائص لم تزل ... تراغم انف من تمارى والحسدا
امام هو الغيث العميم فان يكن ... كفور يكن اعمى البصيرة ارمدا
اذا ماجرى ذكر الملوك تضاءلت ... لمقداره اقدارهم فتوحدا
وان ذكروا الاحساب للفخر بذهم ... باحساب انساب بها قد تفردا
رأيت ابن يوسف الكريم ثناؤه ... على صفحة الايام يتلى مخلدا
كداب الالى سادوا وشادوا فاصبحوا ... على الجيد جيد الدهر عقدامنضدا
بني يوسف الغيث المريع فيوسف الـ ... ـكريم أبو الابطال ذو الحلم والجدى
ومن قبلهم من كل اروع همه الـ ... ـمعالى متى ما فوق السهم اقصدا
شموس الهدى أهل الندى غصص العدا
سهام الردى ، فى نحر من جار واعتدا

واشبال مولانا الميامين بوركوا ... مظاهر أسرار الجدود ولا ددا
وقاية ربى لاتزال دروعهم ... اذا أدرع الاعدا الحديد المسردا
يبارى جميل الذكرطيب ثنائهم ... مباراة انفاس الرياض الى مدى

انتهى ما أسارته خلس النسيان ، واغفلته فرص الاحيان ، على انى لم اكن من المكثرين فى هذا الشأن • ولوجمعت منه انفاسي ، لم تبلغ للالمامة بيتا وكيف والدواعى اليه اغراض لاتقوم بنفسها • واشكاله العقيمة لاتلد بنفسها وما أصدق قول المعرى فى خطبته فى سقط الزند (رغبة عن متاع معظم جيده كذب وصادقه ردىء) ومن رجوعى من مراكش الى بلدى بقيت ازيد من سبعة أعوام لم يتهيأ لى ان أقول بيتا واحدا لغلبة الكدر على القلوب

محن الزمان كثيرة لاتنقضى ... وسروره ياتيك كالاعياد

وءاخر ما قلت فى هذه الثلاث سنين

أهل الهدى دين الهدى مهجور ... ماذا السكوت وذو الهدى ماجور
أيحل ام يحلو السكوت وديننا ... دين النبى محارب موتور
لعبت به الغوغاء دون مدافع ... انى الدفاع وهم هم الجمهور
شردوا على الدين القويم وشردوا ... بغيا وعدوا خزيهم منشور

أما نسبى فهذا ماوجدته مفرقا فى نحو ١٥ لوحا امثال الاكف تكتب فيها ولادات الذكور فقط • واما الاناث فكانوا لا يرفعون انسابهن • وانما يكتبون يوم الولادة مؤرخا فحسب ، والصبيان الذكور يرفعونهم الى عبد المومن ابن موسى فهو :

(عبدالله بن محمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن عبدالله بن محمد ابن احمد بن أيوب بن عبدالرحمن بن عبدالله بن مالك بن حبيب بن محمد ابن اسحاق بن عمر بن عبدالمومن بن موسى الهوتي الفشاني)

ثم ان أيوب بن عبدالرحمن ترجم له الحضيكي وذكر انه من فقراء سيدي احمد بن موسى ، وأنه تزوج بنت سيدي أحمد بن موسى • وأما حبيب بن محمد فقبره عندنا في القرية مشهور ، يزار ويذبح فيه ذبيحة • ويعمل عليه ذلك المعروف المشهور في بلدنا ، وهذا مبلغ علمي في هذا ، واعذرني ياأخي في ابطاء بالجواب فاني انتظر من يوصل الامانة كما ينبغي

تذييل

قرأت ماكتب الاستاذ عن نفسه وعن أهله • وازيد أنا على ذلك انوالده كان مشهورا بالبركة ويقصد بالتطبب الروحاني • فيكتب التمائم ويرقي• فيأتي الله بالشفاء على يده ويلقب بالاخفش • لضعف من عينيه • وله من الاملاك مايتعيش به • وقد يلاقي من الناس مالا يوافق حالته • فقد حدث بعضهم انه وجده محصورا في بيت عند الرئيس الحاج ابراهيم الايفشاني فقال له • انظر هذا الرجل لماذا حصرني هنا • وأي جريمة اقترفت • فقال له الرئيس لاذنب الا أنه انقطع احسانه الي • فقال سيدي محمد بن علي • الامر اذذاك سهل • فوعد بخير فاطلقه ، وقد شاركت الاسرة في الحرب التي دارت في القرية يوم حوصر هناك الحاج ابراهيم • كما بينا ذلك في ترجمة هذا

ومما يتعلق بسيدي عبد الله ان الاستاذ سيدي علي بن همو ضربه مرة بمغرف الحديد الذي يغرف به ماء الوضوء من المسجد ، فجرحه جرحا بليغا• فقامت أمه وقعدت • فقام أبوه الى الاستاذ ، فقال له وهو يلومه : انما نريد الولد للحياة لا للقتل • والا فما فائدة معاناة حفظه للقرءان ، ومما يتعلق به انه لما ضاق به الفقر في مراكش ، نوى ان يسافر الى فرنسة كعامل، فصادف صالحا فرجع عن السفر ببركة كلام سمعه منه عن نيته • وكان يلازم الصلاة في زاوية النظيفي دائما واتخذ له الة للخياطة أمام الزاوية • فكنت اقعد اليه هناك في بعض العشايا وكان شابا مصونا عفيفا ، لطيف المعاشرة تلاء لكتاب الله صواما متهجدا خاشعا • وقد شارط في (تاوييت) السفلى • وفي (أسيف مقورن) فاثر هناك كثيرا في بدنه • وكان دخوله في (بومروان) نحو ١٣٥٠هـ فاصبح هناك في تفريط حتى كان الجوع يوثر فيه ، فهم بمفارقة المدرسة • ولكن الرئيس الرشيد العروسي عرف ذلك ، فتحيل له باعانة سرية دائمة من المدرسة على حدة • وقد قام بالتدريس نحو ١٥ سنة تحت يد (كدرار) وفي نحو ١٣٦٥هـ استقل بالمدرسة ، فاستعان حينا بالاستاذ الحسن الكوسالي

ثم بالاستاذ ابراهيم التمل من (ايت امزيل) من نجباء تلاميذه • وهو الذي خلفه في المدرسة يوم غادرها ١٣٧٧هـ

والاستاذ المترجم قائم بالمدرسة (الايفشانية) من ١٣٧٨ هـ الى الآن ١٣٨٠ هـ

تلاميذه

١) سيدي عبد الله بن عبد الرحمان الكرسيفي المتخرج من فاس والاستاذ في المعهد
٢) سيدي ابراهيم بن محمد الامزيلي التملي مدرس بومروان بعد استاذه
٣) سيدي محمد بن محمد الرسموكي لايزال حيا
٤) سيدي احمد بن علي بن همو الايكدماني • وهو الان في مسجد (ايمور)
٥) سيدي محمد – فتحا – بن أحمد السملالي كاتب الضبط في (تانالت)
٦) مبارك بن أحمد الوفقاوي الموجود الان في المحكمة الشرعية في املن
٧) سيدي محمد بن صالح الزعنوني لايزال حيا الان
٨) سيدي محمد ابيضار المجاطي الموسوي • لايزال حيا
٩) سيدي يحيا الرسموكي المشارط الان في المدرسة (المولودية)الرسموكية
١٠) سيدي بلقاسم التارسواطي المتوفى في فاس ١٣٦٦هـ وهو مجاور لاتمام قراءته
١١) سيدي احمد بن الحاج المحفوظ الاهمديني المتخرج من فاس ١٣٧٨هـ
١٢) سيدي ابراهيم بن الحسن الاخصاصي • المتحول الى التجارة
١٣) سيدي محمد بن علي البعقيلي الايغير موسى المتوفى ١٣٧٧هـ

الشيـــخ

سيدى علي بن يونس الانامري

من أوائل القرن التاسع

= ★ =

نسبــــه :

علي بن يونس بن عبد الله بن مبارك بن محمد بن مبارك بن علي بن زيان بن عبد الله بن محمد الشيخ الشبكي ، بن علي الشبالي بن يعلى بن عمر بن بورش ، بن لويا بن يعزب ، بن ايلا ، بن عفير ؛ بن حسن بن عباس ؛ بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب .

هذا هو النسب الذي وجدته في يد بعض اولاده، ووجدت معه في الورقة التي أرانيها : ان الحضيكي ، قـال فيه : رجـل صالح فاضل مفضل ومـات رحمه الله في (أكنى ايكدمان) ، وترك أولاده في موضع (أنامر) ، هذا ما نقلته عن ورقة ذلك الانسان ، وهي ورقة حديثة الكتابة ، مملوءة بالتصحيف والتحريف ، فنقلنا ما كان كما وجدناه .

هذا الاسم علي بن يونس ينطق به بعض الناس هكذا ، وبعضهم ذكـر – وهو أحد طلبة ايقشان من أولاده – أنه علي أبو يونس ، ولا استحضر الآن ما هو الاصح .

صاحب الترجمة ممن نسجت حوله حكاية طويلة ، اتخـذها الشعراء الشلحيون مسرحا لملحمة معجبة ، وملخصها :

ان أصل علي بن يونس من (تامدولت) باقا ، وانه كان عابدا صالحـا مسكينا ، له بستان يأوي اليه ، وليس له من الاولاد الا بنات ، كن يختلفن اليه بغدائه وعشائه وكان أهل (تامدولت) اذذاك قد عتوا وطغوا وتجبروا ومدوا أيديهم الى الضعفة . وكان علي بن يونس منهم ، فكان شبانهم المماريح المفاكيه الذين يسدرون بعد في غلواء الشبيبة ، يجلسون في بـاب المدينة الخارجي فكانت بنات هذا السيد كلما مررن بالباب ، يتطلبون منهن ان يقفن وان يحططن مايحملن ، فيظللن في رقص أمامهم ، حتى يتمتعوا كما يريدون، ثم يذهبن وفي يوم أبين ذلك واستنكفن . فأبوا كذلك ان يتركوهن ليذهبن بالطعام الى ابيهن ، فكلما اتت واحدة منهن بطعام اكلوه ، وفي مرة ملات احداهن قفتها بنخالة ، فخبأت بينها خبزة . فلما أطلوا في القفة ، ولم يروا الا النخالة تركوها فدخلت على أبيها في البستان ، فقال لها : مالكن يابنات تركتن والدكن يطويه

السغب وينشره ، ثم اطل على القفة ، فقال : اواه . اوانا يابنيتي كلب حتى يوتى لي بنخالة ؟ فقصت عليه القصة ، وهي تستخرج له الخبزة فاجفل من ذلك الهوان ، فقام في الحين ، فذهب الى قائد مشهور في ذلك العصر، يسمى محمد بن حمو المنصاكي . وقريته التي يسكنها في (ادبنران) بمجاط لاتزال معروفة الى الان ، ويقال انه من الحربيليين الذين عمروا (تيزلمي) قبل المجاطيين هؤلاء ، قالوا فوصل داره ، فصادف عنده عقيقة . وهو يطعم الناس واخيرا نادى مناديه : هل هناك من بقي بلا أكل ؟ فخرجت خادم له ، فرات رجلا ممتدا في منحدر أمام الدار ، ورأسه الى صبب ، فاستنهضته الى الطعام فقال : لاحاجة لي في الطعام . حتى يقضى لي المرام ، فاخبرت سيدها بالرجل فخرج اليـه فاستخبره ، فقال له : انني بك مستجير ، ولن أذوق طعامك الا اذا كنت على قضاء حاجتي الذي جئت من أجلها من القائمين ، ثم اخبره بما وقع له ، فقال له محمد بن حمو : اطعم ، ثم اذهب الى بلدك وانتظرني على رأس العام ، ولـكـن ضع علامة على دارك لئلا يصيبها مايصيب غيرها .

يرفرف علم أبيض على دار سيدى علي بن يونس صبيحة اليوم الذي كان رأس العام ، ولم يتوسط النهار حتى اجتاحت خيل المنصاكي (تامدولت) ثم جعلت عاليها سافلها ، وكان ذلك سبب خرابها الشهير ، فتفرق سكانها شذر مذر .

هذه هي القصة التي تهدمت بسببها (تامدولت) في اقا ، وفي الجانب الجنوبي لالغ ، محل يسمى الى الان (سمون ايسان) اى مجمع الخيل ، يقال أن هناك مجمع الخيل المنصاكية ، التي فعلت هذه الفعلة ، بل يزيدون انه لايزال هناك مذود فرسه معروفا الى الان

أول ماسمعت هذه الاقصوصة عن الاخ احمد رحمه الله ، وذكر لي ان فلانا يحفظ القصيدة التي قيلت فيها ، ثم استنشدت ذلك الانسان ، فاملى علي قصيدة شلحية رائعة خلابة ، وقد أطنب فيها الشاعر ، وجعلها ملحمة صغيرة وكنت هممت ان اكتبها ، ولم يتيسر ذلك الى الان .

ومحمد بن حمو المذكور ، لاشك أنه قائد كبير من قواد العصر المريني، ولكن لاندري اكان في أول القرن التاسع ، ام في آخر القرن الثامن ، ولا اخاله يتجاوز ذلك ، ولايزال الحربيليون يقولون انه منهم ، ويفتخرون بعظمته الى الان

وواقعة (تامدولت) هذه مشهورة كل الشهرة ، ولايزال كثيرون ينسبون اليها اجدادهم الراحلين منها ، وقد تقدم في ترجمة جدنا سيدى عبد الله بن سعيد ، ماهو الصحيح عند اهالينا ، من انه ممن جلا عنها . وكثير من الايلالنيين يقولون ايضا ذلك (وقد تأسست هذه المدينة على يد عبدالله بن ادريس نحو ٢٢٠ هـ)

ثم ان علي بن يونس قالوا انه ايضا فارق مدينة (تامدولت) لمافرق عنها الناس ، فكان اولا في (ايشمت) ثم (اكاديرتنبسيت) ثم الى (تاويبت) و (تزى اوزرو) بايغشان ، ثم الى (ايمولا) ، ثم الى (ايفيرنغلوس) وكلاهما من ايغشان ، ثم الى(أنامر) حيث اقبر ، هذا ماحكي لي احد المسنين من اولاده غير طالب والقارئ يدرك من كثرة هذه التنقلات أمرا غيرعادى ، لابد انه متخلل اما بأكذوبات ، واما بغلطات ، او بتنقلات غير عادية

وترجمته على الحقيقة ، ووقته مجهول في مجهول الاحزرا الا أننا نحب ان نستانس بما يذكره ، ولايخلو ذلك من فائدة ، وقد اخبرني بعض الطلبة من أولاده ان ترجمته الحقيقية في كتاب تاريخ ، الفه الاستاذ الشهير سيدى احمد ابن عبد الرحمن التيزركيني المتوفى سنة : ٩٥٨هـ ولكنني لم ارقط هذا الكتاب بل لم أسمع به الا مرة او مرتين

والعجيب : أن غالب الذين انتقلوا من (تامدولت) ينتسبون الى الجعفريين وقد رأيت ذلك عن جدنا سيدى عبدالله بن سعيد ـ فيما يقال ـ وهاانذا رأيت أيضا علي بن يونس هذا ، ولكن هذا على الاقل ، وجدنا له هذا النسب وأما جدنا، فلم نجد له اى نسب مرفوع • وفى افخاذ كثيرة من قبيلة ايلالن انتساب الى الجعفرية ، وعندهم بذلك ظهائر ، وهم يقولون أيضا : انهم انتقلوا من (تامدولت) فى أقا والله أعلم

وابن خلدون ينكر أن يدخل الجعفريون المغرب ، ولكن نرى كثيرين يحملون هذه النسبة ، كعلماء آل محمد بن مبارك الاقاويين ، وكعلماء آل (ساكا) باقران الجعفريين فيما يقولون ، كما في ماسة وغيرها وكذلك آل الوزير علي المسفيوى الشهير مع مولاى الحسن ، وكذلك كثيرون ، والله اعلم بحقائق الامور ، وقد حاول المؤرخ ابن خالد الناصرى ان يثبت ان الجعفرية موجودة في المغرب ، في كتابه : (طلعة المشترى) وان ذلك صحيح للناصريين ، واسمع بعض أقتاله في التاريخ يؤيدون ابن خلدون ، ونحن لاندرك ان نتكلم حول ذلك الا بما بدالنا من ان بعض الجعفريين دخلوا من الصحراء حقيقة كآل محمد ابن مبارك الاقاويين

ثم أن علي صاحب الترجمة قبة دفن معه فيها بعض اناس سنذكرهم بعد

الصالح

سيدي يعقوب الايكدماني

قبل : ٩٥٠ هـ = نحو : ١٠٢٥ هـ

= ★ =

نسبه :

يعقوب بن ابراهيم بن يوسف ، بن عبد الله بن علي بن يونس المتقدم قال فيه الرسموكي في وفياته :

«سيدى يعقوب الغشاني صهر سيدى احمد بن موسى على بنته ، وهو في (ايكدمان) منع الصبا من زيارته ولقائه ، روى عنه بسند صحيح : انه سمع الصالح سيدى أحمد بن موسى رضى الله عنه يقول : كل من رءانا ورأى من رءانا الى سبعة ، لايخاف شيئا او كما قال»

ثم ساق الحضيكي هذا الكلام مختصرا ، ونسبه الى الرسموكي ، وزاد فيما نقله عنه أنه أيضا خادم الشيخ ، وليست هذه (اللفظة) في نسختنا من (الوفيات) وبنت الشيخ التى تزوج بها هي المدفونة في وسط المدرسة الايغشانية وحدثني بعضهم ان اسمها (مماس) كما حدثت ان لها اختين بنتي الشيخ ، احداهما تسمى فاطمة ، مدفونة في مقبرة (تيدلى) تزوج بها رجل من ايت داود وذكر أن قبرها مشهور في الشرق الجنوبي من تلك المقبرة ، والاخرى تسمى كلثوم ، ومقبرتها مشهورة أسفل قرية أيت عضيا ، هذا ماحدثني به ذلك الفاضل ـ وهو سيدى مبارك بن مومادين الانامرى الآتي الذكر ـ والعهدة عليه وقد تقدم في ترجمة سيدى عبد الله الاخفش ان أحد اجداده كان أيضا متزوجا باحداهن •

ولصاحب الترجمة شهرة بالصلاح في عصره ، شهرة وصلت آل تاغاتين العلماء ـ ان كان مؤلف الوفيات منهم ـ حتى تأسف ذلك المؤلف منهم على ان منعه الصبا من زيارته ولقائه ، وهو معمر كما يظهر ، لانه اذا كان بلغ مبلغ من يخدم في حياة الشيخ ابن موسى المتوفى في ذى الحجة سنة : ٩٧١هـ ثم امتد عمره الى نحو سنة : ١٠٢٥هـ المظنونة أنها توافق صبا الرسموكي ، فذلك مالايقل عن نحو مائة ، وانما قدرنا ولادته بما قبل : ٩٥٠هـ لمراعاة زمن الخدمة الذي يمكن به ان يبلغ بين أهله ، ثم يمضى له زمن يتاهل فيه ان يسمى خادم الشيخ ، اما قبر سيدى يعقوب ، فقد اخبرني بعضهم انه لايزال مشهورا هناك في قبة جده سيدى علي بن يونس

الرئيس

على بن يعقوب الايكدمانى

قبل : ١٠١٠ هـ = نحو : ١٠٨٠ هـ

= ★ =

نسبــه :

على بن يعقوب بن ابراهيم بن يوسف بن عبدالله بن على بن يونس

هذاولد المتقدم ، ولم نعلم له سواه ، وهو سبط الشيخ ابن موسى، وقد صادف زمانه رياسة اخواله المشهورة ، فكانوا رؤساء القبيلة الايغشانية ، وهناك اطلال في شرقي المدرسة (الايغشانية) ازاء ذلك المكان المسمى (الخميس) ذكرلي انها اطلال ديار اليعقوبيين هؤلاء في عصر رياستهم ، وكانت سوق يوم الخميس تعمر هناك ، فبقي الاسم مسترسلا على المكان الى الان ، وذكر لي بعضهم : انه راى مخاطبات لابناء يعقوب من أخوالهم ، هذا ماعرفته عن على الرئيس ، والعجيب منه ، أنه أورث اولاده العلم • فحفظهم بفضله بعد ان زالت الرياسة ، وقدرأيت في رمزنا للولادة اننا انما أخذنا ذلك من معاصرته لعلى ابى دميعة ، الذى استمر من سنوات : ١٠٢٢هـ الى ان مات نحو سنة : ١٠٧٠هـ ثم خلفه ولده محمد بن على الى أن احتلت (ايليغ) بالجيش الرشيدى في ربيع الاول سنة : ١٠٨١هـ ويمكن أن يعيش بعد أبى دميعة الى عصر ولده ، ويمكن ان يموت قبل ، ويقوم مقامه احد اولاده ، ولكن ذلك ليس عليه اثارة من علم عندنا ، والله وحده أعلم • وقد وصف عليا هذا بعض من حدثني : بانه ايضا عالم كاولاده الذين سترى بعضهم بعد ان شاء الله •

(ثم كتب الى سيدى المحفوظ الديانى بانه رأى مخطوطا لاخيه سعيد بن يعقوب مؤرخا بسنة ١١١٠هـ ومخطوطا اخر لاخيه احمد بن يعقوب مؤرخا بسنة ١١٠٥هـ فعرفنا أن لابناء يعقوب يدا في المعارف ، وليس عندنا عنهم الا هذا)

الفقيه سيدي

محمد بن على اليعقوبي الايغشانى

قبل : ١٠٨٠ هـ = بعد : ١١٥٦ هـ

= ★ =

نسبــه :

محمد بن على بن يعقوب بن ابراهيم بن يوسف بن عبد الله بن على

هذاابرز فقهاء هذه الجهة في اول القرن الثاني عشر الى اواسطه وله شهرة كبيرة ومخطوطات يده لم تزل تطفح بها سلات الرسوم التى تختلط فيها احكام الفقهاء في النوازل برسوم الاملاك ، وهي التى يملأونها بالنصوص الفقهية ، وتظهر فيها مقدرتهم اكبر ظهور ، وقد رايت بعضها مـوقعا باسمه ومؤرخا بسنة ١١٤٤هـ

وله اخ اسمه سعيد بن على ، فهو الذى نقل الرسم الذى كتبناه تحت رقم (٩) في ترجمة الجد ، مع صاحب له ، ثم تلاهما صاحب الترجمة ، فوقعوا يوقع القضاة في هذه الجهة ، ولاأعرف مرتبة أخيه سعيد هذا ، الا انى سمعت أنهم كانوا اربعة أخوة ، كلهم علماء • ولست في ذلك على علم ولم اعرف من هؤلاء الاخوة ، الا صاحب الترجمة وسعيدا ، وفي عصر اليعقوبيين هؤلاء بنيت المدرسة (الايغشانية) على مشهد امهم بناها هؤلاء فدرسوا فيها العلوم في عهدهم ، ولكنها صغيرة ، ولم يوسعها الا الحاج ابراهيم رحمه الله في سنوات ١٣٢٩هـ ولم أقف على من هم أساتذة صاحب الترجمة واخوته الذين كانوا علماء مثله ، فقد تقادم الزمان ، وذهب خبر هذه الأسرة المجيدة ، بل حدثني بعض الايغشانيين الانامريين ان فخذ اليعقوبيين قد انقرض اليوم ، كما اخبرني ايضا سيدى مبارك بن مومادين ان وفاة هذا المترجم ، كانت في اخر العقد السادس من ذلك القرن ، وهو مظنة معرفة ذلك لحذقه ونباهتـه ، ولاعتنائه بهذا الشان بعض اعتناء ، ولانه يمت اليهم بنسب

ثم وقفت على فتيا له فوق عقد نكاح سيدى سليمان الالغي المكتوب في سنة : ١١٥٦هـ فيتايد قول المذكور ، وربما هلك في وباء : ١١٦٠هـ

واما ولادته فقد رمزنا لها بما قبل : ١٠٨٠هـ لما رايتـه مما قلناه في ترجمة والده ، والله اعلم بالحقائق

الصالح سيدى يونس الايغشاني

قبـل : ١٠٣٠ هـ = ٢ - ١٠٧٣ هـ

= ★ =

قال فيه الرسموكي في وفياته :

سيدى يونس الايغشاني المرابط الصالح ، الناسك الفاضل ، توفي رحمه الله ببلدته مريضا باوائل صفر ، عام : ١٠٧٣هـ وهو من الفضلاء المتضلعين بالمسكنة والديانة ، والمواظبة على ما يعنيه

ثم نقل الحضيكي معنى هذه الترجمة ، فسبكها سبكا ءاخر ، ولم يزد عليها شيئا ، بل نقص ان وفاته في صفر ، ولم يات الا بالسنة

سيدى يونس هذا من أحفاد الشيخ سيدى علي بن يونس المتقدم الذكر وابن عم سيدى يعقوب المتقدم قريبا ، وأولاده لايزالون مشهورين الى اليوم في (أنامر) وفي (تاكانزا) مع أولاد أعمامهم الذين يلتقون معهم جميعا في الجد الاعلى : علي بن يونس ، وهم أيت يبورك ، وايت حمو • وأيت محمد • وايت يونس وهؤلاء كلهم يطلق عليهم أيت على اويوسف ، وبعض الاسر من ءال علي بن يونس تسكن اليوم في قرية (تاكانزا) ومنهم سيدى الحسين بن صالح الذي ستري ان شاء الله ترجمته فيما ياتي • ومنهم اليعقوبيون المتقدمون الذين ذكرنا أنهم انقرضوا كما انقرض هناك أيضا فخذ تسمى ايت حسين، واخال ايضا أنهم من أخوتهم ، ولا استحضر كيف حدثني عنهم من القى الى هذه التفاصيل

وهذه الاسرة اليونسية من الاسر العلمية الا أن أخبار علمائها ضاعت فيما ضاع •

الشجاع على الايبوركي

الايغشاني الشهير

قبل : ١٢٤٠ هـ = نحو اوائل : ١٢٩١ هـ

ينتهي نسبه الذي لانستحضره الى ءال يونس ، كما ذكرناه قريبا •

في أوائل القرن الماضي كان في (انامر) من (ايغشان) رجل باسل عداء قوى النفس ، تضرب به الامثال ، كان يخوض المعارك ، وجرح في بعضها وله جولة مشهورة في معركة وقعت بين أيت علي ، وأيت موسى في (تالات نداوا) بمجاط

قال علي ندبوهوش المجاطي : ان عليا الايبوركي ، والحسن البنراني يعني القائد الحسن الشهير ، كنا دائما نعدهما مع الخيالة ، وان كانا راجلين لعدوهما الذي يسابقان به الخيالة ، وكان تزوج بنتا لسيدي احمد بن الطالب الدياني ، فكان بذلك من شيعته في تلك الهزاهز التي كان يجاذب فيها الايكليين ثم لما قتلوه غدرا ، قام أيضا مع ولديه محمد الاشكر والحاج ابراهيم ، وكان من شيعتهما وأنصارهما حتى فتكا بامغار باها ، كما تقدم ثم لما امتدت أيدي بعض الايغشانيين الى السملاليين سنة : ١٢٨٨هـ كان هو ممن يقاوم السملاليين مقاومة عنيفة ، ثم ثارت الحرب بين الفريقين ، ففي اثنائها سقط يوما في المعركة ، فقد حمل يوما على خندق من خنادق السملاليين بجراته الشهيرة المعروفة ، فتركه من بالخندق حتى اكثبهم واطل عليهم فاطلقوا عليه فسقط وذلك أما في اواخر : ١٢٩٠هـ واما في أوائل التي بعدها

حدثني ابن اخ له انه اذذاك كما ابتدا فيه الشيب ، فكان سقوطه هكذا كمثل تلقيح للحرب ، فبقيت بعده عامين ءاخرين ، بعدما كانت بين يديه عامين سابقين ، لانها استمرت أربع سنين ، وقد ذكرناها في ترجمة الاشكر

كانت له شهرة واسعة ، كأنما ضربت بها الطبول في هذه الجهة لاخلاقه وبسالته ، رحمه الله ، وقد خلفه في داره ابن أخيه ابراهيم بن موح ، الى ان جاءت الحكومة • فتقدم اخوه يبورك بن موح ، فكان هو الان رئيس الاسرة بل رئيس القرية كلها رسميا ، وبعض ابناء الايبوركيين ، تقدموا اليوم في العلوم اتم الله عليهم • (توفي ابراهيم في صفر ١٣٧٩هـ ، فبقي اخوه يبورك شيخاهما الى الان ١٣٨٠هـ)

سيدي

مبارك بن مومادين الانامري

الايغشاني

١٢٩٩ هـ = ١٣٧٩ هـ

مبارك بن مومادين (محمد) بن محمد بن على بن أحمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم بن على بن يوسف

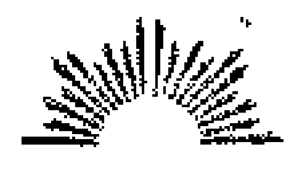
وعلى بن يوسف هذا هو الجد الاعلى لتلك الافخاذ المذكورة ءانفا ، ولكننا لم نجد الان انسابها اليه ، كما وجدنا انساب ءال مومادين اليوم •

أخذ القرءان بادىء ذى بدء ، عن سيدى محمد المرواني الى سورة (عبس) ثم عن سيدى محمد بن بلقاسم الكوسالي ، فعليه ختم الختمة الاولى ، ثم الثانية الى (المص) وهذا كله فى مسجد (انامر) قريته ، ثم انتقل الى (اكنى اديان) فاخذ عن شيخ الديانيين سيدى على بن همو المتقدم الذكر ، فبه تخرج وجود ، ووافق ذلك سنة : ١٣١٦هـ ثم افتتح فى المدرسة (الايغشانية) عند الاستاذ سيدى العربى الساموكنى ، ثم لما غادر الاستاذ المدرسة قرب ذلك الحين ، خلفه فيها الاستاذ سيدى محمد ـ فتحا ـ بن محمد بن محمد ـ فتحا ـ بن ابراهيم المافانى ، ولد الاستاذ الكبير الشهير ، فبقى فى تلك المدرسة الى : ١٣٢٠هـ فشارط فيها شيخنا سيدى عبد الله بن محمد الالغى ، وفى سنة : ١٣٢١هـ عاودها الساموكنى الى : ١٣٢٨هـ فراجعها شيخنا الى سنة : ١٣٣١هـ ذلك كله وصاحبنا هذا مرابط فى المدرسة ، فتقدم وحسن اخذه ، وان لم يكن كاخذ الالغيين المتازين ، فقد كنت اراه وأنا مجاور هنالك اعوام : ١٣٢٩هـ فى الرعيل الاول ، وهو مكب بعد الدروس على كتب قديمة مخطوطة ، ثم بعد ان عقلت ، عرفت أنه مولع بعلم الهياة ، وتعاطى التطبب فيستحضر اسماء الاعشاب العربية والشلحية ، وله يدجواله فى التطبب ، وعين مدركة لمواقع النجوم فى السماء ، وقد زارنى فى السنة الماضية : ١٣٥٦هـ فى جمادى الاولى بعدما رزئنا باخينا احمد ، فرايت منه ما اعجبنى فى المذاكرة ، انشادا للابيات واستحضارا للآيات فى مواطن تلاوتها ، ولاحاديث ، ملما بعلم الطب وعلم النجوم ، على النمط القديم • فاخبرنى أن للفقيه سيدى سعيد بن سليمان الكرامى ، تاليفا فى هذا العلم يعرفه وله نباهة ادركها من وراء العلوم التى

زاولها ، وقد وجدت عنده من اخبار اهله وتقلبات الاحوال بالايغشانيين مالم اجد عند غيره ، مع قوله فى بعض ما اساله عنه لاادرى ، وذلك مايدل على تثبته ، وله اخلاق وامتاع بالمجالسة ، وقد كنا نهرب ونحن صغار كلما راينا احد الكبار اشرف علينا ونحن فى العابنا فى وسط المدرسة ، حين كنا هنالك مجاورين ، ولكنه هو نجرؤ عليه للطافة اخلاقه ، كما نجرؤ على سيدى البشير ابن الطيب اذذاك رحمه الله •

ولصاحب الترجمة يد فى العلوم لاباس بها ، أهلته لمجالسة العلماء ان صادفهم ولكن شهرته انما هى بالتطبب ، وبعلم يلم بسر الحرف ، كما يحكى عنه وبالرقى وكتب التمائم وماالى ذلك • وهو من أخص أودائنا ، داوم على مابيننا ، ولم يفصمه بهذا التباعد ، كما فصمه كثيرون ، ووالده الى الان لايزال حيا • واخاله يناهز الثمانين من سنه أو أكثر ، ولصاحبنا اخ كذلك الـم بمعلومات لاباس بها ، يسمي سيدى محمدا ، أخذ عن سيدى سعيد بن الطيب الإكمارى ، وعن غيره كالتاجارمونتى • فيما أحسب

وقد شارط المترجم فى (تافراوت) من ايت كرمون سنة : ١٣٣٧هـ الى ١٣٤٤هـ ثم لازم داره الى سنة : ١٣٥٥هـ فشارط فى (اساكاووزان) حيث لايزال الى الان ، وهو رقيق البنية ، نحيف الى الغاية ، حفظه الله ووفقه لما يحبه ويرضاه • ثم انـه أصيب بكريمتيه ، ولايـزال حيا الان سنة : ١٣٧٨هـ (ثم بلغتنا وفاته اخيرا فى سنة ١٣٧٩هـ)



الفقيــه

سيدى احمد بن ابراهيم الانامري

قبل : ١١٦٠ هـ = ١٢٠٧ هـ

ذكره لي سيدى مبارك الانامرى المتقدم ، وقال انه أبو أم جده ، وكان ذاشهرة كبيرة في عصره ، وهو الذى خلف بعلمه سيدى محمد بن علي اليعقوبي المتقدم وآله بعد أن توفوا ، ومخطوطاته في أحكامه وفتاويه موجودة ، وهو من فخذ انقرضت بوباء : ١٢١٤هـ كما انقرضت معهم ، أفخاذاخرى من الانامريين قال : ووفاته في الوباء الاول الواقع في سنة : ١٢٠٧هـ هذا ماحكاه لي ، وهو من اهله ، وهو مظنة معرفة ذلك ، لانه يزاول رسوم تلك الجهة ، وأما انا فلم أسمعه من غيره • ولكن في الحقيقة لم ألق أحدا من تلك الجهة له اعتناء كسيدى مبارك بن مومادين حفظه الله ، وأطال عمره ، وهو أحد المقبورين في قبة سيدى علي بن يونس ، وقد عين لي هذا السيد تلك القبور ، فقال : القبر الغربي لامرأة كرسيفية ، توفيت سنة ١٢٩٩هـ وهي زوجة الفقيه سيدى محمد من آل العالم • قال وهو ابن عم سيدى عبد الله بن محمد بن عبدالله هذا الفقيه الى الان ، الذى ابطأ كثيرا في المدرسة (الوفقاوية) وكان سيدى محمد زوجها ذلك مشارطا حينئذ في المدرسة (الايغشانية) فتوفيت هناك قرينته ، ثم قال : ان زوجها هذا ، توفي في بلده (اكرسيف) سنة : ١٣١٧هـ والقبر الثاني ، قبر الشيخ سيدى علي بن يونس ، والقبر الثالث ، لسيدى يعقوب • والرابع لمؤذن من أيت حسين ، وكان صالحا توثر عنه كرامات ، والخامس الذى يلي الشرقي ، هو الفقيه سيدى أحمد بن ابراهيم ، وهو الذى ذكرناه الان

سيــدي

الحسين بن صالح التاكانزى

نحـو : ١٣٢٥ هـ = حـــي

نسبــه :

الحسين بن صالح بن عبد الله ، بن ابراهيم بن محمد بن أحمد وينتهي نسبه الى علي بن يونس

قريتنا (تاكانزا) من عداد الايغشانيين ، وهناك اسرة يونسية ، وصاحب الترجمة من هذه الاسرة ، فان نسبه يتصل بذلك الشيخ ، وان كان مجهولا عند من يحدثني الان بعض افراد من الاجداد بهم تتصل السلسلة بين المترجم وبين جده

أخذ المترجم القرءان عن الاستاذ سيدي عبد الله بن احمد بن عبدالله السملالي ، ولايزال هذا الاستاذ حيا الى الان ، وهو مشارط في مسجد (ايشوكاك) بأكادير ايزرى ، وكان حين ياخذ عنه مشارطا في قريته ، ثم عن الاستاذ الحاج الحسين الايزليتني المجاطي ، ثم عن سيدي عبدالله ابن الحاج الساموكني ، وبهذا تخرج سنة : ١٣٤٥هـ ثم التحق بالمدرسة (الالفية) فقدم له الاستاذ علي بن عبد الله بيده ، واناطه بسيدى أحمد بن محمد النامل المتقدم الذكر ، ثم بسيدى محمد بيشوارين الساحلي ، ثم لازم دروس الاستاذ سيدي المدني الى سنة : ١٣٥٠هـ وقد كان اتصل بالاستاذ سيدي احمد بن محمد اليزيدي في المدرسة (المولودية) الى سنة : ١٣٥٤هـ ثم راجع ايضا المدرسة (الالفية) الى أواخر سنة : ١٣٥٥ هـ فالتحق بما وراء الحمراء ، فشارط في (الشاوية) دون سنة ، وفي شعبان : ١٣٥٦هـ رجع الى بلده

ختم الالفية مرات ، وأتى على غالب المختصر تحصيلا ، وعلى الرسالة والمقامات ، وعلى كل ما الى ذلك • وهو الان مشارك حسن الفهم ، ثاقب الذهن لايزال متطلعا الى استتمام دراسته ، وقد استعد لهذا الطور أتم الاستعداد ولعله يوفق الى تمام امنيته ، فيكون لنا عالما كبيرا من (تاكانزا) وماذلك على همته ببعيد •

وسمته حسن ، لطيف المعاشرة ، دمث الاخلاق ، هين لين • فيما ظهر لي منه • وقد جالسته بالحمراء وفي (الغ) مجالس ، وهو الى الان عزب (ولا يزال حيا • ١٣٨٠هـ وقدحج وتزوج كما حدثت به)

القــاريء

محمد بن احمد الاوكافى الانامري

قبل : ١٢٤٠ هـ = بـعـد : ١٢٩٥ هـ

نسبـــه :

محمد بن أحمد بن بلقاسم الاوكافي الانامرى

هذا ممن اشتهر في قرية (انامر) ، في اخر القرن الماضي ، في تعليم كتاب الله بالجد والاجتهاد ، وله يد في القراءات المختلفة ، كما له من ديانته وعدالته ، وتقوى الله التي لازمها ، ما جعل السنة عارفيه وطبة بالثناء عليه الى الان

وكان ملما ببعض معلومات أهلته لقسمة التركات وامثالها ، وقد صحح لى بعضهم انه توفي سنة : ١٣٠٠هـ وهذا ما أعرفه عنه ، ذكرته لشهرته اخر القرن الماضي ، شهرة ينبغي للمؤرخ ان يقتبس منها ، مع الصلاح الذي دعمها وذكر لى بعض من راه سنة : ١٢٩٥هـ انه اذذاك ينيف على (٨٠) سنة ، رحمه الله وقدكانت صحبته بسيدى الحاج عبلا بن صالح وابنه الفقيه سيدي محمد بن عبد الله متصلة حتى توفي .

القاريء المعلم سيدي

مسعود افولوس التاكانزي

قبل : ١٢٤٠ هـ = بعد : ١٢٨٦ هـ

قرأت معي في ترجمة الفقيه سيدى صالح الاوفقيرى ، ان استاذه الذى اخذ عنه القرءان ، هو سيدي مسعود افولوس التاكانزى ، في بلاد بعمرانسة في (اداوساكم) وقد كان هاجر اليها ، فاجتهد هناك في تعليم كتاب اللـه اجتهادا كبيرا ، وليس عندى تفاصيل عـن حياته ، الاماسمعته عـن الاستاذ سيدى علي بن صالح لاغير ، ولايتجاوز هذه السطور • ولماكان شرطنا الـذى نمشي عليه أن نذكر أساتذة الالغيين والمرابطين من العلماء ، والمقرئيـن المسهورين ، كان سيدى مسعود هذا على شرطنا ، فذكرنا عنه هنا ما نعرفه ومن جاد بما عنده فما عليه من ملام ، وكان الوقت الذي ياخذ عنه سيدي صالح الاوفقيرى اول العقد التاسع من القرن الماضي ، ولذلك رمزنا لوفاته بما بعد ذلك ، كمارمزنا لولادته بما قبل : ١٢٥٠هـ لانه اذذاك لايقل عن (٤٠) سنة وليس في امكاننا الا هذا ، والله أعلم

ثم حدثني محدث : أن له ولدا يسمي محمدا ، اتقن حرف البصري عند سيدى محمد بن مولود ، في مدرسة (الجمعة) فعدا عليه عاد من الطلبة فقتله في العقد الثاني من هذا القرن ، وأن له أخا يسمي الحاج الطيفور كان لايزال حيا اذذاك ، ولكنه التحق بحاحة ، بعد ماشارط كثيرا بمسجد (ادعيسى) من ايت عبلا ، فتخرج به كثيرون

ثم لاباس هنا ان ننبه القاريء لئلا يغتر بان هناك رجلا صالحا قديما يقال له ايضا سيدى مسعود أفولوس شريف في اداكنيفضيف ، لان هذا من الوكاكيين ، وسنذكره بينهم ان شاء الله ، كما ان هناك اخر يسمي ايضا مسعودا افولوس قريب العهد من احفاد المتقدم ، وسيذكر بين اهله ايضا في (القسم الرابع) ان شاء الله

سيدى احمد الفقير التاكانزي

ثم الاكرضي

قبل : ١٠٥٥ هـ = بعد ١١٠٥ هـ

نسبـه :

أحمد بن داود بن يوسف

الى هذا تنسب القرية المشهورة باكرض اوفقير ، وأصله من فخذ يسمى اوشان من (تاكانزا) سكن أول أمره هناك، ثم عدا عليه عـاد فسامه خسفا، فجلا عن (تاكانزا) الى القرية المذكورة ، فنسبت اليه ، بعد ان كانت تضاف الى (أغيول) – اى الحمار – فبعد ان كان الناس يقولون (اكرض اوغيول) صاروا يقولون (أكرض أوفقير) وفي الرسوم القديمة ، توجد بتلك الاضافة القديمة

كان رجلا صالحا مذكورا بالخير ، يوثر عنه مايوثر عن امثاله ، مما نكب عنه ، لعدم ثبوته كما ينبغى ، وله ولد واحد يسمى : داود ، له خمس بنات باحداهن تزوج الرجل الصالح سيدى ابراهيم بن بلقاسم المتقدم الترجمة، بين المرابطين السعيديين فى (الفصل الاول) من القسم (الاول) وقد ادركت بما حدثنى به الاستاذ سيدى على بن صالح المتقدم أنه عاش فى النصف الاخير من القرن الحادى عشر ، وان وفاته بعد ان مضت سنوات من القرن الثانى عشر ، ومدفنه عند مسجد الخروب فى المقبرة القديمة ، فى (تافكاغت) من القرى الوفقاوية بالغ ، وولده داود : رجل مذكور أيضا بخير ، مزور القبر الى اليوم ، فوق (ادراركمتو) كما يسمى من (اكرض اوفقير)

ولم نعرف عنه مايستدعى ان نفرده بترجمة على حدة ، وقد انقطع نسل صاحب الترجمة من داود هذا ، ولم يعقب الا من بنات داود، وكان أحمد الفقير يسمى الشيخ ، والنطفيات المسماة : نطفيات الشيخ • فى (اكرض اوفقير) منسوبة له وتقام له حفلة سنوية ، كذكرى الى الان

سيدي سعيد جد الاوبلخيري

فى أوائـل القرن الحادى عشر

سيد مشهور بالصلاح والخير فى عصره ، ويقال انه من البكريين المنتشرين فى نواحى سوس ، فهناك الجشتيميون وءال الشيخ التامانارتيون ، وءال الطالب ابراهيم الوفقاويون ، وءال الفقيه سيدى ناصر التونينى الالغـى ، هؤلاء كلهم يقال أن لهم اتصالا بالنسبة البكرية ، كما يذكر ذلك أيضا عن ءال (أيت يعزى وهدى) المنبثين أيضا فى نواحى الجنوب ، ولكننى لم ار من انساب هؤلاء المتصلة الا نسب التامانارتيين ، ونسب (أيت يعزى وهدى) ، واما الاخرون فلم يتيسر لى رويتها ، وقد رأيت فى أخبار (تارودانت) فى حدود القرن الثامن ان فيها أسرة رئيسة ، تسمى ءال يدر ، وهم كذلك بكريون ، وذلك كله ممكن وانما ينقصنا أن نرى الانساب المتصلة على الأقل ، كما رأيناها الاخرين

هذا السيد لم أعرف فى أى زمان هو ، وقد ذكر لى بعض اولاده انه مذكور فى (طبقات الحضيكى) ولكننى راجعت تراجم المسمين سعيدا ، فلم اجد فيمن هناك ذكرا يؤذن انه هو هذا ، وزعم ان مشجر نسبهم موجود تحت ايدى سملاليين ، وقد كنت وصيته ان يتوصل به ، ولكن الله لم ييسر ذلك ، ولكن اذا تاملنا سلسلات انساب من سنذكرهم من احفاده ، فانه على الغالب فى القرن الحادى عشر ، والله أعلم

هذا وقد سمعت من بعض طلبة القبيلة الايغشانية ما يدل على انكار هذه النسبة ، ولكنه انكار لايؤسس على متين ، كما ان دعوى النسب كـذلـك – مادمنا لم نقف على النسب الثابت – لاتؤسس أيضا على متين على انه قد يكتفى بما يوجد عند الاحفاد عن الاجداد مما يتلقونه خلفا عن سلف • والله اعلم

الفقيه سيدي

احمد بن محمد الاوبولخيرى

نحو : ١٢٥٥ هـ = نحو ١٣٢٧ هـ

نسبــه :

احمد بن محمد بن موسى بن على بن احمد بن سعيد بن احمد بن سعيد

هكذا وجدهذا النسب بخط الاستاذ سيدى العربى الساموكنى رحمه الله .

كان سيدى احمد ممن جود حفظ كتاب الله ، واتقن حرف المكى ، ثم الم بالعلوم الماما حسنا ، عن بعض اساتذة لايستحضرهم من حكيلى ، وكان مداخلا لعلماء وقته ، صناع اليد فى كل الحرف ، كلبناء والصياغة والتجارة والخرازة ، حتى الحجامة . وكان فى عنفوان شبابه ملازما للمشارطة فى قبيلة ءايت براييم فىإزغار ، حتىتجمدله من شرطهمال لهبال فراجع قريته ، فصار يعلمالقرءان مجانا فى مسجد القرية ، وكان عزوفا ربانيا ، ملازما للاذان متىحضر ، وكان فى وقت ءاخر مشارطا فى مسجد (تاجكالت) اعواما ، وقد مات عنسن تناهز الثمانين

هذا ما القاه الى ذلك الانسان ، وهو على كل حال يدل على انه ممنالم بالعلوم ، وحصل تحصيلا وسطا ، ثم لخموله ولعزوفه وقناعته ، انزوى على تعليم كتابالله . فلهذا لم تكن له شهرة فى ميادين اخرى

الفقير سيدى محمد بن احمد الاوبلخيرى

المدونة

نـحـو : ١٢٧٥ هـ = ١٣٥١ هـ

نسبــه :

محمد بناحمد بن محمد ـ فتحا ـ بن على بن احمد بن سعيد بن احمد بن سعيد (مكررا)

ذكرناه لامور ثلاثة : اولها : لانه من اساتذة بعض الالغيين المشهورين فى القرءان وثانيها : لانه من افضل اتباع الشيخ الالغى : حسن سمتوصفاء سريرة ، واستقامة سيرة ، وثالثها : لانه ممن اخذ عن الالغيين علما ضئيلا وهو فىالحقيقة لولم يتصف الابه ، ولولميدخل تحت شروط اخرى اشترطناها لمن نذكرهم لما عرجنا عليه ، لانه ضعيف المعلومات ، وليس من الـذيـن نعتبرهم من هذهالجهة

اتصل بعدما حفظ القرءان سنة : ١٢٩٦هـ بالشيخ الالغى فى المدرسة (الفوكرضية) ثم انتقل معه الى (البومروانية) ثم لازم (الالغية) عند الاستاذ سيدى محمد بن عبدالله ماشاء الله ، واذذاك لقبه الطلبة بالمدونة ، لانه قال مرة للاستاذ : هذه المدونة التى تذكرها دائما فى الدروس من اين هى ؟ فقال لهالاستاذ مباسطا ، انها ايفشانية النسبة ، فضحك الطلبة من بلهه ، فلقبوه بذلك اللقب منذلك اليوم ، وكان من احسن الناس اعتقادا فى الشيخ الالغى منبادىء امره ، وقد ذهب اليه فى القبيلة الوفقاوية لما خرق فيهـا العادة ـ كما ذكرنا ذلك فى ترجمته ـ سنة ١٢٩٨هـ فطلب منه الدعاء ، فقال لـه الشيخوهو يتباله : لاأربحك الله ، وكانت كلمة تستر بها :

ادعـو عليه وقـلـبـى يـقـول يـارب لا لا

ثم بعد ان برز الشيخ للتربية ، كان من الملازمين لزاويته لاينقطع عنها فينة بعدفينة ، حتى شرب كاس التصوف الى ثمالتها ، وكان عجيبا فى الاقبال على شانه ، وكانه من الذين قيل فيهم : ـ والله أعلم ـ رب اشعثاغبرلايوبه به ، لواقسم على الله لابره ، وقد ساح مرارا مع الفقراء وتهذب

ثمتزوج واقبل على المشارطات ، فى (تارغنا) وفى (دوتمنروت) وفى (الغ) وهناك اخذ عنه بعض المرابطين منا ، وفى مسجد قريته . وكان هوالسبب حتى اعتنق الابولخيريون الطريقة الالغية ، ثم انه تاخرت وفاته الىالسنوات الاخيرة ، بعدما اسن . وكان رحمه الله مشهورا بالرقية ذا بركة وصلاح . فكل منمسته يده يبرا باذن الله ، مع سقوط الدعوى والاقبال على ربه ، ولعله من اهلالجنة البله

سيدى محمد بن احمد الاوبلخيرى

نحو : ١٢٩٥ هـ = ١٣٥١ هـ

نسبـه :

محمد ـ فتحا ـ بن أحمد بن محمد ـ فتحا ـ بن على بن احمد بن سعيد ابن أحمد بن سعيد (مكررا)

هذا اخو المتقدم وأصغر منه ، وان كان أكبر منه بعلمه ، اذا التفت عليهما المحافل ، اخذ القرءان عن عمه سعيد بن محمد ، وهو ممن يشارط فى مساجد الغ حينا ، فهو استاذه الوحيد فى القرءان ، ثم اتصل بالاستاذ سيدى محمد ابن عبو الهشتوكى الشهير ، فلازمه ماشاء الله • ثم انتقل الى (مدرسة تيبيوت) برأس الوادى ، عند الاستاذ سيدى أحمد المشهور بـ (أمزاركو) فاخذ عنه ثم الى مدرسة (تاهالا) عند الاستاذ سيدى على الاسكارى ، فرابط هناك نحو عشرسنين ، فامتلأ وطبه لبنا صافيا وءاب بعلم جم ، وقد اتقن الفنون التى اخذها احسن اخذ • وان كانت يده فى الفقهيات اعلى واطول ، ثم انه بعد مارجع لم تلاحظه السعادة ، ولاتهيأله ان يجول فى مجالات الافتاء او التحكيم فى النوازل اوفى التدريس ، وباحدى هذه يظهر علم العالم عندنا فى هذه البلاد ، وقد حداه الى ذلك خمول جبل عليه ، وانزواء لايرتاح الاله ، والمعالى لاتزف الالمن خطبها والمجد ضنين بنفسه الالمن سخافيه بنفسه ، فكل من قنع بالكسرة ، ورضى بالشملة ، وتبلغ باللفا (١) فاجدر به ان يبقى نكرة ، وان يعيش فى جحر ضب خرب طوال حياته

اندمج فى المساجد ، فكان فى مسجد قريته وفى (واوزرت) وفى (تاويت) هذا ماحكاه لى ابن العم الاستاذ سيدى بلقاسم السليمانى الذى منه عرفته ، فندبته ليستقى لى تاريخه من عند اهله ، فرجع الى بما رسمناه للقارىء • وذكر هو أنه كان يعرفه اتم معرفة ، وكان يزور أحيانا الاستاذ التاجارمونتى فى المدرسة (الايغشانية) حين كان الحاكى ياخذ هناك فى أعوام ١٣٤٠هـ قال وكان يمتحننا كثيرا كلما جاء ، ويلقانا بعويصات يستفهمنا عنها وربما حدثهم بغربات فى نظرهم فحكى لهم مرةانه لاقى يهوديا ، فسأله ما لفظة التوحيد فقلت له لاادرى ، لاننى لااعرف اولا مقصوده • فقال هى مصدر وحد الله

١) اللفا بالفتح : الشىء التافه القليل

توحيدا ، وكان ذلك عجبا ، اقول : لان أهالينا لم يعهدوا من الاسرائيليين الاعتناء بامثال هذه العلوم العربية • بل حتى من غير المسلمين ايا كانوا •

اقول : قد وقع لى مثل ذلك مرتين ، وانا كما فارقت هذا الوسط السوسى الى الحواضر ، وذلك اننى جئت لاركب الى السويرة فى جامع الفناء بمراكش فى سنوات : ١٣٣٨هـ فاهوى انسان بهياة اوروبية ، ليركب ازائى فى السيارة فافرجت لشمطاء اسرائيلية اهلية ، افضلها عليه ، ثم لما وقفت بنا السيارة فى (شيشاوة) قال لى ذلك الانسان ، وقد نزلنا نتمشى حول الطريق : لم أبيت أيها السيد أن أركب ازاءك ، هكذا بلفظ عربى مبين ، فشدهت فقلت لـه : اروم ويعرف اللغة العربية ، فقال لا والله • لست بروم ، وانما انا من أبناء يعرب • ثم استرسلنا فى الكلام ، فاذا به الشاعر الكبير رشيد مصوبع اللبنانى الشهير ، وماكنت أسمع به قبل ذلك اليوم ، وقد عرفنى بنفسه ، وقد كنت اذذاك أجهل الناس بالعالم وتقلباته ، وما بلغته العربية انتشارا ، فضلا ان أعرف أن هناك من يسمى (رشيد مصوبع) ثم أنه صار فى الحال ينشدنى من قصائده ، فمما انشدنى داليته الفخرية التى مطلعها :

(هجمت ولم اخش الحسام المهندا)

وهى التى يقول فيها :

اذا شئت أمرا كان بحرا ركوبه ... جعلت العدا جسرا فسرت على العدا

اذا شئت امرا لم أكن مترددا ... واقبح ما فى المرء ان يترددا

وهذا ما استحضر منها وقد انشدنيها كلها ، فسمعت من البلاغة والفصاحة مابهرنى ، فكان هذا من أول الدروس التى اميطت بها جهالتى بالعالم •

ووقع لى أيضا أخرى مثلها فى ذلك الحين ، وذلك اننى اتصلت بجزء من (التمدن الاسلامى) لجرجى زيدان الشهير ، وقد كان لى قبل ذلك العام بالتاريخ ، فشدهت مما رأيت من كلامه حول العباسيين من النقول ، فقلت فى نفسى : نصرانى ويعرف كل هذا ، واذكر اننى منذ ذلك الحين كنت أخذته عند ذكره الخلاف المشهور حول خلق القرءان حين فسر (الخلق) بالاختلاق ، فيكون المعنى ان المسلمين اذذاك اختلفوا ، فمنهم من قال ان القرءان مختلق اى مفترى مكذوب ، ومنهم من قال لا ، وهذا افساد للتاريخ ، لان ذلك الاختلاف ليس على هذا المعنى الذى حور اليه الكلام • ولااخاله ممن يخفى عنه ذلك ، ومافعل ذلك الا عن قصد ، هذا ماكنت رايته ، ثم بعد ذلك وقفت على تاليف لنعمان شبل الهندى • يبين مافى كتابه المذكور • فاذا به ذكر ماقلناه منتقدا

اعترانى ذلك الدهش ، كما اعترى هؤلاء الطلبة لما سمعوا ان يهوديا

يعرف التصريف ، ولايزال كثيرون منطلبة بلادنا وعلمائها على هذا ، الى الآن ١٣٥٨هـ فيجب على من يتحدث اليهم ان يعذرهم ، وان لايلقى اليهم من عجائب هذا العصر الابمقدار • والحمد لله الذى ازال عناهذه الغشاوة حتى عرفناما فى العالم اليوم •

(كنت كتبت هذا سنة : ١٣٥٨هـ وانا الان اراجعه سنة : ١٣٧٨هـ فاقول: ان علماء سوس تفتحت اعين غالبهم فى هذه العشرين سنة ، فعرفوا ما يجرى فى العالم بعد انانقشعت الغشاوة عن ابصارهم)

ورشيد مصوبع اشهر من نار على علم فى الحواضر ، وكان شعره سمجة ولاالمام له بالقواعد اصلا ، وكان دنىء الهمة الى الغاية ، فكان ذلك سبب سقوطه ، فقدمدح كبارا من المغاربة كالحاج التهامي وابن عمه القائد عمر بن المدنى ، ولكن مايجيزونه به لايلبث ان يذهب بين الكاس والطاس ، وكانت حياته دائما كانه (كرصون) السيارة وسخا وما الى ذلك ، وقد مات فى الدار البيضاء بعد : ١٣٤٠ هـ

الصالح

سيدى ابراهيم بن على الايغشانى

من أهل القرن التاسع

= ★ =

هو اليوم مشهور فى قرية (ايمولا) ـ الظلال ـ قال فيه الرسموكي:
المرابط سيدى ابراهيم بن على الايغشانى المدفون بظلال غشانة شيخ الولى الصالح سيدىأحمد بن موسى • وله معه قصة شهيرة ، كانت سبب رجوعه للطريقة يتحدث بهاالناس ، ويكتبونها

وقال الحضيكى : ابراهيم بن على الغشانى دفين ظلال غشانة كان رضى الله عنه منأكابر مشايخ وقته ، وافاضلهم ، مشهور البركة والكرامات وهو اول شيوخالقطب سيدى احمد بن موسى ، وأول مندله على الطريقة والخير فاهتدى على يده ، وله معه قصة مشهورة ، يجرى ذكرها على الالسنة والاقلام

هذا ماقاله مؤرخانا ، والقصة المشهورة التى لوحا اليها ، هى : انسيدى احمد بنموسى ، كان شابا نشطا • عند مراهقته • جريئا لايستحيى ، على عادة بعضالشبان ، وقد اشتهر بذلك عند لداته • فاتفق يوما انهم يلعبون اما بالكرة وامابأمثالها ، أسفل عقبة مشهورة هناك الى الان ، وفيها طريق يتسلق فيها صعدا ، فجاء يوما صاحب الترجمة ، وعلى رأسه قفة تبن ، وهو شيخ كبيرهم هرم ، فوصل أسفل العقبة ، وقد أعيا فوجد هناك اصحاب سيدى احمد بنموسى ، فقال لهم من منكم يطلع لىبهذه القفة فى هذه العقبة ياأولادى جزاكم الله خيرا ، فتضاحكوا على الشيخ ، فقالواله : مهلاحتىيجىء احمد بنموسى ، وقصدهم ان يميل بالقفة فيشتت مافيها ليضحكوا ، وكانوا يعتادون منه مثلذلك ، ثم لماجاء طلب منه سيدى ابراهيم بن على طلبته ، فتناول القفةووضعها على رأسه ، وأصحابه ينتظرون ان يصنع بالقفة مـــا يحسبونه يصنعه بها ، ولكنه ساربها ، والشيخ وراءه ، حتى أنزلها له فوق صخرة • على رأس العقبة لاتزال معلومة الى الان ، فمال سيدى ابراهيم على صاحبه بدعوة حارة ، وافقت الاستجابة ، فكان ذلك سبب ان انقطع سيدى احمد بن موسىعما يعتاد منه فاقبل على شانه ، ثم التحق بسيدى محمدالوجانى ثم بالتباع ، فاندمج فيما عرفبه ، كما سيذكر انشاء الله بين تراجم اهله فى (القسمالرابع)

هكذا تحكي هذه القصة ، فكانت كرامة خالدة للشيخ سيدى ابراهيم ابن عل رحمه الله

وبعضهم يرى انه وقع ذلك مع سيدى محمد الوجاني ، وقد ذكر القصة في (الطبقات) في ترجمة ابن موسى

واما الوجاني هذا فقال فيه الحضيكي :

(سيدى محمد الوجاني دفين ذراع الكبش بمشمس وادى سملالة، كان من اشياخ القطب سيدى احمد بن موسى ، وأول من فتح الله على يده ، بدعائه له لما رفع عنه قفة تين لداره ــ كما في رواية اخرى للحكاية ــ وقيل انما جرت له هذه القضية مع سيدى ابراهيم بن علي المدفون ببلد غشانة

هؤلاء من تيسر الان ذكرهم من الايغشانيين ، ولابد اننا جهلنا في تلك الجهة بعض من يستحقون الذكر ، ولكننا لم نكن بصدد الاستقصاء الا في الالفين ، وماذكرنا هؤلاء الا تبعا •

الفصل الخامس

في الامانوزيين

ذكر فيه من المترجمين :

الصالح سيدى عيسى بن صالح الكرسيفي

الرئيس الشيخ بلقاسم بن الحسين الايزربيي

الفقيه سيدى ناصر التونيني

سيدى محمد بن الطيب التونيني

الفقيه سيدى محمد بن بومليك الايزربيي

الفقيه سيدى علي بن أحمد الايزربيي

الفقيه سيدى الحاج المحفوظ الاهماديي التارسواطي

العلامة الاديب سيدى محمد المانوزي الشهير

الصالح سيدي

عيسى بن صالح الايزربيبي

من القرن الثامن

= ⋆ =

نسبه :

عيسى بن صالح بن موسى بن يوسف ، بن عبدالعزيز بن عمرو .
قال فيه الحضيكي بعد ان ساق هذا النسب :
كان من اولياء الله الصالحين المشهورين بالخير والبركة ، من أهل القرن الثامن . انتهى .

هذا كل ماقاله الحضيكي ، ونحن ايضا ليس عندنا مانزيده عليه ، غير ان عليهمشهدا يقامفيه موسم صغير فى شهر غوشت ، بعد أسبوع من موسم تازروالت يوم الخميس ، يحضره الاقارب . ويحتفل ءال ايزربي لضيافة الواردين والطلبة يردون من المدارس القريبة ، فيبيتون على القراءة المساة فى اصطلاحهم بـ : (تاحزابت) على العادة الى الصباح ، وقد حدثنى من كان فيه السنةالفارطة ١٣٥٦هـ باعجوبة ، وهى ان اللحم اذا طبخ يحمل بالقفاف ، هذه هى العادةالمستعملة ، فيكدس على سطح المسجد ، اكداسا على الجص من غير صحون ، فياكلمنه الناس . هذا ما حدثنى به ، ولاادرى أصدق أم كان من المفترين .

ثم المشهور : انهذا السيد قيل لاعقب له ، وينكركثير من الناس على بعض الايزربيين الاحياء الذين ينتسبون اليه ، وهذا ماأسمعه ، ولاادرى اهذا صحيح املا لانايزربى وان كان في صلب الغ من شرقيه ، فانني ماوطئته بقدم ولاخالطت أهله (على ان الثابت ان له عقبا ستراه بعد)

هذا ما عندى الان عن هذا السيد الذى ربما كان من اقدم صلحاء الغ ولكن بكل أسف ، لمنعرف عن حياته شيئا ، بل ولاعرفت اهنالكمشجر نسب له ، كما هو المعتاد لامثاله املا ، فهكذا تذهب حياة الرجال ولايبقى الاقبورهم المبيضة . وليتشعرى ماذا تقضى القبور البيضاء اذا كنا جهلنا حياة أصحابها وكانت بالجهل بها سوداء ، ولكن اكثر الناس لايعلمون

⋆ ⋆ ⋆

ثم انى بعدما كتبتماتقدم ، وقفت على جلية بعض الخبر مما يتعلق بالمترجم فىمشجر بعض احفاده . فتبين أنه من الكرسيفيين الافاضل . واليك سلسلة النسب الذى وقفت عليه : محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد بنالحسن (لعل) بن عبد الله بنمحمد (لعله) بن عبد الله بن محمد ابن عبد الله بنموسى بن الحسن بن على بن داود بن موسى بنعيسى بن صالح ابن عبدالعزيزبن عمرو بن نعمان بنفطاسين بنكلدوان بن فلول بن تاسموت ابن عبدالله بن مرفود بنعمر بنابراهيم بناسحاق بن عبد الملك بن عثمان بنعفان . ثم رفع النسب المعلوم الى عدنان ، ثم قال : انتهى كما وجد،وماسكه الله نوراملاه من قرية فجة (أمانوز)فىسوس الاقصى ، وقدوقفت على تقييدانسابه واسمى (فى النسب)معاولاد الشيخسيدى ابىيحياالكائنين بزاوية (اكرسيف) نور الله حرمها ونورهابالعلم والاولياء والصالحين فى جده الخ - الىانقال - لقفه مقابلة بالاصل بلا ولا ، بتاريخ ذى القعدة : ١٢٤٣هـ ⋆⋆⋆⋆ بنعبدالله ابناحمد من (عنقالرمال) الايسى ، ثم ذكر ان الاصلبخط محمد بن احمدبن بلقاسم الكرسيفى ، وهذا بخط احمد بن عبد الله بن احمد الكرسيفى ، ثم أيدهما فىذلك محمدبن عبدالله بن عبد الرحمن الكرسيفى ، ثم محمد بن عبد الله الحضيكى ، ثم اخران لم تظهر توقيعاتهما ، ثم عبد الله بن ابراهيم السواسوبى ، ثم عبد الله ابن محمد النملى الدويملالنى ، ثم أحمد بن عبدالله وقد ساقكلاما حول هذا النسب ، للفقيه عبد الله بن محمد الاوزالى اهـ

وينبغى مقابلة هذا النسب مع نسب الكرسيفيين (المعلوم) كما رأيت مخالفة فىءاباء عيسى الادنين ، بين ماهنا وبين ما عند الحضيكى ، ولعل ماهنا هوالمقدم

فبهذا عرفنا اليوم ان عيسى من الكرسيفيين الاوائل ، وان كثيرين من الامانوزيين من اولاده ، ولا عبرة بمن ينكر هذا بعدما ثبت كما رأيت، ورياسة امانوزيهم منذ اجيال ، ويكونون الان نحو : ٥٠٠ كانون ، والفضل فى كل هذاالذى عرفناه ، يرجع لاحد فضلائهم . جزاه الله خيرا ، والكلام على العلماء الكرسيفيين اجمعين ، سنلم به ان شاء الله فى (الفصل الثانى) من (القسم الرابع)

الرئيس

بلقاسم بن الحسين الايزربيبى

١٣١٩ هـ = حـــى

= * =

نسـبـه :

بلقاسم بن الحسين بن محمد بن محمد ، ويتصل نسبه بسيدى عيسى ابن صالح المذكور قبله

هذا هو الرئيس الرسمى الرابع من رؤساء الغ اليوم ١٣٥٨هـ الاربعة وقد مربك الثلاثة ، ووالده سيدى الحسين من حفظة القرءان ، وكان منقطعا على رأس القرن الماضى ، الى المدرستين (البومروانية) و (الالغية) عند الاستاذ سيدى محمد بن عبدالله الالغى رحمه الله ، وكان ربما ياخذ شيئا ، ولكنه خادم له على الحقيقة ، فعاد على اسرته من بركة خدمته مافاته مما اخذه ، وكان حسن الظن في الشيخ الالغى أيضا ، ويحكى عنه ويقول : ان عنده شعرات مما حلقه مرة من رأسه يتبرك بها ، وقد كان الدهر الفى عليه كلاكله ، حتى ادركه أولاده فى العقدين الاخيرين ، فالتحقوا بالبيضاء ، فساعدهم الدهر فتمولوا وهو اليوم اغنى من بالغ كله ، بسبب التجارة التى اشتغلوا بها هناك، ولايزالون على ذلك الى الان ، (ووالدهم لايزال حيا ١٣٧٧هـ) وبذلك أصبحوا اليوم فـى الامانوزيين الالغيين بمنزلة الهامة من الجسد ، وهم أخوة متعددون ، لكـن امرهم مجتمع فتظافروا فنالوا ما نالوا

بلقاسم هذا هو رئيس فرقة من قبيلة امانوز ، وهو وديع لطيـف ، عالى الهمة ، يظهر ذلك فى بزته ، وفى داره ، فقد شاد بناء حسنا · واثثه بفرش عالية ، واعتد ءانية لماعة بيضاء من ءاخر طراز ، وهو مع ذلك كريم النفس، كريم اليد ، كما يقول الناس (ثم شاهدت منه بعض ذلك يوما زرته فيه) وقـد برهن هو واخوته عن نفوس طيبة ، وليسوا ككثيرين ممن تحدث عندهم النعمة فيشمخون بالانوف · ثم يحيطون بها سياجا متينا من البخل ، وسوء الاخلاق

لقيته مرارا فاعجبنى بحسن سمته ، وبادبه عند المحادثة · وقد بقيت فيه بقية من حسن الظن بالعلماء والمرابطين ، فزانه ذلك ، وقد جالسته: فى السنة الماضية (١٩ ـ ٣ ـ ١٣٥٦هـ) تحت شجرة فى ذلـك البسيط بمركز (تافراوت) ، انا واخى احمد ، فاعجبنى غاية الاعجاب ، وهو امى · ولكنه ممن

[illegible] انه مر بالقسم · وله التفع بالقطاعه صلوات الى الحاضرة ، فتحضر [illegible] اليهم الى اناءاهله محسوبون من بوفتاس ، من فخذايت على ، وقد زار هو واخوه [illegible] الطاهر نزولفيه اول : ١٣٥٦هـ فجاءوا بسيارة لهم جديدة ، فى [illegible] بقرية الغة ، فرايتهم حين جالوا فيها يتالقون فى الوان البستهم · [illegible] روضة الغا تفتحت فيها الزهور المختلفة الالوان ، فيتركون بنعمتهم [illegible] هذه من كانوا يعرفونهم فـى ادقاعهم القديم عـلى جمرات الحسد [illegible] ، فرحم الله التهامى اذ قال :

نظروا صنيع الله بى فعيونهم فى جنة وقلـوبهم فـى نار

الهم الله عليهم نعمته ، ووفقهم لما يحبه ويرضاه ، انه سميع مجيب · [illegible]

(ثم اناخاه علينا الحاج سنة ١٣٦٥هـ فى قافلتنا كان من الذين فضى عليهم [illegible] فى البيضاء فى الازمة ، ثم عزل المترجم ، فلزم داره الى الان : ١٣٧٨هـ [illegible] توفى والدهم السيد الحسين بعد ولده على ، وقد كانت بينى وبينه مودة [illegible] جذورها من محبته لوالدى ويحكى انه كان سمع مرة مبشرا بما سنتصير [illegible] من الخمول ، فقد حدث انه كان معه فى ثوبه الجميل (الكلازة) وهى [illegible] كانت عجبا فى نظره ، فرءاه يتتبع مافيها بعينيه ، فقال له : [illegible] كل هذا ان شاء الله ياسيدى الحسين فصدق الله قول الشيخ فقال [illegible] مارال على ايدى اولاده التجار ، وكان يحكى عن الشيخ حكايات مثلها ، [illegible] رحم الله الجميع)

الرئيس

بلقاسم بن الحسين الايزربيبى

١٣١٩ هـ = حـــى

= * =

نسبــه :

بلقاسم بن الحسين بن محمد بن محمد ، ويتصل نسبه بسيدى عيسى ابن صالح المذكور قبله

هذا هو الرئيس الرسمى الرابع من رؤساء الغ اليوم ١٣٥٨هـ الاربعة وقد مربك الثلاثة ، ووالده سيدى الحسين من حفظة القرءان ، وكان منقطعا على رأس القرن الماضى ، الى المدرستين (البومروانية) و (الالغية) عند الاستاذ سيدى محمد بن عبدالله الالغى رحمه الله ، وكان ربما ياخذ شيئا ، ولكنه خادم له على الحقيقة ، فعاد على اسرته من بركة خدمته مافاته مما اخذه ، وكان حسن الظن فى الشيخ الالغى أيضا ، ويحكى عنه ويقول : ان عنده شعرات مما حلقه مرة من رأسه يتبرك بها ، وقد كان الدهر القى عليه كلاكله ، حتى ادركه أولاده فى العقدين الاخيرين ، فالتحقوا بالبيضاء ، فساعدهم الدهر فتمولوا وهو اليوم اغنى من بالغ كله ، بسبب التجارة التى اشتغلوا بها هناك، ولايزالون على ذلك الى الان ، (ووالدهم لايزال حيا ١٣٧٧هـ) وبذلك أصبحوا اليوم فى الامانوزيين الالغيين بمنزلة الهامة من الجسد ، وهم أخوة متعددون ، لكن امرهم مجتمع فتظافروا فنالوا ما نالوا

بلقاسم هذا هو رئيس فرقة من قبيلة امانوز ، وهو وديع لطيف ، عالى الهمة ، يظهر ذلك فى بزته ، وفى داره ، فقد شاد بناء حسنا ، واثثه بفرش عالية ، واعتد ءانية لماعة بيضاء من ءاخر طراز ، وهو مع ذلك كريم النفس، كريم اليد ، كما يقول الناس (ثم شاهدت منه بعض ذلك يوما زرته فيه) وقد برهن هو واخوته عن نفوس طيبة ، وليسوا ككثيرين ممن تحدث عندهم النعمة فيشمخون بالانوف ، ثم يحيطون بها سياجا متينا من البخل ، وسوء الاخلاق

لقيته مرارا فاعجبنى بحسن سمته ، وبادبه عند المحادثة ، وقد بقيت فيه بقية من حسن الظن بالعلماء والمرابطين ، فزانه ذلك ، وقد جالسته: فى السنة الماضية (١٩ ـ ٣ ـ ١٣٥٦هـ) تحت شجرة فى ذلك البسيط بمركز (تافراوت) ، أنا واخى أحمد ، فاعجبنى غاية الاعجاب ، وهو أمى ، ولكنه ممن

يحسب انه مر بالمكتب ، وله النفع بالفطانه سنوات الى الحاضرة ، فتحضر وقد اخبرنى ان اهله محسوبون من بوفناس ، من فخذايت على ، وقد زار هو واخوته يوما الغ اثر نزول فيه اول : ١٣٥٦هـ فجاءوا بسيارة لهم جديدة ، فى ثياب حضرية انيقة ، فرايتهم حين جالوا فيها يتالقون فى الوان البستهم ، فخيلتهم روضة انفا تفتحت فيها الزهور المختلفة الالوان ، فيتركون بنعمتهم الجديدة هذه من كانوا يعرفونهم فــى ادقاعهم القديم عــلى جمرات الحسد يتقلبون ، فرحم الله التهامى اذ قال :

نظروا صنيع الله بى فعيونهم ... فى جنة وقلــوبهم فــى نار

اتم الله عليهم نعمته ، ووفقهم لما يحبه ويرضاه ، انه سميع مجيب ، وبالاجابة جدير ،

(ثم ان أخاه عليا الحاج سنة ١٣٦٥هـ فى قافلتنا كان من الذين قضى عليهم الفدائيون فى البيضاء فى الازمة ، ثم عزل المترجم ، فلزم داره الى الان : ١٣٧٨هـ وقد توفى والدهم السيد الحسين بعد ولده على ، وقد كانت بينى وبينه مودة كانت جذورها من محبته لوالدى ويحكى أنه كان سمع مرة تبشيرا بما ستنتهى اليه داره من التفوق ، فقد حدث أنه كان معه فى ثويه الجميل (الكائزة) وهى مؤثثة تاثيثا عجيبا فى نظره ، فرءاه يتتبع مافيها بعينيه ، فقال له : انك ستدرك كل هذا ان شاء الله ياسيدى الحسين فصدق الله قول الشيخ فنال اكثر ممارأى على أيدى اولاده التجار ، وكان يحكى عن الشيخ حكايات مثلها ، فرحم الله الجميع)

الفقيـــه

الورع سيدى ناصر التونينى

نحو : ١٢٩٠ هـ = ٦ - ١٣٥٦ هـ

= ★ =

نسبه :

ناصربن عابد بن ابراهيم المؤذن هذا أحد من تزدان بهم الغ في هذه السنوات الاخيرة ، والقائم بالتدريس في مختلف الفنــون فــى المدرسة (التيمكيدشتية) عقودا من السنين ، واحد افذاذ الورعين ، تسمع اخبارهم فتدهش السامم ، ويقول : اولايزال أمثال هؤلاء يجود بهم الدهر ، وهو من أسرة يقول أهلها : أن نسبها متصل بابى بكر الصديق ، والناس مصدقون فى انسابهم

أخذ الاستاذ عن عمه سيدى الحسن بن المؤذن ، فــى قرية (اكجكال) وفى (تيبيوت) ، وغيرهما ، مما يعتادها بالمشارطة ، والمؤذن المذكور كان رجلا خيرا لازم الاذان فى مسجد قرية (تونين) فسمى بذلك ، ثم التحق صاحــب الترجمة بالفقيه سيدى محمد بن أحمد الاسكاورى الكرسيفى فى مسجد تازكا من قبيلة (أملن) فجود عليه القرءان ، وفتح عليه الامهات ، وبعد حين ارسله الى : (تيمكيدشت) فأخذ هناك عن علمائها ، وكان المشهورون -فيما أعلم- هناك اذذاك بعد الشيخ سيدى الحسن بن أحمد : الفقيهين : سيدى محمـد البعقيلى ، وسيدى موسى الاوكبى ، وصاحب الزاوية سيدى الهاشم صاحب الاحوال الغريبة ، فعنهم أخذ ، ولازم حتى حصل تحصيلا عاليا فى كل ماأخذه نحوا وفقها وفرائض ، وألم بالحديث • وبجميع العلوم التــى تروج هناك وكانت تصاحبه منذ الصغر - على مايظهر - حالته هذه الحسنة التى انتجت ورعه المشهور به ، وكان فى حاله مسكينا ، متواضعا فى زيه وفى اقواله ،وفى أفعاله • فمنذ تولى الدراسة فى المدرسة ، والطلبة كثيرون لم ينقصوا قط عن الستين ، لازم الدراسة واكب عليها ، ولكنه تجافى عن مظاهر الفقهاء حتى أنه هناك لايدعى الابالامام ، لانه امام الصلوات الخمس ايضا ، وهو تحت يد صاحب الزاوية ، فقنع واحتسب ، يدرس بلا اجارة فيما سمعت الا مايصله به سيدى الهاشم رحمه الله ، ولم يعتن بتأثيل المال ، ولاانيتخــذ وراء دراسته معاشا وكان فى بعض السنين يخرج مع طلبة المدرسة ، فيدورون على القبائل وهم

فى دراستهم على العادة التى كان الشيخ سيدى احمد بن محمد وولده الشيخ سيدى الحسن بن احمد ، وكان حسن الظن جدا باشياخ (تيمكيدشت) فجوزى عن ذلك بالمنزلة التى تهيات له مما تعطرت به الالسنة • وتناقلته الركبان

حدثنى من حدثه بعض الطلبة النجباء أنه حضره مرة هناك يقرر درس الالفية ، فى (كان واخواتها) قال : فاحسن تقريره ، ولكنه عند الاعراب صار يعرب هو بنفسه (على عادة اهل المدن) ولا يواخذ طلبته بالاعراب (على عادة الالفيين) وذكر عنه ان به لكنة تمنعه من الافصاح كل الافصاح بسهولة عما فى ضميره ، ولكنه مع ذلك يجتهد ليستوعب مراده ، وكان تزوج اخيرا امرأة ، ولم يولد له معها فمات عن غير عقب ، كما سمعت • ومما تحدث به عنه الناس بعد موته ، انــه ماتناول قط لقمة فى زاوية (تيمكيدشت) بعدما حدث فيها ماحدث على يــد سيدى محمد بن الهاشم ، وادخل فيها اموالا اجنبية عن مالها ، فكان ياتى بمزادة عن داره مملوءة بدقيق يتبلغ به ، وقد انقطع أيضا عن مجلس سيدى محمد ، وكان ربما أرسل اليه لينظر فى بعض قضايا النوازل بعد ان وقعت هذه الواقعة ، فيجيبه بانه عزم ان لايتداخل فى شىء بعد ، ثم اذا الح عليه يقول له : ان اعجبكم ان أبقى كما أنا فذاك والافوداعا ، ولازم هذه الحالة التى لا يلازمها الامن يراقب الله حتى التحق بربه ، وقد أرسل صاحب الزاوية سيدى محمد ابن الهاشم بعد ان مات الى داره ، فاسترجع فيها كيس سكر ، كان سيدى محمد أرسله اليه حين أعرس فى هذه السنوات الاخيرة بهذه الزوجة ، فحين احتضر أرسل الى سيدى محمد أن يسترجع كيسه ، فانه بعقدته لم يمسه ، فكان هذا والله ممارفع منزلته ، واتبعه ذكرا جميلا ، ووفاته فى (تيمكيدشت) ولم ابق له على اثر ، وله تلاميذ منتشرون • لعلنا نتصل بهم او ببعضهم لنعرفهم ولكن ذلك فى فرصة اخرى ان شاء الله ، رحمه الله ، ونفعنا به وبامثاله

(ثم لم نتصل من اسماء تلاميذه بما نريد • والامر لله وحده)

سيــدي

محمد بن الطيب التونيني

نحو ١٢٩٩ هـ = نحو ١٣٦١ هـ

= ★ =

نسبــه :

محمد بن الحاج بن بلقاسم بن محمد

هو ابن‌عم الفقيه سيدى ناصر المذكور قبله • وهو من الملازمين لزاوية (تيمكيدشت) من صغره الى كبره • بل‌لازمها الى مماته • فانه بعد ماأخذ ما قدرله من‌العلوم صار قيما لمخازن الزاوية فى عهد الفقيه سيدى الهاشم وهو الذى يكون بريده فى مهماته وهو الذى كان يتصل بالفقيه الاستاذ سيدى‌على ابن‌عبدالله الالغى يوم قامت قيامته حول املاكه المغصوبة منه فــى (ايشت) فقد ذكر لى من حضر يوما فى‌دار الاستاذ وقد اتى المترجم بمال من عند سيدى الهاشم‌الى الفقيه الالغى ثمن املاكه • وقد رضي ان‌ياخذ ماكان دفعه فيها • الا أن الذى أتى به هذاالرسول ناقص قليلا عن‌القدر المتفق عليه • ولذلك‌لم يقبله الفقيه • فكان فى ذلك كل خ يرلانه بسبب عدم قبض ذلك المال بقيت‌الاملاك لاولاده‌فاسترجعوها بعده لما سنحت الفرصة • وقد رايت ذكرا للمترجم يوم‌كان سيدى محمد المانوزى فى مدرسة (تيمكيدشت) وذكره بانه مقرىء الزاوية • وقريته تسمى (اكاديروايو)

هذا كل ما اعرفه عن المترجم الان رحمه الله • وأبوه الحاج الطيــب كان من الافاضل المذكورين بالخير • بل يقولون عنه انه حكيم • وقد اسن لما توفي سنة ١٣٣٩هـ

سيدي محمد بن بومليك الازربيبى

١٣٠١ هـ = بعــد ١٣٦٠ هـ

= ★ =

نسبــه :

محمد بن بومليك بن محمد

هكذا ذكر لى عن ءابائه ، ثم لم‌أعرف اعلى من هؤلاء ، اخذ القرءان عن أساتذة ءاخرهم سيدى أحمد بن عبد الله استاذ المدرسة (الفهمية) الشهير، وبه‌تخرج ، ثم اتصل بالمدرسة (الالغية) ولم يتجاوزها حتى حصل ما حصل ذكرالاستاذ سيدى عبداله بن‌ابراهيم العم انه من‌الرعيل المتوسط ممن اخذوا بالغ أعوام : ١٣١٨هـ وذكر عنه أنه اجتهد وجال فى مجالات النجباء ، يكب على‌مايدرس أكبابا ، وفى اخلاقه مايقضي عليه ان‌لايخالط الطلبة كثيرا ، لانه لايداجى ولايداهن ، ولايقبل على مهارشة احد فنفعه ذلك فى الاقبال على ماهو بصدده ، وفى اخلاقه حزونة غير قليلة ، لكنه سليم الطوية • وبعد مضى السنين ، فارق المدرسة بادراك حسن وتحصيل عال عن الوسط قليلا ، ثم ربض‌بداره مقبلا على‌اورادوعبادة اشتهر بها • فنقص بسبب اهماله المذاكرة مقياس مااخذه ، هذا ماوصفه لى‌ابن العم حفظه الله ، وقد سالت عنه اناسا ءاخرين ، فذكروالى نحو هذا • وأيدوا لى‌تلك الحزونة • حتى ان بعضهم‌ذكر أنه‌بينما كان يتكلم معه فى شأن اذ انقبض فجأة ، وانتفض يضرب بيديــه لخطرة خطرت بباله ، وكذلك انزواؤه واقباله على ربه ، قد اشتهرعنه الى الان ، وقداعتاد ان يؤوى اليه طلبة المدرسة (الالغية) متى جــاءوا الى موسم سيدى عيسى بن صالح ، فيكرمهم فى داره • ولايزال على هذه العادة ماامكن‌له وكان قليل ذات اليد ، وحكى لى انسان أنه ممن استناروا بالاقبال عــلى الله فهنيئا له ، وانما ينكر عليه هذا القبوع الذى بسببه تدلت معلوماته ، وذلك مالم‌يحفز اليه الانسان بدافع جبرى مما لايجوز للرجال ، لان منفعة‌الخلق والخير كله ، لايتمان الا بالمخالطة ، وقد قال بعض الالغيين ارتجالا فى‌ذلك شبه أبيات :

هل الخير الا فى الانام ؟ وبينهــم	يرى المرء كل ما يحب من الخير
فهل يستطيل الذيب الا على التى	تقاصت عن‌المرعى فى‌وسط القفر؟
فصاحب لىر الاسرار جمعاء فى‌الال	تصاحبهم امــا اجتنبت ذوى الشر

فلا تحسبن الانزواء فضيلـة تحليك عند الله فى السر والجهر
فما تلك الا خدعة خلقيـة فتودع قبرا قبل كونك فـى قبر
فصاحب وخالط في الجماعة تمتري بكفيك ضرعـا ليس يبخل بالـدر
فلست ترى رشدا ولست ترى هدى ولست ترى نورا اذا كنت في قعر
فها أنذا ـ والله يعلم ـ ناصـح نصيحة خريت لدى الطرق ذى خبر
فمن شاء ان يحيا ويحسب في الودى يصاحب، ومن يابى الورى فالى القبر

على أن الناس طباع ، ومن أراد ان يجعل الناس كلهم سواء ، فليس لعقله دواء كما يقولون فى امثالهم ، وفقنا الله وصاحـب الترجمة لما يحبه ويرضاه

هذا ولم اقف له على اثر ، مع أنه ذو قلم لاباس به كما حكى لى ، وكيف لايكون ذاقلم ، وقد مر بالمدرسة (الالغية) التى تعلم الادب قبل ان تعلم العلم كما يذكر عن كتب الجاحظ •

الحاج المحفوظ الاهماديـي

التارسواطي

نحـو : ١٣٠٣ هـ = حـ ـى

= ★ =

نسـبـه :

المحفوظ بن أحمد بن محمد بن محمد بن مسعود

قرية (تارسواط) هذه من القرى التى تحظى فى كل جيل برجال مبرزين أما فى العلم والصلاح معا واما فى احداهما • فقد كان النجوم الثواقب من العلامة الحضيكى الشهير فى آخر القرن الثانى عشر • ومن جده الشهير فى آخر القرن الحادى عشر ومن اولاد العلامة الحضيكى فى القرن الثالث عشر من تحلت بهم قرية (تارسواط) طوال هذه الاجيال • ثم كان والد صاحب الترجمة الرجل الصالح أحمد بن محمد من أصحاب الشيخ الالغى ممن تجلبب أردية الصلاح ، وممن رحمهم الله بالخمول ، وقد كنت رأيته وانا صغير حوالى ١٣٢٧هـ ورد نهارا الى الزاوية على نية ان يسيح مع الشيخ ، فصادفه قد خرج قبل وروده • وقد كان رحمه الله من الفقراء الصادقين الذين ذاقوا ما ذاقوا فى لباب الطريقة من الاخلاص فى العمل • والفناء فى كل ما يجلب مرضاة الله تعلى • فبهذا يصفه عارفوه • وهى امى يستغرق اوقاته فى طاعة ربه •

وأما ولده هذا المترجم فقد جمع بين العلم والعمل • وهو اليوم زينة تلك القرية وقطبها • وبه تذكر الان • وهو الذى يقصد فيها ضيافة وعلما وارشادا وهو سبط الحضيكيين • وقد نزعه عرقهم فكان أحد العلماء مثلهم

متعلمـه

أخذ القرءان عن الاستاذ محمد بن أحمد الصوابى الغرمى • وهو وحده من ذكر اخ له أنه جود عليه القرءان

وأما العلوم فقد مثل بين يدى علماء كثيرين كانوا جميعا ممن جلوا فى حلبات التدريس فى اول هذا القرن • وتلك منة من الله بها عليه • فاولهم الرجل الصالح والفقيه ذو الباع فى النوازل والفروع سيدى على بن احمد الاسكارى فى مدرسة (تاهالا) ، وثانيهم علامة هشتوكة البارع سيدى محمد اوعابو مدرس مدرسة ادا اومحمد نحو عشرين سنة • وثالثهم عميد الغ ومناره

الذي به يهتدي عند مشتبه السبل • علي بن عبدالله في المدرسة (الالغية) ورابعهم ابوالقاسم التاجارموثتي الذي يقوم بغالب الدروس في هذه المدرسة وكان المترجم هناك في سنة ١٣٢٨هـ وصادف ان اسنت الالغيون في تلك السنة الشهباء • كما اسنت كل من في نواحي سوس • فارسل الاستاذ علي بن عبد اللهالى طلبة المدرسة المكتظة ان يستهموا فيما بينهم • فمن قال سهمه فليوسع علىاخوانه حتى تنجاب هذه السنة العجفاء ، فكان صاحب الترجمة حين ساهم من المدحضين الذين غادروا المدرسة ، فبسبب ذلك التحق بحوز الحمراء • فجاور في مدرسة (اخليج) عند الاستاذ الكبير الحاج علي المسفيوي الذي امضي عمره في تلك المدرسة • وهو الاستاذ الخامس لصاحب الترجمة • فرابط هناك هو ورفيقه الحسن الاخصاصي السملالي • أستاذ (مدرسة للاتعزى) اليوم ١٣٦٤هـ فمكث هناك ماشاء الله ، فاذذاك زار أستاذنا شيخ الاسلام أبو شعيب الدكالي مدرسة (اخليج) فالقى علىطلبتها درسا فيحديث(انما الاعمال بالنيات) بهرهم فيه بما شاهدوه من علم فياض • وجوب بين المذاهب وخوض فيالعلوم مع استحضار للمتون التي يحفظونها من المختصر فمادونـــه • فكان اولئك الطلبة ثناء على ثناء الى الان • والسنتهم بذلك رطبة في كل مجلس ، وفيبالي أنه مرايضا بـ (مدرسة مزوضة) عند الاستاذ سيدي الحنفي

ثم أن صاحبه الحسن الاخصاصي شارط عند الفقيه سيدي محمد بن مبارك الغيغاءي الحوزي من زاوية (ازرو) فكان معه صاحب الترجمة ، وقد درسا عليه هناك وبعض طلبة ءاخرين علوما من بينها علم الفرائض • فكان الحسن الاخصاصي فريدا فيها كما ترى ذلك في ترجمته في (الفصل الاول من (القسم الرابع)

هؤلاء هم أساتذة صاحبنا وبهم تخرج• وعلمه يميل الى التفوق • كما يحكيلي • وأنا لاأعرفه الى الان • ولكن العلم أية كانت مرتبته • فانه اذاكلل بالانحياش الىالخير • وبالكرم • وبالاخلاق • وبالثروة • وبالنسب الطيب وبالحسب الخالص ، يجول به صاحبه في مراتب الشفوف ، ويذر الافواه تتعطر بذكره • والمسامع تتفتح لأنبائه في كل محفل ، وصاحبنا ممن كانت لهم هذه الخصال كلها فيما يحكيه الحاكون • والانسان قلما يفوز بمثلذلك الا اذا أحسن غاية الاحسان • لان الناس اكيس من أن يرسلوا الامداح حتى يشاهدواذلك الاحسان كما يقوله الشاعر • وهل يقول الشعراء في مثل هذه المقامات الا الحق ؟

نبذ أخرى عن المترجم

حج صاحبنا سنة ١٣٤٧ هـ ففاز بأداء فريضته ، وتوج بذلك الوصف

الذي ينحل به اسمه المصون ، ويتجلى به سره المطوق •

وقلما ابصرت عيناك من رجل ... الا ومعناه ان فتشت في لقبه

ثم أنه اتصل بسيدي الحاج الاحسن البعقيلي هذا الشيخ التجاني السيد الذياشتهر اليوم بالبيضاء ، فتلقن منه الطريقة الاحمدية • ومنحه الاذن في تلقين اذكارها فأسس لذلك زاوية في داره • فانتشر صيته بذلك • مع ما ءهم بهمقامه هذا من تلك الخلال التي ذكرناها ءانفا • وكما كان لابيه في الطريقة الدرقاوية ذكر • كان له أيضا في الطريقة التيجانية ذكر (قـــد علم كل أناس مشربهم)

خذن جنب هرشي اوقفاه فانه ... كـلا جانبـي هرشي اليها طريـق

وقد نشأ له اولاد اعتنى بتثقيفهم صاحبه الاستاذ الحسن الاخصاصي في مدرسة (الاتعزى) شاهدتهم عشية أربعاء ، ونحن في سيارة • ءايبـن من مركز الاربعاء ، فرأيت من جباههم المتلالئة ما يبشر لهم بمستقبل • ان تمالاعتناء بهم حتى يستتموا الدراسة

ان الاصول اذا زكت ففروعها ... تزكو كـذاك الشبل كالضرغام

ثم أن أحمد منهم استتم في فاس بعدما أخذ عن سيدي علماء سوس وهو سيدي عبد الله الايكدماني • وهو الان عالم رسمي حسن التحصيل

اجتماعي معه

جئت أخيرا يوما من الغ الى مجاط ، اومن مجاط الى الغ ، فلقيت المترجم على بغلته ، فنزل الى الارض • فتعرف بعضنا ببعض • فرأيت منه ما اذكرني بسيدي احمد بن الحسين

واستكبر الاخبار قبل لقائـكـم ... فلما التقينا صدق الخبر الخبـر

وهــو اليوم شيخ جليل ، حول شمسه المشرقة طفاوة واسعة ، تكبره الاعين • وتتسابق الى الثناء عليه الالسن • وقد زاده شرفا في بيئته الى ما عنده من المعارف والتقدم كامام متبوع في الطريقة الاحمدية ، ماعند اسرتـه وحواشيها من ثروة أدرتها عليه أرباح تجارتهم المتسعة في البيضاء ، وللثروة بريق يستحسنه دهماء الناس • بل لايحسب حمقاهم المجد الا منها

الاستاذ محمد بن احمد المانوزى

١٥ ـ ٤ ـ ١٣٠٦ هـ = ٤ ـ ٥ ـ ١٣٦٥ هـ

= ★ =

نسبـــه :

محمد بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن بلقاسم بن علي بـن يعزى بـن ابراهيم بن عبدالله بن محمد بن يوسف بن علي بن ابراهيم

هذا أستاذ سوسي اشتهر في الحواضر كما اشتهر في سوس ، وقد خالط كثيرا من الناس الاماثل حتى تكونت له شهرة ، ولكونه يجول فـــي الادب ، ويتعالى الى القمم الشماء في كل مقام ، ولميله الى ان يكون مجليا في كل ميدان ، صار عارفوه ـ وماأكثرهم ـ يتجاذبون انباءه ، ومختلف أطوار حياته وحين كان يحاول أن يكتب حياته بقلمه ، ثم ساقت الينا السعادة ماكتبه ، وان لم يذكر الأطوار حياته الاولى • احببت ان أسوق اولا مابض به قلمه السيال ثم بعد ذلك أعقب عليه بماعسى ان يفوته

ايه : ان المنتسبين الى العلم في قبيلة (أمانوز) غير قليلين قديما وحديثا ولكن لما كان مجال تاريخنا حول الغ لاغير ، وكان الامانوزيون الذين فـــي خارج الـغ اكثر واكثر ممـن هم فـــي بسيط الغ ، وليسوا كالـسوفقاويـيـن والايغشانيين الذين يكثرون في الغ ، لم نتعرض الا لذكر الامانوزيين الالغيين فقط ، ثم لما كان لهذا الاستاذ الكبير المدل بنفسه مكانة مكينة بين أدباء الغ واتصال دائم بينه وبينهم ، حتى أنه لايكاد يغب زيارة الغ او المكث فيه منقطعا اخترت ان اسطره بين الالغيين ، لانه كواحد منهم ، وينبغي ان تحذف هذه الكاف في هذا التشبيه كما يقول المتنبي :

كفاتك ودخول الكاف منقصة   كالشمس قلت وما للشمس أمثال

واليك ماكتبه عن حياته التي يتمطى بين أطوارها حتى يستطرد كـل ماسنح له بادنى فرصة ، ثم لايفلت ما يستطرده حتى يسهب فيه اسهابا ، ولما في ذلك كله من الفوائد للمطالع ، ولمافيه من تسجيل للوقائع ، ومـن التنبيه على كثير من العادات التي تمثل الهيأة الاجتماعية ، أبقينا كل ماذكره على وجهه ، ونبهنا في الحاشية على بعض أمور نرى أنه سها فيها ، والمقصود الافادة ، وقد ابتهجت كثيرا بهذا الذي كتبه جميعه ، ولعل القارىء سيبتهج به أيضا • خصوصا ان تذكر انه يكاد وحيدا ممن كتبوا حياتهم بأقلامهم

قال رحمه الله :

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، وجعلـه للارواح قوة وقوتا وفرجا ، ويسره لكل مدكر كما جعله للناس وعليهم حججا ... تتزايد به الآلاء مادامت معانيه تفوح ارجا ، وتتجدد مثل اليم زبدا ولججا ومن يتخلق بها فله حياة طيبة لايخاف ضنكا ولاسمجا ، وصلوات الله وسلامه على من لم يرض بشيء من الدنيا يصطفيه ، وعلى آله وصحبه الذين اقتدوا بـه في كل مايرتضيه ، الى أن خضعت لهم الرقاب في كل قطر واقليم دانيـه وقاصيه ، فجابوا البلاد ، وساسوا العباد ، وحكموا بالعدل والتسوية بين الاحرار والعبدان • ولم يفرقوا في تبليغ ما أمروا به مابين البيضان والسودان فرضي الله تعالى عنهم وعن تابعيهم وتابع تابعيهم مادام الملوان ، وازكى رحماته على اشياخنا الذين غذونا بلبان الفضل ، ولم يالوا جهدا في تربيتنا ، تتجدد عليهم بلا انصراف ولاتوان •

وبعد فقد تسنى لي ان أذكر بعض ماعن لي في احوال حياتي مما عرض لي من اول زماني ، من فجر سنواتي الى آخرها ، مرارة وحلاوة ، وخشونـة وطراوة • ومساءة ومسرة • ومنشطة ومبرة • وفي تعلم وتعليم • ومشيخة وحداثة الصبا • دون تحاش لصحيح وسقيم • وكل قضية تعلقت به • سواء كانت من نوع المنتج والعقيم • ليكون تذكرة بعدي للاولاد واولاد الاولاد • واهلي لهم من طريف وتلاد • وقد قيل قديما : ان الدهر معلم اذا لم يتعلم منه ... • واذا تعلم منه أدب وهذب ، ولم نر معلما احسن من الزمان ، ولامتعلما اسوأ ... من الانسان ، وكم أدبني وقرع لي العصا ، وغش رائد الامل ...

ومن يلق ما لاقيت في كل مجتنى   من الشوك يزهد في الثمار الاطايب

الـــولادة

كانت ولادتي كما جاء في رسم ولاداتنا ، واخبرني به الوالد والوالدة صب الله عليهما شآبيـب الرحمات والرضوان ، وأبـاح لهما الفراديس يتمخطران فيها بين حور غنج يحف بهما الولـدان ، ليلة الخميس الخامس عشر من ثاني الربيعين ، الموافق من شهر غشت العجمي لاثنين وعشرين ، في سنة ١٣٠٦هـ اواخر دولة آخر سلاطين السلف الصالح ، السلطان المولى الحسن بن محمد بن عبدالرحمان بن هشام بن محمد بن عبدالله ابن السلطان الاعظم المولى اسماعيل بن الشريف العلوي الحسني • أخبرني والداي انني ولدت في يوم موسم الولي الصالح سيدي احمد بن موسى دفين (تازروالت) • والوالد ذاهب اليه مع عامة الناس ، كما هي العادة من الاحتفال اليه • والاعتناء بزيارته ، ووجدني قد وضعتني الوالدة فبلغ به مـن الفرح والسرور الى ان حضر الناس قبل السابع ، فذبح انواع الذبائح • واطعم المساكين والفقراء

والطلبة والعلماء وغيرهم ، وسماني باشارة بعض أرباب القلوب ممن له خطوة وحظوة في الولاية ، باسمه صلى الله عليه وسلم : محمد بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن بلقاسم بن علي بن يعزى بن ابراهيم بن عبدالله بن محمد بن يوسف بن علي بن ابراهيم الخ النسب الشريف ، أخبرني شيخنا الولي الصالح المرابط سيدي "محمد بن بلقاسم من تحت الرمال (تعريب اسم قرية دويملالن) التملي الركراكي أنه لما ولد له ولده صاحبنا وتلميذنا السيد محمد بن محمد (فتحا) بن بلقاسم ، جاء الى والدي السيد احمد بن علي يطلب منه العسل المشفاء ، كما هي العادة فيمن ولد بالسوس في ذلك العصر ، لكون الاجباح (جمع جبح اى خلية النحل) كثيرة عند الوالد ، فوجده تحت شجرة الزيتون التي بباب دارنا متظللا لشدة الحرارة ، فتصافحا وتبادلا من الفرح والسرور مالامزيد عليه ، فلما استقر بهما المجلس ، اخبره بانه جاء للعسل لمولود ذكر زاد عنده ، فقال له الوالد حبا وكرامة ، فتجاذبا الحديث، والحديث شجون • الى ان تنفس الوالد الصعداء ، وبدت على وجهه لوائح الأسف والشجون ، فقال له سيدي "محمد ـ فتحا ـ مالك قد تمعر وجهك ، وبدت عليه لوائح الاسف والتلهف في أقل من طرفة عين ؟ فقال لانك لما اخبرتني بزيادة الولد عندك ، تفكرت في حالي وتجددت أفكاري واوجالي ، من عدم ولد ذكر يعقبني ، يرثني ويرث من ءال احمد بن علي ، ولم يكن لي غير ابنتين الان وها أنذا في سن الاربعين ، وقد تمنيت ان يكون لي اولاد ذكور ، قال سيدي "محمد ، فقلت أمدد يدك ويدنا الى الله مع شدة الحضور ونهاية الاضطرار التي وردت عليك في هذا الحين ، فان شدة الاضطرار تؤثر في قضاء الحوائج • حتى قال بعض العلماء : انه اسم الله العظيم الاعظم ، والله تعالى قال (أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض) ، قال ففعلنا ودعونا الله بهذه الصفة ، فلما فرغنا من الدعاء بأن يرزقه الله الولد الذكر الصالح • دخلنا الى دار الضيافة ، فأكلنا وشربنا ، واتحفني بما جئت لاجله من العسل وغيره ، ثم قلت عند الوداع : اذا ولدتموه فسموه باسمه صلى الله عليه وسلم محمدا

(فان لي ذمة منه بتسميتي محمدا وهو اوفى الخلق بالذمم)

وأيضا فلا بد ان تذبحوا على الولي الصالح سيدي يعقوب الذى بجبل (تازرمامت) المطل على وادى (تيملت) كما هي العادة في ذلك العصر • من أن من لم يكن له أولاد ، ينذر الذبائح ، ويقربها له عند طلب قضاء الحاجة ، قال الوالد فمامكثت الوالدة الا أياما قلائل بعد هذا المقام الاضطراري فحملت بك ، وكان تمام المقصود على مايرام ، ولله تمام النعمة ، والحمد لله رب العالمين ، وسماني الوالد كما سماني السيد المذكور محمدا ، واحتفل يوم السابع ، وقرب القربات ، ونصب أعلام الضيافات ، وتصدر للاحتفاءات والاحتفالات ، وذبح الذبائح الكثيرة • واستدعى من قريب وبعيد أقطاب العلم والفضل ، للذكر

وقراءة القرءان ، فاقام الناس أمد الضيافة • فقلموه بما يرضي الله ورسوله فاكرم وفادة الكل ، وسرحهم فرحين مسرورين ، داعيين بحسن البقاء ، والهداية والتوفيق والهناء ، وقامت الوالدة بتربيتي احسن قيام ، وهي من الصالحات القانتات العابدات ، الصائمات القائمات ءاناء الليل وأطراف النهار المجهودات في طاعة الله ورسوله ، الحافظة لكتاب الله (١) رقية بنت العربي بن الحسن بن علي بن "محمد ـ فتحا ـ بن محمد بن أحمد بن "محمد ـ فتحا ـ بن عبدالله بن سعيد حفيد الولي الصالح سيدي عبدالله بن سعيد الجعفري (٢) دفين (تيظاهارين) بمدشر (أيمور) وجدتنا سيدتنا خديجة بنت الفقيه العلامة المرابط الولي الصالح السيد الحسن بن "محمد ـ فتحا ـ بن عبدالرحمان سلالة العلامة الكبير المتفنن البارع الشهير السيد علي بن أحمد بن سعيد الغازي الكرسيفي المانوزي قبيلة ، العثماني نسبا ، المتزوجة عام ١٢٦٣هـ والمتوفاة عام ١٣٠٣هـ ، بأيمور قبل زوجها العربي ، وهو شقيق العلامة الشهير الحافظ الكبير خاتمة المحققين ، السيد الحاج محمد بن محمد بن عبد الرحمان السنوطي مصر حياته ، المتوفى فيها ، كما بلغنا ، عن بنات دون ذكور •

ولما بلغت رابعة السنوات في عمري اخذ الوالد بيدي الى المؤدب في المكتب بجامع البلد (أوالا) ، وهو يومئذ الفقيه البركة ، ذو الخط البارع • المرابط السيد أحمد بن محمد بن "محمد بن عبدالرحمان بن احمد بن عبد العزيز بن الولي الحسن بن عبدالله وأحمد بن محمد هذا هو الامام ، من بني عبدالرحمان البوزيدي الكرسيفي ، وسياتي ذكره عند التعرض ، لذكر أشياخنا رحمهم الله ، ومع الوالد الحذاقة (٣) كما هي العادة ، ابتدأت الحروف الهجائية ، وتعلمتها منه في اسرع زمان ، فما لبث ان توفي رحمه الله عام ١٣٠٩هـ ، وجاء ابن أخيه المرابط السيد محمد بن الحسن بن محمد ابن احمد بن عبدالرحمان المتوفى عام ١٣٥٣هـ الى المكتب ، وتعلمت منه بقية الهجاء والخط الى ان وصلت الى حزب (عم) ، فخلفه المرابط السيد الطيب بن محمد بن بلقاسم من بني الحاج الغازي الكرسيفي المتوفى عام ١٣٥٧هـ • فاشتغلت عليه بالتعلم ، الى ان وصلت في الحزب الثامن قوله تعالى : (أتواصوا به ، بل هم قوم طاغون) • وكنت أكره في لوحي ، اذا برجل دخل على المؤدب بحضرة المقدس الوالد ، فأخبره بورود خبر وفاة السلطان مولاي الحسن •

---

١) لعله يقصد بعضه فان بعض جيران المترجم انكر هذا • والحافظات القرءان اذذاك مشهورات يتحدث بهن او لاندري نحن في الموضوع شيئا

٢) فقد أشبع الكلام حول هذه الجعفرية المنسوبة لهذا السيد في ترجمته في (القسم الاول) من هذا الكتاب

٣) يعني مايقدم الى الأستاذ من والد تلميذ جديد عندما ياتي به الى التعلم فانه ياتي اما بدراهم اوطعام او هدية أخرى

وقيام المولى عبد العزيز مقامه ، على صغر سنه ، فى ذى الحجة عام ١٣١١هـ فرايت على وجه الوالد تغيرا كثيرا ، فقال له المؤدب مالى اراك متغيرا ، وليست لك علاقة بهؤلاء العلويين فقال له الوالد لاتقل ذلك ، فان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ليس منا من بات ولم يهمه امر المسلمين او ماهذا معناه ، فانى تغيرت لذهاب العلاج ومجىء الفساد لصغر الامير المنصوب ، وهو اصغر من ولدى هذا ، وأشار رحمه الله الى بيده ، ومازالت تلك الاشارة المقصودة على تلك الجلالة المرحومة نصب عينى ، نعم ، وقد زلزلت (١) الارض حتى تحركت الديار ، واندقت الابواب والطيقان ، قبل هذا بايام قليلة ، ثم جاءت الاخبار بوفاة السلطان المذكور فى ذلك اليوم الذى وقعت فيه الزلزلة ، وكنت وأنا صبى مميز بين أعمامى المرحومين تحت شجرة الخروب بالموضع المسمى بابى الفيران (بويغردابن) وفيهم الوالد ، مع جماعة من أهل البلد ، والكل شاكى السلاح لشدة الخوف الاتى ذكره قريبا ، فاذا ببعض أهل الافاق ، خالط الجماعة ، فسالوه فاخبرهم بموت السلطان فى اليوم الفلاني ، فاسترجعت الجماعة لموته • وتوجعت له ، ثم اخبرهم بمبايعة ولده عبد العزيز المومإ اليه ءانفا ، وله من العمر ١٣ سنة ، وبويع والده المولى الحسن المذكور نحو عام ١٢٩٠هـ

ولنرجع الى مانحن بصدده ، ثم غادر الاستاذ المذكور المسجد ، فخلفه الولى الصالح المرابط السيد "محمد – فتحا – بن بلقاسم البركراكى المذكور، المتوفى عام ١٣٥٩هـ المشير على الوالد بما تقدم من تقديم الذبيحة للولى سيدى يعقوب ، وتسميتى محمدا وغير ذلك ، فختمت عليه القرءان الختمة الاولى ، وحفظته عليه فيها حفظا جيدا • ولهذا الشيخ اعتناء عظيم بتربيتى وتعليمى بأنواع السياسة لطافة وحيلة وقهرا ، وغير ذلك مما يستدر به افهامى • وقاسى فى مقابلتى ليلا ونهارا ما هوسبب لرفعة قدرى ومقامى ، جزاه الله عنى أحسن الجزاء ، ومتعه بالامن والامان فى دار التهانى والهناء

ءامين ءامين لا ارضى بواحدة   حتى أضيف اليها الف ءامينا

ولما ختمت القرءان العظيم بعث الوالد كما هى العادة عند أغنياء البلاد السوسية ، الى ذوى الفضل من أهل العلم والطلبة ، والمرابطين والفقراء والمساكين ، فذبح الذبائح • وأسبغ على الجميع ما غمرهم من أنواع الاكرام وسجال الانعام ، وختم الناس ختمات كثيرة لاشتغالهم بقراءة القرءان ليلا ونهارا فى ظرف ثلاثة أيام

وان كتاب الله أوثق شافع   وأغنى غناء واهبا متفضلا
وخير جليس لا يمل حديثه   وترداده يزداد فيه تجملا

١) زلزلة الارض سنة ١٣١١ هـ

وشهد لى الوالد المقدس مع اخوتى الذكور بالوصية بثلث ماله ، حيثما كان عقارا وغيره ، على العلامة الصوفى المرابط السيد محمد بن على بن محمد بن ابى الحاج الغازى الجرسيفى ، وعلى عمه شيخنا الفقيه السيد الطيب بن محمد الاتى اسمه ، وكتباها بخط يدهما بحضورهما هذا المشهد العظيم ، رجاء منه رضى الله عنه ثواب كتاب الله الجزيل وبركته حقق الله الرجاء وجعله فى سلك المنعم عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين فانفض الناس وانصرفوا شاكرين ، فرحين مسرورين ماجورين ، وبكل خير الدنيوى والاخروى ءايبين غير خائبين

واعلم ان من عوائد المغرب فيما ادركنا وشاهدنا خصوصا عادة سوسنا السوسى ، ان الاعراس والختمات القرءانية فى الافراح والاحتفالات عندهم سواء ، بحيث يستعدون اذا بقى للتلميذ خمسة احزاب للختمة ، ومن كل نوع من انواع الخيرات ، وأسباب النشاط والفرح ، يستمدون ، ويراسلون اقاربهم واحبابهم • ومعاريفهم وارحامهم دانيها وقاصيها ، فى سهول بلادهم [illegible]ـها ، ليكونوا على استعداد تام ليوم اتمام والختام ، وذلك موعدهم فهو يوم الزينة ، وان يحشر الناس ضحى ، وعند وصوله ، وختامه تراهم من كل حدب ينسلون فرحا ومرحا •

ترى الناس افواجا الى ضوء ناره   فمنهم قيام حولها وقعود

مع استشعارهم واستحضارهم لتمام الخشوع والخضوع لكلام رب العالمين ، واحتسابهم من خطواتهم التى خطوها من بعد الشقة وطول المشقة وتمام الفدافد حرارة وبرودة ، شعثا غبرا ، أجرا وعملا صالحا ، ونعم اجر العاملين • وتراهم يتساءلون فيما بينهم متى تمام الختام والانفضاض من تلك الحضرة القرءانية الختمية المباركة الربانية ، فيهنئون من حضرها بكل خير ويدعون له حصول الثواب والاجر ، كأنما رجع من حج مبرور ، كما أنهم ينظرون الى عادم حضورها بحرمان كثير ، وانه فى غفلة ساه فى ترهات الغرور والسنتهم تتلوفيه قوله تعالى : (ومن يعرض عن ذكر الرحمان نسلكه عذابا صعدا) وان الشيطان يلعب به ، ويدرس به مع البهائم حيث له فيه جرين • الى ان يفترسه مثل الاسد الضارى فى فلوات له فيها عرين (ومن يعش عن ذكر الرحمان نقيض له شيطانا فهو له قرين) ثم جعلت تلك النواميس القرءانية وتلك العادات الحرمات الشعائرية تنحط شيئا فشيئا من حين وفاة الملك المولى الحسن بن محمد المذكور الى هلم جرا ، وصار التلميذ بعد ذلك يختم القرءان فى بيته ، ولايشعر به من هو معه فيها ، الى اعوام السلطان المولى عبد الحفيظ عام ١٣٣٠هـ فلايشعر به الامن فى البلدة التى هو فيها الى أعوام الثلاثين من هذا القرن الرابع عشر أيام السلطان المولى يوسف بن الحسن ، فعمت العوائد الخارجية اقطار سوس ، بعدما وقعت حروب كحروب البسوس ، فاستولت

العوائد الافرنجية بكثرة الامتزاجات والخلطة على ابناء سوس الذين انتشروا كما انتشرت تجارتهم فى المغارب الثلاثة ، بل الى اوربة واميريكة فاكتسبوا شتى العوائد ، فطمت على العوائد القديمة ، كالسيل الجارف ، فقضت على بقيتها • وانقضت أنواع التعظيمات وصارت شعائر الدين نسيا منسيا كسائر الاقاليم •

فكان ما كان مما لست أذكره   فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

(تنبيه) كان التلميذ فى ذلك العهد اذا ختم القرءان فى المرة الاولى بالسوس الاقصى يلحظ بعين التعظيم فى جميع قبيله وغيره وسائر ابناء جنسه ، فيعلقون عليه ءامالا كثيرة • ويرجون مستقبله ، فترى فيه روح التعظيم ، فيتكلف أنواع الاخلاق الحميدة من لطف وتواضع وحياء وصمت عما لايعنى، وجدواجتهاد فى اكتساب المعارف والزيادة منها وفيها • وتدب فيه نخوة علمية يتعالى معها عن سفاسف الامور ، حتى تبلغ به تلك الاخلاق المحمودة الىذروة المجد، وترنو اليه العامة باعين الكمال • فيعرف ذلك هو أيضا فى نفسه ، وتتكيف منه الهمم العالية ، الى ان تؤديه الى الاشتغال بالعلوم المتنوعة ، فيحصل فيها اوفر نصيب • ويضرب منها بسهم مصيب ، فعندئذ يحصل عندهم الشموخ ، لبلوغه لديهم درجة الرسوخ ، فيغمرهم من هيبته ما يحملهم على الخضوع له قلبا وقالبا ، غيبة وحضورا ، فلا يكاد احد منهم يتكلم فى ناديه الا باذنه ، اوفى محفله الا بامره ، وصار مستشارا لايقطعون امرا دونه ، فيرجعون اليه فى جميع مهماتهم تبركا برايه واشارته ، فاذا نهاهم انتهوا ، واذاأمرهم ائتمروا • ومتى زجرهم انزجروا ، فلا يانفون من كلامه ولايستنكفون من ملامه ، فاذا حضر فالخير كله لديهم حاضر ، ومتى رأوه ولو من بعيد قامواإجلالاله • كما تقوم للمؤدب المحاضر (١) واذا تسوق أسواقهم أوحضر مواسمهم صاروا يهتفون به ، ويتباشرون فيما بينهم • وتراهم من كل حدب ينسلون الى حضرته تحت ظلال بعض الاشجار ، او الديار المجاورة للموسم او السوق • لانه لايدخل مع العامة فىزحام ذلك ، محافظة على كرامته ونزاهة عن ضجتهم ولغوهم ، فترى الناس افواجا يذهبون لزيارته وللاقتباس منه ، ويتحاكمون اليه فيما شجر بينهم ، واذا حكم بين الخصمين نفذ حكمه فتلك الفتوى بمنزلة الحكم عندهم ، لان العوام بمجلسه كثيرون ، فاذا استفتى التفتوا اليه ،واذا نبست ببنت شفتيه ولو بكلمة واحدة ، وقعت منهم موقعا عميقا فى القلوب ، فلايخالفها المحكوم عليه • ولولم يقل له سوى اذهب فليس لكحق ، فانه يسكت فلا يراجعه ، فاذا راجعه يعده الناس غير منقاد للشريعة المحمدية ، وربما ان الح فى ذلك يصدر له من جهتهم ما يسوؤه من ضرباوجرح

١) اى التلاميذ على لسان السوسيين

اوان خالف فانه ربما ينكل به ، ولوقال لهم العالم المستفتى اقتلوه لفعلوا بلا توقف ، لان أمره عندهم ممتثل، لما وقر فى أذهانهم من ان العلماء ورثة الانبياء (١)

هكذا كانت نواميس العلماء من زمن بنى تاشفين فى القرن الخامس الى القرن الرابع عشر تقريبا ، فلا يبالون فى أحكام الله وأوامره لسلطة سلطان ، ولالشوكة ظالم غاشم شيطان ، فاحرى من دونهم ، بل هم بالعلم ائمةالخاصة والعامة ، أرباب الاحكام والسيوف والاقلام ، وقد سمعت من التاريخ وهو شاهد عدل ما ينبئك عنهم ، (ولا ينبئك مثل خبير) مما بلغ اعلى رتبة من نفوذهم ، ويكفيك الشيخ الامام العالم الولى سيدى عبد الله بن ياسين المعافرى (٢) التامانارتى السوسى رئيس دولة لمتونة ومؤسسها ومهديها • التى بلغت فى المغارب الثلاثة والاندلس الى اطراف باريز (٣) ما يشهد لما ذكرنا ، وكذلك محمد بن تومارت الهرغى السوسى ، مهدى دولة الموحدين • الناسخة للدولة المرابطية والتى بلغت أيضا ما بلغت أختها فى القرنين السادس والسابع ، وأصحاب الدولة السعدية الشريفة التى قامت بالجهاد لنفى رجس استعمار البرتغال فى المغرب فى القرن العاشر ، وغير ذلك من العلماء الذين يثورون خلال تلك العصور على تلك الدول ، بمالهم من النفوذ العلمى ، وءاخرهم هو الشيخ احمد الهيبة ابن الشيخ ماء العينين ، الى ان ظهر على نفوذهم عباب الاحتلال الفرنسى فى أواسط هذا القرن الرابع عشر ، فانقرض قريبا من الاحتلال الواقع فى جبال سوس عام ١٣٥٢هـ من أكابر دهاتهم علما وعملا ونفوذا ، ماينيف عن عشرين ممن تحدثه نفسه بالقيام بالامر لاستحقاقه ، لولاقوة الحماية الفرنسية التى أخذت بمخانق الارض فى الجو والوعر والسهل والبر والبحر ، على أنهم جالدوا عساكر الحماية ازيد من عشرين سنة الى ان ماتوا فى حدودالاربعين بعد الثلاثمائة وألف ، ومن دهاتهم علما وعملا ونفوذا الفقيه العلامة ، الصارم القاطع اللابس من الفضل والورع أفضل لامة ، سيدى على بن عبدالله بن صالح الالغى ، فان نفوذه سار فى جميع القبائل السوسية من جبل (الكست) الى أيت باعمران الى طرفاية من جهة البحر ، الى اقة من جهة القبلة ، بحيث اذا راب ريب العدو المعاند ، ونادى مناديه فى اسواق القبائل بالجهاد لايتخلف احد عن اغاثته ، ولايتقاعد قاعد ، او يتكاسل كسلان

١) هذا هو الغالب ، والا فهناك لائحة علماء فتك بهم المحكوم عليهم • او هددوهم بالقتل ، وعندنا فى هذا حكايات يجدها الانسان متفرقة فى هذا الكتاب • كأحمد الايفيرى التامانارتى • ومحمد بن الحسن الجشتيمى

٢) هذه النسبة فى عهدة المترجم والا فقد وقفت على نسب يلتحق بالسملاليين والله أعلم

٣) أوقال الى اطراف مدريد (مجريط) لقارب • والا فاين باريز مما وصله المرابطون فى الاندلس

عن اجابته (١) ومنهم الفقيه العلامة المرابط الخير بل الشريف سيدى الحاج عابد (عبد الرحمان) بن عبدالله بن عمر التيفيراسيني القائم بمبايعة الشيخ أحمد الهيبة ابن الشيخ ماء العينين عام ١٣٣٠هـ فانه اكثرهم نفوذا فى سهول هشتوكة وجبالها ، الى (حصن المنكب) (تعريب اكادير ايغير) الى حد هيلانة (ايلالن) من جهة القبلة ، ومن اعظم نفوذه انه اذا وقعت الفتنة بين قائدوقائد، اوبين قبيلة وجارتها ، لايجد كبير مشقة فى اصلاح ذات بينهما ، بل يبعث مع بعض أصحابه بكتاب ، او يبعث بعض طلبته فقط ، فبمجرد قراءتهم له او بلوغ صاحبه ينكفون تخوفا من سطوته العلمية ، وهو رحمه الله كثيرالاصلاح لذات البين الى أن توفى رحمه اللهفى شوال عام ١٣٥٠هـ (٢) ومنهم العالم العلامة المنقولى المعقولى الاصولى أبو عبد الله السيد المحفوظ الادوزى ، فانه قائم بشئون الجبال الجزولية الى ان توفى فى ذى الحجة عام ١٣٥١هـ (٣) وغيرهم ممن لم أذكرهم ممن لهم نفوذ فى قبائل متعددة او قبيلة واحدة ، وسأذكر الجميع فى مؤلف خاص ان سامح الدهر الخئون بجمعه (٤)

ولنرجع الى مانحن ، ولما اتممت الختمة الاولى على المرابط السيد محمد ابن بلقاسم المذكور ، خلفه الفقيه المرابط السيد عبد الرحمان بن محمد من بنى اكرام البوزيدى الاسكاورى المتوفى عام ١٣٣٢هـ غير أنه لم تطل مدته ولم يقم معى غير أشهر ، ثم خلفه الفقيه الاديب العاقل الاريب الصوفى التقى النقى المرابط أبو عبد الله سيدنا محمد بن أحمد بن محمد اشتهر بابن السلطان البوزيدى الاسكاورى المتوفى عام ١٣٢٣هـ فعليه تادبت وتخرجت ومنه اقتبست أفكارا شتى واخلاقا دمثة ، لكونه جال فى الدنيا لاسيما الغرب فاخذ عن قرائه ، وله خبرة تامة بالقراءات ، وعلوم الرسم والخط والتجويد وقد قرأت عليه قراءة نافع ، مع رسومها وحدودهاوتجويدها واتقانها اتقانا كليا الى النهاية ، من حذف واثبات ، وامالة بنوعيها ، وتفخيم وترقيق • وغنة وروم واشمام • بحسب معرفتها الوقتية • وادغام بنوعيه • وكيفية مخارج الحروف وأنواعها وضوابطها نظما ونثرا ، وقرأت عليه قراءة قالون ختمة واحدة مفردة ، ثم قراءة عبدالله بن كثير كذلك ، مع نصوصها واختبارها وحفظت عليه غالب المتون العلمية مثل ابن عاشر • والجرومية ومنظومة الزواوى ولامية الافعال ولامية المجرادى ، ولامية الزقاق ، وتحفة الحكام لابن عاصم • واكثر القصائد الادبية ، مثل لامية ابن الوردى ، ولامية الشنفرى ولامية الطغرائى ، ولامية السموأل • وغير ذلك مما لم نذكره من القصائد

١) اقد رأيت ذلك بتفصيل فى ترجمته فى (القسم الاول)

٢) ستري ترجمته الواسعة فى (القسم الرابع) ان شاء الله

٣) ستري ترجمته مستوفاة فى (القسم الثالث) ان شاء الله

٤) ها نحن اولاء نقوم عن المترجم بما لم يتيسر له ان يقوم به • فهل يكون هنالك آخرون يستتمون أيضا ما ابتدأناه ولم يتيسر لنا اتمامه ؟

والحاصل أن لهذا الشيخ رحمه الله له بجانبى اعتناء كبير ، وللوالد المقدس به أيضا اعتناء عظيم فيما يعوزه من أمور ضرورياته ، اللازمة لداره وأولاده ، الى أن توفى الوالد عام ١٣٣٠هـ فارتحلت الى هشتوكة عام ١٣٣١هـ

واعلم أننى لما وصلت الحزب الثامن (قال فما خطبكم) ابتدأت كماأشرنا الى ذلك فيما تقدم على المرابط سيدى محمد بن بلقاسم المذكور ، وختمت عليه القرءان كله كما ذكرت ، حفظته كله حفظا جيدا لكثرة اعتنائه أيضا بنا • بخلاف من تقدم من ءال (كرسيفة) فانهم كعادتهم مع غيرهم من القبائل لايبالون ولايعتنون بالمتعلمين ، مخافة من نجاحهم ، ومزاحمتهم فى الرئاسة القرءانية والعلمية ، لانهم يتواصون على تهييج غيرهم من القبائل • ليستاثروا باخذ الزكوات والاعشار ، والعدالة والقضاء • والمشارطة فى المكاتب ، واستخدام العامة بأنواع الوسائل بالتدجيل والتلبيس عليهم ، وكم من قبيلة بالسوس الأقصى لاسيما جبال جزولة وحواليها موسومة بالشرف الصحيح لعمودها الواضح وضوح الغزالة فى ضحاها ، فيعمدون الى زعامات معروفة من عندهم وتقولات اخترعوها ، وخرافات ابتدعوها ، فيضعون بها ذلك النسب الشريف ويزيلون بهاذلك الظل الوريف ، ليبقى لهم ناموسهم العثمانى الاموى محفوظا وبعين الاجلال من العوام ملحوظا (٢) فكم من بطن من بطون قريش من بكرى وعمرى وعلوى ، وهم اكثر ، وجعفرى وغيرهم ممن التجأ الى تلك الجبال هاربا ، وتوغل فى قننها العالية عن حريته مدافعا ومحاربا • لاسيما أولاد المولى ادريس بن ادريس بن عبد الله لما تغلب عليهم بنو العافية من زناتة فى القرن الرابع الهجرى وتشتتوا فى كل وجه ، منكرين لذلك النسب الشريف حقنا لدمائهم ، فتسرب جمهورهم الى جبال جزولة (ولتيتة) و (مانوزة) الى بلاد القبلة من جهة القبلة ، والى هيلانة — ايلالن — الى جبال درن من جهة الشمال، ومثلهم أيضا الاشراف السعديون اوائل القرن الحادى عشر ، وقد وقعت بينهم الفتنة فشمتت بعضهم بعضا ، الى ان قضت على بقيتهم الباقية عاصفة الشبانات ، وهبت ريحها العاصف من عبد الكريم المسمى كروم على اولاد محمد الشيخ منهم ، فاستأصل بقيتهم ، وهرب باقيهم الى سوس ، لجهة صحرائها • واكثروا من التنقلات فى تلك الرمال ، والانتجاعات الى تلك الجبال واكثرهم بنواحى درعة ، وانفصلت منهم طائفة قليلة الى (مانوزة) ايام المولى اسماعيل بن الشريف فى حدود التسعين بعد الالف الهجرى ، وهم

١) مراكش فما وراءها عند السوسيين

٢) قد يكون فى السادة الكرسيفيين بعض يتصف بهذا ، ولكن الاكثر — وهو المعتبر — خال من هذا الوصف ، ولاتزر وازرة وزر أخرى

أشهر من (قفا) (١) وسنعرض لذكرهم ان شاء الله (٢) وممن التجا الى الناحية السوسية أيضا ، طائفة من العلويين أيام المولى اسماعيل وابنه عبد الله وابنه محمد الى هلم جرا ، فانهم مع ماهم عليه من الملك الحاضر يهرب بعضهم من بعض ، وينتجعون الى السوس أيضا من غير خوف ولافتنة بينهم ، وهم أيضا أشهر من نار على علم (٣) والله عليم بذات الصدور ، وقد تذكرت وانا صغير في ابان حفظي للقرءان وفي لوحي انواع من النصوص الرسمية ان دخل على بعض الكرسيفيين المذكورين ممن يشار اليهم بالصلاح ، وهم ثلاثة فقال أحدهم ان هذا التلميذ سيصير عالما كبيرا ، فقال له الاخران ان هذا والله سيصير شوكة في طريقنا ، وقذى في احداقنا وغصة في حلوقنا ، فكنت بعد ذلك لهم كذلك ، الى ان انقرض ذلك الجيل معنا في الصدق والمحبة

ولنرجع الى مانحن بصدده ، فانه طال بنا في غيره الكلام ، وجمحت بنا في ميدان الاستطراد الاقلام ، فنقول : لما حفظت القرءان الكريم من اول مرة أمر الوالد المقدس رحمه الله المؤدب العظيم الفقيه السيد محمد بن أحمد المعروف بابن السلطان المذكور ، أن يقابلني بكليته ليل نهار في عرض القرءان وعين لي عرض عشرين حزبا ليلا ، ومثلها نهارا ، وربما عرضت عليه ختمة كاملة بين الليل والنهار ان لم يكن مانع اوعائق يعوقه ، اوالى بعض الضروريات سائق يسوقه ، فما أتممت الختمة الثانية حتى ارتسم القرءان كالنقش في الحجر في قلبي ، من غير مشقة ولا ضرب منه ، ولاكبير جفاء رحمه الله ، وان انصدر منه بعض ذلك فلاباس به كما قال الامام الشافعي رضي الله عنه :

تصبر على مر الجفا من معلم   فان رسوخ العلم في جفواته
ومن لم يذق ذل التعلم ساعة   تجرع كاس الجهل طول حياته
ومن فاته التعليم حال شبابه   فكبر عليه اربعا لوفاته
حياة الفتى ، والله بالعلم والتقى   اذا لم يكونا لاعتبار لذاته

---

١) يريد بكلمة (قفا) معلقة امرىء القيس المعروفة ، يقولون اشهر من (قفا) لاشتهارها في الادب العربي حتى عند المبتدئين

٢) الى هؤلاء السعديين الذين يذكر المؤلف انهم التجأوا الى (أمانوز) ينتسب والانسان أعرف بنسبه ، وكم سمعنا من أنكار لذلك ، وليس عندنا الان ما نقوله لا اثباتا ولا نفيا

٣) لأعرف من العلويين الفلاليين في سوس الا الذين في (اولوز) وهم السعيديون ، وبعض البلغيثيين في رودانة واقة ، والمحمديين فيهما أيضا ، وهم أخوة السعيديين ، والعبلاويين في أقة • وقاضي مراكش مولاى احمد السعيدى • وقاضي رودانة اليوم مولاى سعيد من السعيديين منهم

ولبعضهم :

ارانى انسى ما تعلمت في الكبر   ولست بناس ما تعلمت في الصغر
وما العلم الا بالتعلم في الصغر   وما الحلم الا بالتحلم في الكبر

* * *

(فصل) في ذكر الحوادث الملمة في البلد مسقط الراس في تلك السنين من سنة ١٣٠٦هـ التي ولدنا فيها الى سنة ١٣٢٠هـ فنقول :

في سنة ١٣٠٦هـ وقعت الفتنة بين اهل البلد وبين جيرانهم ابناء ابراهيم ابن داود بعدما انطفات نيرانها مدة ما ينيف على خمسين سنة ، وان كان خلال تلك السنين أيضا بعض المناوشات والمقاتلات التي يطول بنا استقصاؤها لمنافاتها لهذا المقام ، وسنعرض لها ان شاء الله في مجموع غير هذا ، الى ان بغى ابناء ابراهيم بن داود المذكورون وطغوا ، وعلى أهل (اوالا) بغوا ، وقد اثروا واكثروا واستطالوا حتى على أهل القبيلة مع اشتداد شوكتها ، وامتداد يدها على سائر القبائل المجاورة وبسطتها ، وهم في الاصل ليسوا بقدماء في قبيلة (امانوز) وانما هم دخلاء فيها في حدود العشرين بعد المائتين والالف ايام السلطان المولى سليمان العلوى ، ولدخولهم وكيفيته الى بلاد (تامضرت) بلاد الشيوخ المطلق عليهم اسم (ايفولوسن) اى (الديوك) الذين يحكمون سائر تلك القبائل من القرن العاشر الى اخر القرن الثانى عشر اخبار تطول ، وهؤلاء الدخلاء من عرب ذوى بلال (اداوبلال) انتجعوا بانعامهم ومواشيهم الى ان وصلوا ظاهر (تاسريرت) ولما تكاثروا تحالفوا مع أبناء عيسى بن ابراهيم ابن داود ، فسموا بهم ، وأطلق عليهم اسمهم ، وليسوا من اولاد عيسى كما هو معلوم • بل هم من أولاد (واعبلا) البلالى ، ثم لما كثروا نزلوا (تانضرت) بلاد الشيوخ المذكورين ، وخالطوهم بانواع الخدمة الى ان ضعفت شوكة الشيوخ لاسيما أيام وقوع وباء عام ١٢١٤ الذى اخلى البلاد من العباد ثم انعطف عليه وباء عام ١٢٢٠هـ فانقرض الشيوخ ولم يبق منهم غير عشرة بين رجال ونساء فاقل ، فثار عليهم هؤلاء الدخلاء فقتلوهم عن اخرهم ، ولم يفلت منهم غير قليل لقرابته من بعضهم ، وهربوا الى بنى الطالب باياى بوادى (تيملت) ولازالوا هنالك ، ثم انتشر داؤهم ، وبطروا واستكثروا من الخيل ، وانواع السلاح فتحالفوا مع بنى عيسى ، وبنى الربع ، من صميم قبيلة (مانوزة) ليشدوا بهما ازرهم ، وافترقت القبيلة فرقتين : فرقتى بنى موسى بن عيسى ، وهما ايت عبد المنعم وايت على وايت مسعود ، وفرقتى أبناء الربع اهل (اوالا) وما والاهم من ابناء الربع وايت ابراهيم بن داود من ابناء عيسى ، ووقعت بينهم الفتن الطويلة ، من ايام السلطان محمد بن عبدالله اوائل المائة الثالثة عشر الى عام ١٢٦٣هـ فوقعت الفتنة بين الارباع من بينهم ايضا ، وافترق ايت ابراهيم

ابن داود مع حلفائهم بني الربع فوقعت بينهم حروب وفتن فمات من الفريقين عدد لا يستهان به ، وكانت العلماء والاشراف والمرابطون يتوسطون بينهم للصلح كثيرا ، فينقادون له تارة وتارة فلا الى عام ١٣٠٦هـ المشار اليها فقتل بنو (أوالا) على أهل (تالكانونت) من أبناء (واعبلا) أيت ابراهيم بن داود المذكورين في هذه السنة ، واستنفروا عليهم أبناء مسعود ورئيسهم (واعزيز) فقتلوا منهم من كبارهم محمدا بن كتوش واخاه الخطير وزوجته لكونها تدافع واسروا ولد الاول بلقاسم بن محمد ، واستنقذه منهم المقدس والدنا السيد أحمد بن علي ، بعد أن هددهم بالقتل ، فأطلقوه • فهجم أبناء (ءاوالا) ومن معهم على بلدهم المذكور (تالكانونت) ونهبوا مافيها ، فجالدهم عدوهم أيت داود في عدد كثير وفي شجاعة وبسالة ، فاختلطوا ورجعوا الى بلدتهم بعدما احتلها بنو (ءاوالا) فلما دخلوا حصنوها ، وضربوا الحصار على بلد (ءاوالا) مثل النطاق سنة كاملة ، وهدموا ديار بومازير ، وديار بني سعيد ، وديار بني الرامي • وديار بني ابراهيم بن علي بأعلى (ءاوالا) حتى لم يبق غير البلد الكبير (ءاوالا) وانحشر اليه الناس المهدومة ديارهم المذكورون ، فانحصروا فيه يدافعون ، واستعان عليهم أيت داود أبناء (واعبلا) المذكورون بقبيلة (مانوزة) كتناء وتهالة وغشانة فأقام الحصار مضروبا عليهم سنة كاملة ، ثم دخل العقلاء بينهم للصلح ، على أن تكون لهم (تالكانونت) اخوانهم ، ودام هذا الصلح على دخل ، لكونه هدنة على دخن • مع تخوف كل فريق من الاخر ، اما أبناء (ءاوالا) لقلتهم وبعد بلدانهم بعضهم من بعض ، فلا يخرجون لقضاء اغراضهم الا في جوف ليل ، او بخفارة بعض من له شوكة في القبيلة ، لكون حلفائهم أبناء الربع وهم اوكضيشت ووادي امزاور وامكنسن وتاغرارط • منتبذين عنهم لبعد الشقة ، وعدوهم أبناء داود معهم في واد واحد ، وبلد واحد ، بمركز واحد • وكثرة عددهم واجتماعهم بادني صيحة ، ولولا مزيد جرأة وشجاعة وبسالة ، وصبر عظيم ، واتحاد الكلمة • والديانة المتينة في أبناء (ءاوالا) لانقصمت عراهم ، وغلبت عليهم أعداؤهم • والله ينصر من يشاء (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) ، وكثيرا مايتحفز العدو للوثبة على أبناء (ءاوالا) خلال هذه الهدنة ليستأصل جرثومتها ، لكونها قذى في عينه ، ولكن لملازمة أهلها حمايتها ، بحيث لايخرجون ولو الى الاسواق ، وقضاء المآرب والضروريات من بيع وشراء وحرث وحصاد وغير ذلك ، لم يجدوا اليها سبيلا

ولماكانت سنة ١٣١٢هـ بعد انسلاخ صفر منها ، ووفاة السلطان المولى الحسن بن محمد بنحو ثلاثة اشهر ، ثارت تلك الفتنة أيضا ، وسببها ان العدو أبناء (واعبلا) أيت داود المذكورون تمالأوا على قتل رؤساء (ءاوالا) فدسوا من يقتل أولا الشجاع البطل المشهور عبدالله بن علي بالوش ، بهذا (اللقب) يعرف من بني ابن همو ، وذلك انه بعث اليه رئيس العدو ، وهو علي بن عدي من بني

الحاج يوسف للاجتماع به ، بجوار الولي الشيخ سيدي محمد بن بلقاسم بن ابراهيم الفرموزي بجانب كدية اوريز فوق المرج للزيادة في الصلح والهناء فذهب اليه بعدما نهاه من كان حاضرا من رجال البلد : الفقير بلقسم بن عبدالله من بني الرامي وغيره ممن لم يذهب الى الحصاد ، اذ الوقت وقته ، وانتشر الناس في جمع الزروع وضمها ، فلم يبق بالبلد الاحاميته ، فغلب وخالف امر من نهاه ، فذهب منبعثا للاجتماع به في الموضع المذكور ، فوجده جالسا متهيئا بالسلهام الاسود (الدائرة) (١) مستعدا بطلوع زناد بندقيته لضربه في وصله ، وقد اخفى مكان الزناد ، فلما دنا اليه عبد الله المذكور ، وبينهما قيد قامتين ، سلم عليه فرد عليه السلام ، ثم رأى عبدالله يبرز بندقيته ويستخرجها من غمدها ليحكها مما عسى ان يصيبها من الغبار ، على العادة في ذلك الوقت ، فمن جلس بلا شغل يشتغل بتصقيلها ، فما استخرجها حتى وثب عليه ذلك الغادر علي بن عدي ، وسدد نحوه بندقيته ، ليطلقها عليه ولكن علي بن عبدالله لقوة جاشه وشجاعته وخفته ، وشدة بطشه أيضا ، تلقاه بوثبة اقوى واخف من وثبته ، فتلقف البندقية من يديه ، فخرجت الرصاصة الى الارض ، فلم تصبه بادنى سوء • ورمى علي بمكحلته هو على الارض ، وتصارما وتعانقا ، وتطاحنا وتصارعا دون أن يستعملا الخناجر (الكميات) (٢) لان كلا منهما متقلد بكميته (خنجره) ولكن لشدة المصارعة والملاحمة بالملازة لم يتمكن احد منهما من استلال خنجره للمقاتلة ، مخافة الاخر ، فداما على المصارعة من اول النهار في الساعة الثامنة الى الساعة الثانية عشرة ، ومبدأ القتال كما ذكرنا كان في الطريق الملتصقة بأوريز ، الى أن وصلا الى الوادي ، وذلك بمقدار مسافة كيلومترين ، فلم يرهما أحد ، ولم يطلع على مصادمتهما غير الله تبارك وتعالى ، وفي أثناء المصارعة اعترضهما سد عظيم عال ، فتهافتا ساقطين تلك الهاوية بهما ، فما وصلا الى الارض تحته الا وعبد الله بن علي تحت علي ابن عدي الغادر ، لكون هذا طويلا طولا مفرطا ، ولكون عبدالله بن علي رجلا متوسط الربعة ، ولكن لخفته كما ذكرنا تمكن من استلال خنجر عدوه وهو تحته فأدخله في بطنه ، وأعاده ضربة بعد ضربة الى ان قتله وهو فوقه ، فانسل من تحته ، وضربه في جبهته ضربة اخرى ، فانكسر فيها الخنجر ، وتركه يتشحط في دمه ، فتابع اثارهما • يتطلب بندقيته الى ان بلغ الموضع الذي بدأت منه المصارعة فتناول بندقيته دون بندقية صاحبه ، تورعا منه رحمه الله عن اخذ سلاح غيره ، كما هي عادة اعاظم الرجال في ذلك الزمان ، كذلك رجع على الغادر غدره ، والباغي مصروع أبدا (ومن نكث فانما ينكث على نفسه) ، قال الامام علي كرم الله وجهه : مابارزت احدا الا غلبته ، فقيل له في ذلك ، فقال

(١) الدائرة : تطلق عند السوسيين على سلهام الملف الضارب سواده الى الزرقة ، او كان اسود غربيا

(٢) تسمى الخنجر الذي يتقلد به الى الكم لانه يكون تحت كم متقلده

لانهاول من يطلبني للبراز ، فاذا بدأني فهو الباغي والبادي اظلم ، اوماهذا معناه ، وله في ذلك رضي الله عنه حكايات وطالبه فارس العرب عمرو بن عبدود ، ومرحب الخيبرى ، وشيبة ، وربيعة والوليد • فبارزهم فغلبهم وقتلهم وجدلهم ، وتركهم عبرة للعرب والعجم ، اذ ليس لهم نظراء في العرب قوة وشجاعة وبسالة ، فصاروا امام هذا الامامالعظيم اضحوكة لجورهم وطغيانهم :

لله بين خلقه خاتم	تجرى المقادير على نقشه
اذا طغى الكبش بلحم الكلا	أدرج رأس الكبش في كرشه
اذا بغى المرء على جنسه	لابد ان ينكب في فرشه

ولما قضى عبد الله بن علي على غادره ، استبق الى ان طلع ذروة كدية تعرضت له تسمى (تيناورعم) (اى ذات الجمل)فاطلق منها طلقتين من بندقيته ، وتلك علامة اعتادتها قبائل سوس انذارا بالشر ، لياخذ الناس حذرهم من العدو ، وليجتمعوا لكونهم منتشرين كما تقدم في ضم الزروع ، فلما سمعالناس تلك الامارة المنذرة ، تسارع الناس مخفين الى البلد ، فانحشروا اليه بأجمعهم ، ملتفين على عبد الله المذكور يخبرهم بتفاصيل عمل الغادر • وكيفية المقاتلة لتمامها ، وأنا ممن حضر ، وكنت حينئذ عند المؤدب • فخرجت فيمن خرج للقاء القاتل ومقابلته ، وتلقى الخبر من فمه مشافهة ، فرأيت في جبهته عضة عضه بهاغريه • لما أحس بالموت تحته ، فسال الدم على جميع ذاته ، كانهشج فيها ، رحم الله الجميع ، فشاعت أخبار موته في جميعالقبائل المجاورة • لانه ممن ذاع فيها خبر بطشه ، وسرى فيها نفوذ سلطته بما لهمن العصبية القوية ، فهز قتله جميع نواحي سوس ، فطن في الآذان من الجميع موته ، واعترف الناس لقاتله بشجاعة عظيمة • وشهامة كبيرة • ولما شاعت الاخبار عند العدو ، انقضوا انقضاض البزاة على الارانب ، وتسارعوا لحصار البلد ، مستعينين بطوائفهم الظالمة ، من آيت (فم الحصن) وأيت مسعود وايت علي وتاهالا • فاستنفروا الناس طوعا وكرها ، وجاءوا بقضهم وقضيضهم وخيلهم ورجلهم ، وأخذوا بمخنق البلد (ءاوالا) من جميع الجهات فلا يبدوعلى اسواره (١) كلب ولادجاج ولا بهيمة الا اطلقوا عليها الرصاص ، وحاصروا البلد سنة كاملة ، ولكن لوجوداهل الشجاعة واهل الاباية والبسالة فيالبلد غدا حصارهم هباء منثورا ، فلم يغن عنهم شيئا ، ولما اعيتهم الحيلة تمالأوا مع الحاج ابراهيم الايفشاني ، وكان له اذذاك نفوذ عظيم ، ووجاهة في جميع

١)يعنى جدران الديار ، لان البلد له سور فضلا عن أسوار • و (أوالا)قرية فقط من قرى البادية الصغيرة

القبائل (١) السوسية ومن عقلاء رجالها ، وجاء مع ...
سيدى على بن عبدالله الالغى ، فتطارحوا على اهل البلد ان يبذلوا مقدارا من المال يأخذه العدو ، ويفرج عن البلد ، فامتنع اهل البلد ، وقالوا لهم والله لانبذللهم دانقا واحدا • ويكون سبة وعارا ، ومذلة في حياتنا سائر الدهر فما زالوا بهم الى ان قبلوا ثمانين ريالا يأخذها الشيخ الحاج ابراهيم الايفشاني والفقيه السيد على المذكورين ، دون العدو فانبرم الصلح وانفرج العدو عن البلد ، منغير ان يمسهم أدنى سوء سائر السنة ، الاماأصابهم من أول الحصار منذهاب جميع غنمهم ، ونثار اللوز في ابانه ، وقد ذهب للوالد المقدس رحمه الله ، والمعمالفقيه السيد بلقاسم بن علي • والعم عبد الله بنعلى وللعم محمدبن على ، وللقاسم بن عبدالله من بني الرامي ، ولعبد الله بن علي بالوش القاتل المذكور من الغنم مايفوت الحصر ، لانه لما وقعت الواقعة وخاف الرعاة على أنفسهم ان أشتغلوا بسوقها الى البلد وهم يومئذ بالمرج المذكور ، وهم ينظرون الى المتقاتلين المذكورين عند المصارعة من بعيد ، ولكن لم يتفطنوا لذلك الشرير الىانفرغ القاتل من صاحبه واطلق العيارين من بندقيته كما تقدم ، فعندئذ هرب الرعاة منغير التفات منهم الى الغنم ، ولما استاقها العدو وحازها بعثوا بعض المرابطين الى الوالد المقدس ، يقولون له ان أردت غنمك أنت وأشقاؤك نبعثها اليكم ، فامتنع الوالد ولم يرض الا رجوع جميع غنم أهل البلد ، تطييبا وارضاء لخاطر الجميع ، ولما يعلم ان العدو انما فعله مكيدة وخديعة ، وتفريقا بين أهلالبلد رحمه الله ، بعدما راودته أنا على قبولها ، والاستعانة بها على الزمان والحصار ، او يقسمها على أهل البلد ، فذلك اولى من أن تذهب في منفعة العدو هباء منثورا ، فأبى وقال وازنت بين المصلحتين ، فترجح عندى تركها ، والسلامة من ألسنة اخوانى أهل البلد قلبا وقالبا ، مع مافيها من رفع الهمة ، والنخوة على العدو • فرحم الله تلك الهمم العالية ، ثم قاللى أنتشاب لمتجرب الامور ، اذهب الىلوحك ومكتبك ان شئت ، فلاتتزببقبل انتتحصرم ، فسكتت عنه بعدما رأيت لوائح الغضب على وجهه ، وأما نثار اللوز فانهم قد نثروا في تلك السنة في أنحاء البلد ، لاسيما فوق (جنان القصب) (وتلعة عبد الكريم) الى منكب (ءاوالا) الى (تلعة القدور) الى أعلى (ءاوالا) ما يزيد على الفقنطار ، وقد نثروا للوالد المقدس خاصة ازيد من اربعمائةقنطار من الحلو دون المر (٢) واما التمر فقد جذوا منه ما يفوت الحصر (٢) لكون العام مخصبا ، وكان لجميع الاشجارثمر ، واما الشعير فشيء يجلعنالحصر(٢)

١) يعنى التي تجاوره فقط ، وقد تقدم في هذا الجزء نفسه ترجمة الحاج ابراهيم هذا

٢) كذا بخط المترجم في الجميع

لانه اول من يطلبني للبراز ، فاذا بدأني فهو الباغي والبادي اظلم ، اوماهذا معناه ، وله في ذلك رضي الله عنه حكايات وطالبه فارس العرب عمرو بن عبدود ، ومرحب الخيبري ، وشيبة • وربيعة والوليد • فبارزهم فغلبهم وقتلهم وجدلهم ، وتركهم عبرة للعرب والعجم ، اذ ليس لهم نظراء في العرب قوة وشجاعة وبسالة ، فصاروا امام هذا الامام العظيم اضحوكة لجورهم وطغيانهم :

لله بين خلقه خاتم ... تجرى المقادير على نقشه
اذا طغى الكبش بلحم الكلا ... أدرج رأس الكبش في كرشه
اذا بغى المرء على جنسه ... لابد ان ينكب في فرشه

ولما قضى عبد الله بن علي على غادره ، استبق الى ان طلع ذروة كدية تعرضت له تسمى (تين اورعم) (اى ذات الجمل) فاطلق منها طلقتين من بندقيته ، وتلك علامة اعتادتها قبائل سوس انذارا بالشر ، لياخذ الناس حذرهم من العدو ، وليجتمعوا لكونهم منتشرين كما تقدم في ضم الزروع ، فلما سمع الناس تلك الامارة المنذرة ، تسارع الناس مخفين الى البلد ، فانحشروا اليه بأجمعهم ، ملتفين على عبد الله المذكور يخبرهم بتفاصيل عمل الغادر • وكيفية المقاتلة لتمامها ، وأنا ممن حضر ، وكنت حينئذ عند المؤدب • فخرجت فيمن خرج للقاء القاتل ومقابلته ، وتلقي الخبر من فمه مشافهة ، فرأيت في جبهته عضة عضه بهاغريمه • لما أحس بالموت تحته ، فسال الدم على جميع ذاته ، كانه شج فيها ، رحم الله الجميع ، فشاعت اخبار موته في جميع القبائل المجاورة • لانه ممن ذاع فيها خبر بطشه ، وسرى فيها نفوذ سلطته بما له من العصبية القوية ، فهز قتله جميع نواحي سوس ، فطن في الآذان من الجميع موته ، واعترف الناس لقاتله بشجاعة عظيمة • وشهامة كبيرة • ولما شاعت الاخبار عند العدو ، انقضوا انقضاض البزاة على الارانب ، وتسارعوا لحصار البلد ، مستعينين بطوائفهم الظالمة ، من أيت (فم الحصن) وأيت مسعود وايت على وتاهالا • فاستنفروا الناس طوعا وكرها ، وجاءوا بقضهم وقضيضهم وخيلهم ورجلهم ، وأخذوا بمخنق البلد (ءاوالا) من جميع الجهات فلا يبدو على اسواره (١) كلب ولادجاج ولا بهيمة الا اطلقوا عليها الرصاص ، وحاصروا البلد سنة كاملة ، ولكن لوجود اهل الشجاعة واهل الاباية والبسالة في البلد غدا حصارهم هباء منثورا ، فلم يغن عنهم شيئا ، ولما اعيتهم الحيلة تمالأوا مع الحاج ابراهيم الايفشاني ، وكان له اذذاك نفوذ عظيم ، ووجاهة في جميع

١) يعني جدران الديار ، لان البلد له سور فضلا عن أسوار • و (أوالا) قرية فقط من قرى البادية الصغيرة

القبائل (١) السوسية ومن علماء رجالها ، وجاء مع الفقيه العلامة الرابط سيدي علي بن عبدالله الالغي ، فتطارحوا على أهل البلد ان يبذلوا مقدارا من المال يأخذه العدو ، ويفرج عن البلد ، فامتنع اهل البلد ، وقالوا لهم والله لا نبذل لهم دانقا واحدا • ويكون سبة وعارا ، ومذلة في حياتنا سائر الدهر فما زالوا بهم الى ان قبلوا ثمانين ريالا يأخذها الشيخ الحاج ابراهيم الايفشاني والفقيه السيد علي المذكورين ، دون العدو فانبرم الصلح وانفرج العدو عن البلد ، من غير ان يمسهم أدنى سوء سائر السنة ، الا ما اصابهم من اول الحصار من ذهاب جميع غنمهم ، ونثار اللوز في ابانه ، وقد ذهب للوالد المقدس رحمه الله ، والعم الفقيه السيد بلقاسم بن علي • والعم عبد الله بن علي والعم محمد بن علي ، والقاسم بن عبدالله من بني الرامي ، ولعبد الله بن علي بالوش القاتل المذكور من الغنم مايفوت الحصر ، لانه لما وقعت الواقعة وخاف الرعاة على انفسهم ان اشتغلوا بسوقها الى البلد وهم يومئذ بالمرج المذكور ، وهم ينظرون الى المتقاتلين المذكورين عند المصارعة من بعيد ، ولكن لم يتفطنوا لذلك الشرير الى ان فرغ القاتل من صاحبه واطلق العيارين من بندقيته كما تقدم ، فعند ذلك هرب الرعاة من غير التفات منهم الى الغنم ، ولما استاقها العدو وحازها بعثوا بعض المرابطين الى الوالد المقدس ، يقولون له ان أردت غنمك انت واشقاؤك نبعثها اليكم ، فامتنع الوالد ولم يرض الا رجوع جميع غنم أهل البلد ، تطييبا وارضاء لخاطر الجميع ، ولما يعلم ان العدو انما فعله مكيدة وخديعة ، وتفريقا بين أهل البلد رحمه الله ، بعدما راودته أنا على قبولها ، والاستعانة بها على الزمان والحصار ، او يقسمها على أهل البلد ، فذلك اولى من أن تذهب في منفعة العدو هباء منثورا ، فأبى وقال وازنت بين المصلحتين ، فترجح عندي تركها ، والسلامة من السنة اخواني أهل البلد قلبا وقالبا ، مع مافيها من رفع الهمة ، والنخوة على العدو • فرحم الله تلك الهمم العالية ، ثم قال لي انت شاب لم تجرب الامور ، اذهب الى لوحك ومكتبك ان شئت ، فلا تترب قبل ان تحصرم ، فسكتت عنه بعدما رأيت لوائح الغضب على وجهه ، واما نثار اللوز فانهم قد نثروا في تلك السنة في أنحاء البلد ، لاسيما فوق (جنان القصب) (وتلعة عبد الكريم) الى منكب (ءاوالا) الى (تلعة القدون) الى أعلى (ءاوالا) ما يزيد على الف قنطار ، وقد نثروا للوالد المقدس خاصة ازيد من اربعمائة قنطار من الحلو دون المر (٢) واما التمر فقد جذوا منه ما يفوت الحصر (٢) لكون العام مخصبا ، وكان لجميع الاشجار ثمر ، واما الشعير فشيء يجل عن الحصر (٢)

١) يعني التي تجاوره فقط ، وقد تقدم في هذا الجزء نفسه ترجمة الحاج ابراهيم هذا

٢) كذا بخط المترجم في الجميع

أيضا لان الناس تركوه مكدسا خارج البلد ، الى جبل (اكر) من جهة القبلة والى (ايمور) وجهة الطويلة من جهة الجوف ، فاتى العدو على الجميع واستلبه

(تنبيه) اما اللوز المنهوب من جهة جوف البلد ، فقد استاثر بنهبه قبائل غشانة (ايغشان) لاسيما أهل الوادى الكبير ، باعلى جنان القصب ، وهم الذين نثروه دون غيرهم ، وما يلي (فم الحصن) و (حجرالعظم) من منكب (ءاوالا) الى (ءازاغار) فقد فاز بنهبه أهل البلدين المذكورين لانهما هما اللذان قاما بمئونة الجيش المحاصر للبلد فى تلك الجهة ، ولانهما العدو الكبير من قديم الزمان وأما مايلي القبلة فقد فازبه أبناء داود ومن معهم ، من أهل (تانسمت) وغيرهم والحاصل أنه لم تبق دار ولابلد بهذه القبائل الثلاثة المحاصرة ، وهم (مانوزة) و (غشانة) و (تاهالا) الا وفيها نصيب وقسمة من أموال بلدة (ءاوالا) لكون أهل البلد فى شدة الحصار ، والعدو يباكرهم ويغاديهم باسراب من الخيل والرجل ، ولم يبق فى هذه القبائل من تقاعد عن القتال ، ونهب الاموال ،الا أبناء باها بـ (مانوزة) فانهم لم يتدخلوا فى شيء من ذلك لافى نهب ولافى قتال ، جزاهم الله خيرا

ولما افرجوا عن البلد بعد سنة كاملة من يوم الحصار ، فى منتصف صفر عام ١٣١٣ هـ انتشر أهل البلد كأنهم نشروا من قبورهم ، بعدما استوثق الناس من العدو بالكفيل الضامن وهو الشيخ الفقيه (١) السيد الحاج ابراهيم من بنى الطالب الايغشانى والشيخ العلامة شيخ الجماعة المرابط السيد علي ابن عبدالله بن صالح الالغي المذكورين ، وبشرط نفى القاتل عن البلد ، فانبرم الصلح على ذلك ، ولكن القاتل عبد الله بن علي المذكور امتنع عن الخروج، فبقي الناس فى مراقبة عظيمة ، بعد رفع الحصار أزيد من سنة كاملة الى ءاخر السنة الرابعة عشرة ، فبلغت أخبار جيوش السلطان المولى عبد العزيز بن الحسن برئاسة القائد العظيم السيد الحاج سعيد الكيلولي الحاحي ، واخيه (٢) البطل الشهم الحاج أحمد ، خالد بن الوليد زمانه ، قد بعثهما الوزير الاعظم الباشا أحمد بن موسى بن أحمد السوسي الاصل ، المكناسي المسكن لفتح بلاد السوس الاقصى ، وهزت تلك الاخبار هذه البلاد ، ووقع الناس فى حيص بيص . وتوقع مغبة تلك العساكر الجرارة ، فاجتمع الناس ، وسائر الاقطار السوسية واجمع أمرهم على مقاتلة حاحة ومن معهم ، والمدافعة عن البلاد ، وافتى العلماء بوجوب الدفاع ، لماتيقنوا من الظلم والفساد ، الغير المعتادين فى الاموال

١) كان هذا متقنا لقراءة حرف المكي ، ولايد له فى العلوم ، وانما أطلق عليه الكاتب الفقيه تقليدا لاهل الحضر فى تفقيه كل ذى شارة مرموقة اذذاك والا فانه لافقيه عند السوسيين الا من كان متمكنا فى العلوم تمكنا بارزا

٢) ليس بأخيه وانما هو من أهله

والفروج من هذه العساكر ، فكانت هذه الحوادث كلها سببا فى الافراج عن هذا البلد المحترم ، فكان الامر كما قال ابو الطيب المتنبي : (مصائب قوم عند قوم فوائد) (١) ، فنفر الناس خفافا وثقالا الى قتالهم ، فاشتغل العدو عن معاودة (ءاوالا) بالقتال الى ١٣٢٠هـ حين انكسرت شوكة تلك الجيوش المخزنية

ذكر نزول العساكر العزيزية إلى سوس

ولاباس ان نتعرض لذكر هذه الحوادث ، لما لها من مناسبة أكيدة وعلاقة شديدة بحياتنا ، فنقول لما توفى السلطان المولى الحسن مرجعه من (تادلات) وحمل الى الى (الرباط) ودفن بها مع جده المولى محمد بن عبد الله اجتمع الناس على مبايعة ولده المولى عبد العزيز ، بعهد منه (على ماقيل) وهو صغير دون بلوغ تحت رعاية الفقيه الوزير الاعظم احمد بن موسى المذكور ، فلما استوثق له الامر واستبد كل قائد بناحيته المعينة له ايام السلطان المولى الحسن ، لاسيما قواد حوز مراكش كالاكلاوى (٢) والكنتافي (٣) والعبادي (٤) والمتوكي والحاحي المذكور هذا ، طلب القائد سعيد الكيلولي الحاحي هذا غزو سوس ، واضافته لايالته حاحة ، وشرهت نفسه لالتهام تلك الناحية ، ظنا منه ان سوس غنيمة باردة ، ولقمة سائغة ، الاكثيرا ماكان يراوده السلطان المولى الحسن على غزوه ، وامداده بالعساكر ، فيابى رحمه الله تبرؤا منه لتناطح المسلمين وتفانيهم فيما بينهم من غير نتيجة ، فلما استبد هو ونظراؤه المذكورون ، وصفا لهم الجو لضعف (٥) الوزير وسلطانه عن

١) ذلك شطر بيت للمتنبي وأوله :
(كذا قضت الايام ما بين أهلها)

٢) لم يصل الاكلاويون الى الحوز الا فى العهد العزيزى ، ثم تمكنوا فى العهد الحفيظي

٣) لم يتجاوز الكنتافي اذذاك وادى نفيس

٤) لم يكن للعبادي ظهور فى هذا الوقت ، ولم ينل القيادة الا فى العهد الحفيظي

٥) لم يكن الوزير احمد بن موسى بن احمد ضعيفا ، بل كان قويا مستبدا ولم يصب الضعف المملكة المغربية الا بعد موته عام ١٣١٨هـ ، وقد كان القواد يرهبون منه فرقا . وكانه كان يستشعر هذا الضعف الذى أصاب المملكة بعده ، فكان يقول فى مجالسه الخاصة متى بلغه خبر وقوع اختلال فى بعض الاطراف : ان هذه عورة نحاول سترها ، ونرجو ان يسعفنا الناس وذلك ، فسيكشف لهم عندما نتركها .

مقاومتهم ، ساعدهم على ما ارادوا من غزو سوس ، استئلافا لهم • فامدوهم بمال ورجال من قبائل الحوز وغيره من قبائل المغرب ، وتحركوا الى سوس بأمر السلطان المولى عبد العزيز ، ووزيره احمد بن موسى المذكور ، برئاسة القائد سعيد الكيلولي الحاحي المذكور ، ودخلوا (ردانة) (١) من غير كبير قتال ثم خرجوا الى (تيزنيت) بعساكر جرارة تفوت الحصر والحصى ، فاستعان هشتوكة بالمرابط سيدى محمد بن الحسين الايليغى التازاروالتى ، فاستنفر جبال جزولة وسهولها ، ودخل بهم (تابوحنايكت) بأيت بو الطيب بهشتوكة فدس الجيش المخزني بالمال الى رؤوس جيوش المرابط ، فانفضوا من حوله حتى لم يبق معه من هشتوكة بالعساكر المخزنية ، ثم دخل (تيزنيت) وبعث الى رؤوس سهول سوس ، وغمرهم بالاموال الجزيلة وشكروه واذعنوا له وهم اكثر من اربعين قائدا (٢) فطلب الاعانة بالجاه والرجال لغزو نواحي سوس فساعدوه على ذلك ، وقسم عساكره الى ثلاثة أقسام ، قسم يقاتل مجاطة وباعمرانة الى مانوزة ، وقسم يقاتل ولتيتة وباعقيلة ورسموكة وسملالة الى وادى املن ، وقسم يقاتل هيلانة الى جبال صوابة ، اما القسم الاول فقد تقدم الى ان استولى على مجاطة ، واستولى عليها الى أيت وافقا • بدون قتال كبير لمساعدة علماء القطر له ولرؤسائه ، وممن ساعده من العلماء الفقيه العلامة الشيخ الحسين بن بلقاسم السوقى الافرانى ، والفقيه السيد علي بن عبد الله ابن صالح الالغى والمرابط الرئيس السيد محمد بن الحسين بن هاشم التازاروالتى الايليغى المذكور آنفا وغيرهم من علماء الجبل والسهل ، فافتوا بعدم اباحة قتالهم ، بمخالفة طاعة السلطان ، وشق عصى الاسلام ، فلما بلغ العسكر الحاحي الى أطراف (مانوزة) منعوه من الوصول ودافعوه فافتى علماء البلد من (مانوزة) و (املن) وجبال ولتيتة بوجوب المدافعة بالقتال ، فانهال عليه الناس من كل حدب ينسلون ، وقاتلوه وهزموه (٣) وكذلك فعل به أهل ولتيتة ، فانهم بيتوه بوجان ، وشعبة ادريس (تاساونت ندريس) فهجموا عليه فاستولوا على معسكره واستاصلوه ، وقتلوا القائد الاعظم البطل الحاج احمد رئيس العساكر الحربية على الاطلاق ، فاخرجوه من جميع بلدان جزولة ، ورجع القائد سعيد بعد قتل اخيه المذكور الى (تيزنيت) وضعفت شوكته ،

١) لم يدخل القائد سعيد ردانة التى كان فيها اذذاك الباشا حمو وانما جاء على كسيمة الى هشتوكة توا •

٢) لم يتجاوز القواد المنضمون الى الكيلولي عشرين وقد عرفناهم كلهم وسيرى القارئ ذلك في مؤلف خاص لنا في الرؤساء السوسيين الاخيرين متى خرجناه من مبيضته ان شاء الله

٣) لم تقع الحرب ازاء امانوز ، واملن ، وانما وقعت في مجاطة ، وافران فغلبهم الكيلولي •

ورجع الى الاستكانة والاطمئنان ، فاصطلح العلماء والرؤساء والان لهم الجناح وقلب للرعايا من جميع انحاء سوس ظهر المجن ، فاشتغل بالنهب والسلب والسجن والقتل ، وهتك الاعراض من سنة ١٣١٤هـ الى عام ١٣١٧هـ وتوفى بتيزنيت رحمه الله وعفا عنه (١) وهذه الحروب التى يشيب لها الوليد ، والتى ماجت بين حاحة وسوس أربع سنين ، هى التى حصت من جناح حاحة وكسرت شوكتهم ، واخمدت نيران سطوتهم ، بعد ان شمخت أنوفهم الى كيوان ولم ينظروا مايأتى به الملوان ، فقتلت صناديدهم واستؤصلت ابطالهم وعددهم وعديدهم ، لاسيما في جهة ولتيتة فى (وجان) و (اماسين) و (تساونت نداريس) وغيرها من الوقائع التى تهتف بها صبيان سوس ونساؤها وشعراؤها الى هلم جرا •

أما واقعة (وجان) المذكورة فان العسكر الحاحي المخزني لما استولى على (وجان) وحصنه بعدد وعدد ، وشحنه بانواع القوات الحربية ، امتعضت (ولتيتة) لاحتلاله وتمالأوا على الهجوم بحيلة وخديعة ، وكانت الكلمة محصورة في جبال (ولتيتة) في ذلك العهد في اناس قليلين لايزيدون على عشرة ، واكبرهم في الرئاسة الرئيس الشيخ احمد الامازرى البعقيلي من وادى الجبل والرئيس الحاج يعزى الادائي الرسموكي ، وعليهم يدور امر جزولة ، وهم من احيل خلق الله ، وأدهاهم واعرفهم بمكائد الحروب ، لانهم خاضوا غمارها من قبل ، بل أنهم قطعوا أعمارهم في مقارعة الحروب ، فأجمع أمرهم على تبييت العسكر الوجاني الحاحي واستئصاله ، فتركوا العسكر ، حتى فاتت من الليل هنيئة ، فتسللوا الى أسوار البلد وخنادقه ، وتسربوا بمخانقه الى ابراجه وفنادقه ، فوجدوا العسكر في غفلة لاهين ، وهم مشتغلون باللعب بالدفوف ، ورؤساؤهم جالسون على الكراسى يتفرجون • كأنهم في اعراس ولم يدروا مايراد بهم ، ولا علموا أنهم في قبضة اعدائهم واقعون ، فلما استكمل العدو مارامه ، وأخذ من البلد انفه وانفاسه ، ورباه واعلامه ، انقضوا عليهم دفعة واحدة بعمارة واحدة (٢) فسقط من العسكر اكثر من نصفه ، وحصروا الباقي الى أن قبضوا عليه باليد فتتبعوه قتلا وسلبا ، غير أنهم تواصوا فيما بينهم ان يتركوا من ليس بحاحي ، وأن يطلقوا سبيله بعد سلبه ، وان يقتلوا الحاحيين بعد سلبهم ، ولسان حالهم يتلو قول الله تعالى : (انك ان تذرهم

١) بعد موت الوزير احمد بن موسى وتولية المنابهى رئاسة الحربية عزل الكيلولي ونصب في محله عام ١٣١٨هـ انفلوس ، ولم يمت الكيلولى الا بعد ان حج • ومات في داره بحاحة ، لافى تيزنيت ، وسترى في (الفصل الثانى) من (القسم الرابع) كل مايتعلق بهؤلاء الكلوليين بتفصيل ، وبذكر الحقائق الثابتة • وان كان بعض تفصيل ذكر هنا أيضا

٢) المقصود طلقة واحدة ، اى اتحادهم في الطلق بالرصاص من بنادقهم

يضلوا عبادك ولايلدوا الافاجرا كفارا) ولاقوة الا بالله ، وذلك لان العداوة قد رسخت بينهموبين حاحة من قديم ، وغيرهم مكره لابطل ، حتى ان بعضمن حضر الواقعة من العلماء صاح عليهم صيحة منكرة بان لايشتغلوا بالغنيمة والنهب ، الا بعد القضاء على حاحة ، وان لايقتلوا احدا ممن سواهم ، وانشدهم قول الشاعرالذى تمثل به المنصور العباسى حين قتل أبا مسلم الخراسانى (١)

ان الاسود أسود الغاب همتها   يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

وكان عسكر حاحة معلما بلبس السلاهم السود (الدوائر) (٢) والسلاهم الرقاق ، مع أخذ الزينة بالعمائم وغيرها ، بخلاف غيرهم من القبائل فانهم متقشفون فى اللباس وغيره ، معروفون بلوائح بلدانهم ، بادية عليهم ءاثار الكراهة (يعنى الاشمئزاز) والحزن ، شان المتغلب عليهم ، فكذلك ايضا يعرف بعض القبائل بعضا ، لمابينهم من الاختلاط فى الاسواق والمواسم والمصاهرات وغيرذلك • فبذلك تعارفوا فلم يقتلوا منهم غير من تلبس او تشبه بحاحة والعسكر المخزنى ، ومن فيه رائحة المخزن

وأما وقعة (واحسين) فلم تكن أيضا دون هذه الوقعة الوجانية فى المكر والقتل •

وأما وقعة (تاساونت‌ندريس) فهى فى موضع ضيق من بين السدين، فهى اعظم الوقائع الثلاثة ، لان العدو ترك المحلة (يعنى الجيش) حتى توغلت بين الجبلين ، حيث لم يبق منها فارس ولاراجل ، فاطبقوا عليها وسدوا دونها المنافذ والشعاب ، والانقاب والطرقات ، ففتكوا بها وجعلوا يقتلون وياسرون فوقعت الدهشة والتحير للعسكر ، ودبت فيه هيبة العدو ، واستولى على قلوبهم من الفزع والخوف والهلع ماعقل أيديهم عن الضرب ، وأخرس السنتهم من النطق فضلا عن التفكير فى الحرب ، فاكثر الفرسان يسترون وجوههم واعينهم عند وثوب العدو عليهم ، لضربهم بالرصاص او السيف ، لئلايعاينوا عين الموت الاحمر ، فتتبع العدو رجال العسكر وفرسانه الى ان أتوا على‌اخره فكانت‌هذه خاتمة حروبه من هذا الوجه الولتيتى ، وفى هذه الوقعة الهائلة قتل القائد الاعظم الرئيس الاكبر البطل الذى لاترده مخافة الاوجال ، ولا تقلبات الاحوال ، الحاج أحمد الكيلولى المضروب بشجاعته الامثال ، وسبب قتله أنه لماقاد تلك‌العساكر الجرارة الى حتفها ، وتاخر وراءها يفرق عليها قرطاس (٣) البنادق الرومية الاوربية الجديدة العصرية بالنسبة لذلك الوقت

---

١) البيت من بائية أبى تمام المشهورة : (السيف اصدق أنباء من الكتب) وقد توفى أبو تمام عام ٢٣٢ وكان قتل ابى مسلم قبل ذلك ، فى نحو عام ١٣٩ ، اى‌أن موت أبى مسلم سبق موت أبى تمام بـ ٩٤ عاما

٢) الدائرة السلهام من الملف الاسود او المائل الى الزرقة

٣) القرطاس ، دخيرة البنادق فى عرف المغاربة

[illegible] بالنسبة لبنادق بوشفر [illegible] التى كانت عند المغاربة) الاهم أول من قاتل [illegible] السوس ، ومنهم اخذت والتنيت بعد ذلك ، تفطن له بعض شياطين العدو [illegible] فى بعض غابات الكرموس النصرانى (١) حول طريقه ، فرماه ولم [illegible] فؤاده ، فسقط من اعلى جواده (٢) فكان أول قتيل ، فبذلك وقع القتل [illegible] العسكرالمحاط به المندعر ، وفت قتل هذا الفارس العظيم فى عضد الباشا [illegible] اخيه السيدالحاج سعيد الكيلولى

واما العسكر الذى قاده الحاج احمد المقتول الىجهة هيلانة (ايلالن) فقد [illegible] بعدحرب خفيفة ، لانرؤساءتلك‌الجهة قد اذعنواله ، لانه‌وعدهم [illegible] الرئاسة ، فوفى لهم • ولم يناوشه القتال سوى (أيت مزال) ومن [illegible] من الجبال ، فغلب على أيت (مزال) واستصفى حصون مخازنهم وهدم [illegible] وصادر اغنياءهم فصفا له من (أيت‌مزال) فى جهة اليمين الى هيلانة [illegible] الى (مزداكن) الى جهة هوارة الى ردانة (٣) ولم يصل (اداكنيضف) [illegible] ولا (أيت عبلا) ولا (ايسافن) (الوديان) (٤) من جهة القبلة

واما العسكر الذىقاده الى مجاطة فقد تقدم انه استولى عليها بمداخلة [illegible] من غير كبير قتال ، فأكرمهم وأجلهم ، وحصلت لهم بذلك حظوة [illegible] ، ولكن لم تدم لهم بعد • فقد قيد على مجاطة القائد سعيد المجاطى [illegible] فجار وتعدى وظلم ، فياخذ كل منفيه رائحة كراهيته ، اوسمع [illegible] برئاسته ، اوكان غنيا ، اومن الابطال ، فياتى به الى [illegible] جرف تاكجكالت فيرمى به فلايصل الى الارض الا وهو هباء منثور [illegible] رجال مجاطة وايت رخا الى ان أفناهم قتلا ورميا بالرصاص ، فكان [illegible] حجاج زمانه ، ونقمة اوانه الى ان كان من امره ماكان ، والله يمهل الظالم حتى ياخذه ، فاذا اخذه لم يفلته ، (انما نملى لهم ليزدادوا اثما) ولما [illegible] عساكر المخزن على مجاطة وجميع سهول الغ وايت واقا ووصلت الى اطراف مانوزة (ءامانوز) التى افتى علماؤهم هم وجيرانهم الى ولتيتة

---

١) [illegible] بالكرموس النصرانى شجر التين الشوكى المعروف فى الحواضر [illegible] النصارى ، أوالهندية ، وبالشلحة اكنارى وبالزعبول فى سلا

٢) [illegible] ان الحاج أحمد كان اذذاك على بغلة مسرجة ، ثم لم يمت الا [illegible] فى بعض دور وجان • وقد بين ما وقع له فى ترجمة القائد [illegible] (القسم الخامس)

٣) [illegible] فى حاشية اخرى انه لم يدخل ردانة ، وانها كان بها الباشا حمو [illegible]

٤) [illegible] قبل دخول الكلاولى الى (تزنيت) مصالحة بعد قتال [illegible] (القسم الرابع)

يضلوا عبادك ولايلدوا الافاجرا كفارا) ولاقوة الا بالله ، وذلك لان العداوة قد رسخت بينهموبين حاحة من قديم ، وغيرهم مكره لابطل ، حتى ان بعضمن حضر الواقعة من العلماء صاح عليهم صيحة منكرة بان لايشتغلوا بالغنيمة والنهب ، الا بعد القضاء على حاحة ، وان لايقتلوا احدا ممن سواهم ، وانشدهم قول الشاعرالذى تمثل به المنصور العباسي حين قتل أبا مسلم الخراساني (١)

ان الاسود أسود الغاب همتها يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

وكان عسكر حاحة معلما بلبس السلاهم السود (الدوائر) (٢) والسلاهم الرقاق ، مع أخذ الزينة بالعمائم وغيرها ، بخلاف غيرهم من القبائل فانهم متقشفون فى اللباس وغيره ، معروفون بلوائح بلدانهم ، بادية عليهم اثار الكراهة (يعنى الاشمئزاز) والحزن ، شأن المتغلب عليهم ، فكذلك أيضا يعرف بعض القبائل بعضا ، لمابينهم من الاختلاط في الاسواق والمواسم والمصاهرات وغيرذلك • فبذلك تعارفوا فلم يقتلوا منهم غير من تلبس او تشبه بحاحة والعسكر المخزنى ، ومن فيه رائحة المخزن

وأما وقعة (واحسين) فلم تكن أيضا دون هذه الوقعة الوجانية فى المكر والقتل •

وأما وقعة (تاساونت ندريس) فهى فى موضع ضيق من بين السدين، فهى اعظم الوقائع الثلاثة ، لان العدو ترك المحلة (يعنى الجيش) حتى توغلت بين الجبلين ، حيث لم يبق منها فارس ولاراجل ، فاطبقوا عليها وسدوا دونها المنافذ والشعاب ، والانقاب والطرقات ، ففتكوا بها وجعلوا يقتلون وياسرون فوقعت الدهشة والتحير للعسكر ، ودبت فيه هيبة العدو ، واستولى على قلوبهم من الفزع والخوف والهلع ماعقل أيديهم عن الضرب ، وأخرس السنتهم من النطق فضلا عن التفكير فى الحرب ، فأكثر الفرسان يسترون وجوههم واعينهم عند وثوب العدو عليهم ، لضربهم بالرصاص او السيف ، لئلايعاينوا عين الموت الاحمر ، فتتبع العدو رجال العسكر وفرسانه الى ان أتوا على اخره فكانت هذه خاتمة حروبه من هذا الوجه الولتيتى ، وفى هذه الوقعة الهائلة قتل القائد الاعظم الرئيس الاكبر البطل الذى لاترده مخافة الاوجال ، ولا تقلبات الاحوال ، الحاج أحمد الكيلولى المضروب بشجاعته الامثال ، وسبب قتله أنه لماقاد تلك العساكر الجرارة الى حتفها ، وتأخر وراءها يفرق عليها قرطاس (٣) البنادق الرومية الاوربية الجديدة العصرية بالنسبة لذلك الوقت

١) البيت من بائية أبي تمام المشهورة : (السيف اصدق أنباء من الكتب) وقد توفى أبو تمام عام ٢٣٢ وكان قتل ابى مسلم قبل ذلك ، فى نحو عام ١٣٩ ، اى أن موت أبى مسلم سبق موت أبى تمام بـ ٩٤ عاما

٢) الدائرة السلهام من الملف الاسود او المائل الى الزرقة

٣) القرطاس ، دخيرة البنادق فى عرف المغاربة

وبالنسبة لبنادق بوشفر العتيقة التى كانت عند المغاربة) الاهم اول من قاتل بها السوس ، ومنهم اخذت واقتنيت بعد ذلك ، ففطن له بعض شياطين العدو فرصده فى بعض غابات الكرموس النصرانى (١) حول طريقه ، فرماه واصاب فؤاده ، فسقط من اعلى جواده (٢) فكان أول قتيل ، فبذلك وقع القتل فى العسكرالمحاط به المنذعر ، وقت قتل هذا الفارس العظيم فى عضد الباشا الاعظم اخيه السيدالحاج سعيد الكيلولى

واما العسكر الذى قاده الحاج احمد المقتول الى جهة هيلانة (ايلالن) فقد استولى عليها بعدحرب خفيفة ، لان رؤساء تلك الجهة قد اذعنواله ، لانه وعدهم ومناهم بالرئاسة ، فوفى لهم • ولم يناوشه القتال سوى (ايت مزال) ومن والاهم من الجبال ، فغلب على أيت (مزال) واستصفى حصون مخازنهم وهدم معاقلهم وصادر اغنياءهم فصفا له من (أيت مزال) فى جهة اليمين الى هيلانة (ايلالن) الى (مزداكن) الى جهة هوارة الى ردانة (٣) ولم يصل (اداكنيضيف) ولا (امتضل) ولا (أيت عبلا) ولا (ايسافن) (الوديان) (٤) من جهة القبلة

واما العسكر الذىقاده الى مجاطة فقد تقدم انه استولى عليها بمداخلة علماء القطر من غير كبير قتال ، فأكرمهم وأجلهم ، وحصلت لهم بذلك حظوة عنده ، ولكن لم تدم لهم بعد • فقد قيد على مجاطة القائد سعيد المجاطى الاكجكالنى فجار وتعدى وظلم ، فياخذ كل من فيه رائحة كراهيته ، اوسمع عنه واوكلمة تمس برئاسته ، اوكان غنيا ، اومن الابطال ، فياتى به الى قنة جبل يسمى جرف تاكجكالت فيرمى به فلايصل الى الارض الا وهو هباء منثور ، فلهم رجال مجاطة وايت رخا الى ان أفناهم قتلا ورميا بالرصاص ، فكان هذا الرجل حجاج زمانه ، ونقمة اوانه الى ان كان من امره ماكان ، والله يمهل الظالم حتى ياخذه ، فاذا اخذه لم يفلته ، (انما نملى لهم ليزدادوا اثما) ولما استولت عساكر المخزن على مجاطة وجميع سهول الغ وايت وافقا ووصلت الى اطراف ماسوزة (امانوز) التى افتى علماؤهم هم وجيرانهم الى ولتيتة

١) يعنى بالكرموس النصرانى شجر التين الشوكى المعروف فى الحواضر المغربية بالكرموس النصارى ، أوالهندية ، وبالشلحة اكناري وبالزعبول فى سلا

٢) اخبرنى حاضر ان الحاج أحمد كان اذذاك على بغلة مسرجة ، ثم لم يمت الا بعد انتصاف النهار فى بعض دور وجان • وقد بين ما وقع له فى ترجمة القائد الباشا فى (القسم الخامس)

٣) تقدم فى حاشية اخرى انه لم يدخل ردانة ، وانها كان بها الباشا عمر اذذاك

٤) كانت هذه الحروب قبل دخول الكيلولى الى (تيزنيت) ومصالحته بعد القتال لاهل ايلالن الرئيس الحاج محمد ازبايو المترجم فى (القسم الرابع)

بوجوب المدافعة والقتال ، وان كانوا من اولى الامر لمبالغتهم فى الجور والظلم والسيطرة التى تنافى الشريعة المحمدية والطاعة السلطانية استنفرت قبيلة مانوزة جيرانها وهم قبائل وادى املن ، الى ايت عبد الله ، الى ايكنان ايسى الى ايسافن قبلة ، والى سملالة وتاهالا جويا ، فدافعوهم وغلبوهم بعد انبنوا لهم سدا عظيما تحت الحصنة يعنى (دوتكاديرت) وموضع (تيسكنين) لئلا تهجم عليهم الخيل ، كما فعل أهل سملالة وباعقيلة فى (تيغمى) و (تيفرميت) وغيرهما ، فقاتلوه قتالا عظيما ، فلما انس منهم القوة القوية استكان وانثنى راضيا بما وراءه ، مشتغلا بالدسائس ، والتضريب بين رؤساء القبائل التى لم يصلها ، ولكنلتمكن نفوذ العلماء وناموسهم في قلوب الرعية ، لم تغن عنه حيلة ولادسائسه شيئا ، لخوف رؤساء الناس على أنفسهم ، فلما رأوا أنهلم تنجع فيهم الدسائس ولا تسرب المال اليهم ، فاوض بعض علماء القطر ، وهو شيخ الجماعة الفقيه العلامة الصوفى الولى الشهير فـى الاصقاع المغربية ، السيد الحاج أحمد بن عبدالرحمان الجشتيمى انتيملى ، وكان له ناموس عظيم وصيت شهير عميم ، مقصودا بالزيارة والافادة ، من الاقطار السوسية فاشار لهأن يقبض (١) من قبائل (تيملت) بعض الوجهاء من أهـل الرأى والنفوذ ويوعدهم بالقتل ان لم يتقاعدوا عن اعانة قبائل مانوزة جيرانهم ، فـفـعـل ، وأخذهم بتيزنيت بعدما بعث اليهم فى الصلح والهناء ، وممن اخذه السيد عبد الله (فارتات) به عرف الامسناتى وجماعة ممن ظاهرته من اقرانه ، فاوعدهم فبعثوا (٢) الى الفقيه المذكور يتوسط لهم عند المخزن ويضمن له ما أراد منهم فبعث الفقيه الى المخزن فسرحهم بشرط ان يتقاعدوا عن اعانة مـانـوزة بـ (تيسكنين) فلما وصلوا الى بلادهم وافلتوا من مخلب المخزن ، ولسان حالهم ينشد ما قاله الاعرابى الذى ضربه الحجاج بن يوسف حين سلح فى ازقة طريق واسط :

وكنا اذا جزنا مدينة واسط   خرينا وبلنا لا نخاف عـقـابا

فنكث اكثرهم ، وهم أيت سمايون ومن والاهم ، بعدما كشف لهم الفقيه المذكور رحمه الله القناع عن عدم مقاتلة اولى الامر من أهل المخزن ، ولوظلموا أوجاروا ، وأن الصبر والسمع والطاعة ولو لعبدحبشى كأن راسه زبيبـة واجب ، فافترقت لكلامه قبائلوادى (تملت) وقعد المذكورون عـن الحركة (توجه المقاتلين الى الحرب) لمانوزة ، فتهيأت قبـائـل مانـوزة لمقاتلتـهـم واخفاءهم ، رغما على انوفهم فاستنفرت اليهم القبائل المجاورة من (تاهالا) و (ايغشان) و (تافراوت) و (وسيمة) وغيرهم واستنفروا هم أيضا أهـل

١) بل انهم اعتقلوا بوجان بين معتقلين اخرين فى بستان ، هذا هوالثابت

٢) بل ذهب بنفسه ، فعظمه الكيلولى غاية التعظيم ، واطلق له المعتقلين بعد ان تعهدوا ان لايعادوا الحكومة

(تودما) و (أيت صواب) غيرهم من الجيران ، فوقع القتال فانهزم ايتسمايون ومن معهم ، فدخلت الحركة (المقاتلون) الدروع (تعريب ايغالن) ، وايـت ابكاس وتاهالوكت واسكين ، ومنكبها ، وغير ذلك ، وبقى شفا الجبل من (اللمدس) و (أنبل) و (تاكفميشت) لوعورة تلك البلدان على الخيل ، والما عليهم مانوزة لمزيد شجاعتها على غيرها من اهل وادى (تيملت) ولكثرة خيلها لان فيها تقريبا الفى فارس (١) فى ظرف تلك السنين ، فلما احتلوا هذه البلدان اختلفت اغراضهم ، وتباينت انظارهم فى غنائمها ونهبها ، فاهل مانوزة وغيرهم منجزولة حملتهم الغيرة الجزولية على الشفقة على أهلها لانهم منجزولة اخوانهم فى العصبية ، وانما مرادهم بهم التأديب والردع لاغير ، واما غيرهم ممن انتمى لحكات (تاحوكات) من (تاهالا) و (تافراوت) و (وسيمة) و(ايغشان) فمرادهم القضاء على أموالهم واولادهم وديارهم بالتلف والخراب (٢) فلما رأى المانوزيون ما هجس فى قلوبهم ، وعاينوا ما تمالئوا عليه وتجمعوا ، وانسوا ما عليه اجمعوا ، وخافوا ان صرحوا لهم بالحيلولة بينهم وبين ما ارادوه ان يقع التنازع والفشل • وأن يقولوا لهم قد استنفرتمونا الى عدوكم وعدونا • لم حلتم بيننا وبين الاجحاف به ، اوعزوا الى أهل (تودما) وغيرهم من جزولة ان يستنجدوا ايتسمايون برجال ذوى بلاء وصبر على الحرب ، ويحملوا حملة واحدة منكرة علىمانوزة ومن معهم بغتة عند القيلولة لكون الوقت حارا ، وكانت الحركة (المقاتلون) ضاربة باطنابها خيلها ورجلها ، فوق عيون (اسكين) و (تاهالوكت) لشدة الحرارة ينتظرون رجوع برودة النهار لينهبوا البلاد المذكورة ، ففعلوا وحملوا عليهم حملة رجل واحد ، رافعين اصواتهم بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم (على عادتهم عند اشتداد الحروب) فلما سمعهم اهل مانوزة ذلك ركبوا خيولهم مولين لديارهم ، ولسان حالهم يقول : (هكذا هكذا والا فلا لا) وثبت غيرهم من التاحوكاتيين فى نحر العدو ، فسقط بينهم من القتل كثير ، ولم يقتل منمانوزة سوى رجل واحد،وهو الامين التيغشتاليلى وكان مع الوالد المقدس ، وهو الذى حمله فى حومة الوغى ، وجرح فيهمحمد ابن عبدالله بالوش ، واسرعمنا الولى الصالح عبدالله بنعلى بناحمد لكونهما دخلا بعض دار (اسكين) استجار بهما صاحبها المعلم محمد (بوتوميت) لئلا تنهب داره اوتهدم ، فلما تمت الهزيمة ادركهما هنالك رجال (تودما) فاسروهما واطلقوا سراحهما فى خبر طويل دون سلاحهما ، وقد دبر اهل مانوزة هذه

١) قال مطلع ان هذا القدر فيه اغراق وغلو ، والعهدة عليه

٢) ابتلى الله سوس من قرون بنحلتين : تاحكات (بتشديد الكاف المعقودة) وتاكوزولت (بكاف معقودة) فتفرقت عليهما جميع القبائل فتتناصران فيما بينهما بسبب وغير سبب ، وينتصر كل فريق ابن نحلته ظالما او مظلوما ، لم ينقطع ذلك الا بالاحتلال ، وذلك من بركة الاحتلال ان كانت بركة للاحتلال

الحيلة كما ترى ، فجاءت وجادت بما عاقبته خير ، وهو انه لما كان غد الهزيمة ورأى علماء القطر من الفتنة ما ساءهم ، خافوا أن يتسع الخرق على الراقع فاجمعوا أمرهم على ان يسكنوا هذه الفتنة ، فابرموا أمر الصلـح ، وأمروا الناس بالانصراف الى بلادهم ، ورجوع أيت (سمايون) الى مداشرهم ، ودخولهم فيما دخل فيه الناس من امر العدو ، ومدافعة العسكر المخزنى الحـاحى فقبلوا وخضعوا واستكانوا ، وشكروا منوّة فى تدبيرهم الذى حـال دون تدميرهم وانصرف الناس الى حال سبيلهم ، بعدما كان أمر هذه الفتنة مايقرب الى شهرين •

(فائدة) ربما يسمع المعتقد او يطالع المنتقد من اثر هؤلاء العلماء ما يصدر منهم من الامر الى عوامهم ، وامتثال أوامرهم فى الخوض فى هذه الفتن ومـا يضاهيها ، فيثلم فى اعراضهم ، وينسبهم الى رقة الديانة ، او وجود شىء من الخيانة • كلا وحاشا • فانهم رضى الله عنهم عن سنن الدين غير منحرفين لكونهم على تحقيق أصوله وفروعه مشرفين ، أما اختلافهم فى مقاتلة المخزن ومدافعته فامر واضح ، للفرقتين معا ، فالفرقة الاولى التى لم تبح مقاتلتـه ترى أنه مادام مسلما متمسكا بالدين الاسلامى ، فان طاعته واجبة ، وان جار وظلم وطغى ، وتعدى وبغى ، ولانه اقوى شوكة ، واشد سطوة • ومن قويت شوكته • وجبت طاعته • والفرقة الثانية المبيحة لقتاله ، ترى أنه اذا كان ظالما جائرا يقتضى اكثر من الزكوات والاعشار فى الاموال ، ولاينهى عن هتك الاعراض وسفك الدماء فى جميع الاحوال ، فطاعته غير واجبة ، على أنـهم ما أنسوا من القبائل قوة وشدة فى رد شكيمته ، والكل على هدى من ربه ، وله دليل فى الاصول والفروع ، ولانحتاج الى ايراد شىء منها • بل يسلك بهم مسلك (الجمل) و (صفين) وغيرهما من وقائع المهتدين المهديين المتبصريـن رضى الله عنهم ، مع ان علماء الفئتين كما اخبرني الوالد المقدس الخائض تلك الحروب كتعاء (١) يجتمعون كل جمعة فاقل او اكثر ، فيدبرون امور السكينة والهناء ، ويطفئون وقود نيران تلك الفتن حسب استطاعتهم الى ان انطفات بعدما شبت من عام ١٣١٤هـ الى عام ١٣٢٠هـ ، سبع سنين ، لاسيما فى السنين الاربعة الاولى أيام استخلاف القائد الاعظم السيد سعيد الكيلولى الحاحى ، ولما توفى (٢) بتيزنيت عام (١٣١٧) هـ استخلف من بعده الحاج احمد السمـى بوشفرين ، وأخوه القائد محمد النكنافى انفلوس الحاحى ، فانه وان كـان أظلم من الاول ، الا انه رضى بما استولى عليه الاول ، دون محاربة غيره مـن البلدان الانادرا ، ولقوة القبائل المعادية لهم واتحادها وسيرها على قدم واحدة

١) المعلوم ان كتعاء واخواتها لاتستعمل الا بعد جمعاء

٢) الذى مات فى تيزنيت القائد النفلوسى الحاحى بعد هذا الحين • واما الاخر الكيلولى فقد فارق تيزنيت ١٣١٨هـ فمات فى داره بعد قليل

الى افضى الحال بالطائفة العاصية الى الرضوخ للعدو بالاموال ، والاستمالة فى اكثر الاحوال مخافة الهجوم على ردانة (١) وتيزنيت وجميع مراكـزه ، الى افضى الامر الى سلب العسكر بباب تيزنيت وداخلها وغيرها من المراكز ، الى ان ومسمع منه ، كراهية لنشوب الحرب ، الى ان ابتدات الحرب النهائية عام ١٣٢١هـ لاحداث لاتفى بها هذه العجالة ، ومن اعظمها ان القائد احـمـد انفلوس اعتقل الفقيه العلامة شيخ مشايخ سوس وعلامته ، شيخنا وشيـخ الجماعة ، ابا عبدالله سيدى محمد (ضما) بن محمد (فتحا) المدعو اوعبو لتهمته بموالاة العدو ، واتى به الى تيزنيت ، وشاور علماءه فى اباحة قتله ، واراقة دمه ، لما تحقق عنده من ميله الى البغاة من العدو ، فاشاروا عليه بعدم اراقة دمه ووجوب حقنه مراعاة للمصلحة الدنيوية والاخروية ، اذ لم يوجد بالسوس الاقصى نظيره فى العلوم العقلية والنقلية ، وغزارة الحفظ ، ونشر العلوم وبثها واثارة العلوم الشرعية على ما ينبغى ، وكماينبغى ، فاوعز العلماء الى طلبتـه وطلبة تلك الاقطار الفحصية ان يجتمعوا للذهاب للقائد المذكور ، للتشفع فى اطلاق الاستاذ ، فذهبوا اليه فتركه وحقن دمه (٢) بعدما استصفى امـوالـه المرابطة ، وهدم دياره ، ونهب أثاثه وامتعته وكتبه وعبيده • شيئا يجل عن الحصر ، وانفقه بعد أن حقن دمه بتيزنيت • تخوفا من شره ، لما له من النفوذ العظيم فى الاقطار السوسية ، غير ان العلماء الحوا على القائد فى ان يخلى سبيله لان اكثرهم ان لم نقل كلهم من تلامذته (٣) ولما سرحه استبشر الناس بسراحه فرحين مسرورين ، فذهب الفقيه المذكور الى مدرسة ايـت (يعزى) للتدريس بها ، تاركا مدرسته هو وهى مدرسة (اداو محمد) حيث وطنه ومسكنه ، واعرض عن قبيلة (اداو محمد) لان القائد صالح (٤) بن الحسين منهم قد تمالا مع جماعة منهم عليه مع المخزن ، وجعل يدرس فى مدرسة الفتائح اى (أيت يعزى) وانثالت اليه الطلبة من كل جانب ومكان ، وانتقل اليه طلبة مدرسة (ادا و محـمد) فاصبحت هذه اقفر من وتد بقاع (٥) يصيح البوم فى جميع جوانبها ، بعدما

١) تقدم ان الكيلولى وانفلوسى لم يصلا الى ردانة

٢) الحقيقة هى ان الطلبة من هشتوكة ذهبوا يتشفعون فيه ، ولكنه لـم يقبل شفاعتهم ، ثم اجتمع عنده جماعة من العلماء منهم سيدى المحفوظ الادوزى فشفعوه ، فطلب سيدى المحفوظ ان يحضر اوعبو لانه من ذوى المكانة فـى العلم فكان ذلك سبب تسريحه وكان ذلك مقصود سيدى المحفوظ بطلب حضوره وانه نفوذه فلم يتجاوز هشتوكة بل بعضها

٣) كون اكثر العلماء اوكلهم أخذوا عنه فيه نظر ، لان تـلاميذه معدودون محصورون

٤) الذى نسمع به هو ان هذا شيخ لاقائد

٥) قال الشاعر : وكنت اذل من وتد بقاع   يشجج رأسـه بالفهر واج

كانت محط العلوم (ومقر الفهوم) وجامع الازهر بسوس ، لاتتعدى رحلة طالب العلوم الى غيرها ، فلما رأى اداو"محمد ما وقع فيها من تحول تلك العلوم بتحول صاحبها ، ندموا على فعلهم ، وذهبوا اليه • وتطارحوا عليه بانواع الذبائح مع قائدهم ، معتذرين له • فابى من مساعدتهم ، ولم يرجع اليهم الابعد انزواء ظلال المخزن عن تلك القبائل السوسية ، بتدبيره على حاحة ، وذلك انه لما سرح رحمه الله ، اشتغل سرا بمكاتبة تلك القبائل الجبلية والسهلية ، وجعل يستميلهم ويحمسهم ، ويذكر لهم ان حاحة حادوا الله ورسوله ، واتخذوا شريعته وراء ظهريا ، فوجد منهم اذنا صاغية وقلوبا واعية ، فلم يكن غير بعيد حتى ضربهم بأول سوس وءاخره ، لكون الناس سئموا من استيلاء حاحة وقهرهم وعنفهم ، زيادة على مافعلوا بالناس من استلاب الاعراض والاموال ، فاجمع رأى الناس عامتهم وخاصتهم على رأى هذا العالم وغيره من العلماء ممن له معه رابطة وهم كثيرون ، فتألبوا على حاحة ومن معهم من العساكر المخزنية وضربوهم من كل وجه وقطر

اما فى جهة مجاطة فقد قاموا على خليفة حاحة ، القائد الحبيب باقا الذى غرق فى بحر مرسى اكلوا ومات فى تلك الايام (١) ثم أحاطت مجاطة بالقائد سعيد المجاطى بداره فى (تاكجكالت) الى ان هرب ليلا مع أهله وعياله ، بعدما اوقد النار على اثاثه وامتعته وجميع ماله ، حسدا وبغضا لمجاطة ، وكراهية من ان يغنموها ، وتتبع فى مجاطة والاخصاص وايفران ومانوزة ، وغيرهم من القبائل السوسية كل من فيه رائحة حاحة بالقتل والنفى والتخريب ، الى أن أفنوهم عن ءاخرهم ، ومن جملة من نهبوا داره الشيخ العلامة المقدم سيدى الحاج الحسين الافرانى ، فقد نهبوا بداره بسوق افران أموالا طائلة من جملتها ٤٠٠ كاس من البلور ، ومن الاثاث مالايحصى ، ونهبت خزانة كتبه التى تضرب بها الامثال بالسوس الاقصى ، الجامعة من المخطوطات والمؤلفات القديمة السوسية وغيرها مالم تجمعه (٢) مكتبة مغربية ، ومن العجائب انها رجعت كلها الى الفقيه المذكور بعد ، لانها لما تفرقت فى النواحى على يد من اشتروها من العلماء وطلبة العلم وغيرهم ، وفى كل كتاب منها خطه رضى الله عنه وتصفحه ووقفه على المسائل علموا أنها له ، وجعلوا يرجعونها اليه ، ومامن طالب اوغيره الا واتى بما اشتراه اليه حياء منه رضى الله عنه ، ومن الله سبحانه وتعالى ، لانها منهوبة مغصوبة لاتباح مطالعتها حتى لم يبق منها الامابيع فى نواحى مراكش وماليه من بعيد وممن قام بأمر ارجاع الخزانة المذكورة الى ربها المذكور ، الفقيه سيدى محمد

١) ما غرق الحبيب باقا الا فى عام ١٣٣١هـ بعد الحماية

٢) ذكر مطلع ان عدد كتب هذه الخزانة ١٦٠٠ كتاب مطبوع فقط

اوعبو رئيس الثورة (١) رحمه الله والفقيه الحافظ سيدى محمد بن على ايكيك (الرعد) المزوارى الرسموكى ، فانه تتبعها فى الاحياء والقبائل الى ان جمع اكثرها ، لماله فى الشيخ الحاج الحسين من المحبة والاعتقاد الكبير ، وكنت يومئذ بمدرسة الولى سيدى محمد الشوشاوى فى أيت باكو بقبيلة هشتوكة قارئا على الفقيه الاستاذ الحافظ السيد ابراهيم بن الحاج محمد الرجراجى من ربوة البير (تعريب تاوريرت وانو) بقراءة رواية ابى عمرو البصرى ، فرايت كتابا منها عند بعض الطلبة ، وقد نسيت اسمه ، مكتوبا فى اوله بخط صاحبه المذكور مانصه : «لو وزن لى هذا الكتاب بعشرة امثاله ذهبا ما بعته» فقلت للمشترى هذا كتاب الشيخ الحاج الحسين الافرانى ، أفلا ترده اليه ، والناس كلهم يردون كتبه ، فقال سبحان الله يردونها ، كالمستفهم لى ، فقلت نعم فقام فورا من وقته وأرسله على يد رجل ثقة الى الشيخ بتيزنيت ، انظر ايها الواقف • المطالع الى هذه الاخلاق السوسية ، وتاملها مع مانحن فيه الان ، واعتبر تلك الرابطة القوية المتينة ، وكيف كان علماء سوس فى ذلك الزمان وقبله ، وقد كانوا من الزهد والتحرى فى أمور الرابطة والاخوة مما صيرهم بينهم كالرجل الواحد ، والجسد الواحد ، اذا تالم بعضه تالم الجميع :

هكذا هكذا والا فلا لا   طرق الجد غير طرق المزاح

وكذلك خزانة العلامة الرئيس اوعابو المذكور ، فانه لما اوقع القائد احمد النفلوسى المذكور به كماذكرنا ءانفا ، استصفى أمواله ، وهدم دوره بمدشر (ايت وليا ض) باداومحمد واستولت الايدى النائية والقاصية عليها من (طرفاية) الى (مراكش) فما وقف احد ممن اشترى شيئا منها من العلماء والطلبة على خطه فى كتبه اوعنده علم به الا واتى به اليه ، حتى لم يبق منها الاماتحت ايدى من لم يعرف أمرها اولم يعلم بها ، وقد اخبرنى رحمه الله عام ١٣٢٦هـ ايام الاخذ عليه بمدرسة (اداو"محمد) انه بقى له باحواز مراكش ، ولعله بمزوضة ، كتب قيمة نفسية لاصبر له عنها ، وانه كتب اليهم بردها ، وقد طالعت كثيرا من خزانته ، مماسمح الزمان برده • واسترجاعه • فوجدت فيها خطوط الراجعين عند الوقوف على المسائل الغا مضة التى تدل على اعتناء كبير منهم فى تحرير عويص العلوم وشواردها ، وهكذا كان أدب العلماء بالسوس فى تلك الازمنة وقبلها ، بحيث ان من نهبت مكتبته لجور اوظلم ، وسقطت الى عالم منهم فانه يردما عثر عليه فيها من جليل او حقير ، ويستنكف ان يقتنيها حياء من صاحبها فضلا عن الحياء من الله ، لانه لاخلاص طوايا العلماء بينهم ، يزور بعضهم بعضا كل عام مرة او مرتين ، فيتبرك بعضهم ببعض ، ويتكاتبون ويتراسلون ، فاذا علم المشترى للكتب مثلا بصاحبها • اوعلم صاحبها بموضعها ولم يردها تبدلت

١) قد يكون كذلك فى هشتوكة فقط ، واما فى خارج هشتوكة فلا على ان العاصين انما انكشفوا عن سوس لذهابهم الى محاربة بوحمارة مامورين ، لا انهم انهزموا

المحبة والاخاء بغضا وجفاء ، فيكون ساقطا فى نظر ذلك العالم المغصوب منه • زيادة على ماعسى ان يصدر من قبائل ذلك العالم المغصوب منه ، من التعصب الذى ينشأعنه المواخذة بالجريمة من اسر وفتك ، وربما يفضى الى القتل ان أشار به العالم او صرخ أو لوح بحسب تنسكه أوتهتكه ، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم •

وممن اوقع به الثوار من قواد المخزن أيضا القائد بوهايا الاخصاصى وهدموا داره، واستصفو أمواله ، فلم يتركوا له خفا ولا حافرا ، ونصبوا بعده القائد المدنى الاخصاصى والفقيه السيد أحمد بن الطالب العبدلاوى معا الى ان غلب القائد المدنى على الثانى فقتله (١) واستصفى أمواله لامور يطول حصرها ، وتقيد على الاخصاص كلهم اكتعين ، وايت عبدالله وغيرهم من المجاورين الى (ميرغت) وأيت براييم من سنة ١٣٢١هـ الى أن توفى فى رمضان سنة ١٣٥٢هـ راضيا مرضيا عند الخاصة والعامة من أهل سوس

وممن اوقع بهم الثوار أيضا ، أجواد سوس وابطالها ، وعقلاؤها وسمحاؤها وذوو مجدها الطارف والتالد ، ومن فخرهم راسخ فى القلوب خالد ، القائد سعيد بن محمد البعقيلى وأولاده الافاضل الامجاد ، وقد حاصروهم ازيد من شهر الى ان غلبوا عليهم ، ودخلوا عليهم عنوة ، فأفلتوا ليلا راكبين خيولهم ، بعدما حفر الثوار تحت اساس دورهم ، وجعلوا فيها قناطير مقنطرة من ميناء البارود فانهدت به جدرانها ، وتطايرت الى السماء ، فانالله وانا اليه راجعون ، وأفلتوا خلال ذلك من بعض جوانب الدور التى لم يصلها أدنى سوء منه ، هاربين الى (تيزنيت) ثم رجعوا واستجاروا ببعض العشائر ، الى أن كان من أمرهم ماكان من تولية وزارة الشريف المولى احمد الهيبة ابن الشيخ ماء العينين ، عند قيامه بالسوس عام ١٣٣٠ هـ فرجعوا الى وطنهم (كردوس) وقد بلغ هؤلاء من الشهرة فى الكرم والشجاعة والفروسية ومعرفة من اين توكل الكتف ، مالم يبلغه غيرهم من رؤساء سوس ، ومن افراط كرمهم ان مواسم الولى سيدى احمد بن موسى الثلاثة فى كل سنة ، يجتمع عليهم فيها من الصادر والوارد ذهابا وايابا ما لايحصيه الاخالقه ، ويبيت عليهم ، ويسدلون على الجميع من الانعام والاكرام مايذكر أوينسى المهالبة من بنى صفرة ، أو البرامكة • اوبنى معن • واخبارهم فى الجود والشجاعة واحياء مراسم المروءة ومجالستهم لاهل العلم ، وانقيادهم لهم ، ومخالطتهم لاهل الفضل والفقر مشهورة (٢) ومئاثرهم فى ذلك كله

١) فى عهد القائد الكيلولى انقلب المركب بالقائد بوهيا ، واستولى القائد المدنى، وأما سى أحمد بن الطالب فلم يكن قائدا الا فى عهدالهيبة ثم لم يقتله المدنى الا نحو ١٣٤٠هـ

٢) يعنى الصوفية

...ورة مسطورة ، وهم من ثقات اصحابنا ، وخيار احبابنا بالقطر الولتيتى ... القائد سعيد والقائد (١) اليزيد منهم ، فانهما ممن ارتضعت معهما ... المحبة والوداد لبنا صافيا ، حتى كان بعضنا لبعض لايخفى اسراره ... ايه وسرائره مصفيا مصافيا

وممن نكل به الثوار فى ءاخر هزيمة النفلوسى من السنة المذكورة ، قواد ... ورؤساء من أكلو وتيزنيت والمعدر وماسة وقبائل هشتوكة ، وقبائل ... ، وقبائل كسيمة • الى اكادير • لان الفقيه المذكور رحمه الله تتبع ءاثار ... ، ومن غرز غرزهم ممن فيه رائحتهم ، فوجد نشاطا عظيما فى ... الثائرة ، ولكن من لطف الله ان كثيرا من الرؤساء فى هشتوكة والشيوخ ... ووضع عليهم يده الحنينة ، ودفع عنهم أيدى الثوار العادية ، فلم يصبهم ... سوء منهم ، فمنهم من افتدى منهم بالمال ، ومنهم من لا ، كراهية منه ان ... بالفتك والتخريب على جميع البيوتات الكبار ، لان غالبها مع المخزن ... انسحب النفلوسى الحاحى والمخزن الشريف عن السوس الاقصى اكتع ، ... للفقيه (٢) شيخنا ابن عابو المذكور وانصاره الثوار ، أسس اهل ... قواعد وحتموا اعتبارها ، وقوانين ايدوا أعمالها واقرارها ، ورتبوا ... الاموال (٣) فيمن تعرض لاحد ذهب لاسواقهم او مواسمهم او مدارسهم ... المخزون فيها مؤونتهم وامتعتهم ، او تعرض لفقيه او عالم وطالب ... بسبب اوشتم ، اوتعرض ليهودى فى ملاحه او فى طريقه ، او سرق ... جروحا او سفك دما او غيرذلك ، وشددوا فى ذلك وعينوا النفاليس(٤) ... الجمعية فى كل قبيلة تجتمع فى مدرستها عند وقوع تلك النوائب • ... الفقيه المدرس فى المدرسة هو الحاكم الاكبر المرجوع اليه فى الامور ... ، وعلى هذا النمط بنيت احوال السوس الاقصى كله من أوله الى ءاخره ... وتأدبنا بها ، ومارسناها بأنفسنا ، وتعاطيناها ، فانجبرت بعد ... احوال سوس • وامتلات المدارس بأنواع العلوم والفنون ، وانحشر الطلبة ... جانب ومكان ، من أقطار بعيدة الى سوس لاخذ العلوم ، والقراءات السبع ... الصادر والوارد ، والقريب والغريب ، ويردون من احواز مراكش ودكالة ... والشياظمة ، فضلا عن حاحة وغيرها ، لاسيما مدرسة الفقيه الرئيس

١) ليس اليزيد بالقائد

٢) لايسلس للفقيه ابن عبو الا بعض هشتوكة لاغير

٣) هذه الاعراف قديمة فى سوس من قرون عديدة ، وليست مما احدث فى ... ، اللهم الااذا أحدث قليل منها فقط ، لان كل ماسيذكره قديم

٤) جمع انفلوس : الرئيس من رؤساء القبيلة الذين تتكون منهم الجماعة ... لها الحل والعقد

المذكور وهي مدرسة (ادا و"محمد) (١) ، فانها مثل الجامع الازهر بالنسبة لذلك القطر ، وقد الممت فيها للتعاطي ازيد من ست سنين ، فما عرف البعض البعض لكثرة الاعتناء بالطلب ، وقلة المكالمة ، والمجالسة لامور التعارف والضحك فلاترى طالبا يقف او يكلم احدا او يضاحكه الا عند المجالسة للمطالعة او المناظرة او للسرد او لالقاء الاسئلة ، أو لغير ذلك ممافيه منفعة للجميع ووضع الناس الاولياء (٢) والمدارس مواسم يجتمع فيها الطلبة للقراءة كل سنة ثلاثة أيام لكل موسم ، من مواسم الجبال والسهول مثل (تاوعلات) بهيلانة ، وسيدى (بيبي) ، وموسم (تادارت) وموسم (علال) وموسم (ايت يعزى) وموسم (سيدى "محمد الشوشاوى) وموسم (سيدى مزال) كلها بهشتوكة ، وكذلك كل جهة من أصقاع السوس فيما نأى او دنا ، فصارت تلك المواسم للطلبة مثل الامتحانات كل سنة في هذا العصر الحاضر

ولنذكر نبذة من أحوالهم في ذلك فنقول : اذا بقي لموسم (سيدى بيبي) مثلا أوغيره خمسة عشر يوما ، عمد الفقيه المدرس في المدرسة الى طلبته عند قراءتهم الحزب الراتب بكرة اوعشيا ، اذ هو عندهم من قبيل الواجب ، فلا يتخلف عنه احد لقوانين وضعت على المتخلف ، وهي صارمة ، فينبههم وينشطهم لذلك الموسم ، ويخبر جلهم المؤن والجرايات المتعلقة بثلاثة أيام الموسم ، في كل مايحتاجون اليه من خبز وادام وسكر ودراهم وفرش وغيرها ، مما يتانقون به اليه ، ويندبهم للبس الثياب البيضاء ، وازالة الاوساخ ، واستعمال أفعال المروءة من الحياء • وعدم اللغط والصخب والفحش وغيرها مما ينافي وقارالعلم وهيبته ، اويورث مهانة ، فاذا حان يوم الذهاب للموسم ، وهو يوم الاربعاء للقريب • وقبله للبعيد • تهيأوا واستعدوا ، وتزينوا باحسن ماعندهم واجتمعوا فاذا استكملوا الاجتماع ذهبوا الى أستاذهم الفقيه لينظرهم ، ويعرضهم بين يديه ، ويوصى كل واحد منهم من كبير أو صغير بما تنبغي الوصاة به ، مما يليق بهم ، ويحضهم على التمسك بما ذكر ءانفا زيادة على تحسين القراءة وتجويدها في المجامع ، ثم يدعو لهم بالتوفيق والهداية والرشد ، فاذا وصلوا الى الموسم ذهبوا الى محلهم المعين لهم ، للقراءة فيه بين صفوف القراء من أمثالهم فيتناوبون في القراءة ربع حزب (من القرءان) لكل حزب (اى جماعة منهم) (وكل حزب بمالديهم فرحون) ، فاذا وصلت النوبة الى احدمنهم ، جاء جميع الحاضرين ، ووقفوا عليهم يحصون عليهم الانفاس والفلتات ، فضلا عن الالفاظ

١) حقا كان لهذه المدرسة غالب ماذكره هذا الكاتب ولكن يوم كان فيها العلامة سيدى سعيد الشريف ، أما في عهد ابن عابو فهي كغيرها من المدارس كما أنه كغيره من المدرسين أقرانه

٢) يعني مشاهد الاولياء الصالحين المعتقدين عند عامة الناس

والاوقاف والمطوط والالفات ، فاذا مالوا ولو خطئا في وقف او اشباع ، اوقصر اوتوسط اوغير ذلك ، من انواع التجويد ، صفق لهم جميع الحاضرين من الطلبة تشهيرا للسامعين بعظم الزلة ، وربما سمع التصفيق العوام المشتغلون بانواع الاتجار خارج المدرسة ، فيصفقون هم ايضا ، لما رسخ في اذهانهم من فظاعة ذلك • وربما ينفي المخطئون من موضعهم ذلك ، ويطردون منه بالكلية ، فيصيرون سبة الى العام القابل ، فيسقطون في أعين الناس ، لاسيما في عين شيخهم ، فانه يسخط على ذلك الحال • ويتسلط عليهم بأنواع السب والثلب الى حين

وقد حضرت انا في هذه المواسم في حدود العشرين ثلاث سنين ، الاولى عام ١٣٢١هـ الى سنة ١٣٢٣هـ وكنت حذام طلبة تلك المواسم ، فرأيت وسمعت مالم يحط به القلم من أحوال الطلبة من جليل وحقير

ويتناوبون ايضا في نصوص التجويد والقراءات واصولها ، من لامية الشيخ الشاطبي المسماة بحرز الاماني ، وارجوزة الخراز ، وابن برى والحصرى وغير ذلك ، مما كانوا يحفظونه ، ويعدونه لتلك الايام وغيرها ، مفخرة وتطاولا على اخوانهم • وكل من حفظ هاته المؤلفات ، علاوة على حفظ القراءات السبع او العشر الصغيرة أو الكبيرة ، فانه عندهم في غاية التعظيم ، مشار اليه بالاصابع ترمقه العيون بالاجلال ، عند الخاص والعام ، ذكورا واناثا ، فلذلك يكون لهم مزيد اعتناء بذلك ، لاسيما قبائل هشتوكة وهوارة وماسة وقبائل ايت باعمران فانهم يبذلون طارف الاعتناء وتالده في تحصيل القراءات بأصولها ووجوهها على ما ينبغي ، واكثر مدارسهم لايقبلون فيها الا امام القراءات الموصوف عندهم بهذا الوصف

وذلك بخلاف البلاد الجبلية من السوس الى صحراء (شنكيط) وغيرها فانهم لايعتنون الا بالعلوم الشرعية الرسمية بانواعها من نحو وعربية ولغة وفقه على مذهب الامام مالك ، وحديث وتفسير وبيان ومنطق وهيئة من علوم فلكية ورياضية وحساب وفرائض (١) (وجداول واوفاق وطلاسم وعلوم السيمياء والكيمياء وانواع الازياج والاستخراجات والخدمات والاستنزالات والعزائم والنيرنجات وتعاطي أسرار الحرف والاوضاع والتوفيقات الى ان تعدى اكثرهم الى تعاطي السحر بأنواعه والنفث والزناتي والرمل) بل غالبهم ادباء شعراء فحول لايشق لهم غبار ، مهرة في فنون الادب وايام العرب (٢) ومنهم ايضا

١) كل ما ذكر بعد الفرائض لايعتنى به الا قليلون جدا كامثال الكاتب نفسه

٢)الاعتناء بالادب في سوس لايوازى الاعتناء بالفقه ، بل دونه بمراحل ، الا في بعض المدارس • وفي كتاب (سوس العالمة) وفي هذا الكتاب نفسه مايشفي الغليل في ذلك لمن تتبع كل ما في الكتابين

من تميز فـي علوم الحكمة من الطبيعيات والخواص وعلم النار والعقاقير (١) والحاصل ان قطر السوس الاقصى متميز عن غيره من الاقطار بكثرة العـلـوم المتنوعة من لدن القرن الخامس (٢) الى هلم جرا ، كما أن اكثرهم منهمك على كتب القوم وطريقتهم واصطلاحاتهم ، الى ان فاقوا وبلغوا فيها درجة عزت على غيرهم من البلدان ، فان هؤلاء لايقبلون فى مدارسهم في الغالب الا من اتصف بما ذكرنا ، لانهم اهل هذه الفنون ، وصاحبها معظم عندهم أيضا الى الغاية بـل تعظيمه أعم

هذه محاسن هؤلاء الطلبة ومساويهم فى هذه المواسم • وقد ذكرنا كثيرا من محاسنهم فى أوقات الاستعدادات لها من الاعتناء بها أدبيا وماديا ، حتى أن القبائل المجاورة لتلك المواسم تهتز لها ، وتتطلع تشوقا منها الى اسراب الطلبة عند ذهابهم للموسم ، وايابهم منه ، فى حالة جميلة ، وشارة حسنة • فيكتسبون منها غبطة كبيرة • تؤديهم الى الاعتناء بأولادهم ، وتربيتهم صغارا على القراءة وحفظ القرءان ، وتغذيتهم بالعلوم الشرعية ، فلا يمر بسبب ذلك عام اوعامان الا ونلقى زيادة محسوسة فى المكاتب الصغار والعظام ، من أنواع الصبيان • والتانق بالتعلم والتعليم وتنمو بذلك روحانية العلوم الاسلامية ، وتستاصل به جرثومة الامية والهمجية ، فبذلك كله صار السوس الاقصى مشحونا باهل العلم والدين ، وتعظيم الكل ، فلا تسمع زمنئذ الافلان ولد نجيب ، ولفلان ولد حافظ للقرءان • ولفلان ولدعالم ، فصار ذلك كله رائجا عندهم فبذلك زاد اغتباط الناس ، فتنافسوا فى تقديم اولادهم الى المكاتب ، فانتشرت العلوم ، وعمت الاقطار • مابين عالم متفنن متضلع ، وبين قارىء حمـزاوى او عشرى مجود للقراءات متشبع (٣) الى حدود الخمسة والثلاثين بعد الثلاثمائة والالف فجعلت شمس تلك الاعصار المضيئة تركض فى مغرب افولها ، الى ان غابت أضواء تلك المطالع بالكلية فى ظرف خمس سنين ، لاستيلاء ظلمات الرفاهية وأسبابها ، وتبدلت بالكلية (كأن لم تغن بالامس) تلـك الاخـلاق بانسداد أبوابها ، وطمت فى بحور الاخلاق الجديدة العصرية الناشئة من تراكم الاحتلال الاوربى ، فانغمس الناس فى أوحال المعايش ، لما اجتمع عليهم من تعاقب السنين المجدية ، وأنواع الملاذ المالوفة ، والتفنن فى المآكل والمشارب المستلزمة لترك الاخلاق القديمة ، والاخذ بالاخلاق الجديدة ، من التلون فـى الافكار من طور الى طور ، ومن اكبر القواطع انحشار الناس عامة وخاصة الى المـدن

١) هذه كذلك لانكاد نسمع من يعتنى بها اليوم ، وربما كان ذلك قبل اليوم

٢) فى كتاب (سوس العالمة) بيان مايعتنى به السوسيون من العلوم بتفصيل شاف

٣) كل ماقاله المترجم من هذا الاعتناء العجيب ادركناه فى اواخر عنفوانه وذلك كله صدق ، و(ما يوم حليمة بسر) وانما يواخذ المترجم بالاغراق

لتعاطى التجارات والتعليمات بأنواعها ، وظهرت فى السوس الاقصى بل والادنى من مراكش واحوازها ودرعة وتافيلالت وصحرائها الى فيكيك ءاثـار الخلاء والخراب المحسوسة ، ولولا تلافى الدولة الحامية بانواع الاصلاحات فـي الادارات والطرقات ، وأسباب التمدن ، لاضمحلت بالكلية لانجلاء أهلها الى المدن باولادهم ، لتيسر أسباب المعاش • وأنواع الملاذ فى الحواضر دون البوادى ووقع اختلاط محسوس فى المدن بين العناصر والاجناس فى المناكح والازدواجات وانقلبت الازمنة غير الازمنة ، فبذلك كله تأخرت فى السوس الاقصى وغيره من سائر الاقطار أنواع العلوم ، فاذا قبض عالم فلا يخلفه الا جاهل او تاجر ولله الامر من قبل ومن بعد ، واليه ترجع الامور

فصـــــل

ولنعد الى مانحن بصدده ، ففى عام ١٣١٦هـ اشتغلت بالتعلم على شيخنا الفقيه البركة المحقق المرابط السيد محمد بن احمد بن محمد بن محمد بـن ..... بن بلقاسم بن الحسن بن عبدالله الكرسيفى اصلا التيملى وطـنـا الاسكاورى سكنا • فى مسجدنا بمدشر (ءاوالا) فقرأت عليه قراءة نافع وابن كثير مع تجويد القراءة وتحقيق الرسم ، وحفظ النصوص المتعلقة بالقراءات من ابن برى والخراز والحصرى وحرز الامانى للشاطبـي ، وغير ذلك مـن المقطعات الرسمية ، فاقمت عنده الى عام ١٣٢٠هـ بعد وفاة الوالد بستة اشهر فارتحلت الى هشتوكة ، وأنا فى ابان البلوغ ، بمعية صاحبنا وصاحب الوالدين المرابط السيد موسى بن ابراهيم من بنى على بن احـمـد الغازى الكرسيفى الماوزى ، وذهب بى الى أخيه الفقيه السيد ياسين بـن ابراهيم الساكـن بأيت صالح بقبيلة أولاد بلفاع بهشتوكة ، فذهبنا على طريق جبال صوابـة وبتنا بالظلال (تعريب كلمة ءامالو ، وكان ينبغى ان يقول الظل لانها مفرد فى الشلحة) ، ثم (ايمى أوغكمي) ولم نصل ، لتعلقنا بالبغال ، وتوتر تلـك الجبال • الا بعد ثلاث الى أيت صالح ، فلما وصلنا الى السيد ياسين المذكور، وجدنا عنده من الطلبة مايزيد على الخمسين ، مع أنه فى جامع صغير ، وذهب بى رحمه الله بنفسه الى شيخنا الفقيه العلامة المقرىء المحقق النحوى الاصولى المرابط السيد ابراهيم (١) بن الحاج محمد الركراكى الساكن بـ (تاوريرت وانو) (اى ربوة البير) وزاوية سيدى اسحاق وغيرهما وقته ، المؤدب بمدرسة (ايت باكو) بهشتوكة ، فوصلنا فى الساعة الثامنة من النهار يوم السبت فاتح صفر عام ١٣٢١هـ وفرح بنا غاية ، واوصاه بالوقوف معي والجد والاجتهاد فى

١) هذا السيد أستاذ يتقن قراءة البصرى ، ومامعه من النحو الا نبذة ، وهكذا وصفه لى من عرفوه واخذوا عنه ، ومن بينهم من كان هناك يوم كان عند المترجم • وهو مترجم بين أهله فى (القسم الثالث)

امر تعامى بعدما اتحفناه بارطال من لوز بلادنا المقل ، احسانا ، فبلغ به من السرور ما لامزيد عليه ، لكونه ليس من شجر بلاد هشتوكة الاناديرا ، فرجع الفقيه السيد ياسين المذكور الى مقره ، واقمت ثلاثا للاستراحة الى يوم الاربعاء ، فأمر لى بالابتداء فيه ، وقال لى انه يوم النور ، ينبغي ان يتحرى فيه الابتداء • فابتدأت بحزب (حم ماخلقنا) الذى وقفت عليه فى بلادى بقراءة ابن كثير ، الى ان ختمت العشرة الباقية ، فندبنى لقراءة ابى عمرو ابن العلاء مفردة ، فختمت فيها ختمتين بغاية التحقيق والتجويد • من رسومها واصولها ونصوصها ونصوص روادفها ، وفى خلال ذلك كله ، يندبنى لحفظ المتون النحوية والفقهية ، فحفظت الاجرومية والجمل لابن المجرادى ، وارجوزة البناء والصرف والمنع ولامية الافعال والمرشد المعين لابن عاشر والفية ابن مالك (١) وارجوزة ابن سليمان فى الحساب وارجوزة المقنع للمرغيتي ، ولامية ابن الوردى نصيحة الاخوان ولامية الشنفرى ولامية العجم للطغرائى ، ومنظومة التلخيص ، وأرجوزة السلم للاخضرى ، والاربعين حديثا للنووى وغير ذلك من القصائد الادبية والمقطعات ، وحفظت من ديوان ابن الفارض التائية واللامية والميمية والكافية ، وحفظت من الدواوين كثيرا مثل ديوان المتنبي والبحترى وابن سهل والحماسة والمعلقات السبع وغير ذلك ، وكان الحفظ اذذاك اسهل عندى من النفس ، لسيلان ذهنى ، وصفائه من شوائب ادران الدنيا ، وشوهد منى ذلك • وشهد لى به العدو والصديق (٢) وقد جلست مرة مع بعض طلبة العلم قبل تعاطيه ، وقبل حفظ ابن الفارض ، وعنده نسخة منه ، فقال لى يافلان بلغنا انك تحفظ فى قليل جميع ماراته عيناك ، ونحن نريد موسم (لالة تاواعلات) ولابد عند التقاء الطلبة هناك ان يديروا بينهم الاشعار العلمية ، والقصائد الادبية ثلاثة أيام ، كما هو المعروف من عادتهم ، ونخاف ان يعرض لنا عجز وقصور لقلة ماحضر عندنا من القصائد العلمية ، فنرغب من سيادتكم ان تحفظوا لامية ابن الفارض بعد حفظ تائيته قبل بلوغ الموسم بشهر ، لتكون لنا عونا وعدة فى يومه ، فقلت له هات النسخة فتسلمتها منه ، واشتغلت بحفظ التائية بمحضرهم ، وهم يتضاحكون على شرب الاتاى نحو ثلاث ساعات • فما استتموا شربه حتى حفظتها عن ظهر قلب ، من غير تعب ولا كلفة ، فقلت له خذ النسخة فقال دعها عندك حتى تحفظ منها ماذكرت لك فى هذا الشهر ، فقلت له انى فرغت من حفظه الان ، فضحك كالمستهزىء ، فحلفت له ، فقال اعرضها عنى

---

١) كان سبق له ان ذكر انه حفظ بعض هذه المتون ، ولعله زادها الان حفظا

٢) اخبرنى الاديب سيدى احمد اليزيدى ان هذا السيد كان اسهل الناس حفظا • وانه يحفظ قطعة شعرية بمجرد سماعها مرة واحدة ، ويكاد يتواتر عنه سرعة الحفظ • ولكن فى اعتنائه بهذه القصائد الادبية التى لايفهما وهو لايزال فى حفظ القرءان ، ولم يلم بعد بالعربية ، موضع العجب

فعرضتها عليه كلها كتعاء • ولم يعزب على منها الاقليل ، فخرج واعلم جميع طلبة المدرسة ، فجاءوا كلهم مستغربين ذلك ، فكررتها عليهم ثانيا ولم يعزب على منها حرف واحد ، ثم قالوا لم نسمع من اتى انه حفظ اكثر من سبعمائة مستغرك فى زماننا هذا فى ظرف نصف يوم ، وشهدوا لى بسرعة الحفظ ، وشاع امرى في ذلك بين طلبة الاقطار ، فاقمت نحو سنة ونصف بهذه المدرسة السوشاوية ، فى غاية الجد والاجتهاد ، وكنت وأنا اصغر القوم مع ولده الفقيه السيد محمد بن ابراهيم فى بيت واحد ، ناكل ونشرب فى اناء واحد ، وكلفنا بتجويز ألواح أهل قراءة ابن كثير وابن العلاء بقصد التمرن ، ورسوخ القراءات فى اوعيتنا ، وكان عدد طلبة المدرسة نيفا وتسعين الى المائة (١) وكانت أعشار القبيلة لم تقم بكفايتهم فى تلك السنين لشدة القحط والجدب وكثرة الغلاء ، فمن تلك السنة ابتدأ الشعير بغلاء الثمن ، حتى وصل سعره ستة ارباع حسنية (٢) وهو امر لم يعهد مثله من قبل ، فسمي العام بعام ستة ارباع ، وذلك لكيال فيه ثلاث اصع بصاع النبى صلى الله عليه وسلم ، وكنا نذهب أيام الاستراحة الى البساتين لطلب الجزر واللفت والفول وغيرها من الخضر ، مما يقتات من المداشر المجاورة لمدرسة سيدي محمد الشوشاوى مثل تونف وتوكيمت ، وأيت عياط وغيرها ، فيساعدنا أرباب البساتين رغبة فى الثواب بالاحسان الى حملة كتاب الله المهاجرين لاجله ، فانهم لهذا الرجاء يؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة ، فاذا وجدوا طالبا على هذا الحال دلوه على أماكن جنانهم وبساتينهم ، ويؤكدونه على الاخذ منها ، سواء فى حضورهم او فى غيبتهم ، وكثيرا ماترى الطالب يدخل الى البستان اوالعرصة وربها غائب • فياخذ ما أعجبه من الخضر والفواكه ، وربما يجده فى البستان اوفى خارجه فينظر الى ما معه فان وجده قليلا رده ، وحلف له ان ياخذ شيئا له بال ، هذا مما امتاز به أهل السوس الاقصى من تعظيم القرءان وحملته • ولاباس ان نذكر طرفا من ذلك مما يدل على اعظامهم لاهل العلم واجلالهم لحملة كتاب الله ، ومن معاملتهم معهم بالمسامحة والمكارمة

فنقول زيادة على ما تقدم : ان مدارس العلوم النقلية والعقلية ، ومدارس القراءات فى السوس الاقصى لاتعد ولاتحصى (٣) لان كل قبيلة لابد لها من

---

١) زعم من كان حاضرا هناك ان الطلبة هناك لم يبلغوا حتى نصف هذا العدد • ولعل ذلك يختلف بحسب الاوقات

٢) المراد بالربع مايساوى درهمين شرعيين من الفضة ، وكان ايضا يسمى بسيطة مغربية ففى الريال خمسة ارباع ، ولاينبغي ان يفهم من لم يدرك ذلك ان المراد بالربع ربع الريال لان هذا ربع اى بسيطة وقرش

٣) انما اراد الكثرة ، والا فان مجموع تلك المدارس القديمة لايتجاوز الثمانين • وعندنا مجموع ذكرناها فيه كلها

مدرسة، بل ان كانت القبيلة كبيرة تقدر على القيام باكثر ، فانها تزيد مدرستين اوثلاثا ، وكيفية القيام بها ان يلتزموا (١) على انفسهم لكل كانون ثلث زكواتهم واعشارهم اوربعها أو أقل أو أكثر بحسب قلة القبيلة وكثرتها ، وقلة طلبتها وكثرتهم ، فيكتبون ذلك كله مع ضوابط المدرسة والاسواق والحصون فى سجل خاص ، يسمونه (سجل الاعراف) لجمعه ضوابط وقوانين صارمة ، لايتسامح فيها عند حدوثها فى الثلاثة المتقدمة ، فاذا فرغ الناس من جمع انادرهم وبيادرهم ، ءاخر دراسهم لحبوبهم ، اجتمع أشياخ القبيلة مثلا المسمون عندهم بالنفاليس (اينفلاس جمع انفلوس اى رؤساء القبيلة) لانهم ينصبون من كل مدشر أنفلوسا ، او لكل فخذ أو بطن او فصيلة ، فيحضر مع نفاليس القبيلة فى جميع الامور ، فاذا لم يحضر تعينت عليه الخطيئة والعقوبة (٢) بمال معلوم عندهم ، عند رئيس المدرسة ، وفقيهها الذى هو رئيس تلك الجمعية فيحسبون كوانين القبيلة حتى يعرفوا مازاد منها ومانقص ، ويحاسبوا الجميع على مقدار ماعندهم من ارادب القمح (٣) والشعير من الاعشار ، فيعينون يوما معلوما للاتيان بها الى المدرسة ، ووضعها فى مطاميرها او بيوتها او اهرائها ، فاذا وصل ذلك اليوم تسرب الناس أفواجا وأفرادا بأحمال الجمال والبغال والحمير منزعجين الى المدرسة ، لوضع تلك الاعشار ، فمن لم يات بها الى غروب شمس ذلك اليوم أوالى أجل معلوم عندهم ، فانه يعاقب بمقدار المال المكتوب فى سجل القوانين المذكور ، ويأتون معها بما يلتزمونه للفقيه ، مما يسمونه شرطا من زرع وادام ودراهم وصوف وغنم وغيرذلك ، مما فى رسم السجل ، فاذا فرغوا من ذلك بعد يومين أوثلاث مثلا ، تفقدوا طلبة المدرسة ، فمن كان غريبا عرفوه ومن كان أهليا عرفوه ، ومن ضرب اوشتم اوسب اوسرق أو فعل بطالب المدرسة او مدرسها (٤) ماينافى ما فى السجل ، نكلوا به بقدر فعله ، بعقوبة مالية معينة فى السجل ، أو من تعرض لمن ذهب اليها من رجل او امرأة بشىء من ذلك فانه يعاقب ، والعقوبة بالمال رعيا للمصلحة المرسلة جوزها علماء سوس بعد اصرارهم على منعها وبعد ملاقاتهم الصعوبات الكثيرة ، والعقوبات الشديدة فى الشؤون الداخلية ، والمسائل القضائية ، فلما خافوا من اختلال أحوال أمور

١) كانت هذه العادة فى سوس منذ ماقبل القرن العاشر وبذلك بقى العلم متسلسل الحلقات فى سوس . راجع (سوس العالمة)

٢) يعنى بالخطيئة الغرامة ، فما بعدها عطف تفسير عليها

٣) يندر كثيرا حرث القمح فى سوس حتى لايحسب فى مثل هذا ، والغالب الشعير والتمر والذرة فى محلاتهما القليلة ، هذا فى السهول . وأما فى الجبال فلا يحرث القمح البتة

٤) المعتاد انه لايتكلم فى طلبة المدرسة الا الاستاذ ، ولاسلطة للنفاليس عليهم ولعل المؤلف أراد كون النفاليس ينظرون فى امر من مس أحدا من الطلبة بشىء من ذلك

مصالحهم الادبية والمادية ، اوعزوا الى عوامهم . واعيان قبائلهم بالعقوبة بالمال ساكتين عن الجواز وعدمه ، بحيث لو قلت لعالم منهم ان العقوبة بالمال جوزها البرزلى رحمه الله وغيره ، ولذلك ادلة شهيرة فى الحديث وغيره وكلام الخليفة الصالح الاموى القائل (تحدث للناس اقضية بقدر ما احدثوا من الفجور) ، الى غير ذلك ، لما أجابك الا بمعارضة هذه الادلة بأدلة اخرى دالة على عدم تسويغه والاقذاع الشديد على من سوغه ، ورميه برقة الديانة ، وكثرة الخيانة ، هذا اذا كان من العلماء الاجلة ، وأما غيرهم فمهما سالتهم عن ذلك فمنهم من يسكت لا ساخطا ولا راضيا . ومنهم من يقول ان الزمان غير الزمان . وقد غلب الفساد وأهله ، ويستدل بقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله المتقدم وغيره ، فاذا وقع شىء مما يوجب العقوبة ، رايتهم نادبين لعوامهم الى تلك المسالك فلا يعدونها حينئذ من جملة المهالك ، وربما يرأسهم فى ذلك العالم نفسه ، فهذا دليل على تسويغ اكثرهم لها ، الا من عصمه الله منهم ، وقليل ماهم . هذا كله فى أول القرن الرابع عشر وقبله بازمنة ، وأما بعده فقد اجمعوا على اقراره ، والسكوت عنه راضين ، رعيا للمصالح العامة كما تقدم

(فصل) نلم فيه بمقدار عقوبة المال في الاقطار السوسية

أما مقداره فى القرن العاشر ، وأول أيام الاسلاف الاشراف السعديين فى حدود ٩٣٣هـ فانهم يكتبون فى سجلات أعرافهم ، كما اطلعنا عليها ، مثقالا او مثقالين لمن تعرض بسوء لعالم او طالب أو امرأة أو غريب أويهودى ، أو سارق فى مواسم الحرمة أو الحصون المخزون فيها ، أوغير ذلك الى أيام السلطان المقدس المرحوم المولى أحمد المنصور الذهبى ، فزادوا زيادة محسوسة فصار قدرها عشرة مثاقيل ، ثم زادوا فى أول الدولة العلوية زيادة ظاهرة فى أول أيام المولى الرشيد عام ١٠٧٨هـ الى أيام المولى عبد الله بن اسماعيل فبلغت الزيادة اثنين وعشرين مثقالا ، ثم بلغت فى أيام المولى سليمان بن محمد بن عبدالله خمسين مثقالا ، ثم استمرت على هذا الحال الى أيام السلطان المولى الحسن بن محمد ، فزادوا فيها ، وتفاقم أمرها فى جبال جزولة (مانوزة) وما حولها من وادى (تيملت) وسملالة وتاهالة وايغشان وبعقيلة ورسموكة وغيرها الى اربعمائة مثقال ، وفى سهول سوس مثل أيت باعمران ، الى أيت جرار ، الى تيزنيت واحوازها . الى هشتوكة وهوارة وقبائل هيلانة ، الى ردانة الى سكتانة الى درعة ، اقروها على مائة مثقال زيادة ، الانادرا ، الى أيام المولى يوسف وأما جبال جزولة فقد زادوا فيها الى خمسمائة ريال ، الى ان هجم الاحتلال على

الجميع ، فاضمحلت هذه الاعراف وصارت نسيا منسيا (١) كما صار نفوذ العلماء في خبر كان ، بعدما كان ماكان ، كما سمعت ورايت

وسبب وضعهم هذه البرامج المالية والعقوبة بها ، من القرن العاشر الى يومناهذا ، دون ماقبله من القرون الاولى ، ان نفوذ سلاطين الوقت فى البلاد السوسية قليل ولاتناله احكامهم الا فى النادر (٢) فصارت كالفوضى لذلك ولغلبة نفوذ العلماء عليها وكثيرا مايكون العامل المخزني بتارودانت او تيزنيت فى أيامهم ، ولكن تحت نفوذهم وطوع ارادتهم ، مخافة ان يوعزوا فيه لعوامهم فيعاملونه بسوء من قتل أونهب

وسبب بسط نفوذهم ، ونفوذ اعيانهم ، دون مراعاة نفوذ السلاطين ، أن نفوذ السلاطين لايبقى معه زكاة ولا عشر • ولاسيادة لهم فى أوطانهم ، فتصير المدارس العلمية بذلك خرابا يبابا ، لان السلاطين عادتهم ان يجمعوا الزكوات والاعشار • فيضعونها فى صناديقهم ، ويجعلونها فى غير استحقاقها وغير موضعها فينصرفون الى عواصمهم : مراكشهم وفاسهم او غيرهما ، ويصرفونها فى الفروج والسروج لاغير (٣) واذا وقع ونزل بعض الاصلاحات منهم لبعض الشئون المادية او الادبية ، فمحله فى نظرهم تلك العواصم ، حيث يدورون هم وازواجهم وعبيدهم وخدمهم وحشمهم ، من غير التفات منهم الى مايهم سوسنا من الشئون الدينية والدنيوية ، فلايتعرضون لبناء جامع او مدرسة ولامكتب ولا زاوية الا لغرض من أغراضهم ، من تشوف الى بعض ذوى الوجاهة من العلماء او غيرهم فبذلك كله اجتهد علماء سوس المتقدمون والمتاخرون رضوان الله عليهم فى قطع ذلك النفوذ المؤدى الى الاجحاف بسيادتهم ومدارسهم وما يمس بكرامتهم ، حتى آل الامر الى اصدار فتاو تكفر أو تزندق أو تفسق كل من اخذ منهم ومن عامتهم بأيدى من انتمى الى المخزن ، وافتاء بقتله اوهدم داره او نفيه عن وطنه (٤) حتى سرت فى قلوب عامتهم هذه النحلة المتعة دمنذ احقاب طويلة ، فاذا طرقهم طارق من جانب السلطان من امير أو قائده اونائبه قاصدا لاخضاعهم بالقوة ، التفوا عليه يداواحدة ، معتقدين ان مدافعته اكبر من جهاد العدو الكافر ، فطال

١) نعم هذه الاعراف النافعة تضمحل ، والاعراف المصادمة للشرع الاسلامي يريد المحتل احياءها فتعجب

٢) هذه حقيقة تاريخية ، ولكن فى جبال جزولة وامثالها ، حتى فى عهد مولاى اسمعيل كانت هذه الجبال متمنعة ، فانظر (الجزء الثانى) من (كتاب ايليغ قديما وحديثا)

٣) كلمة نابية لانقر عليها المترجم رحمه الله لعله يريد تصوير الحالة فجمح به القلم

٤) هذه الكلمة مثل المتقدمة

عليهم الامدعلى هذا الحال ، على انهم كانوا يدعون لسلاطين الوقت على المنابر وينصرونهم فى المواسم والاندية ، ويعتقدون ان مخالفتهم شقاق ، ولكن متى قعدوا منهم (١) مزجر الكلب ، او لم يطلبوا منهم قلامة ظفر ، والا فهم سلاطين جور ، يحل عندهم قتالهم • ومدافعتهم عن أوطانهم ، لاسيما الدولة العلوية فانهم معها دائما من أولها الى يوم الاحتلال فى هراش وشقاق ، فما سمعنا منهم من جاوز حكمه (ردانة) الى بسيط (تزنيت) ولم يتوغل احد منهم فى تلك الجبال الجزولية الى جهة القبلة المصمودية ، بل كان العلماء فى كل زمان ، وفى كل قرن ، يثورون (٢) فى تلك الجبال ، وقد ثار فيها فى زمان السلطان المولى محمد ابن عبدالله الفقيه العلامة سيدى محمد بن عبد الله الشريف الكثيرى المعروف عندهم باسم (بوتكولا) وثار لذلك العهد ايضا الفقيه العلامة سيدى عبد الله ابن محمد من بنى الحسن بن عبدالله البوزيدى الجرسيفى المانسوزى المقتول برأس الوادى ، المضروبة عليه قبة هناك ، وثار لذلك أيضا الفقيه ابن عزوز وثار فيه من اولاد الشيخ سيدى احمد بن موسى على بن محمد وولده وولد ولده (٣) وثار فيه أيضا العالم العلامة السيد احمد الهيبة ابن الشيخ ماء العينين عام ١٣٣٠هـ ، وتلاه وتبعه اخوه المربيه ربه ابن الشيخ ماءالعينين وغيرهم ممن لم نذكرهم ، وسنلم بنبذ من أخبار ماحضرناه او سمعنا فى زماننا هذا (٤)

فصل

ولنرجع الى مانحن بصدده من امر اعتناء الناس بأمور الدين وأهله وقد ذكرنا منهاما يتعلق بالمدارس ومدرسيها وطلبتها ، والقيام بتموين الجميع

١) كناية عن الابتعاد بذلك المقدار الذى هو معروف من العادة ، قال ابن الزبعرى :

ومازال مهرى مزجر الكلب منهم لدن غدوة حتى دنت لغروب

٢) عجبا من هذه الفكرة من المترجم حين يبتهج بالثورة على الحكومة المركزية وقد كانت له رحمه الله افكار شاذة • لاتخفى من مطالعة كل ماسقناه عنه

٣) وفى هؤلاء جمع كتاب (ايليغ قديما وحديثا)

٤) هذا كله كلام يقف ازاءه من يعرفون الحقائق متعجبين ، فلعل هذا الكاتب لم يبلغه كيف انثال الناس على السلطان مولاى الحسن من السهول والجبال لما زار سوس عام ١٢٩٩هـ وعام ١٣٠٣هـ وكذلك ماقام به السوسيون ازاء احمد بن محرز وازاء محمد العالم ، وما قام به الناس من مجابهة الثائرين على الحكومة كابى احلاس عام ١٢٠٧هـ وما جابهوا به المكاوى والدربالى وامثالهما ، فأين معاداة الدولة العلوية فى سوس ياترى ؟

واما ثوار سوس فانهم حقيقة كثيرون كما كثروا فى كل نواحى المغرب وقد ... جمعتهم فى محاضرة القيتها ونحن فى معتقل الصحراء

ولنذكر غير المدارس من المكاتب العظام التى هى بمنزلة المدارس فى اتخاذها للتعلم والتدريس مثل المدارس ، ولكن ليس لها موارد من زكوات وأعشار . فان المكتب اذا كان فى بلد أو مدشر كبير فيه مثلا اكثر من سبعين كانونا الى المائة ، يتخذ فيه بيوت سكنى الطلبة الغرباء وغيرهم فتشد الرحلة اليه أيضا كالمدرسة ، ولكن الطالب الغريب مثلا يتقى رجلا او رجلين من أهل البلد، فيذهب بكرة وعشيا للاتيان بغدائه وعشائه من عنده ويسمون ذلك (الرتبية) (تعريب تارتبيت بالشلحة وان كان فيه معنى الرتوب بالعربية) فيقولون مثلا ان الطالب الفلانى أخذ الرتبية من فلان ، الى ان آل أمر بعضهم الى تبنى بعض الغرباء فيأخذونهم اذا أتموا تعلمهم فيؤوونهم الى بيوتهم ويزوجونهم احدى بناتهم ويعطونهم مسكنا من مالهم ، وذلك ان كان لهم اولاد ذكور ، وان لم يكن لهم شىء من الذكور ، يملكونهم جميع أموالهم (١)

ولما اشتغلت بالقراءة فى هذه المدرسة (الشوشاوية) اخذت الرتبية من عند بعض أهل البلد اشهرا ، فرأيته هو وأهل داره يستميلوننى الى ذلك فزهدت فى رتبيتهم خوفا من عاقبة الامر ، لان والدتى المقدسة كثيرا ماتوصينى على أمثال ذلك مخافة القواطع ، لانه كم من تلميذ غريب مقطوع عن والديه فى بلاد بعيدة يصير متأهلا مستوطنا ، لاسيما اولاد الفقراء ، ولما تخليت عن الرتبية جاءنى صاحبى هو وامرأته وبناته ، كأنى ولدهم . فقالوا لى مالك قد انقطعت عنا ؟ أولم يعجبك طعامنا ؟ او قطعك عنا غيرنا ممن هو افضل منا ؟ فقلت لهم لاذا ولاذاك بل أنا من اولاد اغنياء بلدى ، وذوى الثروة العظيمة منهم ، ويأتينى من اهلى من أنواع المؤن والزاد من كل صادر ووارد شىء كثير ، فأخرجت لهم سمنا وعسلا (٢) كثيرا ولوزا ودراهم كثيرة ، مما لايحسبونه عند احد فاتحفتهم بشىء من ذلك وسألت منهم المسامحة عن الايام الخالية

وأما اولاد الفقراء فقليل منهم من يرجع الى بلاده ، عند اتمام تعلمه . لما ذكرنا . فتجد اكثر أهالى بسائط سوس من هوارة وراس الوادى وهشتوكة الى حاحة ليسوا بأصليين . بل من أهل النواحي الجبلية وغيرها ، ولتيسر اسباب القراءة فى السوس الاقصى صار غالبهم طلبة قراءات او طلبة علم ، والامية فى غالب اقطارهم قليلة لشدة ارتباط اهل الاقطار القريبة والبعيدة ، فيشتركون فى الموارد العرفانية ، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

١) مثل هذا الاعتناء يكثر فى هشتوكة وقبائل ما حوالى تارودانت من اجيال الى ان انقضى ذلك الان

٢) كنت أنا والمرحوم سيدى عبد القادر المسفيوى عند ابن زيدان رحمه الله وعنده المترجم ، فصار ابن زيدان يلمزه بالفقر مداعبة ، فذهب مسرعا فاذا به أتى باناء طافح بالعسل ، فقال له اليس هذا دليل غناى ؟ ذكرت الان هذه الحكاية بمناسبة ماذكره هنا تصديقا لما ذكره عن نفسه

فصل في ذكر بعض حوادث وقعت اثناء اقامتي بالمدرسة (الشوشاوية)

من ذلك ان طالبا خان الفقيه شيخنا المذكور ، وسرق من صندوقه أمانات الناس وضعوها عنده ، على عادة القبائل فى وضعها عند فقهاء مدارسهم ، مخافة اغارات العدو ونهب الديار ، لاسيما عند استحكام السنين المحلة ذوات القحط والجوع ، لكون المدارس وفقهائها فى غاية الاحترام ، وذلك من ذهب وفضة ولبان ورسوم وانواع الامتعة ، فوجد الفقيه الصندوق فارغا . وقد سرق منه نحو عشرة آلاف ريال (سكة هذا التاريخ) فلما فرغ الناس من صلاة المغرب ، واصطفوا على عادتهم لقراءة الحزب الليلى ، ولم يتخلف من الطلبة احد ، لانهم يرتبون العقوبة على المتخلفين عن الصلوات الخمس وقراءة الاحزاب (١) أخذ الفقيه يبكى بكاء شهيق ونحيب ، فلم يعرف احد من الطلبة مادهاه ، وهابوا ان يسألوه ، فتجاسر بعض كبار الطلبة على سؤاله ، فقال له : مالك ياسيدنا أقر الله عينك ، ولا أبكاك الا من خشيته ؟ فقال له الفقيه : ومالى لا ابكى وبطن الارض افضل لى من ظهرها ؟ وقد انتهكت اعراضنا بسرقة أمانات الناس من حرزنا . فماذا أقول لاربابها . وماذا اقول لخالقى ؟ ثم مد كفيه ، وقال للطلبة مدوا أكفكم ندعو على هذا الخائن ان لم يرد الامانات بعد ثلاثة أيام بالهلاك ، فقيل له : بل نؤجل هذا الدعاء الى انصرام هذا الاجل ، فقال نعم ، ثم شرع الطلبة فى قراءة الحزب وانفضوا بعده ، فلما كان آخر الليلة الاولى من الثلاث ، وجد الفقيه جميع ماأخذ من الامانات ، ولم تضع منها قلامة ظفر ، موضوعا فى بيت الصناديق ، ولم يعلم الناس من هو هذا الخائن من بين الطلبة ، ولا اتهموا أحدا فاستبشر الناس ، ونجى الله الخائن من شر دعوة هذا الجمع العظيم الصالح الذى لاترد دعوته

تنبيه :

علم ان الدعوات من طلبة العلم والقرءان فى هذا القطر فى مثل هذه الشئون مقطوع فيه عندهم بالاجابة ، وقد صار عندهم من باب الايمان المغلظة ، حتى ان كثيرا من المظلومين يأتون عند وقوع مثل ذلك الى طلبة المدارس او غيرهم من مجامع أهل العلم والصلاح ، فيشتكون عليهم ويطلبون منهم الدعوات بهلاك

١) كان مقدار العقوبة التى كنا رتبناها فيما بيننا على المتخلفين عن ذلك لما كنا فى مدرسة (ايغشان) عام ١٣٣٠ موزونتين ، ويعبر عنهما ب (وجهين) وتعادل قيمتها سنتيمين وذلك اذ ذاك غير تافه ، خصوصا عند الطلبة المدقعين فى تلك البلاد الفقيرة

ظالمهم ، فلايقبلون منهم الدعاء بالهلاك الا بالبينة على أنه ظالم لهم ، وقد شاهدت ظالما يوما لج في طغيانه وأبى ان ينصف مظلومه في بعض اندية الطلبة ، فقالوا له لاتخرج من هذا الموضع الا اذا انصفته حقه ، فانزعج للخروج مستكبرا تياها ، غير مبال • فلما وصل الباب عثر عثرة سقط منها على الباب وتسارع الناس لكثرتهم في الموضع ، فوجدوا رغوة مزبدة بين شفتيه وشدقيه وهي كشقاشق البعير، الى أن فاظت روحه في أقل من ساعة ، وبهذا وامثاله انزجر الناس ، وارتدع الظلمة • واحترموا المنتسبين وأهل الدين (١)

ومن ذلك اني حضرت الحزب ليلة الجمعة ، والعادة قراءة سورة الكهف في الاقطار السوسية (٢) فادركني النعاس اثناء قراءة الناس لها ، لعدم وجود الفقيه تلك الليلة ، فلما فرغ الناس من الحزب ، خرجوا لتناول العشاء ، ذهزني بعضهم • وقال لي قم لتناول عشائك مع الطلبة • وكنت رأيت الوالدة في المنام ، فقالت ان لم تزرني في هذه العواشر لاطمسن بصرك شهرين، فاستيقظت فوجدت (بوتليس) (٣) في عيني وصرت اعشى في الحين ، فقادني ذلك الطالب الذي ايقظني الى العشاء من عدم ابصاري موقع قدمي الى ان انصرم شهران وسافرت الى زيارتها ، بعد مراجعات بيني وبين شيخي ، فذهب عني ماأجده في الليلة التي سافرت فيها ، كأنما نشطت من عقال ، وانقشع سحاب ذلك الضر في الحال

وفي هذه السنة تكالب الجراد على بلاد السوس وتكاثر ، فلم يبق شجرا

١) كان الملك مولاى الحسن يدرك هذا من السوسيين ، فحين سافر سفرته عام ١٢٩٩ هـ وعام ١٣٠٣هـ صار يقرب اليه العلماء ورؤساء الدين في مجلسه فما ولى قائدا الا بمشورتهم ، وهو بنفسه لم يذهب الى سوس كملك له جنود وصولة ، وانما كامير للمسلمين وامام لهم ورئيسهم الديني ، وقد القى عنه ابهة الحجاب ، فيلقاه كل احد يريد لقاءه ليتبرك به ، فبذلك لم يبق بسوس من له رغبة في رؤيته لم يمثل أمامه ، ثم لما جاء الحاحيون والباشا حمو في أيام المولى عبدالعزيز بالقوة يرومون اخضاع الناس بها ، قامت حروب شديدة هلك فيها كثيرون ، ولم تستطع تلك الجيوش أن تمد قوتها كماتريد ، واذا كان السوسيون مضطرين لمحاربة هذه الجيوش ، فان ذلك لايخرجهم عن طاعة السلطان ومحبته فلايحاربون الاجور وظلم الولاة الواردين عليهم بخلاف ما ألفوا من الاخلاق الدينية ومن عدم المغارم • فبه دائما يصلون ، وباسمه يعلنون في أسواقهم مايعلنون

٢) سورة الكهف عشية كل خميس ، ويس وتبارك صباح كل جمعة ويسمون ذلك حزب الشيخ ويعنون به الشيخ ابن ناصر

٣) المقصود العشى مقصورا ، وهو ان لايبصر الانسان ليلا احيانا ، قال اوس:

وأرى العشى في العين اكـ ـثر مايكون من العشاء

ولاحجرا ، وصارت الارض قاعا صفصفا ، واقام سبع سنين ، من عام ١٣٢٠هـ الى ١٣٢٧هـ وهو سبب الغلاء المتقدم • ولكن صار جل معيشة أهل البلد من حيوان ادمي أو بهيمي ، والعادة المطردة عند أهل السوس ان الجراد اذا غاب عنهم غاب سبع سنين ، واذا ورد آقام سبع سنين ، وقد شاهدناه كذلك فيما حضر من زماننا بلا مرية على هذه العادة المجربة (١)

فصـــل

ولما قضيت الوطر وفرغت مما ذكرنا من اتقان قراءة ابى عمرو بن العلاء البصري عند هذا الشيخ ، ووقع لي ماذكرت مما رايته مع الوالدة في المنام ، وعلمت انها حنت الى حنين البعير الى عطنه ، والمومن لابد أيضا ان يحن الى وطنه ، ازمعت على السفر بقصد صلة الرحم الواجب ابلالها على كل مومن ولم يبق الا أطلالها ، فطلبت من الشيخ طلبا جازما ان يتفضل بالاجازة والتسريح فامتنع وقال أنا لقبول طلبك غير مبيح ، فماكان غير أيام حتى خرجت في بعض الليالي المقمرة هاربا ولبلادي طالبا ، فخضت في تلك الليلة مابين (ايت باكو) وبين (أيت صالح) بأيت بلفاع ، ولم يكن لي فيها رفيق دون الذئاب والسباع لكثرتها في تلك الفيافي ، مع أني من النعال حاف ، فما أصبح الصباح الا وانا عند المرابط الفقيه السيد ياسين الكرسيفي المتقدم ، فقصصت عليه القصة من غير زيد ولانقص ، فقال لي ان الهروب من شيخك من غير طيب نفس يعد من النقص فما أتممنا الكلام الا وطارق يدق الباب ، ونعوذ بالله من كل طارق الا بخير • فاذا نحن بطالبين من أصحابنا بعثهما الفقيه الى ليردانى اليه ، فتمنعت حياء منه أول الامر ، فلم يزل بي الفقيه سيدي ياسين بن ابراهيم ، الى ان اجبت وأحببت الرجوع معهما الى شيخي ، فلما وصلته ضحك وهش وبش ، ودعا لي بخير ، واقترح على اقامة شهر • فساعدته فاجازني وسرحني بعد تمامه • فانصرفت راجعا الى بلادي ، وجعلت طريقي على (أيت بلفاع) ثم (ايت ميلك) ثم (أيت ايلوكان) والجراد يتناثر على عيني ورأسي لكثرته ، فغطيت وجهي بعمامتي ، لئلا يصيب عيني فيوذيني ، فلما وصلت (اسرسيف) دخلت البلد وسألت عن المرابط ابن اكرام الغازي الجرسيفي ، لكونه يريد السفر الى بلده (اكرسيف) فرغبت في مرافقته في الطريق ، فاخبرتني زوجته أنه قد سافر في أول النهار ، وكان الوقت وقت العصر ، فعرضت على البيات عندهم ، لكون المسافة بعيدة • ولوجود اللصوص في جنح الليل والسباع في تلك الارض بين (اسرسيف) وبين (ايمي اوغكمي) فابيت وجازيتها خيرا ، وذهبت منزعجا

١) أقول نحن الان في سنة ١٣٨٠هـ والجراد لايزال يصول منذ اكثر من سبع سنين في الجنوب حتى لم يبق ولم يذر فانخرمت التجربة

مسرعا ، وجيوش القوى تحثنى ، كانى طائر الجو المجفل الى اوطانه • اوالبعير الناد الى أعطانه ، فغابت الشمس على دون ادراك الامل ، ومحل الامن والامان وعندغروب الشمس وصلت تحت المدشر المسمى (أمانو) بقبيلة (ايتايلوكان) بين الطريقين : طريق الى (ايمى اوغكمى) وطريق الى (امانوز) المذكور ، ولقيت جماعة من النساء يتضاحكن ويتهادين ، فاستوقفننى فوقفت ، فقلن لى اياك أن تتجاسر على قطع تلك المسافة بعد الغروب ، فان اللصوص كثيرون بينك وبين العمران ، ورأينا عليك حوائج لها قيمة ، فعج الى (أمانوز) وبت فيه الى الصباح ونحن من أهل البلد نقوم بضيافتك ، كما تحب ويجب ، فأبيت الا المسير والسرى ، فاذا برجل صبيح الوجه ، طويل القامة ، مرتديا لحائك سدائسى جديد (١) • فقال لى مثل ذلك • فقلت له تاليا (ان يصيبنا الا ماكتب الله لنا) فقال لى ، ولم أكن أعلم انه من أهل العلم ، نعم ولكن بعد قوله تعالى (ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا) وقوله تعالى (خذوا حذركم) ، ثم قال ارجع ياسيدى الى ضيافتنا ، فانى أخاف عليك ، فقويت فى روح الانبعاث ، وغلبت على بواعث الشوق • الى الوطن والوالدة والاخوة والاخوان • لطول الغيبة ، فقال لى اذهب الى حيث شئت وشاء الله ، فانبعثت منزعجا مثل السيارة ، لاجتماع جماع القوة فى ذلك الابان الشبابى نشطا فرحا مرحا ، فكأنما أرواح النشاط السكرى تحدونى ، الى ان وصلت لبلد كبير يسمى (أيت واساى) باقصى (أيت ايلوكان) فى أول غابة (ايمى اوغكمى) والعشاء واصلة ، والمؤذن يترنم بها فوق سطح المسجد

وقرية (مانوزة) المذكورة آنفا اصلها من قبيلتنا (أمانوز) ولذا سميت بها لتحولهم منها عام ١٢٤٣ هـ أيام السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام ، وهم من بلدة (تيغراسن) ولازالت بها آثار ديارهم الى اليوم ، وقد اطلعت على جل رسومهم ، وقد بلغوا من الثروة والكرم والشجاعة بمتحولهم وبموضعهم الان مايدل على أنهم من صميم (أمانوز) بحيث لايرومهم لقوتهم ومنعتهم الا الواحد القهار ، وقد ورد على فى بعض الليالى احد رجالاتهم فى المدرسة (الشوشاوية) قاصدا ، فسألنى فانتسبت له ، فاثرت النسبة المانوزية ، فبكى حتى اخضلت لحيته بدموعه • فقال لا أذهب راجعا الى البلد الا بك ليتشرف بمعرفتك اهل البلد ، ويصلوا فيك واشج الرحم ، فقلت له انى مشغول بالقراءة الان وليس الوقت ابان العواشر ، ولاعذر للاستراحة ، وأخاف معاقبة صاحب المدرسة • فتواعدنا زمن العواشر ، فذهب بالبكاء والنحيب ، ولما وصلت فى هذه السفرة الى تلك البلدة فى ذلك الوقت ، حملنى على عدم التعريج عليهم ماذكرته لك من كثرة بواعث الشوق للوطن ، والانسان مجبور فى قالب المختار ، ويابى الله الا ماأراد • ولما وصلت (أيت واساى) المومأ اليها ، وكانت البلدة مكتنفة

١) هذا هو لباس الطلبة والعلماء والرؤساء وأصحاب الوقار اذذاك

بغابات اكنارى (التين الشوكى) الى الهندية ، سرت فى ازقتها نصف ساعة وانا لم اسمع من البلد كلبا ينبح ، ولابهيمة ترغو اوتمر ولاحيوانا فيه روح لكثرة الجوع ، وغلبته على جميع الاقطار ، فدخلت فى الوقت الذى ذكرته آنفا فوجدت جماعة من رجال البلدة ما ينيف على الستين حول حائط باب البلد فسلمت عليهم ، فلم يرد على الا واحد منهم اسمه محمد بن عبدالله ، وهو منتبذ عنهم قليلا ، فأشار الى بالجلوس ازاءه فامتثلت ، فقلت له انى على غير وضوء ، فقال لى اذهب الى الغدير ، لغدير أمامه تسقى منه الدواب ، فذهبت فوجدت به ماء آسنا متكدرا • ولكن للضرورة توضأت به ، فصليت العشاءين هناك ، ورجعت الى الرجل ، فقلت له أين الجامع ؟ فقال ان الجامع خال من امام ومؤذن لغلبة القحط ، اجلس معى لنذهب الى دارنا ، فجلست نصف ساعة والناس ساكتون ، وفى أيديهم أورادهم يذكرون ربهم (١) وكأنهم فى حالة ذهول ، فسألنى بعض أكابرهم ، فانتسبت له • فقال لى قم معى الى الضيافة فقال له محمد بن عبد الله سبقتك اليه ، فجزاه خيرا ، وانصرف الناس الى منازلهم ، وذهبت مع الرجل ، فدخلت داره ، فسمعت صهيل الفرس من حوشه وعلمت أنه من أهل الثروة • فشكرت الله ، وذهب الى مصرية فى حوشه والمصرية الغرفة الفوقية ، والحوش بالفتح حظيرة المنزل للماشية والبهائم مشرفة بحيث أرى داره قبلا منى ، وقدم الى خبز كانون غليظ (اضيف للكانون لانه ينضج على جوانبه الداخلية) على عادتهم مع السمن والعسل بكثرة ، وادار على من كئوس الاتاى ما ينسينى الغربة ، ثم تحدث معى هنيهة من الليل فذكر اهتمامهم بأمر الاولاد ، وكان له زوجتان (٢) ولم يجىء منهما شىء ، فاستمطر منى الدعاء ، فدعوت له ان يرزق الله له أولادا ، وأن لايخيب له رجاء ، وذكر انه يجول بالعرائش والقصر وطنجة ونواحي المغرب الى غير ذلك ولما كان آخر الليل ، توضأنا وصلينا فريضة الصبح ، وهو متنفس ، فتهيأت للسفر • ودعنى بشوق عجيب • ودلنى على طرق تلك الغابات الهرجانية ، فتودعنا ولما توغلت الغابة سمعت زئير بعض السباع ، فقرأت ماعلمنى الله من ذكر الحافظات ، وتوكلت عليه ذاهبا نشطا الى ان وصلت الى بلد (ايمى اوغكمى) والشمس مشرقة على وجه الارض ، فكأنما زويت لى الارض ، وطويت تلك الشقة الشاسعة ، ودخلت البلد قاصدا الجامع • فوجدت الامام فى بعض بيوته يفطر بالعصا (نوع من الحريرة ابسط تحضيرا منها) والتين على عادتهم مع بعض

١) هذه حقيقة حال ذلك الجيل ، لايكاد الانسان يبلغ ويتزوج حتى يتلقن الطريقة الناصرية — غالبا — ثم يلازم اذكاره وصلواته ، ولايشذ عن هذه الحالة الا قليلون جدا ، وتارك الصلاة ينعدم منهم الاتحلة للقسم

٢) قل جدا جدا من تكون له اكثر من زوجة فى جزولة وقلما تجد فى القبيلة الا واحدا او اثنين من الاغنياء الذين لا اولاد لهم مع الاولى ، وكذلك الطلاق يقل جدا حتى لاتكاد تسمعه اذذاك

كبار البلد ، فسألتهما عن صاحبي المرابط السيد ابراهيم بن اكرام الكرسيفي الاسرسيفي ، فلم يريا له خبرا ، وماعرضا على ان افطر معهما ، فعجبت من بخلهما • ورجعت مسرعا خارجا من البلد ، الى حال سبيلي ، لانه كانت بين هذا البلد وبين مانوزة أذحال (١) ومظالم خفت من غائلتها ، وذلك ان رفقة كبيرة مقدار ثمانين بعيرا من السلعة من أيت (ايمي اوغكمي) في حدود التسعين أيام السلطان مولاي الحسن ، قد تعرضت لها قبيلة (مانوزة) في (اكرسيف) فأخذوهم وأكلوا متاعهم ، وباعوا عيرهم ، وقد تقوم جميع ذلك بمال له بال من طرف أصحابه المغصوبين ، وقدروا وزنه بحجر كبير الجسم ، فاخذوا هذا الحجر ، ووضعوه في محل مامون • يترصدون فيه من يمر من المانوزيين في جميع الاحيان ، ولما خرجت من البلد الى خارجه ، أخذتني بعض الطرق الذاهبة الى جبال (ايساكن) و (تودمة) واخطأت الطريق ، فاذا برجل كبير أشيب طويل القامة ، يرعى بقرا وغنما ، تعرض لي وقال : الى اين أيها الشريف الصغير الطالب ، ومن اين أنتم ؟ فهممت بالانكار ، فقال لعلك من ناحية كذا ، ومن بني فلان منهم • فاني رأيت في ملامح وجهك اكثر نعوتهم ، وتفرست في نعوتك وأوصافك مايدل على انك من صميم قبيلة (امانوز) فقلت له الامر ما وصفت ياسيدي ، فقال لي ارجع الى الطريق الأيمن ، واسلك ذلك الوادي ولاتخبر احدا ممن لقيك بنسبك ، وانج بنفسك • فان كانت لك رغبة في ضيافة الله ثلاثا او أقل أو اكثر ، فاذهب معنا في أمن وأمان ، فاننا من مرابطي قبيلتكم ءال (تادارت) الكرسيفيين ، وانتقلنا منها أوائل أيام المولى عبد الرحمان بن هشام فلا تخف منا شيئا فقلت له جزاك الله خيرا ، وتودعنا ، وشيعني أميالا • الى ان وصلنا الى جماعة عظيمة من أخلاط النساء • واكثرهن أبكار ، ذاهبات الى تلك الجبال للاحتطاب ، وفي ايديهن حبال على عادة البلاد ، وعند كل واحدة منهن خبز الملة (٢) والبيض والتين واللوز المقلي للافطار بذلك على الجبل ، على العادة في التبكير للاحتطاب ، فأوصاهن الرجل على مرافقتي وارشادي في تلك المسالك المجهولة ، ورجع هو الى رعيه ، واولئك الابكار العرب الاتراب يتضاحكن ويتدافعن بينهن ، وربما يملن على بتقبيل التبرك ، والكلام الهين اللين والعطف وأنافي كل ذلك لاأرد عليهن ، ولاأنبس ببنت شفة ، لشدة حيائي منهن ، ولما وصلنا شفا الجبل المطل على البلد • وأردنا المفارقة فيه ، وفيه نطفية ماء ودعنني بعدما قبلت كل واحدة منهن يدي ورأسي ، وفيهن من استعبرت بالدموع (٣) وبعد ان ناولتني كل واحدة منهن قسطا مما عندها من البيض واللوز والتين

١) جمع ذحل ، كذحول ، الثار

٢) الملة بفتح الملة والـلام المشددة الرماد المحمي او الجمر ، وخبز الملة هو الذي ينضج على ذلك • ويصنع كثيرا للرعاء وأمثالهم

٣) ماأشبه هذا الموقف بمواقف عمر بن ابي ربيعة • الا ان عمر صرح وصاحبنا لوح

والخبز ، وحلفن على ان اخذه فاخذت منه الكفاية وتركت جله ، وانطلقت صاعدا للجبل ، والنساء يزغردن على فرحا وتأنيسا ، الى ان وصلت بلد (ايت موسى اوباكو) ومنها ساقية (انكارف) وفيه مدرسة علمية مكتنفة بالاشجار ، وحولها اودية وعيون جارية ، وانواع الخضر ، من لفت وجزر وذرة وكرنب وبصل وحناء وفواكه كثيرة وتمر ورمان واجاص وتفاح وتين وغابات من هرجان وغير ذلك من انواع الخيرات ، وأهل تلك الجبال من أجواد الناس واحبهم للغريب والضيف واكثرهم تعظيما للدين والعلم وأهله واكثر أمانا وأمنا ، ولذلك كان العلماء في بلادهم اكثر نفوذا ، ثم انطلقت من (انكارف) الى (البن) ولما وصلته تلقاني الناس من أهله منهم الولي الصالح السيد محمد بن عبد الله الكرسيفي اصلا الالبني وطنا ، في أبناء عمه المرابطين ، وعرضوا على الاقامة للضيافة والاستراحة ثلاثا ، بعد ان تساءلنا وانتسبت لهم ، وفرحوا ، وأتوا بطعام مستعجل • وخير البر ماكان عاجلا • فتناولت منه الكفاية ، فانزعجت للسفر بعد اقسامهم على الاقامة ثلاثا ، فشيعوني أميالا • وهم يتذاكرون معي في تاريخ انتقالهم من (اكرسيف مانوزة) فاستقر أمرهم على حدود الثلاثين اواخر دولة السلطان الصالح المولى سليمان بن محمد بن عبد الله العلوي ، وهم أيضا من ءال (تادارت) مهجر كل كرسيفي ، ثم انطلقت خائضا تلك الجبال بقلب ثابت ولسان حال ينشد قول بعضهم

قطعنا في مسافته عقابا ... فما بعد العقاب سوى النعيم

الى ان وصلت الى سوق جامع (البن) في واد غير ذي زرع ، فدخلت بين اهله ، وهم ينتظرون الى كالمعجبين بي لغرابة رونقي ، وصفاء لون وجهي ونعومة (١) بدني بخلافهم ، مع ماأنا عليه من أفخر الثياب التي ادتهم الى ذلك واستوقفت أبصارهم ، فاذا بفقيه اخذ بيدي وصافحني ، وانطلق بي الى خارج السوق ، فقال لي اني رايت عليكم سيماء القبيلة الفلانية ، يعني المانوزية ، فلعلك من أبناء فلان ، فقلت اصلحك الله لعل الامر كما ذكرت ، فقال اجلس هنا ، فان مثلك على هذه الهمة لايدخل بين هؤلاء الناس لئلا يصيبك منهم اذى من ، اوجريرة قومك ، فذهب فاتى بطشت من ماء وبلح جيد ، فقال لعلك تشتهي هذا لكونه ليس في بلد هشتوكة ، فقلت نعم • فسالته عن اسمه فاذا هو طالب من (مشمس ايت سمايون) التملي اسمه السيد محمد بن عمر ، فترتب بالمشارطة في جبال صوابة ، فاتى بخبز ولحم من السوق ، وتغدينا بين الدفلى والاثل والنخل ، على بساط من الربيع الاخضر • في شاطيء الوادي • والبلح يتساقط علينا والنسيم يزورنا (فيتركنا سكرى وما بيننا خمر) فلما دناوقت

١) الا ينسين القارىء ان المترجم هو الان في السابعة عشرة من عمره ، وانه في سن البلوغ

العصر ابتدأت السفر ، فقال لي تريث قليلا ، فان الموضع الذي تبيت فيه قريب وقد أوصيناهم بالوقوف معك ، وهو مدرسة (تانالت) عند الفقيه العلامة السيد أحمد أبوالرهوات من فجة (تافيلالت) خليفة الفقيه المدرس فيها السيد محمد ابن‌عبدالله أقاريض الصوابي لكونه غائبا ، فأقمت الى ان أدينا العصر وشيعني وطلعت الجبل الى المدرسة ، وهي مبنية على شفا ربوة ذات قرار ومعين ، تحيط بهاالمياه في الاودية ، والسواقي والنخل والاعناب والزياتين من كل جهة • فدخلتها وتلقاني أهلها بالترحيب ، وخصوصا الفقيه الموصى علـى ، فصلينا العشاءين ، وقرأنا الحزب ، ودخلنا لمحل ضيافة الفقيه وهي المصرية الكبيرة فتعشينا بأنواع الاطعمة والفواكه المدخرة (١) وشربنا الاتاي ، وتذاكرنـا بأنواع المذاكرات ، الى أن مضت هنيئة من الليل ، فاخذنا مضاجعنا ، فلما كان‌اخر الليل قام الطلبة على عادتهم للقراءة وأنواع المذاكرات وسردالمحفوظات الى أن حان‌الفجر (٢) وبعد ادائه‌وسرد الحزب‌الصبحي انفض الجميع كل‌الى‌بيته على‌عادة أهل المدارس للافطار بما تيسر ، والغالب ان يكون ذلك شراب الحريرة (اي الحساء) لان خادم المدرسة تهيئه لهم ، فما فرغنا من الافطار به وبالخبز والسمن والعسل ، وبما وجد في المائدة من أنواع الفواكه المدخرة ، وشرب الاتاي ، وقدم الغداء ، وهو عندهم في ذلك الوقت الكسكس مع الخضر واللحم وأردنا الوداع ، اجتمع على الاخوان من الطلبة طالبين مني العودة اليهم‌للقراءة معهم ، فوعدتهم ، وكانت معي دراهم فأهديتها لهم • ودعوا لي بخير ، فخرجنا للتشييع والوداع • فاذا بصاحبي المرابط سيدي ابراهيم بن اكرام الكرسيفي الاسرسيفي المذكور ، وهو قد سبقني بالسفر ، فسبقته في الغاية ، فحمدنا‌الله على الملاقاة والجمع • فترافقنا في الطريق بعد توديع أهل المدرسة ، واجتهدنا في السير الى‌أن وصلنا (تاهالا) بعد العصر وقبل الغروب بقليـل فطلعنا الى المدرسة وهي المدرسة الخضراء اي مدرسة (ييريغن) فرحب بنا مدرسها وهو الفقيه شيخنا ومفيدنا ومربينا العلامة الصوفي الشريف السيد علي بن أحمد الاسكاري الامزالي قبيلة ، الهيلاني الوادريمي ، وذلك ليلة السبت مهل قعدة عام ١٣٢٢ هـ الموافق لـ ١٥ يناير (يعني الفلاحي الذي يتاخر عـن التاريـخ الفرنجي دائما بـ ١٣ يوما) فبتنا عنده احسن مبيت ، وزودنا بمواعظ وحكم تـذوب لها القلـوب • وتقشعر منها الجلـود • فلـمـا تغدينا استمطرنـا منه سحائب الادعية ، ووعدته بالرجوع للاخذ عنه • ففرح ودعالي بخير وذهبت لسوق الاحد في موضعه الان المؤسس فيه منذ أيام السلطان ابي الفداء المولى اسماعيل بن الشريف عام ١٠٨٢هـ وقد اضمحل لكثرة الفتـن بين جزولة

١) الفواكه المدخرة بايت صواب هي اللوز والتين والزبيب
٢) هذه حقائق يتعجب منها من‌يناموں صباحا اليوم ومن يزورون تارودانت التي لايزال طلبتها محافظين على هذا التبكير لمراجعة الدروس

(تاكوزولت) وحواء (تاحوكات) (١) الى‌أن المولى عبدالرحمن عام ١٢٤٠هـ الى أيام السلطان المولى الحسن عام ١٢٩٢هـ فامر بعمارته واحترامه العلامةالصوفي الولي الصالح السيد عبد الله بن ابراهيم الاداؤزي الوادريمي الهشتوكـي • حين اقامته بمدرسة (تاهالا) متربيا فيها ، واستمرالى الان ، وادارت عليـه الحماية الفرنسية سورا محيطا عام ١٣٥٥هـ بعد الاحتلال بثلاث سنين، وبنيت فيه دار للمراقبة

في هذه المرة ، دخلت (تاهالا) لاول مرة معانها جارتنا لكثرةالفتن • ولانهم منعونامن دخول بلادهم لسبب • وهو أنه لما كانت سنة ١٣٠٣هـ توسط اهل (تاهالا) للمهادنة بيننا وبين اصدقائهم (ابناءواعبلا) ايت ابراهيم بن داود• فجعلوا بيننا الخطيئة المسماة عندهم بالانصاف ، وقدره قنطار من‌المال الفضي امن خان أو غدر ءاخر ، فلما كانت سنة ١٣٠٦ نقضه أبناء عمي أهل (ءاوالا) لوجب معلوم ، فدخلوا (تالكانونت) وفعلوا بها ماتقدم من الحوادث في بدايتي فجاء أهل (تاهالا) لاقتضاء المال المذكور ، فطردهم اعمامي فمنعونا من سوقهم فقط دون قبيلتهم ، فانقطعنا عن‌الجميع من عام ١٣٠٦ هـ الى عام ١٣٢٣هـ ففي كل‌سنة يأتون ويطردونهم ، على أن مواشينا وبهائمنا وعبيدنا يخرجون للرعي وانتجاع الربيع وغير ذلك في سطح (ءانامر) فلم يقدروا على التعرض لها بسوء كما تفعله القبائل فيما بينهم من اسر واستلاب من ترتبـت عليه الخطيئة اي الانصاف (يعني العقوبة) لانهم خافوا من سطوة اعمامنا خصوصا ، وسطوة ماوزة عموما ، الى أن كانت سنة ١٣٢٣هـ المذكورة ، توسط الرئيس الجليـل الشيخ الفقيه (٢) السيد الحاج ابراهيم بن أحمد من بني الطلب مـن هـوة الديباني (اكني‌اديان) الايفشاني ، لما له من نفوذ عظيم في قبيلة (تاهالا) لانه باحكاني العصبية ، فأسقط ذلك المال مجانا ، تخوفا من عواقبه وشر غوائلـه ولماله من المحبة المتينة ، والرغبة الاكيدة في أعمامي اكثر من قبيلة (تاهالا)

رجـــع

ولما تسوقت‌الاحد واجتمعت فيه باخواني وأعمامـي ، وأبناء بـلادي ، اجتمعوا على مغتبطين فرحين مسرورين ، وأتوا بأنواع المآكل الى‌ظلال الهرجان (اركان) ، فأكلنا وشربنا ، والناس يتواردون علينا فيتساءلون من انا حتى عرفني اكثر من‌لم يعرفني من (تاهالا) وايغشان واداوسملال وايـت صواب

١) هناك نحلتان انقسم عليهما سوس ، وهما تاحوكات وتاكوزولت ، اي بنوا حواء وبنو جزولة (وقد ذكرنا ذلك قبل)
٢) ذكرنا فيما تقدم أنه ليس بفقيه ، وانماحفظ القرءان فقط ، وحافظ القرءان وحده لايسمى فقيها في سوس

واملن وتافراوت وغير ذلك ، اذا الناس في ذلك الوقت يتشوفون للمرشحين
للعلم كثيرا ، لاسيما من تغرب لطلبه ، فلما صلينا العصر في السوق شخصنا
الى البلد طالعين لربى سطح المشمس (عرب الكاتب بذلك كلمتى ازور وانامر
الشملحيتين)، فلما وصلنا الى الركن (تعريب تيغمرت) تلقانا الناس ذكورا
واناثا ومن جملتهم الوالدة المقدسة والاخوات واهل البلد اكتعون ، فلم يبق
الا من لم يستطع الخروج لعلة او صغر ، فجلسنا مع الناس على صلد ابي النجم
(تعريب ازرو نبنجم)الى ان صلينا المغرب هناك مع جماعة من مشايخ البلد
بامامة عمى الفقيه المقدس الرباني السيد أبي القاسم بن علي بن أحمد ، ثم
انطلقنا لدخول البلد في ليلة مقمرة ، صارت كأنها غرة في جبهة الدهر،فاقمت
في البلد مقدار ثلاثة أشهر ، فلما استرحت وقضيت ماوجب من ابلال الارحام
ولم يتهيأ لى القرار ، دون تعلم ما وجب على من أحكام الحلال والحرام

في مدرسة تاهالا

ولذلك تسوقت سوق الاحد بقصد التعلم في المدرسة المتقدمة لدى شيخنا المتقدم
الذكر ، فاجتمعت ببعض اصحابنا الافاضل ، ممن يتعاطى فيها القراءة من
الاماثل ، وهو المرابط السيد اسماعيل بن محمد بن الحاج من بنى العالم
الغازى ، فندبنى للذهاب الى المدرسة للقصد المذكور ، فذهبت معه اليها ففرح
الشيخ السيد على بن أحمد المتقدم بمجيئى والوفاء بالوعد المتقدم ، فابتدات
يوم الاثنين الموافق ١٥ مارس ، والناس يتهيئون لموسم الولى الصالح سيدى
أحمد بن موسى دفين (تازاروالت) والامطار اصبحت تلك الليلة منهلة هاطلة ،
بعد ان انقطعت عن الحرث من دجنبر الى شهر مارس وسطه ، وجفت الارض
وصار النبات هشيما محتضرا ، فاحيا الله البلاد ، وأغاث العباد ، وقد سمى
هذا العام عام الحياة لذلك ، وحصد الناس خيرا كثيرا ، ونمت المواشى ، وصلحت
الثمار والاجباح (خلايا النحل) وقال لى هذا الشيخ رحمه الله : انى أنشد في
حقك ما انشده الشيخ ابن ناصر الدرعي ، لما ورد عليه تلميذه الشيخ السيد
الحسين الشرحبيلي :

أتيت ومقصود الحيا لك تابع ... وممدوده في غر وجهك لامع (١)

ثم قال انى لسعيد بك ياسيدى محمد السعدى ، كما سعد أهل المغرب
باسلافك الكرام ، بنفى رجس العدو البرتغالى عن أوطانهم ، وجمعهم شتات
كلمة أهله ، ثم انشدنى بيت عبد العزيز الفشتالى كاتب المنصور الذهبى من

(١) كنت رأيت هذا البيت في قطعة للعلامة الحاج احمد الجشتيمي لاقى بها سيدى الحاج ياسين الوسخينى ، وكنت أظن أنه له من جملة القطعة ، فظهر الان أنه انما ضمنه فيها

لوليته التي اولها :

هم سلبونى الصبر والصبر من شمائلى ... وهم حرموا من لذة الغمض اجفانى

والبيت المقصود هو :

هم العلويون الذين وجوههم ... بدور اذا ما احلولكت شهب خرصان

وقرأت عليه الاجرومية ، ولامية المجرادى في الجمل ، وارجوزة في المبنيات
ولامية الافعال ، وارجوزة الزواوى قراءة تحقيق في ظرف ستة اشهر ، ثم
افتتحنا الرسالة لابن أبي زيد القيرواني ، والمرشد المعين لابن عاشر ، والبردة
والهمزية ، ولامية زهير ولامية الطغرائى ، على عادة أهل سوس فيمن يترقى
من فن صغير ، الى فن كبير ، من فنون العربية او الفقهية تدريجا ، بل والفنون
الادبية . فما تمت السنة حتى افتتحنا الفية ابن مالك ، وقد فتح الله على في
ذلك فتحا مبينا ، حتى اننى ادرس في هذه الفنون قبل ختامها ، وربما
طالعت مؤلفا قبل الدخول فيه او بابا من العلم ، ففتح على باقيه ، وكثيرا ماارد
على الشيخ وعلى الآخذين في مشكلات العربية قبل وصولها ، فيجدون الصواب
معى ، ويتعجبون من ثقوب ذهنى ، وكثيرا مايتلو الشيخ عندئذ (الله اعلم حيث
يجعل رسالاته) ويقول ماهى باول بركاتكم ياآل فلان ، ومن اعجب ما اتفق ان
ولد الشيخ وهو الفقيه السيد محمد ـ فتحا ـ بن على خاض عند ابيه هو وجماعة
من التلاميذ في اعراب قول الشاعر عند قول ابن مالك في (كتنه الخلف
انتمى) وهو :

فان لايكنها او تكنه فانـــه ... اخوها غذته امه بلبانها

فقال الشيخ على العادة في التمرين عند أعراب الشواهد ، اخبرونى من
قائله ، وعن اسمى كان مامرجع الضميرين المختلفين ، وعن ذلك الماضى ، وعن
ذال غذته تخفيفا او تشديدا واهمالا أواعجاما ، وعن الفرق بين اللبن واللبان بمد وبغيره
فسبقتهم الى الجواب ، فقلت له القائل أبو الاسود الدؤلى قاله لعبده ، والضمير
في يكن الاول المذكر الغائب للنبيذ ، والثانى للخمر ، وأخو الخمر النبيذ ،
لان اصلهما واحد . والذال في غذته معجمة مخففة ، واللبن من الانعام معروف
وهو منزوع الزبدة ، واللبان وهو الرضاع ماجاء من البهائم وغيرها ، أوله عند
الولادة ، وقيل لافرق بينهما . فضحك الشيخ على الحاضرين ، وقال لهم انكم
قد اقمتم في قراءة العلم أزيد من عشرين سنة ، ولم يقم سيدكم هذا اقل من
سنة ، فأجاب بسرعة دونكم ، فقال ولده المذكور : الا أنه اخطأ في تخفيف غذته
واعجامه ، فقال اجبه . فقلت له بسرعة ان العرب تقول غدا يغدو ، وغذا يغذو
مثل غذى يغذى بالتشديد وغذوته مخففا فقط هنا لاغذيته بالتشديد من الغذاء بكسر
الغين لما يتغذاه الانسان مطلقا ، لامن الغداء بالفتح وترك الاعجام . الطعام
بعينه مقابل العشاء بالفتح ، الاتسمع قول الصحابى الذى دعا ولده الى النبى

صلى الله عليه وسلم ، فقال له عليه السلام انت ومالك لابيك الحديث في ابياته لوالده المذكور وهي :

غذوتك مولودا وعلتك يافعا   تعل بما اسدى اليك وتنهل

ولانك لو شددت الذال لاختل الوزن ، فقال الشيخ وعروضي أيضا ، ورجع باللائمة على ولده وقال له سكت الفا ونطقت خلفا (١) ، ثم قال له رحمه الله قضيتك مع المانوزى كقضية يحيا بن اكتم مع الغبى التى اوردها الدميرى في (حياة الحيوان) وهي مشهورة لما انشد يحيا بن اكتم في حقه :

عجبت لازراء الغبى بنفسه   وصمت الذى قد كان بالقول أعلما

ففى الصمت ستر للغبى وانما   صحيفة لب المرء ان يتكلما

فلهذا كانت العداوة والمنافرة الشديدة بيني وبين هذا الولد المذكور، وادت الى أحقاد كثيرة ، واذايات اثيرة ، لودونت لجاءت في مجلد ضخم ، ولكن عاقبتها النصر عليه هو وشيعته ، لان العاقبة للمتقين ، لانه لم تمض ثلاث سنين حتى صرت مدرسا خليفة لابيه ، وهو يحضر دروسي ، رغما على أنفه ، بعدما تصدر وتصدى للتدريس بحضرة والده ، فصرت من أشياخه بعد ان عددت اصغرى من صغار افراخه ، وبعد ان منعنى من مطالعة كتب خزانة والده دون الناس ، زمناطويلا ، حين قيل له انه يحفظ في المطالعة منها كل مامرت عليه عينه من نظم ونثر ، وكنت مرة استعرت من الشيخ (العقد الفريد) و (نفح الطيب) و (مروج الذهب) و (حياة الحيوان) وغيرهما من كتب التاريخ والادب(٢) واشتغلت بمطالعتها خفية ، خيفة ان يطلع احد فيخبره ، فما كدت اقضى غرضي منها ، حتى علم بالامر ، فبعث اليها واستردها منى ، الى غير ذلك • ومن أعجب ما اتفق ان الشيخ استدعاني واياه بعض الايام ، فقال له ياولدى ان جميع التلاميذ الذين في المدرسة ، لايجيء منهم نفع ولاضر ، غير سيدى محمد بن احمد المانوزى ، فانه ينفعك في حياتي ، وبعد مماتي ، واياك ان تلج في عداوته ومصارمته • فكان الامر كذلك • فانه لما توفى الشيخ رحمه الله عام ١٣٣٢هـ واجمعت القبيلة على تنحية ولده هذا عن المدرسة ، ونفيه عنها ، معتلين بانه لايحسن صناعة القضاء ، فتقدمت اليهم باجلاله واقراره وواعدتهم بالاخذ بيده في جميع ماتتعلق به القبيلة من سياستها وقضائها ، فسكتوا واستكانوا ثلاث سنين ، ثم اجمع أمرهم على توليتى أمر المدرسة ، مشاركا له فرفض أمرهم فقال لهم انى وجدت الوالد المرحوم مستبدا بها ، وانى على ءاثاره مقتد

١) مثل • وخلفا بفتح الخاء

٢) كان المترجم رحمه الله زار الغ في مبادئه فرأى تلاميذ مدرستها يشتغلون بهذه الكتب ، فأقبل عليها ، وأما شيخه هذا فالغريب أن يملك هذه الكتب فضلا عن ان يشتغل بها هو ومن اليه • كما يقوله من اطلعوه اذذاك

فاخرجوه عنها ، لما كنت غائبا في (تمگيدشت) أيام تدريسى بها ، والله الملهم للصواب واليه المئاب

وكان الفقيه السيد على بن احمد المذكور من مهرة النحو والعربية والتصريف والحساب والفرائض والفقه والحديث والتفسير والبيان والمنطق وعلوم القوم(١) مستحضرا أماله في الكل ، بعيدا عن الرياء والسمعة ، مومنا تقيا نقيا ، مخلصا ناصحا للامة ، شديد الشكيمة على أهل البدع والاهواء ، لايخالطهم ولايكلمهم وقافا عند ماحد الشارع صلى الله عليه وسلم ، سنيا ماهرا في السير ، والعلوم التاريخية ، وأيام العرب • وكان محبا للعلم وأهله ، وأهل البيت ، مكرما لهم بكل ماالديه • مقتصدا في أموره كلها ، متوسطا زوارا للعلماء معتقدا لهم وكان بعدما تخرجت في الكليات عليه وعلى الاشياخ الآتين وفرغت من التحصيل يعتقد في الخير كله ، ويجلنى كثيرا ، ويرجع الى في كثير من المسائل ، ويقول للناس بملأ وبمرأى منى ومسمع • لوكانت في الزمان الصالح بقية لاهل الرئاسة والسياسة والصرامة والنجابة ، لحمل هذا على صهوة أسلافه الكرام ، وركب مطيتهم يعني الملك (٢) وكان رحمه الله صحيح الفراسة صحيح الاعتقاد بعيد الانتقاد ، قائما بالله ، صائما بالنهار في غالب دهره ، وله مع علماء عصره مناقشات • يطول بنا ذكرها ، كما يطول بنا استقصاء مئاثره ومناقبه ، توفى رحمه الله عام ١٣٣٢هـ ببلده (اسكار) ودفن فيه ، وقد زرت قبره مرارا ، وختمت عليه ختمات قرءانية ، مع تلاميذى وغيرهم ، وفرقت عليه ماتيسر • بعدما ذبحت ازاءه للفقراء والطلبة الذبائح ، وواسيت اولاده وزوجته من بعده كما قال رحمه الله لولده المذكور (٣)

ذكر المتون التي أخذتها عنه واجازني بها في ظرف اربع سنين

أخذت عنه رحمه الله زيادة على ما تقدم من المتون النحوية والفقهية أرجوزة المقنع للمرغيتي ، وارجوزة ابن سليمان الرسموكي في الحساب والفرائض ، والشيخ خليلا الى الجزء الثالث منه ، وتحفة ابن عاصم ، ولامية الزقاق • ولامية ابن الوردى ، والبخارى في شعبان ورمضان ، والتفسير ختمة واحدة بالجلالين ، وسردت عليه من الادب مقامات الحريرى ، ونفح الطيب

١) قال العارفون لسيدى على أنه فقيه وسط في العربية وله المام بالبخارى ويمر على التفسير ، ولم يذكروا عنه علم البيان ولا المنطق ، هكذا يقولون ، غير أن تلميذه هذا أعرف به

٢) قف هنا أيها المطالع واحسن نيتك ، وربما كانت الاريحة هي التي غلبت على الكاتب حتى ذكر ماذكر • ولاتقل المثل المعلوم (دون هذا وينفق•••)

٣) توجد ترجمة سيدى على الاسكارى في (القسم الثالث)

والعقد الفريد ، وابن الاثير • وابن خلكان • وطبقات الشافعية ، وكتاب العبر لابن خلدون ومقدمته ، والكلاعي • وحياة الحيوان • والمستطرف • والسيرة الحلبية • ودالية اليوسي • وديوانه • وديوان البحتري • وديوان ابن سهل وغير ذلك من الادبيات • وكنت لا افتر عن المطالعة ليلا ونهارا (١) ساردا على الشيخ المذكور ، ومذاكرا مناقشا ، كثير المقارعة والمنافثة مع أبطال الفنون في المدرسة وغيرها

وعدد طلبة المدرسة في ذلك الوقت يناهز الستين من طلبة العلم وعشرة من طلبة القراءات ، والاستاذ المقرىء المحقق الصوفي السيد محمد الاعيني نسبة الى أيت أعين بساقية (توشكا) بجبال صوابة ، ترتب فيه ما ينيف عن ثلاثين سنة الى وفاة الشيخ ، فارتحل الى (أسكار) وتوفي فيه في حدود الاربعين

ذكر من يأتيني بالزاد من دارنا

كانت المئون الكافية ترد على كل يوم من سوق الاحد ، من قبل اهل دارنا من دقيق وفول وعدس وسمن وعسل وزيت وسكر وأتاي وتمر ودراهم ، تارة على ايدي أصحاب الجمال والبغال والحمير ، وتارة على يد عمتنا المقدسة فاطمة بنت علي بن أحمد ، اذ مازالت حية وهي غنية محبة في جانبي غاية المحبة ، وكانت لاتستطيع مفارقتي شهرا كاملا ، ولما لفحت الجدري في (تاهالا) وقد فشا فيها دون (منوزة) تفرغت لمقابلتي في المدرسة ، بأنواع المآكل والمشارب والغسل ، الى ان أبللت من ذلك الداء العضال بلا مشقة ولاسوء

والحمدلله ، وقد مات به كثير من الناس تلك السنة وهي سنة ١٣٢٤هـ وكانت رحمة الله عليها كثيرا ماتاتي ، وفي معيتها فاطمة بنت ابراهيم من (فم تامالالت) الصوابية والدة الحاج عبد الله بن بلقاسم بن عبدالله من بني سعيد من (اوالا) وفاطمة بنت علي من أعلى أداي التافراوتية ، زوج عبد الله بن بالوش وغيرهن ممن ترسلهن والدتي المقدسة رحم الله الجميع بمنه وكرمه

١) أما كون المترجم يكب على المطالعة في كتب الادب فمما لايرتاب فيه • فقد دل بمحاضراته ومذاكراته على ذلك ، وأما كون وجود مثل كتاب الكلاعي المخطوط النادر • وديوان ابن سهل وديوان البحتري اذذاك في خزانة ذلك الفقيه فاننا نحسن الظن بالمترجم فنسكت فربما يوجد اذذاك مايكون في حسبنا أنه غير موجود ، والدهر أبو العجائب .. ونحن لانعرف سيدي عليا الاسكاري ، الا ان عارفيه يقولون أنه لايخوض في هذه الفنون خارج الفقه والنحو والمتداول من المتون

نبذة من تاريخ هذه المدرسة

كانت أوائل هذه المدرسة فيما رأيت في بعض الرسوم القديمة في اول القرن العاشر ، بناها سكان قبيلة أعلى (تاهالا) مسجدا ومشهدا لاولياء هذا المحل يسمون (ايت يريغن) وكان بعضهم يدرس فيها حياته الى ان توفي ودفن فيها ، وخلفه في أمرها أخوته الى ان انقرضوا في وباء عام ١٠٠٨هـ أيام المولى احمد المنصور السعدي فدفنوا جميعا عن مغرب المدرسة (١) وقد بني عليهم سور محيط بهم الى الان ، وكانت هذه المدرسة مشحونة بالمقابر القديمة قبل بنائها ، ويقال ، كما تلقيناه من أشياخنا وغيرهم ، ان (ايت يريغن) من لكوسة (التي ينتسب أهلها الى البكريين ، وهم من المانوزيين) ومنهم الشيخ العالم الولي السيد ابراهيم (٢) بن عمرو الزدوتي ، انتقل من هنا الى هنالك وبنى فيه مدرسته التي هي فيها الان ضريحه تغمده الله برحمته

وكما أسس أهل اعلى (تاهالا) هذا المسجد المسمى مدرسة مسجد يريغن فقد أسس أهل جوف (تاهالا) مدرستهم أيضا فوق المرفقة (تعريب كلمة تيفمرت) بين الطريقين على كدية مشرفة على تلك الجبال والاودية ، في منظر بهيج وقد رأيت تاريخ بنائها في بعض احجارها عن يسار الداخل فوق الدكان (يعني المصطبة) الذي يجلس عليه المدرسون للتدريس ، ويرجع تاريخ بنائه (بياض بالاصل)

ولازالت هذه المدرسة قائمة العين والاثر والبيوت ، ولها احباس وارض وأشجار • غير ان العلماء القائمين بها انقرضوا ، وبانقراضهم انقرضت العلوم هناك (ان الله لا ينتزع العلم من الصدور انتزاعا ، ولكن ينتزعه بقبض العلماء) أوكما قال عليه السلام ، ومازالت فروعهم في البلدتين المرفقة (تيفمرت) وبلدة (تيركلت) وهم ينتسبون الى الشرف من الادارسة ، واخوانهم بالصحراء الكبرى بين سوس والسودان ، يقال لهم (تاهالا) الى الان (٣) وكانت بين هاتين القريتين فتن عظيمة الى ان أدت بهم الى ايقاع فرقة منهم باخوانهم ، وقتلوهم عن آخرهم وأخذوا أموالهم في سنة ١٢٩٤هـ ولازالت مدرستهم هذه عليها مهابة عظيمة وآثار علمية

١) اى غربيها

٢) هو والد سيدي محمد ـ فتحا ـ بن ابراهيم بن عمرو الشيخ التامانارتي الشهير المنسبة الى أبي بكر ، وقبر ابراهيم مشهد مشهور الى الان في قبيلة اداوزدوت • وسيذكر هؤلاء التامانارتيون في (القسم الثالث) ان شاء الله

٣) من هؤلاء الفقيه الطبيب المشهور الذي ذكره الجشتيمي

الرحلة إلى هشتوكة

في شهر ذي القعدة من عام ١٣٣٦هـ ، طلبت بالالحاح من الشيخ المتقدم ذكره الرحلة الى مدرسة (ادا و ّمحمد) بهشتوكة ، فساعدني بعد التي واللتيا بعدما اجازني كما تقدم ، وزودني بالدعاء بالفتح المبين

وسبب شد الرحلة الى (اداو ّمحمد) هوانني لما كنت صغيرا في سن العاشرة ، ورد على الوالد المقدس رحمه‌الله الفقيه العلامة المحقق المرابط السيد أحمد بن عبد الرحمان نيت افرا الغازي الكرسيفي ضيفا عندنا ، وكان من أهل الحظوة والصلاح ، فلما قدم الينا طعام العشاء جعل يسالني عن لوحي وسورتي ، ومبلغي من الاحزاب ، فقلت له بلغت حزب (قال الملا) وقد اخرجت الختمة الاولى ، وحفظت القرءان حفظا جيدا ، فتعجب مني ومن جوابي ، وكان قد تخرج على شيخنا شيخ الجماعة أوعابو رضي الله عنه ، وأجازه اجازة عامة عام ١٣١٣هـ فقال للوالد ياسيدي أحمد اذا أردت ان ينجح هذا الولد النجيب انشاء الله ويكون كما أردت ، وفوق ماأردت ، فابعث به بعدما يقضي وطره من القراءات الى اوعابو (بادا و ّمحمد) ، فانه منبع العلوم اليوم بسوسنا ، مع البركة الظاهرة ، وقال له • اني أقمت عنده اربع سنين ، فما فتح لي عند غيره مافتح لي عنده • من تمهري في الفنون ، وانتهى فيها ماينيف على كذا ـ وذكر عددا ـ فقال له الوالد رحمه الله ، نعم ابعث به اليها ان كنا في قيد الحياة ان شاء الله ، وانا على تلك النية ، فوقر كلام الرجل ووصيته في قلبي وتعلق به مرتسما فيه كالنقش في الحجر ، الى ان كان جميع ماذكرته من التنقلات القرءانية والمبادىء العلمية ، بعد وفاة الوالد في السنة المذكورة فيما تقدم ، ووفاة هذا الفقيه الصالح الموصي عام ١٣١٥هـ بمرض الجدري بجامع (تارسواط) رحمه الله ، ولم يعقب ، وهو من أشياخي في نافع أيضا فحثني حادي التفكر ، وحداني روح قوة الفكر ، الى الارتحال الى (ادا و ّمحمد) لدى شيخنا الشيخ ابن عبو المذكور ، فارتحلت في التاريخ المذكور وفي صحبتي الفقيه البركة النبيه السيد الحاج المحفوظ بن احمد اهمادي الحضيكي التارسواطي المانوزي ، وبعض تلامذتي في جماعة • منهم ابن خالتي الفقيه المرابط السيد محمد بن المحفوظ الحضيكي ايضا ، وخرجنا من موضعنا (آوالا) ضحوة السبت فبتنا بوادي سملالة ، بموضع تلعة (تالات) عند بعض المعاريف وفي الغد ارتحلنا وتغدينا بمدرسة (تازموت) عند بعض طلبة العلم ، وفيها الفقيه المدرس السيد ّمحمد الجبلي السملالي كودرار ، به يدعى ، لانه نشأ بجبل درن أيام قراءته القرءان فعرف به ، وذهبنا من عنده الى ان وصلنا سوق (اداي) وهو الاثنين ، فاجتمعنا فيه بمدرس مدرسة (تيزكين) وهو العالم العلامة الحافظ الحجة صاحبنا ومحبنا في ذات الله السيد محمد ابن الفقيه

عبد الملك (١) الاخصاصي ، فتغدينا للقراءة عنده ، فاعتللنا بان نيتنا (اداو ّمحمد) فقال لنا (فامضوا حيث تومرون) واخذ مني العهد ان يمضي معي بعد انتقاله من مدرسته هذه الى فاس ، ثم الى مصر والحرمين والشام ، فلما انقضت له سنتان فيها ، سافر الينا ، وعرج علي ، وعرض علي ماتعاهدنا عليه • فلم يساعدني شيخي ومنعني منعا كليا • فذهب منصرفا الى ماذكرنا

وكان هذا الفقيه تضرب به الامثال في سرعة الحفظ ، وقد حفظ الموضح لابن هشام في عشرة أيام والعواشر وابن عاشر وتاليف الفرائض والحساب والسلم (٢) في مثل ذلك ايضا ، وهو في كل فن رئيس ، وقد اخذ عن جماعة من فحول سوس (٣) يطول حصرهم ، وكان رحالة وهو من اوعية العلم التي اوكاعليها ثم أقام عندي ثلاثا بالمدرسة المحمدية (نسبة الى اداو ّمحمد) وسافر قاصدا مراكش ، فلم ترقه الاقامة بها ، وذهب الى فاس ، فأخذ عن شيوخها واستصفى وطابهم • ولم أدر مدة اقامته بها • ثم سافر الى تونس • فاخذ عن علماء الزيتونة ، ثم الى مصر ، بعدما تجول في انحاء طرابلس والقيروان وبلاد افريقية ، اخذا عمن صلح للاخذ عنه • وأقام بمصر مدة مديدة ، وتصدر للتدريس بها ، وكان أهل مصر يسمونه الشيخ المقرى الثاني ، لغزارة علمه وثقوب ذهنه ، وكثرة حفظه • مستحضرا لجميع الفنون النقلية والعقلية • ولازال الى الان حيا كما يبلغنا عنه ، الا انه اصابه خلط في عقله ، ترك من اجله التدريس • وتصدى للخلوة بالاسكندرية ، وقد حكى لي الفقيه العلامة السيد الحاج الحسن بن أبي جمعة الباعقيلي أصلا ، البيضاوي سكنا ، انه لما حج عام ١٣٤٨هـ عرج عليه زائرا بالاسكندرية ، فاستاذن عليه فخرج له في هيئة رثة مزرية محزنة ، وتكلم معه بكلام لايفهمه ، وانصرف عنه ولم يفهمه من اين هو ولا الى اين ، لاشتغاله والله أعلم ، من قبل ببعض الاسماء الى ان اثرت في عقله (ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنا به) وعمره الان يناهز الستين ، كان الله لنا وله ولجميع المسلمين •

ولما صلينا الظهر بسوق (اداي) المتقدم الذكر ، واكلنا خبزا ولحما ومرقا مع الفقيه المومأ اليه ، وتودعنا معه على نحو ماذكرنا ، انصرفنا طالعين قاصدين ذلك الجبل الوعر ، الذي يطل على بلاد رسموكة ، الى ان استوينا فوقه ، وأشرفنا على بلاد ايت حامد ، فوجدنا فيها جماهير من اخلاط الرجال والنساء ، في أحسن زي ولباس • ففي كل بلد ومدشر وقرية • فسالنا عن

---

١) اسم الاب مبارك ، لاعبد الملك ، وهو فقيه مشهور بالحفظ ، من أصحاب الشريف الكثيري ، توفي عام ١٣٣٢هـ •

٢) ومن جملة محفوظاته الموطا ، كما كان والده حفظ الشفاء لعياض حفظا وقد شرع في مصر التحفة والرسالة بالحديث

٣) أخذ عن بيبيس وعن أبي عبد الله الاريضي واخيه احمد

السبب فقيل لنا أن في هذه الايام موسم معروفهم المسمى ادرنان (١) ، ثم عرجنا على بعض القرى ، فاذا فيها من الخلق مالايحصى ، والرجال في لهوولعب بالدفوف مصطفين يتراقصون على العادة ، والنساء كالجراد حواليهم متنقبات لاتبدو منهن شعرة واحدة ، ينظرن اليهم على العادة المعهودة ، حتى اذا فرغوا من لعبهم تصافت النساء ايضا كذلك للرقص والشطح والتصفيق عياذا بالله وهم في سكينة ووقار ، بحيث لاتسمع منهم لغوا ولا هجرا ، ولاكلمة قبيحة . وهكذا دابهم ثلاث ليال من الاربعاء الى يوم السبت ، ولما جلسنا بمزجر الكلب منهم تفرسوا فينا اثر الغربة ، وجاءنا احدهم ، فعرض علينا الاكل عنده بداره تبركا بنا ، فذهبنا معه فقدم الينا من أنواع الموائد والاطعمة والفواكه والادام ماأقر به أعيننا ، فتناولنا الطعام من خبز فرن واخباز رقاق وعسل وسمن وزيت هرجان (أركان) ومطحون لوز (أملو) وطاجن لحم وكسكس وبيض ولوز مقلى ، وتمروتين وزبيب ، وغير ذلك من النعم ، وعاملنا بالجميل جزاه الله خيرا وصلينا العصر وأم بنا ، فطلب منا الدعاء (٢) بعدما عرض علينا الضيافة

١) يصنع في هذه الايام لخبز الرقاق كصدقة اولا ، ثم توسع في ذلك الى كثرة الانفاق فتستدعى كل قرية اخرى ، فيجتمع الشباب على احواش (العابهم المحلية بالدفوف والاناشيد)

٢) العادة ان الناس يطلبون دائما الدعاء من الطلبة حيثما صادفوهم ، ومن اغرب الوقائع أنني حين كنت تلميذا بمدرسة ايغشان كان في راسي جرب ، فقال الاستاذ سيدى عبد الله بن محمد الالغي للطلبة ادعوا الله ان يشفي فلانا مما فيه ، فلم يمض الا قليل حتى برئت منه ، ومنها أنني اذذاك كنت مع الطلبة ونحن نجمع السمن للاستاذ من القبيلة ، فأراد الطلبة من ذي غنم في قرية (توكال) ان يعطيهم شاة منها فلم يفعل ، فلما غادرنا القرية وقف الطلبة يدعون عليه بالهلاك ، فالتفت فاذا أمامي حجر الزناد المعروف في البنادق الاهلية (بوالشفر) فقلت لهم ضاحكا انه سيقتل ، فكان من المصادفات ان قتل وشيكا مع أنه مظلوم كما ترى ، لان المال ماله ، لايحل منه الابطيب نفسه ، ومثلها ماحكاه لى الفقيه سيدى الطاهر بن على ان طلبة مدرسة سيدى على بن سعيد في الاخصاص طلبوا من غنى في قرية (ايكيوونا) قرب المدرسة ان يعطيهم شاة من غنمه ، فلم تتيسر منه ، فلما انفتل من عندهم صاروا يدعون عليه بالهلاك ، وان تكون تلك الشاة لحما لعشاء موته ، فهلك المسكين في ظرف ثلاثة أيام، وهكذا استجيب الدعاء
أقول كان الشيخ الصوفى سيدى الحاج الحسن التاموديزتي يقول : ان الطلبة مااجتمعوا على شيء الا أتمه الله ، ويقول سيدى ابراهيم بن صالح التازروالتي ماحرمت الاولاد الا من دعوة لطلبة وقفوا أمام دارى يوم عرسى . فلم اطعمهم فدعوا على ان لاارزق الاولاد ، فنفذ دعاؤهم
سقنا هذه الحكات ــ وما اكثر امثالها ــ ليعرف القارىء ان مايقوله المترجم كان شائعا متداولا في سوس . حول حفظة كتاب الله . وهم المقصودون بالطلبة

فاعتذلنا بأننا قوم سفر مستعجلون ، فسهلوا لنا على الطريق الذاهب الى السبب (تعريب لكلمة ازاريف) فانصرفنا شاكرين .

(فصـــــل)

في ذكر موسم الرقاق (إيدْرْنان) واول من أحدثها من القبائل المتمسكة بها

اول من احدثها في بلاد جزولة وغيرها العالم الولى الصالح الربانى السيد ابويحيا العثمانى الكرسيفى التادارتى التيملى الجزولى جد كل كرسيفى في تلك البلاد في أواخر القرن السابع ، وان كان أهله معروفين من اواخر القرن السادس ، وقدتوفى هو عام ٦٨٥هـ وكان له نفوذ عظيم ببلاد جزولة ، وهو من اجلة علماء وقته علما وعملا وتصوفا وزهدا في الدنيا ، أخذ عن علماء وقته ، ثم ارتحل الى الاندلس ، فأخذ عن علماء غرناطة وغيرها ورجع الى بلاد سوس شهابا واريا ، وتصدر لنشر العلم وبثه والاصلاح والصلاح ببلاد جزولة الى ان بعد سنه ، فتجول ببلاد جزولة ، وامرهم (١) بعمل الرقاق (٢) (ايدرنان) لامر اقتضاه الحال اذذاك ، من قحط اوغلاء او وباء ، وأمرهم بصنعها على هذه الكيفية المعروفة ليلة الجمعة مع العبادة ، واخراج الصدقات فيها ، رجاء ان يفرج الله عنهم مادهمهم ، ويكشف عنهم ماهمهم ، فمن يومئذ (ابتدعوها ماكتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله) ثم زادوا بزيادة الازمان والعصور ، الى ان بلغوا من المناكر مايخالف ما أمرالله به ، مما ذكرنا بعضه

وأما القبائل التى تعملها فهى قبائل وادى (تيملت) باسرها ، من (تينكى) باعلى الوادى ، الى (امارخسين) بأسفله ، وقبيلة المزابة (٣) (تعريب كلمة تافراوت) وأيت (سمايون) وقبيلة (تاهالا) الى (ايمور) الى (اكرسيف) وايغشان و (ادا وسملال) وقبائل (اداكرسموكت) الى البحر سهلا وجبلا ، وقبائل باعقيلة الى البحر كذلك ، وقبائل صوابة (أيت صواب) بأسرها الى هشتوكة ، وقبائل (ايساكة) و (تودما) وقبائل هيلانة بأسرها ، من اداكنضيف بسفح جبل الكست الى هوارة الى رأس الوادى قبلة ، وكل هذه القبائل تعملها مرتبة الاولى فالاولى

١) من معانى الرقاق بضم الراء : الخبز الرقيق
٢) يزعم بعض الناس ان أول من أمر بها هو الاستاذ محمد بن ابراهيم أعمول المتوفى عام ١٢٧١هـ مع ان التكلم على انكارها من العلماء كان قبل ذلك بكثير كما رأيناه في مختصر المدخل لبعض الجزوليين
٣) كثيرا مايترجم الموثقون كلمة تافراوت بكلمة المزابة ، وأحسب انهم يقصدون ترجمة تافراوت الى الميزاب ولكنهم صحفوا اللفظة العربية (الميزابة)

على حسب مارتبه لهم الشيخ المرابط المذكور ، فاول الناس الجرفة (تاكانزا) اسفل الوادى فقط ، ثم يتبعها غيرها بنظام مازال معمولا به

ولما شيعنا الرجل الموما اليه ءانفا منصرفين من بلاد ايت حامد الى(ازاريف) خالقين ارضاحمراء ذات مزارع ومياهوربا ، الىان وصلناهعند المغرب ودخلنا المدرسة الشبيبة (الازاريفية) ذات العلوم الجمة ، لرجال ذوى همة ، فوجدنا مدرسها الفقيه المقرئ المجود الاستاذ سيدى محمدا الذى شارطه سيدى الحسن على عادته للدراسة ، فرحب بنا ، وفرح غايــة الفرح والسرور ، فلما فرغ الناس ، من قراءة حزب المغرب على العادة ، استدعانا الى محله فى المدرسة • وتذاكرنا وتساءلنا ، وقص علينا من أخباره ، فسألناه عن عدد الطلبة فأخبر انهم مقدار السبعين ، وسألناه عن صاحب الزاوية الفقيه العالم العلامةالصوفى الدائع الصيت السيد الحسن بن محمد بن الحسين الازاريفى ، فاخبر أنهغائب فى بعض شئونالقبيلة ، ولماأصبح الصباحيوم الثلاثاء وأفطرنا عندهتودعنامعه وذلنا بعض تلامذته على الطريق ، فاخذ الطريق الجبلى الذاهب الى (ايكونكا) خالفين ايت عيسى و (تيرسستكرانة) الى ان وصلنا (ايكونكا) فدخلنا مدرستها وهى يومئذ مطمح ءامال كل زائر ، ولايتعدى لغيرها كل وارد وصادر،ووصلناها عند الغروب بعد مشقة فادحة ، فوجدنا الطلبة مثل الجراد المنتشر حواليها فمن جماعة على المطالعة مكبين ، ومن جماعة على المذاكرة والاحماض منكبين ، فلما خالطناهم قامت الينا جماعة منهم ممن فى نواحينا المانوزية ، منهم الفقيه السيد أحمد بن على بلالى من عنق الرمال (اكرض ايملالن) الايسى ، ومنهم الفقيه السيد محمد بنصالح من عنق الاصبع (ايغيراوضاض) المزابى ـ التافراوتى ـ فرحبوابنا ، ولما فرغ الناس من الحزب على العادة ، استدعانا المدرس صاحب المدرسة، وهو صاحبنا وحبيبنا وصفينا الشيخ العالم العلامة (١) الصوفـى الشريف السيد الحاجعابد بنعبد الله بنعمر التيفيراسينى (الكمثرى)البوشوارى الوادريمى ، الشهير الذكر ، الطيب الثناء العطره ، المشار اليه أولا أنه مـن اهل النفوذ الكبير فى تلك القبائل الجبلية والسهلية ، القائم بمبايعة الشيخ الامير المولىاحمد الهيبة ابن الشيخ ماء العينين القلقمى الصحراوى ، ولما استقر بنا المجلس أخذ يسألنا عن بلدنا وعن أحوال أهله وعلمائه ، فلم يترك صغيرة ولاكبيرة الا أحصاها وسال عنها ، وكانت هذه الملاقاة اول التعرف والمعرفة بيننا وبينه ، حتى صرنا بعد فى متانة المودة ، ودوام الالفة والمحبة ، الى حد تضرببه الامثال • ولما فرغنا من تناول العشاء ، بعد صلاة العشاء ، قدمت الينااوانى الاتاى على العادة ، فقال لنا دونكم والاتاى ، فانى تركته منذ مـدة مديدة ، فقلت له ولمه ؟ ايدك الله بتقواه ، فقال لشبهة فيه شبيهة بالحرمـة

١) هذا حقا هو العالم العلامة لا الذى ذكره ءانفا ، فرحم الله الجميع

وذلك انه قدم على بعض العوام الذين يخدمون فيه بباريس ، وسالته عنحاله وحال السكر ، فاخبرنى انه مقصور بعظام الجيف وغيرها ، معقود بعد ذلـك بالدم المسفوح ، فى اخبار غير ذلك غريبة منكرة ، فسكت ، ثم سالنىمانظركم انتمفيه • فقلت انه كما فى علمكم تكلم فيه من تقدمنا من فحول زمـان ظهوره نظما ونثرا ، تصريحا وتلويحا ، فمن مبيح له ومن محرم ومن متوقف • والكلام فيهمشهور

ومن نفوذ الشيخ الحاج عابد المرابطي العلمى أنه يصبح كل يوم بباب مدرسته ازيد من عشرة ذبائح ، من ثور وكبش ، ودون ذلك ، من المواهبالتى تردعليه من القبائل كل واحدة لحاجة ، فمن ذابح قصده التوسط فى الهدنـة والهناء ، وممن قصده ان كان شيخ القبيلة اوقائدا أن يوفق بينه وبين ءاخر اوقتيل كذلك ، اوكان منفيا ليرجع الى داره اوغير ذلك ، واقمنا بالمدرسـة (الكونكية) خمسة أيام ، حتى استرحنا ، ورجعت الينا قوانا ، وأصلحنا من شئوننا ماأصابنا من وعثاء السفر من الاوساخ والادران ، واستدعانا نـاس كثيرون من طلبة المدرسة ، خاطبين لمودتنا ، راغبين فىمحبتنا ، وعـدد طلبة المدرسة ازيد من مائة بكثير • وهذه المدرسة ، ومدرسة اداوگمحمد متقاربتانفى العمارة والتدريس ، وكثرة الغرباء ، وان كانت المدرسة (المحمدية) اكثر علما وعملاوتحقيقا وكثرة غرباء الاباعد والاقارب ، لان مدرسها كما سياتى عادم القرين والنظير بالسوس الاقصى فى عصره ، ثم تهيأنا للسفر صبيحة الاثنين الى (ادا وگمحمد) وهو يوم سوقهم ، فراودنى اصحابى على المقام ، فأبيتمتعللا بأن النية منصرفة منذ أيام الصبا الى ابن عابو ، فعزموا علىالاقامة ، وابتدأوا القراءة تلك الصبيحة ، فلما تودعت مع الفقيه ، وتودعت مع الاصحاب وخرجت الىباب المدرسة ، وخرجوا معى لتشييعى • بدا لهم ان لايفارقونى ، فأزمعوا السفر ، فوبختهم وقلت لهم لاينبغى لكم ان تذهبوا معى بعدما ابتدأتم ، وذلك عاروسبةبينكم وبين الشيخ ، فأبوا أن يقبلوا منى الا المصاحبة ، فذهبنا جميعا بعد عاشرة النهار ، والقيظ يحرق الصخور ، والاقدام تغوص فى الرمال الحارة والمسافة بعيدة ، وأنا فى ذلك كله متفكر مهتم ، فما انفصلنا عن المدرسة ،الا وراكب بغل قد لحقنا فى طريقنا • فوقف وقال : ليركب معى أحدكم ، فقلنا لهاختر أينا شئت ، فعيننى من بينهم ، فقلت على بركة الله ، فركبت معه • وكفانى الله تلك المشقة الفادحة • وأصحابى يستبقون خلفنا ، الىأن وصلنـا المدرسة (المحمدية) قبل العصر ، والسوق مشرف على الانفضاض ، فدخلناالمدرسة وسالنا عن صاحبنا الفقيه السيد گمحمد الاكمارى ، فخرج الينا ، ورحب واجزل الضيافة أياما ، الى ان اجتمعنا بعد بالفقيه الشيخ سيدى محمدبنعابو (بذلك يدعى) صاحب المدرسة

نبذة من حياة هذا الشيخ الفـــذ

هو الفقيه العالم العلامة المحقق ، حامل لواء المعقول والمنقول ، وشيـخ الجماعة بالسوس الاقصى في عصره ، الذى لم يترك فيه لقائل مايقول ، مالك العلوم وامامها ، وذروة كل مجد وفخر ورئاسة وسؤدد وسنامها ، اخذ عـن والده السيد محمد(فتحا)أوعابوا (١)القراءات الثلاث لنافع وابن كثير وأبي عمرو ابن العلاء البصرى ، وتصدى لاخذ العلوم من نحو وفقه ولغة وءاداب وتفسير وحديث وغير ذلك ، عن سيدى سعيد الشريف (كذلك يدعى) وهو الفقيه البركة الولي الصالح السيد سعيد الشريف الكثيرى أصلا الاداو محمدى سكنا ومدفنا حتى تخرج عليه في عدة فنون ، واخذ أيضا عن العلامة المتفنن شيخ الجماعـة في زمانه السيد محمد بن علي اليعقوبي الهيلانى ، ثم ارتحل الى مراكش فـي حدود التسعين ، أول خلافة المولى الحسن بن محمد • فأخذ عن علمائها ، وعمدته منهم شيخ الجماعة بها العلامة المحقق الصوفى الربانى الشيخ محمد بن ابراهيم التكرورى السباعى ، وتجول في البلاد السوسية مثافنا لعلمائها • آخذا عنهم بقريحة وقادة ، في الاستفادة والافادة ، ولما توفي شيخه الشريف المذكور في نحو عام ١٢٩٦هـ تصدى للتدريس فيها وقد وقعت بينه وبين ولد الشريـف السيد محمد ابن الشريف منافسة ، أدت الى التباغض ، فتنحى له عن مدرسة والده، وسافر لمراكش كما ذكرنا ، ثم رجع بعد سنوات الى هشتوكة ، ولما مر أبو علي المرابط السيد الحسن بن أحمد بن محمد التيمكيدشتي ، وهو ولد شيخ الشريف المذكور ، وباشارته بني هذه المدرسة بهشتوكة ، نزل في المدرسة وسأل عن تلامذة الشريف خصوصا الفقيه ابن عابو ، فأخبر بانه تنحى لاولاد الشريف ، كما ذكرنا ءانفا ، فبعث اليه والى ولد الشريف السيد محمد المذكور فقال لهما ليدرس كل واحد منكما بمحضرى ، ففعلا فاعجبه ابن عابو في تحقيق الفنون ، وادارة الشيخ خليل وغيره من الفنون ، وتحصيل صوره على ما ينبغي ودرس أيضا بمحضره فنونا شتى من بيان ومنطق وأصول ، فوجده علامة حاويا ووعاء لاينبغي ان يوكأ عليه ، فعينه متصدرا للتدريس ، فأقام في المدرسة مـا يناهز أربعين سنة ، ولم يعطل في خلالها من غير عذر من مرض أوغيره يومـا واحدا ، وله همة عالية وولوع تام بالتدريس ، مما يتعجب منه في ذلك ، وربما يسافر مثلا الى (أولاد داحو) بهوارة لتعهد مزارعه وأغنامه هناك يوم الخميس مثلا ، فيجيء يوم السبت بكرة لسرد الدروس • مارابداره في طريقه فلايعرج عليها ، ولايسأل عن أولاده ولا عن أى شيء من أموره ، الى ان يدخل المدرسة ويرى عند دخولها حينئذ متغير الوجه ، عليه لوائح الهمة بادية ، لايتكلم ولايكلم فيسبغ وضوءه بسرعة ، ويصفق على عادته لاجتماع الطلبة عليه للتدريس • فاذا فرغ من أنصبة التدريس ، ارتد له لونه ، وبدت على وجهه ءاثار البهجـة

١) ابن عابو • وأوعابو • شيء واحد ، وأوهوابن بالشلحة

والسرور ، فيتكلم ويتحدث ويسأل عن القديم الاقطار ، وهذا دأبه ، وله رحمه الله همة عالية وسياسة في جميع اموره سامية

ذكر أمد ختام كل متن وفن

اعلم ان الشيخ السيد سعيدا الشريف شيخه المؤسس لهذه المدرسة • قد نصب كل متن بنصاب (١) مناسب المقام قلة وكثرة ، باعتبار صعوبة المتن وكثرة سوره ومعانيه اوفروعه ، وسهولته بضد ماذكر ، وباعتبار الازمنة أيضا • مراعيا للعواشر وأيام العطلة ، مثل الخميس والجمعة في كل أسبوع ، فنصب الشيخ خليلا على ان يختم تدريسه في عامين ، والالفية على ان تختم في عام • والرسالة كذلك على سنة ، والتحفة على سنة ، وابن عاشر والزقاقية والمقنع والرسموكية والسملالية على الفرائض والحساب والاجرومية على ثلاثة اشهر والتفسير على سنة كاملة ، والبخارى على شهرين ، لسهولة امره عندهم ، وجمع الجوامع • والتلخيص على سنة ، وقس عليه جميع الفنون ، فيتحرون في الختام السنوى عيد المولد النبوى ، فاذا جاء المولد مثلا والانصبة كثيرة لايمكن ختامها في نصاب واحد في ذلك الزمان القصير جمعوا بين نصابين وثلاثة ، ليتفق لهم الختم في حد محدود لازم عندهم ، وكذلك انتشرت (٢) هذه الانصبة في اقطار سوس وماحولها ، لانتشار طلبة هذه المدرسة فيها ، ولذلـك غلب نجاح طلبة هذه المدرسة اكثر من غيرها ، وتخرجهم في ست سنوات في العادة المطردة عندهم ، ونبغ منهم في شتى الفنون عدد كثير ، حتى احصى جميع من تخرج على الشيخ ابن عابو من عام ١٢٩٥ هـ الى عام ١٣٣٠هـ فوجد نحوا من ستمائة(٣) عالم ، وهو أمر لم يعهد مثله الا لابى مدين الغوث ، والشيخ سيدى محمـد ابن ابراهيم التامانارتي ، فيما سمعنا في زمانهما ، لان المدرسة لاتخلو عمارتها دائما من نحو مائتى (٤) طالب من اولاد الاغنياء والاعيان من الاشياخ (الرؤساء) والقواد والعلماء ، وأكثرهم غرباء من نواحي مراكش الى دكالة وعبدة والشياظمة

١) يعنى بتنصيب الانصبة تقسيم المتن الى دروس

٢) يتتبع هذا النظام عند سيدى مسعود المعدرى ، وعند سيدى الحسيـن [illegible] ، وسيدى الحاج عابد ، ولااعلم لهم الان رابعا •

٣) قعدت يوما مع سيدى الحسن بن مبارك الباعقيلي نحسب من أخذوا عن ابن عبو فلم نصل معا الا نحو ثلاثين ، وحزر المذكور تلاميذه البارزيـن بنحو [illegible] كما حزر جميع من يمرون أمامه بنحو مائة ونيف على اكثر تقدير • ولكن هذا المترجم ربما كان اعرف •

٤) حدثني السيد احمد بن الفضيل الكرسيفي الذى عاصر الكاتب هناك ان الطلبة اذذاك لم يتجاوزوا اربعين ، والعهدة عليه

وحاحة ومتوكة ووادى سوس وجبالة وايست باعمران وباعقيلة ورسموكة وتيزنيت وءامانوز الى جهة القبلة ، وغالبهم لايعرف الا باسمه ، والكل منهمك على المطالعة والمذاكرة ، وكل فريق وطبقة وسن واصحاب فن واحد يجالس أخاه ، ولايسأل احد عن احد لكثرة الاشتغال والهمة والغبطة والتحصيل ، ولقد أقمت فيها ازيد من أربع سنين ماعرفت اكثرهم الا معرفة الوجه والشارة ، سوى أهل مجلسي ومذاكرتي ومطالعتي حتى حصلت بيني وبين اكثرهم منافسة علمية ، ومساجلة أدبية ، واستحكمت حينئذ المعرفة ، واستحكمت الالفة .

فصـــــل

في اولية الشيخ سيدي سعيد الشريف

مؤسس المدرسة وبانيها

هو الشيخ العالم الصوفى الربانى الولى الصادق العابد الشريف سيدنا سعيد بن أحمد المتوفى نحو عام ١٢٩٦هـ الكثيرى قبيلة الوديمى الهشتوكى سكنا ، نسبة الى كثير من احفاد سلالة المولى ادريس بن ادريس ، وأخوانهم لازالوا معلومين بفاس بالشرفاء الكثيريين الى الان ، انتقلوا من فاس في أيام ايقاع بنى العافية بهم ، وسكنوا كغيرهم جبال سوس الاقصى مما يلي الكست ثم انتقل الشريف هذا الى سهول هشتوكة مستوطنا مع والديه ، ونشأ فى عفة وزهد ، وتعلم ونجب ، وتجول للاخذ عن علماء تلك الجبال ، الى ان أدت به خاتمة المطاف الى زاوية (تيمكيدشت) بهوتان (مانوزة) في حدود الخمسين بعد المائتين والالف ، لدى الشيخ الولى العالم الصوفى ، شيخ مشايخ سوس فى وقته السيد أحمد بن محمد بن ابراهيم الميمونى اصلا ، الايسى وطنا ومسكنا فلازمه سنين عدة الى ان أجازه وأرسله الى (اداو محمد) وأمره ببناء مدرسته هذه ، فامتثل أمره ، فانثالت تلك القبائل عليه معتقدين له ، وبنى المدرسة الاولى ، ثم الثانية متصلتين • وبينهما سكة لمرور غنم ومواش مسورتين بالتين الشوكى (اكنارى) وكان استيطان الشريف لهذا الموضع وبناء هذين المدرستين عام ١٢٦٠هـ قبل وفاة شيخه الميمونى بسنوات ، أواسط دولة السلطان عبد الرحمان بن هشام الفيلالى ومازالت المدرسة تنمو شيئا فشيئا الى ان بلغت ما بلغت ، وبنى الشيخ داره الواسعة ازاءها ، مما يلي الشمال الى الغروب ، وبنى الصومعة الماثلة فى الهواء ، وحفر البير الموجودة الان عن يمين الداخل ، وبنى ازاءها برمة وقود تسخين الماء للوضوء ، على عادة مدارس سوس ومساجده ، ومن خصائص مياه هذه البير ان ماءها حلو عذب فرات ، مخالف لمياه هشتوكة ، فانها كلها ملح فسبحان الحكيم العليم ، بل اعتقد اكثرهم أن ماءها يثير الفهم ، ويفتح القلب

[...]ملاحظه ، فلذا كان اكثر الطلبة يتخرج متفننا فى شتى العلوم ، فى اقصر [...] من ست سنين الى عشرة • ولاغرابة فى ذلك ، وقد ذكر الحكماء والفلاسفة [...]الاهوية تؤثر ، وذكر الشيخ اليوسى فى محاضراته مايفيد ذلك

(فصل)

في بعض ما يتعلق بهذه المدرسة زيادة على ما تقدم

ان لعمارة هذه المدرسة ماديا وأدبيا أسبابا ظاهرة لاتخفى ، منها ان [...]ها كبيرة ، وهي تنيف عن اثنتى عشرة مائة كانون ، مع مالها من الغنى [...] من ارض طيبة صالحة للزراعة ، ومركز سهل معتدل الهواء حرارة [...] ، متوفرة فيه اشجار الهرجان وغيره ، الواقع بالغابة المسماة (ادميم) [...]فهذا توفرت خيراتها ، وكثرت أعشارها وزكواتها ، حتى ان مطاميرها الواسعة [...] ملا قمحا وشعيرا ، وعدد المطامير التى بداخلها وخارجها الى جهة السوق [...] من ثمانين مطمورة ، كلها مملوءة زرعا ، ومن تلك المطامير مايكفى زرعها [...] لقوت الطلبة فى السنة كلها ، لكبرها وسعتها ، كالمطمورة التى بباب [...] الداخل وغيرها ، اما ما تفرضه القبيلة من ذلك ، فانها تفرض لازما [...]ها ثلث اعشارها ، ولايقطعون منه حبة واحدة ، بل يوفونه لما يخافون من [...] القوانين المتقدمة ، وغيرها ومن المصائب التى تحل بمن استهان [...]ات ، فهذا الثلث ، لكثرة القبيلة وكثرة غنى أهلها ، وتوفر زروعهم [...] فيه العام الواحد لقوت سنين عديدة ، ويفرضون أيضا اجارة الامام [...] ، المسماة عندهم بالشرط (وبالشلحة : الاحضار وهذه الكلمة متقاربة [...] المحضر للتلميذ كما سبقت الاشارة اليه فيما تقدم) ، وهو صاع لكل [...] وولتيمة كذلك من السمن وولتيمة وتسمى عندهم أقشور من الهرجان [...] اوادامه ، ومقدار صاعهم يزيد على عشرين صاعا نبويا ، ومقدار الولتيمة [...] الان الى المكيال الحديث المسمى (ليترو) وهذا الشرط يستأثر به الفقيه [...] اجارة له على عمله وخدماته للطلبة ، وأما الاعشار فهى محبسة على [...] طلبة العلم خاصة ، لكنها الى نظر الفقيه ، وتحت سيطرته ، يفعل فيها [...] صرفها مايشاء ويختار

ومن تلك الاسباب نفوذ الفقيه الكثيرى فى القبيلة ، بل وغيرها كما تقدم [...] ، فانه لا يقدر أحد على المخالفة فى خدمة هذه المدرسة وغيرها ، مما يتعلق باهلها ، فتاتى اليها وفود الطلبة من جميع الاقطار ، فلا يسالهم سائل ولا يتعرض لاذايتهم احد ، ولو كانوا جناة .

(فصل) في ذكر ما تيسر ختامه من الفنون

ختمنا الشيخ خليلا ثلاث مرات وهو الاهم عندهم ، والتحفة كذلك ، والزقاقية اربعا والرسالة وابن عاشر مرارا ، والمقامات الحريرية كذلك ، وجمع الجوامع لابن السبكى مرارا (١) ، ومتن مفتاح التلخيص فى فن البيان والمعاني والبديع مرارا (١) ، ومنظومة الاخضرى والتفسير مرارا (١) والبخاري مع ابن أبي جمرة والاربعين للنووى كل سنة ، وأصول العقائد مثل السنوسية وغيرها مرارا (١) ، ومنظومة السلم مرارا (١) ، والحساب والفرائض مرارا وفن العروض كالخزرجية والحمدونية والدمنهورية مرارا (١) ، وألفية ابن مالك وألفية العراقي والاجرومية ، والمبنيات مرارا (١) والورقات لامام الحرمين وغير ذلك ، وأما التنجيم كالمقنع وروضة الازهار للكاديرى ، والربع المجيب وغير ذلك فى كل عام لابد منه

(فصل) في ذكر أسباب تيسر العلوم وأخذها بسهولة وفي زمن قصير بهذه المدرسة

اعلم وفقنا الله واياك أن أسباب نجاح طلبة المدرسة (المحمدية) كثيرة، منها معرفة هذا الشيخ المدرس بكيفية ادارة العلوم على حقيقتها عند التدريس املاء وفصاحة ورجاحة ، لاسيما العلوم الفقهية والنحوية ، بحيث يطوى مسافة بعيدة من الصور الكثيرة فى خليل فى مسافة قريبة ، باختصار لفظ ، وتأدية معنى ، وافهامه كما ينبغى ، وكأنه يفرغه تحقيقا فى قلوب السامعين ، فلايمل متنا • أويصور مشكلا صعبا ، أو يحل لغزا الا ويفهمه السامع ، لتحقيقه وفصاحته وكلامه العذب ، فصارت تضرب به الامثال فى ذلك كله ، بحيث اذا وقف مثلا على الباب العسيرة فروعه وصوره وتفاصيله ، كبيوع الآجال، وباب الصلح ، يقدم توطئة فى جميع قواعده وعلله الاجمالية ، المبنى عليها جميع مسائل الباب التفصيلية ، قاعدة بعد قاعدة ، وعلة بعد علة ، فى ارشق عبارة وافصحها • وأخصرها بالعربية والسوسية فى اسرع وقت ، من غير تكرار ممل ولاتنحنح ولاتململ ، وهو فى كل ذلك يشير الى الطلبة بيده الكريمة ليرتسم جميع مايلقيه عليهم فى قلوبهم ، وهم أيضا ينظرون اليه باعين مفتحة اجفانها باهتة أحداقها ، بادية عليهم أمارات التحفز والاستعداد ، والتوثب نحو الشيخ لاستمداده ، ولا يلقى مشكلا الا واخترق الآذان الى القلوب موضعا ، وسقى

١) ليتذكر القارىء هذه المرار يوم يصل مایاتی من طلب أخذ هذه المتون أيضا من (تيمكيدشت) فان حذق الكاتب المعلوم وتحصيله للفن تكفيه فى قراءته مرة أو مرتان • ولعله انما يريد التبرك باعادتها من (تيمكيدشت)

رياض الالباب ، مرتعا فلايفرغ من تلك المقدمة الموطئة ، الا وباقى الباب مفهوم مسهل للسامعين ، مع ما تلقوه من التحصيل العظيم فى ذلك ، وبعد الفراغ منها ينساح فى نصاب الباب ، كانه (سحنون) بل عاصفة لاتبقى من المشكل ولاتذر وقس على ذلك أبواب العبادات كالمنسيات ، وأبواب النكاح ، لاسيما الطلاق وتجزئته ، وباب العتق ومشكلاته ، وأما فن النحو فهو فيه سيبويه ، فاذا وقف مثلا على باب كثير الوجوه • مثل الصفة المشبهة ، فلا يقف فيه متفكرا حتى يوصل جميع وجوهه الى ازيد من مائتى وجه ، ما بين صحيح وضعيف ، ثم بعد ذلك يندفع كالسيل فى تقرير الوجوه وتحقيقها ، ترجيحا وقبولا ، وردا ونسبة الخ واذا وقف مثلا على التمرين فى باب الاخبار • يفعل كذلك ويفرع جميع وجوه الباب وقواعده ، مما يتعلق بـ (الذى) وفروعه من تثنية وجمع وتذكير وتانيث ومطابقة الجميع وبـ (ال) وفروعها كذلك ، ويوصل الوجوه الى ازيد من ثلاثمائة وجه ، من غير تململ ولا تلكىء فلا تسمع منه الا : فاذا قيل لك اخبرنى بكذا من قولك كذا ، تقول له كذا وكذا الخ • أو باب التصريف مثلا فيفعل جميع ذلك فى جميع ما أشكل من غير كبير مشقة ولاعناء ، بل بتؤدة وتأن ووقار

والحاصل ان الشيخ محمدا بن عابو رحمه الله مما يفتخر به المغرب على المشرق على الاطلاق باتقان ، ومنها ان فى هذه المدرسة ممن تخرج من العلماء على الشيخ أزيد من أربعين متفرغين للتعليم ، فما شئت من نوع او فن فى أى موضوع فاذهب الى من شئت منهم ، فكلهم مستعدون للالقاء والافادة ، فى أى وقت ليلا ونهارا • فلا تلقى منهم منعا ولاابابة ولاملالا ولاعذرا ، لوصاة الشيخ لهم بذلك ، فيجد المبتدىء والمتوسط والمنتهى بغيته عندهم فى جميع الازمنة ، فلا يرد ويجد من يسرد (١) الفنون الادبية • ومن يملى عليه مايريد ، ومن يباحثه فيما أشكل عليه فى جميع الفنون والعلوم ، فلا يفقد شيئا ايضا من أدوات الفهوم

(فصل)

في عادات المدرسة في المآكل وغيرها

اعلم أن للمدرسة ، شأن غيرها من المدارس السوسية ، اماء يقمن بشئون الطلبة بكرة وعشيا ، ولهن مأوى يأوين اليه ، وللمدرسة مطبخ واسع فيه الات

١) السرد فى عرفهم : التلاوة ، والعادة ان تكون التلاوة من كتب الادب فى أوقات العطل فى الاسبوع • يتلو التلميذ فيرد عليه الاستاذ ويناقشه أحيانا فيبقى كذلك ولو طوال النهار أو الليل أوهما معا ، فيستفيد التلميذ معرفة ضبط الفاظ اللغة ، وتطبيق القواعد ، مع زوال الخجل عنه ، وسرعان مايتقدم ان ثابر على ذلك

الطبخ من قدر وقصعة وءالات صنع الخبز (افلون) ، وقماقم الماء وخوابيه وجوابى الكسكس ، والكل من عمل النحاس الصفر ، سوى المخبز (افلون) • والقدر كبيرة جدا ، وكثيرا ما رأيت بعض الكلاب يتسلل فيتظلل فيها عند القيلولة فى الهواجر ، وقت حمارة القيظ ، انتهازا لفرصة قيلولة الآدميين • والعادة في مآكلهم أن تصبح الخادم ، وهى (رقية وبناتها الاربع ، بنات الكيال) اومنو (نسبة الى قبيلة اداومنو القريبة هناك) ، فى الساعة السادسة صباحا فيصنعن الحساء ، ولابد منه ، من ذرة اوشعير اوقمح ، فيفرغنه فى قصاع عظيمة فيتناوله بالحسو من أراده ، واكثر من يشربه من الطلبة فقراؤهم ، وأما من كانوا منهم موسرين فانهم يستغنون بصنع الاخباز مع السمن والعسل وزيت الهرجان (اركان) والاتاى والشعرية ، ونحو ذلك والافطار به فى بيوتهم ، ثم بعد ذلك تنصب القدر الكبيرة لتهيىء الكسكس حوالى الساعة الثانية عشرة ، فيتحشر اليه من أراده ، ومن لم يرد أن يتناوله مع الجماعة يذهب بحظه منه الى بيته ، ليادمه بما يشاء من زيت زيتون او هرجان او مرق او غير ذلك ، ويأخذه بمغراف كبير يسع نحو كيلو ولا يتعداه ، وغالب الناس لاياخذونه منفصلين لاعتقادهم أن البركة فى وضع الايدى مجتمعة عليه ، وأما مايتناولونه عند العصر ويسمى بالشلحة (اوزدويت) وبالعربية الدارجة العكبية (١) فان القبيلة تاتي اليهم بالشلحة (اوزدويت) وبالعربية الدارجة العكبية (١) ، فان القبيلة تاتي اليهم به مناوبة فى المداشر والقرى ، على ترتيبهم فى ذلك وكلما فرغت قرية ابتدأت اخرى ، الى آخر القبيلة ، ولايقطعه احد حذرا من ان تطبق عليه القوانين الصارمة الموضوعة فى ذلك ، ويحضر عادة عند صلاة العصر ، ويكون عادة خبزا ياتون به بعدد الطلبة على البهائم او بالقفاف على رؤوس الناس ، ومازاد اونقص من عدد الطلبة يعلم به المقدم ، ليزاد فى الخبز او ينقص منه • فرحم الله تلك الهمم العالية • التى عرفت مقدار العلم فشجعته ، ثم اذا حان وقت الغروب تصدت ام رقية أيضا لصنع الكسكس لعشاء الطلبة ، فلا يؤذن العشاء الا وهو مفروغ منه ، فاذا خرج الناس من مراجعة الدروس تناولوه على نحو ما تقدم

(فصـــل)

في كيفية المذاكرة والمطالعة عندهم ومواضعها

كل زمان وكل مكان عندهم صالحان للمذاكرة ، الا أن المطالعة الرسمية اللازمة عندهم ، والتى هى بالمناوبة عند كل فريق ، لاتكون الا فى الموضع المسمى بالمجلس الكبير ، وهما مجلسان بناهما الشريف الكثيرى رحمه الله عام ١٢٦٨هـ يسمى أحدهما المجلس الاعلى ، لعلوه وارتفاعه واتساعه فى ارجائه ونواحيه وله أعمدة كبيرة هائلة مائلة فى الهواء ، وأركان متينة ، ونصفه مسقف والباقى

١) الذى يوكل بين الغداء والعشاء يسمى لغة الهجورى بفتح الهاء

هوائى ، وفيه اشجار الليمون والارج فى منظر طبيعى بهيج ، وهو مجلس الشيوخ والمنتهين ، والاخر المجلس الشمالى المسقف كله الخارج بابه الى محل برمة الوضوء ، هو مجلس المبتدئين ، فتذهب كل طائفة الى مجلسها ، عند المطالعة • وتفصيل ذلك ان من اتقن الشيخ خليلا والتحفة والزقاقية والتفسير والحديث والاصول والمنطق والفنون الادبية والفرائض والحساب والتنجيم والتوقيت والتعديل وغير ذلك من الفنون العلمية ، يسمى منتهيا ، وموضعه رسميا المجلس الاعلى المنمق المسمى مجلس الشيوخ ، فلا يتعداه ، لان غيره معرة عندهم ، وأما المتوسطون والمبتدئون فمحلهم المجلس الثانى ، ولايتعدونه الى غيره

وينقسم الجميع الى اكثر من عشرين فرقة بحسب مطالعة الانصبة ، وكل حزب بحزبه ، وكل قرين الى قرينه ، ففريق الرسالة مثلا مع مثيله • وأصحاب ابن عاشر والاجرومية والالفية متضامون الى بعضهم ، وكل واحد مع اخوانه لايطالع الا مع قرنائه ولايدخل مع غيره

أما ابتداء المطالعة فهو من وقت فراغهم من قراءة الحزب بعد المغرب الى اذان العشاء ، فيصلون ويتناولون عشاءهم ، ثم ينصرفون الى بيوتهم للمذاكرة والمطالعة أيضا فى مواضيع أخرى الى منتصف الليل أوما بعده ، فياخذون مضاجعهم للاستراحة بالنوم (وكانوا قليلا من الليل ما يهجعون) ، ثم يقوم الجميع قبل الفجر بساعتين أو اقل او أكثر للاستعداد المادى والادبى ، فلا تسمع حينئذ الا دوى القراءة والمطالعة ولاتبصر الا بصيص المصابيح فى البيوت ، وهكذا كانت تلك العصور (١) ولكن صارت فى خبر كان ، كما قال الشاعر :

ثــم انقضت تلك السنون واهلها   فكـانـهـا وكانهم احـلام

فصــــل

في ذكر أخبار الشيخ رحمه الله مع من تخرجوا عليه

اذا تخرج طالب ، وانتهى مـن طلبه ، فـان رضى بالمقام فـى المدرسة والاشتغال بالتدريس ونشر العلم فيها سائر أيامه فبها ونعمت ، وان اراد الخروج للمدارس الافاقية للمشارطة ، أو القضاء فى القبائل ، فانه يذهب الى الشيخ ، ويطلب منه ما أراد على ما أراد ، فان أراد القضاء فانه يكتب له

١) هذا الذى ذكره الكاتب شائع فى جميع المدارس السوسية بهذه الكيفية ، تحت نظامه أخذنا بدورنا فى ايغشان وبوتعمان وتانكرت ولاتزال هذه الكيفية معمولا بها فى بعض المدارس العامرة

الى قاضى المخزن بمدينة (رودانة) ليقيمه نائبا عنه فى بعض القبائل الـتـى
يطلبها ، ان كانت خالية من قاض ، فاذا وصل كلام الاستاذ ابن عابو رحمه
الله الى القاضى ، فلايسعه الا أن يمتثله ، فيكتب ظهيرا قضائيا عـلى القبيلة
التى طلبها الطالب ، ويذهب اليها نائبا بـل قاضيا فـى الحقيقة ، لان قاضى
(تارودانت) وان كان فى ذلك العصر قاضيا شرعيا مخزنيا ، الا ان شوكـة
هؤلاء العلماء شديدة قوية ، فلا يرونه فى نظرهم الا العوبة ، فتلامذتهم هؤلاء
أولى عندهم منه ، وقد تخرج على يد شيخنا هذا كثيرون ، وتولوا القضاء عـلى
مثل هذا النمط ، مثل تلميذه العلامة المتبحر المتفنن الاصولى المعقولى المنقولى
علامة الزمان السيد الطاهر بن محمد الاعبلاوى (العبدلى الاداو محمـدى)
المدرس القاضى بمدرسة (الفتايح) بقبيلة ايت يعزى ، والعلامة السيد أحمد
التنانى المدرس بمدرسة (سيدى يدير) فى أيت عمرو ، والعلامة السيد مبارك
ابن عبو الولياضى الامحمدى المتوفى باكادير عام ...... وغيرهم من فحول
رجاله ، واذا أراد الخروج الى بعض المدارس يكتب له الشيخ الى ارباب المدرسة
مثلا من شيوخ او نفاليس فيذهب اليها فلا يصده عنها صاد ، ويدرس فيها
الى أن ينال ما قدر له من الشهرة .

ولما قضيت الوطر وحان وقت الترحال والنقلة من هذه المدرسة المباركة
والسفر ، واستحويت بعدما استحوذت على مافيها من الفنون من أوطاب افذاذها
من رجالها ، وحصلت على بغيتى ومنيتى من فطاحلها وكمالها ، خاطبت الشيخ
بالتشريف بالاجازة بما عنده نقلا وعقلا ، فلبانى بعد مراجعات كثيرة نظما
ونثرا ، ويطول سرد ذلك ، ولما طاب القلب . وصفا لبـاب اللب ، استقدمنى
لداره بـ (أيت ولياض) وبينها وبين المدرسة نحو خمسة كيلومترات صبيحة
يوم الجمعة فاتح ذى الحجة عام ١٣٢٩هـ فذهبت وفى معيتى عشرة كيلوات
من اللوز المقلى ، جاءتنى من البلد ، فذهبت بها اليه ، ولما دخلت عليه . ومعه
ناس من أعيان القبيلة . وسلمت . كأنه كاشفنى على ماعندى ، فناولنى مفتاح
بيت اشارة الى وضع ذلك اللوز فيه واخفائه عمن عنده ، لكثرة رغبتهم فيه
وشره أهل تلك الاقطار السهلية اليه ، لعدمه فى بلادهم ، وقلة حيائهم فيما
يشتهون ، ولما تقدمت لفتح باب البيت استصعب على ، فقام أحد الاعيان بفتحه
لتمرنه عليه ، ودخلت باللوز وراءه ، فاختلس منه شيئا ضاحكا ممازحا ،
فسكت عنه . وخرجت فجلست بعيدا منهم ، لما يجرى بينهم من المفاوضة
السرية ، فلما فرغوا أشار الى الفقيه ، فتقدمت ماثلا منتصبا بين يديه ، فاشار
الى بالجلوس . وأخذ القرطاس والدواة ، فشرع يسألنى عن أحوالى بعد الاجازة
والسفر الى بلادى ، ويوصينى بعدم الانقطاع عنه مشافهة ومكاتبة ، ويوصينى
بنشر العلم وبثه ، والانهماك على ارشاد المسلمين ، واصلاح ذات بينهم ، وفصل
نزاعهم بمقتضى الشريعة المحمدية . من غير شطط ، دون تفريط او افراط

فى جميع الامور ، واوصانى بالتلبه لهذا الزمان الحاضر ، والمجاراة معه دون
معاكسته ، وانشدنى فى قولهم فى الوقت :

وكالسيف ان لاينته لان حده   وحداه ان خاشنته خشنان

وقول ابن الفارض رضى الله عنه فى عدم التقاعد والتواكل والتسويف :

فسر زمنا وانهض كسيرا فحظك الـ   ـبطالة ما اخرت عزما لصحة

وأوصانى برفع الهمة عن جميع خلق الله ، وأنشد على ذلك :

وكل ما قد خلق اللـــ   ـه وما لم يخلــق
محتقر فـــى همتـى   كشعرة فى مفرقى

وقول بعضهم :

وقائلة لم عرتك الهمـــ   ـوم وأمرك ممثل فى الامم
فقلت ذرينى على حالتـى   فان الهموم بقدر الهـمـم

ثم أمر عبيده بتقديم الفطور ، فقدموا مائدة فيها خبز حنطة ، فى اناء
مغمور بسمن وعسل ، وهو المسمى عندهم بـ (الرفيسة) فتناولناه ، وقـدم
الينا حليب نياق ، وهن أمامنا فى حوش واسع الارجاء ، مع غيرهن من الانعام
فلما فرغنا من الاكل ناولنى الاجازة المباركة فأمرنى بقراءتها ، فقرأتها .
ففرح ودعا لى ، وودعنى بعدما سألنى عن الطريق التى تصلح لسلوكها .
فقلت له تفضل عـلى ياسيدى بالاشارة اليها ، فامرنى بسلوك طريـق جبال
(اداكاران) ثم (أيت باها) ثم (أيت مزال) ثم (اداوكثير) ثم (اداكنفيف) ثـم
جبل (الكست) العظيم ، فامتثلت ، فخرجت من المدرسة مع بعض افاضلها
وهو الفقيه سيدى محمد بن بوهوش العلالى الهشتوكى وغيره ، ممن لهم غرض
فى صلة أرحامهم بذوى ورانة (محل هناك) ووصلنا بعدما وصلنا الحر مدشرا
هم قاصدوه ، فعرضوا علينا القيلولة عند ارحامهم ، فدخلنا ، فقدموا لنا ما
يشفى الغليل من الكسكس واللبن الرائب ، وأكلنا حتى اشتفينا ، ثـم بعد
قليل قدموا لنا الخبز الرقيق مع سمن وعسل (الرفيسة) وشربنا بعـدهـا
كؤوس الاتاى ، وتوضانا للظهر وصلينا ، وودعونا جميعا ، وسلكنا طريق زاوية
(سيدى ابى السحاب) بحرف الجبل ، وعرجنا عليها لصلاة العصر ، فدخلنا
المدرسة فوجدنا الطلبة مصطفين للصلاة ، فصلينا معهم ، وهم ازيد من تسعين
طالبا (١) لان هذه المدرسة من كبريات مدارس هشتوكة ، لكثرة قبيلتـهـا
ولها أيضا ثروة عظيمة ، ولها سوق عظيم يوم الجمعة ، يرده أهـل الافاق

١) كانت مدارس القراءات السبع عامرة اذذاك ، كما كـانـت المدارس
العلمية أيضا ، ولم ينقض ذلك الا بعد ١٣٣٠هـ والاسنة ١٣٤٥هـ المجدبة

والاقطار ، واهاءطامير من الزرع كثيرة ، وتقرؤ فيها القراءات السبع وغيرها وسنذكرها مع جميع مدارس سوس في مجموع غيرهذا ان شاء اللـه (١)
ولما صلينا العصر راودنا بعض من عرفنا من الاخوان علی البيات فتعللنا ببرودة الهواء ، وذهبنا الى مدرسة (سيدى ابى الرجاء) سالكين اليها جبلا كثير الاغراس بأنواع الفواكه من الكنارية (التين الشوكى) والتين والكرم والهرجان (أركان) وهو أول تلك الجبال الاطلسية مما يلي هشتوكة ، الى ان دخلنا مدرسة (سيدى ابى الرجاء) وبين المدرستين نحو اربعة عشر كيلومترا وهى مدرسة (بنى بوزيا) (اداوبوزيا) ودخلنا قبل المغرب ، ومدرسها صاحبنا وحبيبنا وصفينا ، حاتم وقته الفقيه الاستاذ المقرىء المحقق السيد محـمـد الاستاذ الشهير الايغرمى اليحياوى الصوابى وهو من الموضع المسمى ايغرم من (أيتصواب) فلما رءانا قام وقعد بالفرح والسرور ، ورحب بنا ، وكناقبل ذلك نصله ايام العطل كالعواشر ، لكونه من اهل قطرنا ، وعنده من الطلبة نحو ستين ، وفيهم نجباء ، وجلهم بل كلهم من احبابنا جزى الله الجميع خيرا ، فاقترح علينا الفقيه المذكور • لما له من محبة عظيمة فى جانب اهل العلم ، وخصوصا فينا الضيافة ثلاثا للاستراحة فساعدناه ، فاقمناها كلمح البصر أو هوأقرب ، لما غمرنا به من النعم التى لاتحصى ، وانواع المذاكرات العلمية رواية ودراية ، بل وأنواع المفاكهات ، وكان الفقيه المقرىء الاستاذ السيد الحسن ابن الشيخ السيد محمد ـ فتحا ـ الناظم ياتينى لمجـاورة داره للمدرسة ، وأبوه الشيخ الناظم المذكور هو الذى احيا هذه الدراسة بعد اندثارها ، وانتشلها من مخالب الدهر الخؤون ، وكانت له معرفـة بالعشر الكبير مع ماهو عليه من الورع التام والزهد والتقشف ، وله صيت عظيم فى الاقطار السوسية ، وترد عليه الطلبة للاخذ من كل فج عميق ، ثم توفى فى حدود الثمانين (٢) بعد المائتين والالف ، وتولى صاحبنا ولده السيد الحسن المذكور امرها ، وكان ايضا مثل أبيه فى التحقيق الا أنه لم تساعده الظروف مع القبيلة ، لما أصابه من اختلاط العقل ءاخر أيامه ، فتنحى عنها الى داره ورتبوا صاحبنا الصوابى الحالى المذكور ، فتولى امرها الى أن تحول الى مدينة مراكش عام ١٣٣٣هـ واستوطن باب الخميس منها ، وتولى امامـة جامعه ، وتصدى للاقراء فى مكتبها ، وتزوج اخت الوزير ابن عزوز التطوانى ، وولد له منها ولد ، وقد عرجت عليه مرارا فى بعض نزحاتى الى مراكش ،ولازال

١) اتصلت بنتف من هذا المجموع • فانوى ان شاء الله أن استعين به يوم اخرج مؤلفى الخاص فى (مدارس سوس) العتيقة

٢) بل بعد ١٣١٠هـ

حيا فى هذا التاريخ المسيطى (١)

ولما قضينا ايام الضيافة والاستراحة من وعثاء السفر ، تودعنا مـع صاحبنا الصوابى المذكور ، واستمطر منى الدعاء بالحاح كثير ، قابضا بكفه على كفى ، وخرج الى تشييعي اميالا • وأصحبنا خريتا من أصحابه الى مدرسة بنى فارس (فلاس) وسلكنا بين سدين عظيمين علوا وارتفاعا . ولباسهما دروع سابغات من أدواح الهرجان والرتوم ، وخلالهما من أنواع غناء النساء المحتطبات ما يخجل الموصلى وزريابا ، ومن المغانى مايزرى بتشبيهات ابن المعتز واخى رباب ، من كل ذات دلال وعقائص أدنتها وأدلت بها على خصمهافخصمته فلم يبق له قلب ولالباب ، ودخلتنى نشوة ذى الحب بالذى دب فى مفاصلنا، ولم نشعر الا ونحن بباب المدرسة (الفلاسية) ووجدنا بفنائها جماعة من الطلبة الاجلة نحو الخمسين ، فتساءلنا وتعارفنا ، فأكلنا وشربنا واشتركنا الدعاء ورجع الدليل بعدما وصف لنا الطريق المسلوك واحواله وعلاماته ، فانصرفنا شاكرين الجميع وطلعنا الى (اداوكثير) فوصلنا الى مدرسة (اينفال) فى واد كثير الخيرات من الفواكه والكروم والتين الشوكى والهرجان ، فدخلنا قبة فيها مدفن ولى يسمى السيد المرتضى ، فاذا بجماعة من طلبة المدرسة قـد دخلوا أيضا للزيارة وللمطالعة هناك ، فتعارفنا ، فأعلموا بنا الفقيه ، فبعث الينا • فسأل عن أحوالنا فانتسبنا له ، ففرح وسر غاية السرور ، واضافنا تلك الليلة أحسن ضيافة ، والمدرسة مشحونة بطلبة العلم ، فيها ماينيف على ستين طالبا ، ولما أصبح الصباح • تودعنا معه ومع الجميع ، ولما خرجنامجنا الى اليمين تاركين طريق (اداكنيفسيف) مخافة من جريرة طالب مانوزى وقعت فيها تلك الايام ، وهى أن طالبا من مدشر (ايزورزن) من قبيلة (تاسريرت) من (ءامانوز) يسمى ابن اليزيد من أيت ترحات يقرؤ بمدرسة افرى عيلالة (ايلالن) ذهب الى بلده فى العواشر ، وتسوق سوق الجمعة باداكنيفسيف• فلما خرج منه اتفق أن لصين سرقا حمارا خارج السوق ، وذهبا معه فـى طريقه من غير علم منه بأمرها ، بل ظنهما صاحبى الحمار ، فلما جاء رب الحمار ولم يجده حيث تركه مقيدا ، اتبعه فى الطريق ، فلما رءاه اللصان انصرفا عن الحمار ، وتركاه وابن اليزيد ازاءه من غير شعور منه ، فلما وصله صاحبـه اخذ الحمار ، وتعلق بالتلميذ ابن اليزيد ، مدعيا أنه هو السارق ، فقال له ابن اليزيد ان كان الحمار حمارك فشأنك واياه ، والا فدعه لاربابه ، امـا انا فانما انا أفاقى أطلب العلم ، ولاينبغى لى الاشتغال بمثل التلصص ومايشبهه فلم يبال الرجل بكلامه ، ولج فى طغيانه ، وساقه مع الحمار الى أعيان السوق

١) قد يستفاد من ذلك ان الكاتب جمع حياته هذه عام ١٣٥٠هـ ولكن سياقه مايدل على أنه جمعها بعد ١٣٥٦هـ

ليطبقوا عليه قوانين السرقة بالعقوبة المالية ، فسالوه من أين هو ؟ والى اين يريد ؟ فأخبرهم بأنه راجع الى بلده فى عطلة العواشر ، وطلب منهم ان يخلوا سبيله ، فأبوا وسلموه للرجل صاحب الحمار ، يذهب به الى داره مقيداء حتى يبحثوا عنه ، ويذهبوا الى أهله وذويه ، ليفتكوه باعطاء المال ، فذهب به الى مدشره وهو (تيزيرت) والرجل يسمى ابن الفقير ، فجعله فى بيت مظلم والطالب يطلب منه ويناشده أن يسرحه فأبى ، فلما أقام عنده خمسة عشر يوما ، ولم يسرحه بعد أنواع التملق والتضرع ، تحيل وكسر القيد نهارا ، وستره الى الليل • فلما نام الناس ، وكان من عادة ابن الفقير رب الدار أن يقفل على الطالب ، وينام بباب البيت مع أولاده ، ففتح اسيره الطالب القفل دون مفتاح ولاكسر بل ثلاثة أقفال من حديد ، فخرج على رب الدار ، فاستل خنجرا علقه فوقه ، خوفا مما وقع فيه • فذبحه وذبح زوجته وذبح بناته الثلاث ، أمر همجى نادر ، وفتك ليث خادر ، فلما قتل جميع اهـل الدار عمد الى شهاب قبس ، وتتبع الخوابى والصناديق • فاذا بخابية مملوءة بارودا ، مغشاة بجلد غليظ ، فظنها فضة • وذهب يكشف عنها ، وقابلها بالشهاب ، وسقط فيه نار ، فنفط به البارود فانهدم البيت بأجمعه ، وصارت الحيطان دكادكا ، فاستيقظ أهل البلد جميعا لدمدمة البارود وحادثه ، فهرع الناس نحوه فاذا منظر هائل من قتل وسيلان دماء ، وخراب يباب ، فطلب الناس الاسير ظانين انه محترق ، فاذا هو لم يصب بأدنى أذى الا بعض القذى فى عينيه منعه من الهروب ، ووجدوه مختفيا فى بيت حطب ، فلما أحس بالناس أخذ فلذة خشب لوز جديدة ، فضرب بها أول داخل فما أخطأ بطنه • فشقه فتقا ، ولكن الله سلم مصرانه ، فنجا من حمامه لذلك ، فاخذوه وذهبوا به الى وسط البلد ، وقيدوه وسألوه عن كيفية قضائه على جميع أهل الدار ، فقص عليهم الجميع مع ثبات جاشه وانشراحه ، بشجاعة مانوزية مشهورة عندهم ، ثم قال لهم قد علمت أنى مقتول لامحالة ، وانا مظلوم فاخذت بثارى أو ببعضه ، قبـل ان تلعبوا بى أنتم وأولادكم وغلمانكم وأزواجكم ، على انى تركت ورائى أسودا ضواريا ، لايصبرون عنى ، ولايقنعون بما فعلت فيكم من القتل ، فاخذوه بعدما استتم كلامه • ونصبوه غرضا • حتى صار مثل الغربال بالرصاص ، واحرقوه فلم تؤثر فيه النار ، واخذ بعضهم شلوه ودفنه ، فما مضت أشهر حتى قتل فيهم اخوته وأبوه وعشيرته جماعة من قبيلة أيت عبدالله ، واستمر الحال على ذلك ، الى أن توليت التدريس والامامة بزاوية مدرسة سيدى مسعود أفولوس عام ١٣٣٦هـ فحاولت اطفاء تلك النائرة فسكت الناس مطرقيـن اطراق الافعوان ، الى أن فرغت من وظيفة سيدى مسعود عـام ١٣٤٨هـ فهمـمـت بالرجوع الى بلدى ، وجمعت أمورى عند القبيلة ، من حبوب ولـوز وادام ودراهم وغيرها متهيئا للزواج من بلدة (تيفراضن) (ذات الاغراس) بام اولادى

وقد خطبها بعض ابناء اعيان القبيلة ، فردهم أولياؤها خائبين ، ومالوا الى امیلان كريمتهم الى جنابي ، فقال اولئك الخطاب بى جميع الظنون ، فدسوا الى أولياء المقتولين (اهل تيزيرت) وهم ولد المقتول ابن دا الفقير (١) فى جماعة من اخوانه ، فلما عقدت على المذكورة فى دارهم بالبلد المـذكـور ، وحصل الدخول ، وارخاء الستور هناك ، اغتاظوا وقاموا وقعدوا وأخذهم ما تقدم وما تأخر (٢) فتداخلوا مع أهل بلد (تيفراضن) ممن عادوا أصهارى ، وهم أبناء ابى العيد فى المكر والوقوع بي ليلا ، عند رجوعى من المدرسة (المسعودية) الى البلدة ، لانى أبيت كل ليلة عند الاهل ، فاذا أصبح الصباح ذهبت الى التدريس فى المدرسة ، فلما رجعت الى الاهل ، وقد حصرنى الناس الى أن دنا وقت العشاء ، ووصلت التلعة التى بازاء برج أبـى الرغيف ، وكانوا قـد ترصدونى هناك ، فما شعرت الا أنا وسطهم ، فقالوا لى لابد ان تتقدم الـى ديارنا للضيافة أيها الفقيه طوعا اوكرها ، فسددوا بنادقهم نحوى ، فساعدتهم مخافة الوقوع فى محذور أشد من الاسر ، فذهبوا بى الى (تيزرت) ووصلناهـا نحو الساعة العاشرة ليلا ، لمكثنا فى الطريق ، ريثمـا ينـام أهل البلـد لئلا يتعرض اهم احد فى شأنى ، فينقذنى منهم ، فلما دخلت دار ابن الفقير جعل يؤنبنى على مافعل بهم الطالب المانوزى من القتل والخراب ، وقـال لى معاتبا : انظر الى الدار التى هدمها بالبارود ، ثم بعد ذلك كله اتيت انـت وراسست القبيلة النظيفية سنين ، وغلبتنا عليها ، ثم خطبت أمام اولاد اعياننا من غير مبالاة منك باحدمنا ، فقلت لهم انكفوا عنى ، فانى ضيفكم ، واقتلونى دون هذا اللوم والتوبيخ ، فانكفوا عنى وافاضوا على سجال الانعام تلك الليلة الى أن أصبح الصباح يوم الجمعة ، فلم يشعر أحد من الناس بأسرى ، فلما فرغنا من طعام الغداء ، أدخلونى بيتا وثيقا عاليا فى سطح الدار فسدوا على بأقفال ثلاثة ، ووضعوا على المراقبة والعسس فى السطح وفوقه ، وخارج الدار ولم يكن للبيت منفذ تعلم منه الجهات ، فتوخيت جهة غلب على ظنى أنها القبلة وقرأت بعض أسماء الله ، ونشبت اظفارى فى الحائط ، ولم يكن عندى موسى ولاخشبة ولاشئ يليق بالحفر ، ثم جعل الحائط يندك اندكاكا ، وينـهـدم انهداما ، كأنما ضرب بمرزبة (٣) فلما لم يبق للثقبة المنقوبة الا مثل الشفق بركته حتى صار واسعا ، يلج منه البعير دون عناء ، قصدا منى لذلك ، لما أعلم من أن الناس لابد من مجيئهم واطلاعهم عليه ، فلما وسعته على ماذكرت دفعته مرة واحدة ، فما شعرت بالعسس حتى رميت بنفسى فى حوش فيه بقر

١) دا او دادا كلمة شلحية يراد بها تعظيم من هو اسن من المتكلم ، وكانما يراد بها كبيرى •

٢) لفظ المثل هو : (اخذه ما قدم وحدث)

٣) المزربة بتشديد الباء وتخفيفها كالارزبة بكسر الهمزة : عصية من حديد

وقد كدت أسقط على متونها ، فانزعجت واجفلت مفزعة ، فلماوصلت الى الارض وثبت على حائط حائل بيني وبين الخارج ، وفيه الكنارية (التين الشوكي) الملتفة المشوكة ، فخرجت من ذلك كله ، كأنما مشيت على بسط الحرير والاستبرق • ولم يصبني أدنى أذى ، فلما رأى العسس قوتي وخفتي المخالفة للمعتاد ، حصلت لهم الهيبة والاندهاش ، وارتعدت منهم الفرائص ، على أنهم عملوا جهدهم • وسددوا نحوى بنادقهم ، وأرادوا الاحاطة بي كالهالة بالقمر ، فنهاهم بعض عقلائهم عن ذلك ، لمايتخوفون من العواقب فانتهوا فذهبت الى ذات الارحاء (تيزركان) لانهم أصدقائي وأعداؤهم ، فاسترحت فيها قليلا ريثما يسكن الامر ، ويرجع عني من اتبعني من الاعداء ، ثم انطلقت الى أبناء سحنون • حيث ان المدرسة فيهم ، وأقمت هناك أياما عند الاصحاب مثل الشريف مولاى الحسن بن محمد بن علي من بني الفقير التاماجلوشتي المستوطن ب (تيفغلت) وغيره الى ان كان من أمري ماأذكره بعد •

ولنعد الى ماكنا بصدده ، فلما خرجنا من مدرسة (اينفال) سلكنا الطريق الجنوبي الايمن ، وطلعنا مع بلدة تسمى (تيان) وهي مسقط رأس الفقيه العلامة الغيور السيد محمد بن عبد الله الكثيري ، وأخوته الفقيه السيد أحمد وولديه الفقيهين السيد محمد بن عبدالله ، واخيه أحمد بن محمد ، وادركنا الحر والقيظ • ودخلناها للقيلولة ، فوجدنا مكتب جامعها مملوءا بالصبيان المتعلمين كبارا وصغارا ، اكثرهم نجباء ، وعليهم فقيه مؤدب كالاسد الضاري • لايفتر عن الضرب والكبل والقيد والرمي بالاحجار ، ولايفكر في اي موضع يضرب ، واكثر ما يضربهم في الرؤوس ، وترى الدماء سائلة على لباسهم • ولاترى فيهم الا مجروح الراس خمسة جروح فاكثر ، فضلا عن الظهر ، ولايلتفتون يمنة ولايسرة ، الا ويرون الموت الاحمر • ولما دخلنا عليه في مكتبه اشار علينا بالجلوس ازاءه ، ففعلت فسألني فانتسبت له • ففرح غاية الفرح ، وقدم ماوجد عنده • فكلمته فيما يعمل من التعدي على التلاميذ • وطلبت منه التخفيف والرحمة عليهم ، وعدم التبريح في الضرب وقررت له أقاويل العلماء المتبحرين في تاديب المتعلمين وكيفيته ومقداره وموضعه ، وتلوت عليه قول الله تعالى (الرحمان علم القرءان) ولايعلمه كثرة العصا والضرب ، وقلت له ان أفكارهم اذا استرسلت عليها المشقة الفادحة تصير في دله وبله وجمود عظيم ، ولاتعي شيئا ، ولاتستفيد مع عدم الطيب والصفاء من شوائب الطغيان • ورحم الله ابن مالك حيث قال في الفيته النحوية (طب نفسا تفد) ، فما كان جوابه الا قوله ان أولاد هذه القبائل لايستقيمون الا بما ترى ، وقد جربناهم وسسناهم بكل سياسة ، فلم ينجح فيهم الا الضرب والطعن • ولا ينجع فيهم الا ماترى ، لانهم أهل خفة وطيش وسوء أدب ، وفيهم جسارة عظيمة وتكبر وتيه • فلا تلين قناتهم لغامز ، الابما ترى

من المبالغة في الزجر بانواع السب والعصا ، والا صالوا عليك واحتقروك • ورحم الله زهيرا اذ يقول :

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لايظلم الناس يظلم

وابا الطيب اذ يقول :

اذا انت اكرمت الكريم ملكته وان انت اكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلا
مضر كوضع السيف في موضع الندى

ثم قال على ان والديهم اذا لم يجدوا فيهم اثر الضرب ، ولوث الدم ولطخ ثيابهم به بكثرة الجروح ، فانهم يرجعون الى باللائمة والعتاب ، كانهم لايريدون في أولادهم الاكما ترى من العقاب ، وكثيرا ماياتي احدهم فيقف عندنا متكئا ، أو ينادي من وراء الحجرات : اضرب ولدي فانه ساكت لاعبلاه فلما فرغ من كلامه تأملته طويلا ، فقضيت العجب العجاب ، ورثيت لهؤلاء المتعلمين المساكين الذين لايستريحون من الضرب ليلا ونهارا من معلميهم ولا من والديهم ، ولا يقدرون على الهروب لاي قبيلة أو مكان الا زادوهم نكالا وأذاقوهم عذابا وبيلا •

قلت هكذا جل الاقطار السوسية في تعليم الاولاد من الافراط في تعذيبهم كأنهم ورثوا هذه الخطة كابرا عن كابرا ، بل اكثرهم متخلقون بهذه الشراسة والقساوة ، بحيث اذالم ينهمكوا على تعذيب المتعلم ، يحصل لهم المغير الظاهر ، والقبض والصداع ، طبيعة منهم او تطبع ، حتى ان اكثر الصبيان المتعلمين يحصل لهم الذعر الكبير في منامهم ، والفزع المخالف للعادة عند نعاسهم ، لما يخيل لهم من وثبات المعلم المتسلط عليهم ، فمنهم من يصيح ومنهم من يتلو القرءان اوغيره بالانزعاج (١) والفزع ، ومنهم من يستغيث بامه او بمن يرثي لحاله من قريب او حميم ، فاني يغاث ، وربمايخيل اليه انه ملقى في بارود ، أوواد أوبحر أوجرف • مما يفعل اكثر المؤدبين بهم نهارا ، لان اكثرهم اذا أرادوا تعذيبهم يعلقونهم في بعض الاوتاد أو الحبال في الهواء ويوقدون حولهم نارا تلفح وجوههم وتشوى أرجلهم ، (٢) وتؤثر الحبال

١) استحضرت الان أنني يوم ختنت ، نمت فقالت لي امي صباحا انك كنت تقول في منامك (ياسيدى انني سأقرأ ، ثم صرت تقرأ حزب ولاتجدلوا) وقد كانت رحمها الله كلما أريتها مقرص الاستاذ او ملطمه تقبله وتقول ان هذا المحل منك لن تمسه نار جهنم ، وذلك مما وقر في النفوس من تعظيم العلم وحملته ، وخصوصا كتاب الله تعالى ، فكل ماقاله الكاتب عن السوسيين في هذا الباب صحيح

٢) وقد يلقى البعض منهم في النار ملحا فيتطاير شرره الى جسد الطفل المسكين المعلق

الليفية في اكفهم ، فماأقسى هذه القلوب ، وما اقصى الرحمة عنها ، انالله وانااليه راجعون ، حتى ان اكثرهم أوكلهم يحصل له الفرح العظيم اذاقيل له مات معلمه أووالده ، فيتبدل حزنه سرورا ، لما يأمله من دنياه ومعاشه من استراحة ، بل كم من معلم يضرب المتعلم حتى تفيظ روحه الى رحمة الله . كماأن كثيرا من المتعلمين قتل معلمه بمسدس او خنجر او بندقية ، اوغيرذلك رجاء الاستراحة منه ، فلينظر العاقل الى هذه الطامة ما اعظمها ، والى هذه الداهية ماأعضلها ، دماء تسفك من معلم ومتعلم ، لماذا ؟ وفيماذا ؟ للجهل والجفاء والهمجية ، بل يتقدم اكثر الآباء الى المعلم بالضرب المبرح للولد ، واذا مات منه فهو برىء من دمه (١) ، حتى صار ذلك ديدنا ، وعادة بين الآباء والمؤدبين ، فيصير الابناء بينهما فى خطر عظيم ، وكل ذلك من أجل اعتقادهم أنه لايحفظ القرءان الامن قاسى من أجله العناء الكبير ، ولم يعلموا ان الرحمان علم القرءان ، ويسره للذكر فهل من مدكر ؟ وانه نور يضعه الله فى قلب من يشاء من عباده ، وأن الفضل بيد الله يوتيه من يشاء

وقد تكلمت مع بعضهم فى شأن تعذيب الاطفال المتعلمين ، وجدته فى بعض المكاتب يفتك بهذا ، ويهدد هذا ، فزجرته فلم ينزجر ، حتى هممت به بعدما سببت وجدعت . وحلفت أنه ان عاد الى الضرب وأنا حاضر لانكلن به وان كان من أهل العلم ، فقال: أما سمعت ياسيدى قول الامام الشافعي رضي الله عنه:

تصبر على مر الجفا من معلم ... فان رسوخ العلم من جفواته

ومن لم يذق ذل التعلم ساعة ... تجرع كاس الجهل طول حياته

حياة الفتى والله بالعلم والتقى ... اذا لم يكونا لا اعتبار لذاته

فقلت له تبا له ، هل قال او هل قال : تصبر على مر الموت بدل مر الجفا ؟ وهل قال رسوخ الموت بدل رسوخ العلم ؟ وهل قال ذل التعلم او سم الموت ؟ فسكت وقال : سامحني ياسيدى والله لاأعود لمثله ، فصار ديدنه الرفق بالصبيان الى ءاخر عمره .

ولما دخلنا (تيان) كما تقدم ، وسمع بنا العلامة السيد محمد المذكور وأولاده النجباء ، وكانوا قدقدموا من مدرستهم باسفل الوادى بوادى (تيملت) خرجوا الينا طائرين بالفرح والسرور ، لما بيني وبينهم من الالفة والمحبة المتينة ، ورحبوا بنا وبيتونا وأسبغوا علينا من سجال النعم ماشكرناهم عليه سائر الدهر ، وأطلعونا على خزانة كتبهم العظيمة المستفحلة ، فوجدنا فيها من فنون المخطوطات القديمة شيئا كثيرا ، ، وهى نظيرة خزانة السيد العلامة المحقق المرابط الحسن بن الطيب الواغزني الوأدريمي ، وأولاد ابن الفقيه الاسغركيسيين الا أن يد الدهر عنت على خزانة السيد الحسن (٢) لما ثار

١) اكثيرا ما يقول الاباء للاستاذ : اقتل وأنا ادفن

٢) هذا هو الثائر على الاستعمار بأيت باها الشهيد المشهور رحمه الله .

على الدولة ، وقتل وهدمت دياره ، ونهبت خزائنه اوائل المحرم عام ١٣٥٥هـ (١) ولما اطلعت على هذه الخزانة هممت بتقييد بعض الكتب القديمة منها . ولكن لضيق وقت السفر استعجلني بعض الاصحاب

الخزانات السوسية

ان خزائن الكتب السوسية القديمة كثيرة ، ولكن قد عنت على جلها يد الزمان لطول العهد ، وبعد مدى الازمنة الخالية من أصحابها ، ولان غالب اصحابها لم يترك ورثة ممن ينهج طريقه العلمية المثلى ، ولاباس ان نذكر بعض مارأينا وشاهدنا ، او سمعنا به قديما وحديثا ، فالمكتبة الكرسيفية بأماوز مكتبة جامعة لانواع الفنون العلمية ، وقد ابتدأ جمعها من صاحبها العلامة الولى الصالح شيخ مشايخ وقته بسوس الاقصى السيد ابي يحيا ابو بكر بن نعمان دفين (تادارت) بوادى (تيملت) بجبال جزولة جد كل كرسيفي وهو من أهل القرن السابع الهجرى توفى عام ٦٨٥هـ كما تقدم ذكره وهو (٢) من أهل الاندلس الراحلين الى هذه العدوة لما انقرضت أيام عائلته الاموية، لانه من سلالة ابان بن عثمان بن عفان رضى الله عن الجميع، واستوطن كرسيف (بأماوز) ثم تحول منتقلا من تلك القرية الى سوس مع اخوانه وكثير من اقاربه بنى امية ، لامور ضرورية الجأتهم الى ذلك ، شأن المغلوب عليهم من كل اهل دولة فى التفرق والتشعب فى الآفاق والاقطار ايادى سبأ ، الى أن وصلوا الى (توغزيفت) (تعريبها الطويلة) وهى قبيلة صغيرة فى عداد سملالة وترك فيها جل اخوانه ، وذهب بعده الى وادى (تيملت) حيث مدفنه الان ، فاشتغل بنشر العلم وبثه وارشاد الخلق ، وتخرج على يده علماء كثيرون من الاقطار الجزولية ، وجمع من الكتب شيئا خارجا عن المعتاد فى زمانه ، مع ماجلبه من بلاد الاندلس من الكتب النفيسة والمخطوطات الفائقة البارعة ، وقداعانه على الحصول عليها أحوال الاندلس وتطورها بتبدل الدولة اللمتونية التامانارتية السوسية (٣) بالدولة الموحدية الهرغية السوسية أيضا اوائل القرن السادس الهجرى ، فحصل فى خزائن الاندلس من الدولة الموحدية الهرغية عند أول دخولها الى الاندلس من النهب والفتك والايقاع بالعظماء من اللمتونة ما سطر فى التاريخ ، فحصل الجد المذكور على كتب نفيسة من خلال

١) من هذا نستفيد ان هذا التقييد جمعه الكاتب بعد عام ١٣٥٥هـ

٢) بل ان الذين جاءوا هم ءاباؤه ، لان أعمامه وجده كانوا يسكنون قبله بمدشر (توغزيفت) بسملالة ، كما ذكره محمد بن الحسن منهم ، وعبارة هذا الكاتب هنا تخالف ذلك

٣) سماها تامانارتية وسوسية لان عبد الله بن ياسين تامانارتي سوسي

تلك القلاقل ، وخرج الى (كرسيف تازة) ثم وقع لاحفاده في اخر هذا القرن السادس ما يوجب النقلة الى (اكرسيف اسانوز) بالسوس الاقصى فسموه (١) بعد استيطانهم فيه باسم البلدة الاولى وهي (كرسيف تازة) تذكارا للمعاهد الاولى ، فاسترسل فيهم العلم والفضل والدين والصلاح قرونا عديدة ، ونبغ فيهم عدة من ايمة الدين والعلماء الى القرن الحادي عشر ، فتفرقت اراؤهم ، واختلفت أهواؤهم فتفرقوا فرقتين فرقة بني الغازي وفرقة بني أبي زيد ، وهما اخوان لاب وأم ، فوقع بينهما القتال والعداوة والترحيل والتخريب والنهب ، وتفرقت فيهم تلك المكتبة العلمية التي طالما اشرقت اشراق الغزالة في ضحاها ، وسرت مسرى الامثال باستفحالها ، وعدا عليهاجور الدهر فحماها ، وطحنتها أيدي الخونة والفجرة من اولادهم برحاها فطالما حاول النبغاء بعد ذلك جمعها في النواحي الدانية والقاصية ، فما استطاعوا ولاحصلوا على طائل ، الى أن نبغ في القرن الثاني عشر اكبر علامة منهم وهو من بني ابي زيد ..... بأنكيو واخذ عن علماء البلاد الجزولية ، وارتحل للمشرق فجال في الحرمين ومصر واخذ عن أهلها ، ورجع وبنى مدرسته المعروفة بانكيو ، وجمع كتبا كثيرة ، ولكن مالبث انتوفي ، وتفرقت شأن اختها الاولى في النواحي ، وقد رأيت منها بتحت الحصن يعني (دوكدير) بالغ ، في مكتبة شيخنا العلامة سيدي علي ابن عبدالله شيئا كثيرا يزيد على المائة مجلد ، كلها بخط اليد ، وغالب خطها اندلسي ومصري ، وقد باع احفاده الجميع بالبخس لانهم عاميون اميون . وليس فيهم من يتهجى ، فضلا عن أن يترجى ، وقد استعرت منهم كتباقليلة استردوها ، كما نبغ أيضا من أبناء الغازي العلامة السيد أحمد بن بلقاسم العلامة المشهور ، وسلك طريق الاول من التجول عن الاخذ عن العلماء الجزوليين والارتحال الى المشرق الحرمين ومصر ، واخذ عن اهلها ، وقد اطلعت على اجازة المشارقة له ، وهي عندي بنصها وفصها ، ثم انفضت أيضا خزانته اعوام التسعين في القرن الثالث عشر ، لما ذكرنا عن احفاد الجميع ، رغما عما ترك هذا من الورثة العلماء الى زماننا هذا ونبغ بالطويلة السملالية أيضا في هذا القرن الشيخ السيد محمد بن الحسن التوغزيفتي فجمع من الكتب ماجمع فسلك مسلك الدين ، وكذلك نبغ في (اسكاور) عدة لايستهان بهم ، وقدذكر الشيخ العلامة الولي السيد عبد الرحمان بن عبدالله الجشتيمي التيملي في فهرسته ، والشيخ العالم الامام الحضيكي المانوزي في طبقاته كثيرين منهم فليراجعهما من أراد الزيادة .

ومن المكاتب العلمية العظيمة ذات المخطوطات ، مكتبة الامام الولي الشيخ

١) هذا في عهدة المترجم . ولوقال لاجداده بدل أحفاده لربما تلاءم الكلام في الجملة .

الهمام العالم العلامة الرحالة الشهير المذكور ، الطبيب الشفاء والمعطره ، السيد محمد — فتحا — بن احمد الحضيكي التارسواطي مدشرا المانوزي قبيلة ، الايسي مدفنا ، ولسبب جمعها أيضا أنه تجول للاخذ والتلقي عن فطاحل علماء زمانه في الاقطار السوسية ، وطاف على علماء ولتية ودرعة وغيرهما ثم سافر الى المشرق أواسط المائة الثانية عشر بعد الالف ، وقد كتب رحلته وحج ايضا ، وأخذ عن علماء الحرمين واليمن والهند والعجم والشام ، واقام بمصر سنين للاخذ عن فطاحلها ، وجمع من الكتب النفيسة شيئا كثيرا،ورجع الى (واديايسي) وبنى المدرسة الفلالية مجددا لها ، واشتغل فيها بنشر العلم ونشه ، وجمع من الكتب السوسية الجزولية شيئا كثيرا ، وقد رأيت بخطه انه جمع في اوليته تسعمائة مجلدا ، وأما في اخرياته فلا تسأل ، وهو من المشايخ العظام في زمانه علما وعملا ونشرا ، وتلامذته اشهر من قفا (١) وقد تخرج عليه ما لايحصى كثرة ، وقد تعرض لذكر بعضهم الشيخ العلامة سيدي عبد الرحمان الجشتيمي التميلي في فهرسته (٢) ، وتوفي الحضيكي عام ١١٨٩هـ وكانت ولادته عام ١١١٦هـ وترك ولديه علامتي الدنيا وأماميها السيد احمد والسيد عبدالله ، واسترسل العلم في أولادهما الى انقراض اخر علمائهم وهو الفقيه العلامة السيد محمد (ضما) بن محمد (فتحا) بن احمد بن محمد (فتحا) بن أحمد الولد الرابع ، فتفرقت خزانته المذكورة ايادي سبا ، شأن السالفين الذاهبين ، ولكن اكثر ماتفرقت هذه على يد العالم الاخير السيد محمد (ضما) بن محمد (فتحا) فانه هو الذي قضى عليها لما وقع بينه وبين ابناء عمه السيد الحسن من الفتن العظيمة التي ادت الى قتل وتخريب ونهب وجلاء الفقيه المذكور من بين المذكورين الى حيث أولاده اليوم : المرابط السيد عيسى بن محمد . وبنى فيه الدار فوق مقبرة السيد ميمون ، وسكن معه والده المذكور ، وقد ناف عن تسعين ، وشاخ ، وذهبت ثروته المعرضة للفتن . ومد يده الى بيع الخزانة المذكورة الحافلة ، الى ان قضى عليها ، وقد اشتريت منه رحمه الله عام ١٣٢٣هـ أربع مجلدات منها ، وجلها من المخطوطات المصرية ، ومن بينها الاسطرلاب النحاسي من الطراز القديم ، الذي لانظير له في زمانه واسترده مني والده المذكور ، فاخذه منه حفيده ولد ابنته الفقيه السيد الحاج المحفوظ بن أحمد الاهمادي الحضيكي — بالخئولة — وسافر به الى (مزوضة) أيام التعاطي هناك ، فغلبه عليه شيخه الفقيه السيد الحنفي صاحب زاوية مزوضة الى هلم جرا ، وقد الححت عليه مرارا في استرداده منه ، فلم الف

١) تقدم في حاشية قبل هذه تبيين مراده بقفا ، فلتراجع في اوائل الترجمة
٢) يعني بفهرس الجشتيمي كتاب (الحضيكيين) وقد خرجناه وهيأناه الطبع ان شاء الله

لى عنده اذنا مصفية ، وقد الف الشيخ سيدى محمد بن احمد الحضيكي المذكور تآليف عديدة ، وتصانيف مفيدة ، منها طبقاته المسماة عندهم بالمناقب ، ذكر فيها جل علماء سوس ، ومنها شرح الرسالة ، وشرح الهمزية والبخارى • ولكن لم يكمل ، وغيرها مماينا هز ثلاثين (١) مؤلفا ، وكان رحمه الله كثير النسخ للكتب ، نسخ كتبا عديدة بيده ، بحيث لايفتر ليلا ونهارا متى أمكنته فرصة حتى انه اذا لم يكن له ادام القنديل ليلا ، ندب امرأته أن تشعل له النار بسعف النخل وتأخذها بيدها ، وتضيء له الى ءاخر الليل ، وهو يكتب وينسخ ويقيد وذلك لعدم وجود الشمع عندنا بالسوس الاقصى في ذلك العصر ، لانه انما حدث عندنا بكثرة فى أيام السلطان المولى عبدالعزيز من عام ١٣١٢هـ حيث كان بعض أهل قطرنا يسافر الى فاس وطنجة ومراكش فياتون به ، وكان الناس قبل ذلك لايستصبحون الا بالادام من زيت اوهرجان او سمن او اعواد هرجان وغيره •

ومن المكاتب مكتبة (اسفركيس) زاوية الايبوركيين ، وقد جمعها الاولون منهم باعتناء ، وبلغت من العظمة فى القرن الحادى عشر ما قل وجوده عندهم ثم استرسل العلم فى حفدته الى عصرنا هذا والى غد ، فتوارثها علماؤهم وغيرهم فتفرق معظمها لذلك ، وقد زرتها عام ١٣٤٥هـ ورايت فيها من الخطوط الشرقية القديمة كتبا كثيرة ، وفيها خط سيدنا على بن أبى طالب فيما يزعمون وقد رايته ولكن استبعدت ان يكون خطه لامور ، منها انى قد اطلعت على خطه المكتشف فى هذه السنين فى المشرق واخذ بالفتوغراف (التصوير الضوئى) وهو كتاب النبى صلى الله عليه وسلم الى هرقل بخط الامام رضى الله عنه ، فوجدتهما متنافيين فيبعد أن يصح انهما معا خطه ، ومنها بعد الازمنة وتطاولها على مافيها من الفتن القاضية على الآثار القديمة

ومن المكاتب العظيمة مكتبة السادات اليعقوبيين الادوزيين التى اسسها شيخ الجماعة بأدوز (٢) فى وقته ، العلامة المحرر المؤلف المحقق السيد عبد الله بن يعقوب دفين (تازموت) بسملالة ، وفيها كثير من منتسخاته كالمعيار القديم ، وقد زاد فيها ولده علامة زمانه سيدى يبورك بن عبدالله الذى توفى من غير عقب ، وكانت من الضخامة بالمحل الذى لايدرك ، بحيث جمعت من الكتب النفيسة • والفنون المتنوعة • مالا تجمعه خزانة فى عصرها ، وناهيك بصاحبها الذى بلغ هو وأولاده وأحفاده من الشهرة الشهيرة ، والصيت البعيد ماقل وندر لغيرهم ، الى هلم جرا ، وقد قيل لم يبق فى جميع الاقطار السوسية من لم ياخذ عنه ، كما يحكى عن أبى مدين التلمسانى ، والشيخ التاودى المرى بفاس فى زمانه ، والشيخ محمد كنون فى عصره القريب ، والشيخ سيدى

١) راجع (سوس العالمة)

٢) كان عبد الله بن يعقوب وأهله فى (تازموت) أولا ثم لم ينتقل الى (أدوز) الا أحفاده

محمد بن ابراهيم التامانارتى ، والشيخ ابى العباس السيد احمد بن عبد الرحمن المسكدادى المانوزى ، والشيخ السيد محمد بن احمد الحضيكى المانوزى ، والشيخ سعيد بن عبد المنعم الحاحى الداودى ، وولده عبد الله وولده يحيا بن عبدالله ، والشيخ احمد بن محمد التاكوشتى الصوابى ، والشيخ السيد محمد بن يحيا الشبى (الازاريفى) والشيخ سيدى أحمد بن محمد التيمكدشتى فى عصره القريب ، والشيخ سيدى سعيد الشريف الكثيرى الاداومحمدى الهشتوكى فى عصره القريب ، وغيرهم من فطاحل السوس الاقصى وسنذكرهم ان شاء الله فى موضع غير هذا ، ولازال العلماء الى الان بأدوز من أعقاب الشيخ المذكور ، وخاتمتهم علامة زمانه السيد محمد بن العربى ، وابن عمه الشيخ السيد المحفوظ بن عبد الرحمان ، والشيخ السيد عبد العزيز بن محمد ، وهؤلاء الثلاثة معدودون من أشياخنا (١) رضوان الله عليهم وجل هذه الخزانة موزعة بين هؤلاء الاحفاد وغيرهم ، رغما عن رئاسة الفقيه ابن العربى المذكور الواضعة عليها اليد الحافظة ، ولما توفى عام ١٣٢٣هـ ، تولاها الشيخ (٢) المحفوظ المذكور الى ان توفى عام ١٣٥١هـ وبقيت بيد ولده عيسى وأبناء عمه وأخوانه ، وعلى كل حال فلم يحصل فيها من الاضمحلال ما حصل للخزائن المتقدمة ، لمحافظة الشيخ محمد بن أحمد بن محمد صاحب شرح الالفية وغيره عليها ، وقد توفى عام ١٣٢١هـ

ومن المكاتب مكتبة سادتنا الكراميين اهل (تازموت) من اهل القرن التاسع ، البالغة من الجزالة مبلغا عظيما ، ناهيك بالفحل العظيم الذى جمعها وهو شيخ الطريقة والحقيقة العلامة سيدى سعيد بن اكرامو ، وقد اخذ عن مشايخ السوس والمغرب ، وتجول فى أنحاء المغرب للاخذ ، فبرع فى الفنون وفاق فيها رواية ودراية ، وقد كانت تحكى عنه حكايات عجيبة فيما بينه وبين ملوك وقته ، حتى أرهبهم فهابوه (٣) وله باع عظيم فى الحكمة وعلم الجدول

١) توفى ابن العربى ١٣٢٣هـ فلايمكن ان ياخذ عنه الا بواسطة ، وعبد العزيز ١٣٣٦هـ والمحفوظ ١٣٥١هـ وهذان ممكن أن يأخذ عنهما بالاجازة ، لان له همة فى مثل ذلك • وأما أنه أخذ عنهما دراسة فلا •

٢) فى أدوز ثلاث خزائن كبرى : خزانة محمد بن العربى التى ورثها عن أبيه ، وتحتوى على نفائس ، وهى فى يد ولده سيدى احمد ، والثانية خزانة سيدى عبدالعزيز ورثها عن جدوده المتسلسلين بالعلم من عهد جدهم ، وهى فى يد ابراهيم ولده ، والثالثة للاستاذ المحفوظ كونها لنفسه بنفسه ، وهى فى يد ولده سيدى عيسى ، وهذه الثلاث كلها مصونة الى الآن راجع (سوس العالمة)

٣) يشير الى حكاية فى كتاب (بشارة الزائرين) والله أعلم بصحتها ، وقد ألف أحدهم فى أخبار هذا البيت وغيره ، وقد خرجته وهيأته للطبع ان شاء الله وفى تراجم التامانارتيين تراجم الكراميين هؤلاء ، لانهم أشياخهم (القسم الثالث) من هذا الكتاب

والاوفاق والطلاسم ، والاستخراجات والرياضات والتعاليم وغير ذلك ، وقد جمعت خزائنه من هذه الفنون ماعز وجوده في غيرها ، والف هو ايضا في كل موضع مماذكر وتوفي عام ٨٨٢هـ وبيته بيت علم وحكمة ، وقد تسلسل فيهم العلم والعمل زمانا طويلا الى القرن الثالث عشر ، ونبغ فيهم فحول علماء ادباء حكماء ، تضرب بهم الامثال في ذلك كله في تلك البلاد ، وانتسابهم فيما هوالمدون في تئاليفهم ورسومهم الى الامام ابي بكر بن العربي المعافري دفين باب محروق بفاس المتوفى عام ٥٤٤هـ قلت والمعافرة قبائل كثيرة في نواحي تامانارت ، وقد سكنوا فيها بين بلاد قصبة تامانارت الى قرية (ايشت) من القرن الخامس في أوله في مدينة تسمى الفائجة (١) ذات نخل واعناب وعيون وفواكه مما يشتهون .

ومنها الامام عبد الله بن ياسين (٢) معين اول ملوك لمتونة ، وغيره من فحول العلماء ، واخرهم الامام ابو زيد عبد الرحمان التامانارتي صاحب (الفوائد الجمة) وغيرها

ثم خالطتهم القبائل الصحراوية مثل (بني اسا) و (الركيبات) من عرب معقل بالغارات تارة ، والنهب والتخريب والافساد تارة ، فجعلوا ينتقلون شيئا فشيئا الى نواحي السوس حيث يامنون على انفسهم وأولادهم ، الى ان أخلوا بلاد الفائجة اخر القرن الثاني عشر ، فصارت خرابا يبابا ، لاانيس فيها الا اليعافير والاالعيس ، فغارت مياهها من عيونها واوديتها ، ويبست أشجارها فصارت كأن لم تغن بالامس ، بعد ان كانت محط الرجال ذوي الفهوم والفنون وقد تجولت في تلك النواحي واطلعت عليها وعلى مقبرتها العظيمة الدالة على عظمة هذه المدينة ، ورأيت من احوالها ماهالني ، وذلك عام ١٣٤١هـ حين تجولت ببلاد القبلة التامانارتية (أكرض) و (القصبة) وأقمت فيها نازلا على القائد الانجب الاديب (٣) الاريب البشير بن عمر ابن الحاج أحمد الشريف الكثيري أصلا ، التامانارتي وطنا الجزولي جيلا وله خزانة كتب تاريخية علمية تكلمت على أحوال (تامانارت) وأجيالها المنقرضة حواليها ، ويلوح لمن تاملها أن تلك الاجيال كلها عرب لابربر بينهم ، وان جلهم أنسلوا أيام الفتوح المروانية الاموية في القرن الاول والثاني الهجريين ، من زمن عقبة بن نافع رضي الله عنه ، وزمان الوليد بن عبد الملك وغيره من اخوته الخلفاء الى هذه النواحي الصحراوية السوسية (٤) ، من جهة افريقية الشمالية ثم تناسلوا

١) المدينة المشهورة هناك هي (تامدولت) المؤسسة نحو ٢٢٠ هـ و تامانارت هي التي توصف بهذه الاوصاف ، ومنها ابن ياسين ، ولعل الكاتب وقف على ما يدل على أنها كانت مدينة ، نعم في التاريخ ان (تامانارت) تسمى قاعدة جزولة

٢) وقفت على ان نسبة ابن ياسين في عداد السملاليين ، والبيت الياسيني المنقرض في فاس اليه ينسب

٣) لو قال الادب لصادف الصواب لانه كريم ولايمت الى علم الادب

٤) لم يدخلوا الا بعد القرن الخامس الى ناحية سوس

واكثروا واثروا ، الى ان عمروا تلك البلاد ، وجلهم يتكلم بالعربية الفصحى السمليقية (١) لهذا العهد القريب ، وفيهم الغرائز العربية من كرم مفرط، وشجاعة خارجة عن المعتاد ، ومراعاة الجوار والعهد ، والمحبة للضيف والقرى وللناس في ذلك عنهم حكايات عجيبة ، وقد خالطناهم أيام الزراعة بالمعدر الجنوبي ، ومازالوا على هذه الحال

ومن المكاتب الضخمة مكتبة (تيمكيدشت اكنان) في عداد (امانوزايسي) وأول مؤسسيها الولي الصالح الفقيه السيد أحمد بن محمد بن ابراهيم الميموني المستوطن فيها عام ١٢٣٦هـ أيام السلطان الصالح المولى سليمان بن محمد بن عبدالله العلوي ، بأمر من شيخه الولي الصالح الحاج عبد الكريم دفين (ايبغد) بـ (أمانوز) وكان المذكور في خدمته بعد أن تخرج على جماعة منهم الشيخ السيد أبو القاسم العالم الغازي الكرسيفي ، ومن أراد اخباره فليراجعها في مناقبه وهي في مجلد ضخم (٢) ينيف عن ٤٠٠ ورقة

وشيخه هذا هو الذي أسس مدرسته بـ (تمكيدشت) وان كانت قبل ذلك قرية علمية لسكانها القدماء ، وهم المرابطون ءال حسين (٣) اولاد الولي الصالح أبوبكر بن نعمان المسمى بابي يحيا دفين (تادارت) الكرسيفي

ولما أسس فيها هذه المدرسة في التاريخ المذكور ، وزاحم الكرسيفيين أبناء حسين نازعوه في ذلك زمانا ، الى ان قطع السلطان المولى عبد الرحمان نزاعهم بالحكم عليهم للشيخ السيد أحمد بن محمد المذكور ، وتولية أمر المدرسة والتصدر فيها للتدريس والاقراء الى ان تخرج على يديه جماعة كثيرة ، قد جمعهم بعض تلامذته بالتاليف (٤) حيثما كانوا في زمن سيدي الحسن ولده أعوام التسعين ، بلغت خزانة (تيمكيدشت) مبلغا عظيما من الكتب الخطية ، ولما توفي الشيخ السيد الحسن بن أحمد عام ١٢٩٧هـ تولى أمر الزاوية السيد الحنفي ، فلما توفي تولاها ولده : شيخنا السيد الهاشم بن الحنفي فزادفيها اضعافا مضاعفة ، وله همة واعتناء كبير بجمع الخزائن السوسية المخطوطة في جميع الاقطار ، بحيث لايسمع بموت عالم أو غيره ممن له خزانة الا ودس اليه من يشتريها منه ، فصادف ابان انتشار الآلات المطبعية ، فاشترى مايفوت الحصر ، من مؤلفات أهل المشرق ، من مصر والحرمين واليمن والعجم والهند ، ومؤلفات أهل المغرب من تونس وفاس ومراكش وغيرها ، فصارت

١) هذا في عهدة هذا الكاتب

٢) عندي وقد أهيئه كذلك للطبع ان شاء الله وهو الذي الفه العربي المشرفي نزيل فاس

٣) من هؤلاء أبناء حسين في آكلو

٤) هو الكتاب المقدم نفسه ذكر فيه أيضا تلاميذه

خزائنهم من أهم مكاتب السوس الاقصى ، نظيرة المكتبة الزيدانية بمكناس ، والمكتبة الكتانية بفاس (١)

ولما توفي السيد الهاشم عام ١٣٤٦هـ حافظ على هذه المكتبة الحافلة ولده القائد محمد التيمكيدشتي ، ولازالت الى الان محفوظة محروسة ، لم يتطرق اليها أى فساد أو خلل ، لثروة هذا الولد ، ونفوذه الحالي ، وقد طالعت معظمها أيام اقامتي مدرسا بالزاوية (التيمكيدشتية) عام ١٣٢٩هـ وهي روضة أريضة بأنواع العلوم ، وغالبها من المخطوطات التي لايوجد لها بالسوس نظير .

ومن المكاتب مكتبة الجشتيميين بوادي (تيملت) قرية علمية ازاء جبل الكست ، أعلى وادي (تيملت) ومؤسسها بعد اندثارها في القرون الوسطى الى القرن الحادي عشر العلامة الهمام السيد عبد الله بن محمد الجشتيمي الآخذ (٢) عن الشيخ الامام الشهير محمد بن أحمد الحضيكي المانوزي ، واشتغل بجمعها بعد تاسيس مدرسته في (ايمي اوكشتيم) في اخر المائة الثانية عشرة بعد الالف ، وخلفه العلامة السيد محمد بن الحسن بن عبدالله ابن محمد المتوفى عام ١٢٨٠هـ وهو شارح الشفاء (٣) وزاد فيها ولده علامة زمانه بلامنازع السيد عبدالرحمان صاحب الروضة المجصصة فيه الان ، وهو ناظم عمل السوس الاقصى نظما فائقا ، وله تآليف اخرى ، وله فهرست في جميع الاخذين عن شيخه (٤) محمد بن احمد الحضيكي المانوزي المتقدم الذكر الى أن توفي عام ١٢٦٩هـ في ثامن رمضان منه ، فخلفه ولده العالم العلامة الامام الهمام ، الاديب الناظم الناثر ، علامة المغرب على الاطلاق في زمانه ابوالعباس سيدي الحاج أحمد بن عبدالرحمان الجشتيمي ، وستترجم له بين اهله ان شاء الله ثم زاد في هذه الخزانة زيادة كثيرة ، وساعده فيها انبساط نفوذه العلمي الروحي على جميع بسائط المغرب وجباله ، فضلا عن الاقطار السوسية

١) الحق احق ان يقال ، وأن التنقيح كفيل بالتصحيح ، فقد تكون مثلهما عددا ولكن لاأرى ان يكون فيها مافيهما من الكتب القيمة ، لان صاحبي تينك المكتبتين تفرغا لهما وتمكنا مما لم يتمكن منه السوسيون من الوسائل والحواضر يحيى اليهما ثمرات كل شيء

٢) المنصوص عند أبي زيد أن أخذه كان من تامكروت فهو من أقران الحضيكي اللهم الا اذا أخذ عنه اجازة

٣) بل الشارح سيدي عبد الله نفسه ، ثم أن الذى خلف عبدالله هوولده أبوزيد لامحمد بن الحسن الذى كان كاحد ابناء ابي زيد وفى طبقتهم

٤) لم ياخذ أبو زيد عن الحضيكي فقد ولد أبوزيد ١١٨٥هـ ومات الحضيكي ١١٨٩ هـ

وناهيك بمن بلغ مرتبة امامة السلطان المولى الحسن في خاصة نفسه سنين عديدة ، ومدة مديدة اكتسب بها من الشهرة مالامزيد عليه ، ولكن قسم هذه الخزانة قسمين بحسب اقامته ، قسم منها في وطنه الاصلي (ايمي اوكشتيم) والقسم الاخر في (تيبيوت) بناحية (تارودانت) لانه رحمه الله يتناوب القريتين بالاقامة ، الى اخر أيامه ، فانقطع بـ (تيبيوت) لامور محدثة في قبائل (تيملت) من سرية وجهرية لم يرتضها ، فلازم (تيبيوت) منقطعا عن العلائق الدنيوية ، زاهدا في الدنيا ، غير ان الدنيا جاءته راغمة ، حتى صارت الرحلة في زمانه بالسوس لاتتعداه ، وكان انقطاعه بقرية (تيبيوت) من عام ١٣١٤هـ الى أن توفي فيها في ٣٠ ذي القعدة عام ١٣٢٧هـ فدفن فيها ، وعليه قبة حافلة وموسم شهير الى الان والى غد ، فخلفه هناك ولده الفقيه سيدي سعيد كما خلفه في وادي (تملت) ولده سيدي عمرو ، فانقسمت الخزانة بينهما نصفين ، مع مايعتريها من النقصان كل حين من استعارات تلاميذهم منهم فيها

وقد أطلعت على خزانة الفقيهين السيد الحاج أحمد بن عبد الله اقاريض الصوابي (وتعريب أقاريض : الفلس) وخزانة شقيقه العلامة السيد محمد بن عبدالله ، فرأيت كتبا كثيرة ماخوذة من تلك الخزانة الجشتيمية ، فبحثت عن السبب فظهر لي أن اكثرها بالاعارة لما بينهما من المصاهرة ، لان تحت الفقيهين الصوابيين ابنتي الامام أبي العباس الجشتيمي المذكور ، ولما توفي ولده سيدي عمرو عام ١٣٤٦هـ (١) صفا الجو لصهريه هذين فاخذا معظمها بلاكلام ولاعناء ، لانه لم يترك الا ولدا واحدا أميا مقهورا تحتهما ، وتوفي السيد سعيد بـ (تيبيوت) عام ١٣٣٤هـ وترك ولدا اشتغل بالعلم اسمه محمد والكل من ثقات أصحابي (٢)

ومن المكاتب الضخمة ، مكتبة الشيخ ماء العينين بن مامين القلقمي الصحراوي دفين (تيزنيت) فانها مكتبة عظيمة ، لاتقل عن مكتبة (تيمكيدشت) لما لمؤسسها الشيخ المذكور من صيت عظيم في الافاق المغربية ، بل في جميع الخافقين ، ونفوذ علمي عظيم في المغارب الثلاث عند الخاصة والعامة وهو أشهر من أن أعرف به هو وأولاده ، وناهيك بمن حكمه اهل سوس في رقابهم وبايعوه مبايعة الدفاع عن الوطن عام ١٣٣٠هـ وهو ولده المولى احمد الهيبة ابن الشيخ ماء العينين (٣) وقد اطلعت على معظم خزانتهم هذه ورايت فيها من الخطوط الصحراوية والشنكيطية والسوسية والسودانية والفاسية

١) بل عام ١٣٤٩ هـ

٢) في (القسم الثالث) تراجم كل رجالات هذه الاسرة العالمة الماجدة

٣) في أول (القسم الثالث) ترجمة الشيخ ماء العينين واحمد الهيبة وبعض أهلهما بتوسع

والمكناسية والتونسية والمصرية والمشرقية ما عزوجوده ونظيره ، وجلها من هدايا
سلاطين المغرب ، بل والمشرق ، فصار جمعها سالما من غير تكسير ، الى ايام
قيام اهل(تيزنيت) على الشيخ النعمة ابن الشيخ ماء العينين الخليفة بها عن
أخيه الامير المولى أحمد الهيبة ، الكائن اذذاك بِرودانة ، فاخرجوه بعد حروب
عظيمة ، واستولوا على ذخائره التى بتيزنيت ومنها مكتبته التـى هناك ،
فتوزعتها أيدى النهب والفساد ، وبيعت بابخس ثمن •

ووصلتنا ونحن بـ (تيمكيدشت) بصفة التدريس بها أخبار هذه المكتبة
فندبت صاحب الزاوية شيخنا السيد الهاشمى بن الحنفى أن يبعـث بعض
طلبته الىأهل (تيزنيت) لما له عندهم من النفوذ العظيم ، أن يجمعوا الكتب
المنهوبة من عند الناهبين • فيبعثوا بها الى (تيمكيدشت) ففعلوا وجمعوا منها
مقدار عشرة أحمال بغال ، ولما دخلوا بها للزاوية (التيمكيدشتية) حاولت
تقييدها فى كناش حفظا لكيانها ، فقيدت منها مقدار اربعمائة كتاب ، فاذا
برسول‌صاحب الزاوية المذكور الى بأن لاافعل خوفا مما عسى ان يحدث من
المسئولية فى المستقبل ، وقوة شوكة الامير المذكور غدا أو بعده فيتطلبها منه
ولازال عندى ذلك‌التقييد محفوظا الى الان ، ثم بعد ذلك حدثت صاحب‌الزاوية
نفسه بتملكها على وجه جائز مباح ، فكتب الى طلبة الزاوية ان يكتبوا لـــه
الفتاوى باباحتها ، بعد انكسار شوكة الامارة الماء العينية عام ١٣٣٥هـ فكتب
أكثرهم وافتوا باباحتها ، معتمدين على انها او غالبها من المكاتب المخزنيـة
المجموعة من عندالسلاطين ، وهى من‌خراج المسلمين وغيرهم ، وأنها محبسة
للانتفاع بها فقط لا للتملك ، وعارضتهم فى ذلك ، وافتيت رادا عليهم بعدم
اباحتها ، وحرمة النظر فيها الا لموجب شرعى من بيع‌أصحابها لها اوتبرعهم
بها ، فنقضت فتاويهم فتوى بعد فتوى ، فوافقنى علماء القطر السوسى كلهم
اكتعون •

ولما راى صاحب الزاوية ماصدر منى من القيام ضده ، ومقاومته هو
وطلبته فى ذلك انف وغضب واستكبر ، غير انه لم يبد ما فى نفسه ،بل‌صار
يلايننى بانواع الملاطفة والمداراة التى أدت الى المداهنة ، فانه بعد حين ندبنى
الى الوفود على الامير المولى احمد الهيبة المذكور ، وهو يومئذ بـ (كردوس)
بعقيلة بجبال جزولة ، طالبا منه أن يملكه تلك الكتب بعوض بخط يده •
فوفدت عليه لمابينى وبينه يومئذ من الصداقة القديمة ، فدخلت عليه فغمره
من الفرح والسرور ما لامزيد عليه ، وساذكر هذه الرحلة المباركة ان‌شاءالله
فى‌تاريخنا ، ثم بعد ثلاث افضيت اليه‌بالمامورية التى جئت لاجلها ، فماتلكا
ولاتوقف • ولاتفكر فى قضائها ، حتى أخذ الدواة والقرطاس ، وكـتـب
بهديتها الى قائلا ان الزوايا والعلماء والديانة كلها كالذات الواحدة ، ووفودكم
على أجل فى‌نظرى من تلك الخزانة كلها ، لانها مال مكسوب ، فالله يخلفه‌فى

المستقبل ان شاء الله • فرحم الله تلك الشخصيات البارزة فى المكارم‌والمعالى
ذوات الهمم العوالى ، فما أكرمها وازهدها فى الدنيا كلها

تلك عاقبة خزانتهم التى بتيزنيت ، واما ماكان منها تحت ايديهم‌بقرية
(رجان) فانه لما تحول اليها الشيخ النعمة المذكور ، وجدد فيها كتبا لهاقيمة
وقع له مثل ماوقع بتيزنيت‌من النهب ثم نقل البقية الباقية الى عشه الاخير
منكبا لـ (كردوس) حيث حل الامير احمد المذكور فسكن فى (أيت رخا)الى‌ان
احتلت فرنسة فى حمايتها للمغرب الموضعين معا فى الاحتلال النهائى العام
لجميع القطر السوسى عام ١٣٥٢ فى ذى القعدة منه ، فخرج الامير الشيخ
مربيه‌ربه هاربا الى (أيت باعمران) تحت النفوذ الاسبانى ناجيا بنفسه وعياله
تاركا المخزانة هناك مع ماتركه من الاموال والعدد ، فكان هذا اخر العهد
بهذه الخزانة الماالعينية ، وصارت فى خبر كان ، وصارت البقية الباقية منها
الى الخزانة العامة بالرباط

ومن المكاتب الضخمة مكتبة ابناء ابن الاعمش بـ (تينـدوف) بصحراء
سوس ، فانها مكتبة لاتقل أيضا عن المكتبة الما العينية قبلها ، لكون اصحابها
متقاربين علما وعملا ، وشرفا وشهرة عظيمة ، وكان الشيخ ابن الاعمش هذا
من أهل الصيت العظيم فى العلم والنفوذ ، وله أتباع كثيرون ، نظير الشيخ
ماء العينين ، غير ان ابن الاعمش اكثر تحقيقا ، واوعى لجميع الفنون ، وهو
حجة فى الجميع . زاهد فى الدنيا لايتلبس بشىء منها ، فجمع من الكـتـب
النفيسة من‌أنحاء الصحراء الى السوس الى السودان ، متتبعا للزوايا والخبايا
مالم يجمعه صحراوى قبله ، ولما توفى فى نحو ١٢٧٥هـ خلفه ولده العلامة
المحقق النحوى اللغوى المعقولى المنقولى الشيخ احمد الدكنا ، وزاد فيها زيادة
محسوسة لحدوث آلات الطبع فى عصره القريب ، ولماتوالت القحوط وغارات
الاعراب بعضها على بعض فى تلك البلاد الصحراوية ، انتقل الشيخ احمـد
باولاده وذويه من أقاربه وحاشيته الى بلاد القبلة فاستقر بـ (تيزونـيـن)
سوس فى أيالة القائد العادل بلعيد المربطى (١) فاتخذها دار سكناه ، ومنها
تعرفنا به (٢) فى أول مرة ، ونقل اليها جل‌مكتبته ، وترك بعضها بتيندوف
فى الصحراء

١) هذا العدل غريب من‌القائد بلعيد المعروف بأنه ماسجد قط فيما شاع
منه ، ولعله يقصد العدل النسبى وستاتى ترجمته فى (القسم الخامس) ان
شاء الله

٢) مات أحمد دكنا عام ١٣١٨هـ ورحلة الكاتب لم تقع الا بعد ذلك بكثير
كما ستراه ، فلعله تعرف به وهو صغير ، أو يقصد التعرف باحداولاده يوم
زار تلك الناحية كما ستراه •

ولما توفى الشيخ احمد الدكنا بن الاعمش خلفه ولده الصغير الفقيه السيد محمد المختار تحت حجر جدته تاغيلاست ، اخت القائد بلعيد المذكور ولما سافرت عام ١٣٣٢هـ الى تلك البلاد القبلية للحراثة بالمعدر ، حللت بـ (تيزونين)ونزلت عليهم ورحبوابي ، وطلبت منهم المطالعة في الخزانة الاعمشية فأجابوا ولم يتوقفوا ، فرأيت فيها من غرائب الكتب الخطية المتنوعة شيئا يفوت الحصر ، الأأنها فى غاية المهانة والابتذال ، لانقراض علمائها • فراودوني على الاخذ منها بوجه الهدية ، فاخذت منها البعض وعولت عند القفول من بلادي الى القبلة أن آخذ منها الكفاية ، فلم يقدرلى ، وعاقت دون ذلك العوائق ، ثم بعد ذلك توزعتها أيدى الدهر الخئون ، وقد وصل منها لـخزانة (تيمكيدشت) المتقدمة الذكر الشىء الكثير ، فصارت أيضا الى ماصارت اليه نظائرها ، ولله الامر من قبل ومن بعد • وسنذكر ايضا هذه الرحلة فى محلها بابسط من هذا ، والله الموفق (١)

ومن المكاتب العظيمة مكتبة الشيخ العلامة السيد الحاج الحسين بن بلقاسم السوقى الافرانى ، ففيها من نفائس الكتب أنواع من الفنون العقلية والنقلية والتاريخية ، وقد أشرنا الى ماوقع لها من التشتيت أيام استئصال القبائل لاصحاب المخزن الشريف عام ١٣٢١ هـ زمان السلطان المولى عبدالعزيز بن الحسن حين انهزم خليفته (٢) القائد النفلوسى الحاحى ، وتتبعت القبائل كل من فيه رائحته ، وكان منهم الشيخ الحاج الحسين المذكور ، فنهبت داره واستصفيت أمواله وخزائنه ، ومكتبته العلمية كما تقدم ولكن ما مضت سنة حتى ارتجعها ، كما أشرنا اليه من قبل ، فجمعها كما كانت ، ولم شعثها الى أن توفى فى آخر عام ١٣٢٨هـ فورثها اولاده الثلاثة : الفقيه السيد محمد الحبيب وهو أصغرهم ، والسيد محمد الكبير ، والسيد أحمد ، وبناته • لكنهم لرفولهم فى أذيال الشباب ، والشباب جنون ، عدت عليها أيدى الخونة ، فـوزعت اكثرها • واستأثر القائد عياد الجرارى بالبعض منها وغيره ، وبقى مـابقى تحت يدى سيدى محمد الكبير بتيزنيت الى الان ، وقد أطلعت عليها مرتين • وقد نبغ فى هذه السنين الاواخر ولده الفقيه السيد محمد الحبيب المستوطن برباط الفتح والموظف بمدرسة (معهد جسوس) هناك ، ولعله ان شاء الله يتلافاها ويغار عليها والله ولى التوفيق (٣)

---

١) ستاتى تراجم آل ابن الاعمش في (القسم الخامس) انشاء الله ولبعض أسلافهم ذكر فى احدى رحلتى أحمد احوزى ، وهى الحجازية الواقعة ١٠٩٨هـ

٢) بل مات النفلوسى الاول فى تيزنيت ثم ذهب القائد الثانى أخوه مـع جيشه الى محاربة ابى حمارة سنة ١٣٢١هـ

٣) ستاتى ترجمة الحاج الحسين فى اول (القسم الثالث) ان شاء الله

ومن المكاتب العظام مكتبة شيخنا وقدوتنا العلامة الامام الحجة سيدى محمد (ضما) بن محمد (فتحا) بن عابو الولياضى ثم الادا ومحمدى الهشتوكى المقدم الذكر ، فانها بلغت فى الضخامة اوج العلا الى ان عدت عليها أيـدى النهب أيام القائد النفلوسى عام ١٣١٨هـ فمزقتها ، ثم استرجعها بحيث لـم يبق نادا عنها الا نادر ، كما تقدم ذلك كله مستوفى ، واستمرت الى ان توفى عام ١٣٣٢هـ فوقع لها ماوقع لنظائرها غير أن جلها استولى عليه ابن اخيـه وصهره الفقيه العلامة الاديب السيد ابراهيم بن مبارك التاجراني الولياضى ايضا ، ولولاه لذهبت كامس الدابر ، ومازال الى الان كما مازالت تحت يده، وهو القاضى بهشتوكة •

ومن المكاتب السوسية مكتبة القائد عياد الجرارى ، فانه صرف عناية كبيرة ، لضم غرائب الكتب المتفرقة في الاقطار السوسية ، تحـت يد اولاد العلماء واحفادهم ، وغيرهم من العوام البلداء الذين ورثوا الخزائن العلمية، وتقدم أنه استحوذ على شىء كثير من خزانة الشيخ الحاج الحسين الافرانى من جهة اولاده الورثة وغيرهم ، وزاد فيها زيادة كبيرة فى هذه السنين الاواخر لحدوث الطباعة ، وانتشار أعمالها العلمية ، فلايسمع بكتاب مطبوع الااقتناه ولازالت مكتبته محفوفة بالحفظ الى الان (١)

ومن المكاتب السوسية الملوكية الاسلاف السعديين وان كنا اخرنا التنبيه عليها لما يعلم من أن الخزائن الملوكية لاتحتاج لتوفرها ضرورة لـما يناسب أقدارهم من العظمة ، الى التنبيه عليها ، لان ذلك مـن باب تحصيل الحاصل ، وقد أطلعت على تقييد لعم جدنا المقدس ، وهو العلامة الامام الحجة فى زمانه الشيخ الولى الصالح سيدنا محمد بن بلقاسم بن على بن يعزى ، الاخذ عن الامام شيخ الجماعة السيد أحمد الشبى (٢) المتوفى بالطاعون بعد شيخه هذا عام ١١٦١هـ بعد تخرجه عنه هو والشيخ محمد ابن احمد الحضيكى المتقدم صاحب الطبقات وغيرها ، بخط يده أنه قال مانصه : اجتمع لاسلافى السعديين من الخزائن العلمية بالسوس الاقصى أيام جدنا المقدس الشيخ الامام العلم الهمام

---

١) قد أصابتها اليد بعد وفاته وهلاك ولده عبد الله ، فصارت كلها اوغالبها الى مكتبة (معهد) تارودانت المؤسس بعد الاستقلال • وتراجم عياد وءاله ، توجد فى (القسم الخامس) انشاء الله

٢) هناك أحمد بن محمد بن يحيا الشبى ، توفى فى آخر القرن الثانى عشر ، والشهرة كانت فى وقت هذا العم للشيخ محمد ـ فتحا ـ بـن يحيا والد أحمد ، وعنه أخذ الحضيكى ، وهو الذى يمكن ان يقصده الكاتب ولكنه لم يتوف الا فى عام ١١٦٤هـ وتكون وفاته بعد تلميذه محمد بن بلقاسم بـن على بن يعزى ، لاقبله كما تدل عليه عبارة الكاتب • وهؤلاء الشبيون الازاريفيون يذكرون ان شاء الله فى (القسم الثالث)

المولى محمد القائم بأمر الله ، مالم يتيسر جمعه لاحد من المتقدمين والمتاخرين في الاقطار السوسية الدرعية وغيرها ، لاسيما وشبلاه العالمان الفحلان الاميران السلطانان المولى أحمد الاعرج ، وأخوه المولى محمد أمغار قد استصفيا كثيرا من الخزائن العلمية من الخزانة الوطاسية أيام تحصيلهما بفاس ، زمان السلطان أحمد الوطاسي ، لتودد حصل بينه وبينهما ، وشهرة بالتفنن في العلوم افضت بهما الى أن استخلصهما هذا السلطان الوطاسي لتأديب أولاده الذكور والاناث فأطلق لهم اليد على الخزائن العلمية فنقلوا منها كتبا نفيسة الى مقرهم بالسوس تحت يد والدهم المقدس رحمه الله ، ولما افضت اليهم الامارة وتسنموها بعد استئصالهم لجرثومة الوطاسيين ، وتسلموا مقاليد المغرب والصحارى والسودان وتخومه ، زادوا فيها من تلك الاقطار ، وصرفوا عنايتهم لجمع الكتب العلمية من أقاصي السودان ، الى أقاصي المشرق ، وصانعوا علماء مصر والحرمين وأمراءهما على ارسال الخزائن العلمية ، كماصانعوا نصارى أسبانية لذلك أيضا ، للتوصل الى الخزائن العلمية الاندلسية ، فتوصلوا الى شيء كثير منها . لاسيما أيام واسطة العقد الفحل الاعظم ، والشهم الافخم ، العزيز النظير ، في جميع الفضائل والفواضل ، علامة السلاطين المتقدمين والمتاخرين ، وأديبهم وداهيتهم ، الذى انقادت له ممالك المغرب وممالك السودان الى نيل مصر . المرحوم المقدس بابا أحمد المنصورى ، فانه جمع من الكتب الفنونية فاوعى، وناهيك بمن احتوت خزانته العلمية على ثمانين وقرا من الكتب ، بحيث لايبلغه خبر مصنف اومؤلف في المشارق الى اقصاها والمغارب كذلك ، الا وأرسل الى مصنفه او مؤلفه ليبعث به اليه ، ولما توفي عام ١٠١٢هـ واستخلف بعده ولده المقدس علامة العلماء في زمانه على الاطلاق باتفاق ، بلانزاع ولادفاع . السلطان بابازيدان بن أحمد المنصور ، واستولى على الخزائن الملوكية ، ومن جملتها الخزانة العلمية ، فضبطها أحسن ضبط ، كما يفعله أحسن وارث سبط ، الى أن حصلت بينه وبين اخوته مخالفات أفضت بينهم الى مشاقاة وحروب فمن يومئذ توزعتها أيدى الخونة

ولما قام الثائر الفقيه العلامة أبو محلى عام١٠١٩ على الدولة الزيدانية ودنا من مراكش ، نقل السلطان بابازيدان بعض خزائنه الملوكية من الذهب والفضة ، والاحجار الكريمة ، ومن جملتها ستة وثلاثون حملا من الكتب الى ثغر اسفي ، فسلمها للقنصل الفرنسي هناك لما بينهما من الصداقة ، وأمر أن يحملها على باخرة الى السوس ، حيث يومن عليها ، فلما وصل بها الى (اكادير ايغير) تعرض له العدو الاسباني فيمازعم وانتزعها منه غصبا ، وذهب بها الى الاندلس ، ووضعها في بعض مكاتبها العلمية (١) الى هلم جرا .

١) هي الاسكوريال باسبانية ، والقصة مشهورة ، لاتزال هناك كتب كثيرة عليها خطوط زيدان وأهله ، من بقايا نار وقعت عليها

وباقي هذه المكتبة تفرق على أيدي الاخوة والاعمام وابنائهم ، حتى قيل أن كل كتاب قديم في المغارب الثلاثة بعد المائة والالف فاصله من الخزانة السعدية الزيدانية ، والبقاء لله ، واليه المصير

ولم يبق عندنا من تلك المكتبة ، لكثرة التنقلات المفضية الى التشتت، سوى نحو عشرين كتابا في هذا العصر الحاضر ، حافظنا عليها تبركا بأثر اولئك الاسلاف ، وتذكيرا للاحفاد والخلف واعتبارا :

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

ومن المكاتب الملوكية او الشبيهة بها ، مكتبة زاوية (ايليغ) في (تازروالت) التى أسسها المرابط بل الشريف الرئيس السيد علي بن محمد بن محمد بن الشيخ الولى سيدى أحمد بن موسى الشهير عند قيامه بالامر في شهور عام ١٠٤٠هـ (١) ويسمى عندنا بودميعة وأباحسون ، فجمع من الكتب (٢) عند القبائل من الذين لم يتركوا على خزائنهم العلمية خلائف العلم شيئا كثيرا . وأعانه على ذلك مساعدة الظروف الوقتية من قوة شوكته بالسوس وانسحاب نفوذ الدولة الشريفة السعدية عن تلك الاقطار ، بكثرة الثوار عليها في الانحاء المغربية ، مثل أهل زاوية الدلاء من جهة بربر تادلا والمولى محمد بن الشريف بـ (تافيلالت) وأبو دميعة هذا بالسوس ، وهو المذكور في التاريخ المتقدم . وءاخرين بشتى القبائل ، مثل الشيخ العياشي الذى يناوش حركات النصارى البرتغاليين بـ (البريجة) الجديدة الآن وتفاصيل أحوال الكل وتواريخ أيامهم مشهورة ، واستمرت خزانة الامير أبي حسون مجموعة ، وعلى نهاية التنسيق محفوظة موضوعة ، الى ان توفي نحو عام ١٠٧٠هـ وتولى بعده ولده محمد المسمى اوعلي (أي ابن علي) فتنكر لاهل السوس وتغير ، واشتغل بالظلم والجور ، فتصدى علماء السوس لمبايعة المولى الرشيد ، وضمنوا له الطاعة من جميع القبائل السوسية فتحرك المولى الرشيد الى السوس عام ١٠٨١هـ وجمع له صاحب (ايليغ) جموعا عظيمة في ظاهر الامر ، ولكن لم يلبثوا عند اللقاء الا فواق ناقة ، فخذلوه وانهزموا عنه مائلين راغبين في امارة المولى الرشيد والانتظام في سلك عدله ، فتقدم المولى الرشيد واخذ علماء الوقت بيده وأدخلوه (ايليغ) مقر أبي دميعة ، فلما دخلها تحرى وتورع عن خزائنها (٣) ولكن علماء السوس أطلقوا فيها يد النهب ، فنهبوا من خزائنها شيئا كثيرا

١) بل قام أهله عام ١٠١٨هـ وقام هو نحو عام ١٠٢٢هـ وقد كتبنا تاريخ دويلة الغ في جزءين وسطين يسر الله تخريجه ، ففيها أربعة امراء ابتدأت دويلتهم من نحو ١٠١٨هـ ودامت الى ١٠٨١هـ والكتاب سميناه (ايليغ قديما وحديثا)

٢) وكان أيضا يستنسخ كثيرا من عند الدلائيين وغيرهم

٣) الذى ثبت في التاريخ أن مولاى الرشيد أتى على كل شيء في (ايليغ) حتى هدم المباني كلها ، فكيف بعض خزانة الكتب ؟

واخذوا اكثرالمكتبة العلمية فتشتت لهذا الحادث ، وخرجت بالامر الذىدخلت به ، وكما يدين الفتى يدان (وجزاء سيئة سيئة مثلها) ثم بعد ذلك جمع أحفادهمنها شيئا كثيرا ، الى أيام الفقيه الشريف السيد محمد بن الحسين ابن هاشم منهم ، فصادف حدوث المطابع ، فاشترى شيئا عظيما ، الى ان توفى فى عشرة الثلاثين بعد الالف والثلاثمائة ، فتولى امرها الفقيه النجيب السيد على بن محمد الى هلم جرا •

ومن المكاتب العلمية مكتبة الشيخ العالم العلامة الرئيس الاجل ابى الحسن على بن عبدالله بنصالح الالغى المذكور من ذوى النفوذ العظام، فانه جمع هو وأخوه شيخ الجماعة فى وقته السيد محمد بن عبدالله من الكتب خزانة حافلة من أول نبوغ العالم الثانى أعوام التسعين من المائة الثالثة عشرة ايام السلطان المولى الحسن بن محمد وبنى مدرسته العلمية التى تخرج منها جماعة من العلماء والادباء (١) الىانتوفى الشيخالسيدمحمد بن عبدالله نحو عام ١٣٠٣هـ وتولاها أخوه أبو الحسن المذكور ، وأضاف اليها كتبا كثيرة من الخزائن السوسية ، وقد تقدم أن فيها من الخزانة (الكرسيفية) منالمخطوطات شيئا كثيرا ، ومن (الايليغية) أيضا وغيرهما ، ولما توفى الشيخ ابو الحسن عام ١٣٤٧هـ فى ١٦ ربيع الثانى منها ، ترك اولادا نجباء علماء فحولا شعراء منهم الفقيه العلامة السيد المدنى بن على ، وهو المتولى امر المدرسةوالتدريس فيها اليوم وقبله فى حياة والده المقدس ، ثم الفقيه السيد محمد بن على،ثم الفقيه السيد الطاهر بن على ، ثم الفقيه السيد الحسن ، والكل فى قيدالحياة علىمايرام والحمد لله ، والخزانة تحت ايديهم على السواء ، وقد أطلعت عليها كلها فى حياة الشيخ ابى الحسن لكثرة مخالطتى أياه ، وترددى اليهم ، كما انهم يصلوننى كثيرا ، وربما اتولى التدريس فى تلك المدرسة اذا حصل مانع يشغلهم عنه (٢)

ومن المكاتب أيضا مكتبة الشيخ العالم العلامة الشهير السيد الحاجعلى ابن أحمد الدرقاوى الالغى ابن عم المذكور ءانفا ، وهو قرين أبى الحسن المذكور فى العلم والصلاح والثروة والنفوذ العلمى ، بل زاد وفاق هذابتجوله فى البلاد المغربية والقبلية ، وله أتباع هنالك فى كل جهة ، وهو معظمعندهم وعند الجميع ، ولما توفى عام ١٣٢٨هـ خلفه أيضا اولاده النجباء ، ومنانجبهم الفقيه العلامة بلامنازع ، الصالح المصلح المؤدب الكبير الاديب السيد المختار ابن على بن أحمد المستوطن مدينة (مراكش) والموب بها زمانا كثيرا ، الى أن

---

١) فى هؤلاء(الفصل الاول) من (القسم الرابع) الاتى

٢) كان المترجم ينقطع الى (الغ) كثيرا ، وقد يتخذ له بيتا فى المدرسة هناك ، وقد ينوب عن الاستاذ سيدى المدنى ، حتى ان الاديب الطاهر اخذ عنه مبادىء الخزرجية •

نفته الحكومة الفرنسية (١) عام ١٣٥٥هالى (الغ) ولايزال به الى الانوسنترجم له انشاء الله بين ابناء جنسه ، ولازالت مكتبتهم محفوظة تحت يده هو واخوه الفقيه السيد محمد بن الحاج على مقدم القبيلة الالغية الحالى (٢)

ومن الخزائن العلمية مكتبة الشرفاء التمراويين من عنصر الشرف الرسموكى ببلدة (تامرا) بـ (انزى) وهىأيضا مكتبة قديمة ، وابتداؤها من عام .....

الى ان اضمحلت باضمحلال علمائها فى عاشرة الاربعين بعد الثلاثمائة والالف (١٣٤٠هـ) ولم يبق منهم الا العلامة السيد محمد بن عبد الملك التامراوى الانزى الرسموكى المستوطن فاسا اليوم وقد بلغه خبر وفاة عمه المتولى امر الزاوية . فلم يهتبل بأمر الخزانة وقد بلغنى أن تلك المكتبة صارت فى خبر كان ، لاستيلاء أيدى ربات الخدور على مخدراتها المكنونة ، بل بلغنى أن بعض أصحابنا وهو العالم العلامة الاديب السيد أحمد بن الحاج محمد اليزيدى المانوزى (٣) توصل اليها باسباب ، واشترى منها كثيرا مما فيه فائدة بثمن بخس دراهم معدودة ، وفرحت غاية الفرح شاكرا لله حين سقطت فى يدمثله المستحق لها ، وكان أحق بها وأهلها •

ومن المكاتب مكتبة زاوية تيدسى (أم الجريد) ، فان مؤسسها احد اجداد الفقيه العلامة الرئيس المرابط السيد عبد الحى الشهير ثم جمع اليها هذا واستوعب كثيرا من المخطوطات والمطبوعات ، لانه تجول فى أنحاء المغرب ، ووصل الى فاس ، واخذ عن علمائها مثل الشيخ كنون وغيره من الفاسيين ، وتولى رئاستى الدنيا والدين بالبلدان الهيلانية والهوارية الى تارودانت سنين عديدة ، وهو من أصحابنا ، وقد اطلعت على خزانته ، وطالعت ما تيسر منها ، وقد استمرت فى غاية من الحفظ الى أن توفى فى العاشرة الرابعة من هذا القرن ، وتداولها أولاده وبنو عمه الى اليوم • ولا أدرى ما فعل الله بها ، وهى قديمة من القرن العاشر ، لان العلماء أجداده يذكرون من أول ذلك القرن •

ومن المكاتب الوقتية مكتبة الفقيه العلامة الشريف السيد الحاج عابد بن عبد الله بن عمر البوشوارى التيفيراسينى من ذوى النفوذ العظيم المتقدم

---

١) نفهم من هنا أيضا أن المترجم جمع حياته هذه بعد هذه السنة ، ولعل ذلك نحو ١٣٥٩ هـ فى مكناس •

٢) هذه الخزانة صغيرة جدا ، وليس فيها الا المطبوعات ، ومخطوطات لا تصل ثلاثين ، وربما لايصل كل مافيها من مطلق المجلدات الى ثلاثمائة بين تفاسير وكتب صوفية ونحوية وحديثية وفقهية وطبية ، ولا ينبئك مثل خبير•

٣) ليس اليزيديون الايسيون من المانوزيين وان كان المترجم قد اجتهد أن يحشر فيهم من ليس من المانوزيين فى شىء •

ذكره ، المتوفى فيرابع شوال عام ١٣٤٠هـ (١) رحمهالله ، وتولاها ولـده تلميذنا وعـوض ولدنا الفقيه البركـة السيد الحاج محمد الى الآن وبعده ان شاء اللــه •

ومن المكاتب العلمية مكتبتا الاخوين الشقيقين العالمين العلامتين العاملـين السيدمحمد بنعبدالله أقاريض اليحيوىالصوابى، وأخيهالسيد الحاج أحمد فكل منهما جمع فأوعى ، وقد قدمنا أنهما ، لاسيما الحـاج أحمد ، أخـذ من الخزانة الجشتيمية شيئا كثيرا ، بعد وفاة الفقيه سيد عمرو بن الحاج أحمد الجشتيمى ، لما بينهما من المصاهرة وعـدم المنازع لهما فى ذلـك ، ولا زالت مكتبتاهما قائمتين ، وقد توفى السيد محمد أحد الشقيقين عام ١٣٥٢ هـ فى ٣ ربيع الاول منه ، وبقيت الخزانة تحت يد أولاده وأخيه الفقيه السيد الحاج أحمد الى اليوم ، ثم تولاها اولاده بعده •

ومن المكاتب ، مكتبـة اليعقوبيين الهلاليين ، مكتبة الفقيه الشيخ السيد محمد بن على اليعقوبى شارح المنهج واخوته ، أسسها والدهم السيد على بن سعيد المتوفى عام ١٢٦٤هـ (٢) وتوفى ولده العلامة الشيخ محمد بن عـلى عام ١٢٩٤ هـ ، وهـو علامة كبير القدر جليله ، لا يطار تحت جناحـه ، ثـم خلفهم فيذلك العلامة السيد الحاج عبد الحميد بن على بنمحمد بن على الى أن توفى نحو عام ١٣١٦ هـ ، فخلفه أولاده الفقيه الاديب السيد أحمد بن الحاج وأخوه السيد محمد بن الحاج عبد الحميد ، وقد اطلعت على هذه الخزانة عام ١٣٣٤هـ ، وفيها من المخطوطات شىء كثير صار اليهما من الخزائـن الهلالية التى اضمحل أربابها •

ومن المكاتب العظمى مكتبة بنى المسجد ببلاد هرغـة – ايـرغ – من اداكنيفضيف ازاءجبل الكست ، وهم مرابطون (آكرسيف امـانـوز) فـى الاصل ثم انتقل منهم الفقيه العالم العلامة المحقق المتفنن السيد عمر بن عبد العزيز بن عبد المنعم البوزيدى الكرسيفى الى (ايرغ) بعد تخرجه بالامام الشيخ الحضيكى المانوزى وغيره ، وبنى مدرسته هناك وتصدر فيها للتدريس وبث العلم ونشره ، والفتوى والارشاد وغـير ذلك ، وبعد صيته ، وانتشر ذكـره ، وجمع من الكتب خزانـة لا باس بها الى أن توفى عام ١٢١٤ هـ ، وخلفه أولاده الفقيه السيد عمر بن يحيا بن عمر ، والفقيه السيد ابراهيم ابن يحيا بن عمر بن عبد العزيز ، وتوفى الاول عـام ١٣٣٦ ، والثانى عـام ١٣١٩ هـ ، ولما توفى الفقيه السيد ابراهيم صارت بظهائرهـا فى خبر كان ولم يبق فيها أكثر من مائة مجلد ، وقـد اطلعت عليها حين توليت تدريس

١) بل توفى ١٣٥٠هـ فى اثنين من شوال
٢) بل توفى نحو عام ١٢٣٩هـ

هذه الزاوية المسجدية عام ١٣٣٥ هـ ، ووجدت فيها من تاليفه بخط يـده أزيد من عشرة مؤلفات فى كل موضوع ، فى الفرائض والحساب والحديث والتفسير والتعاليم ، وغير ذلك مما يدل على غزارة علوم هذا الرجل •

وقد طال بنا الكلام حتى خرجنا عن المقام ، ولنترك ذكر خزائن كتـب (أقـا) و (حصن الهنا) عند سادتنا بنى حسين ، وخزائن (الويدان) وخـزائن (هيلانـة) وخزائـن (اداونظيف) وهـوزالة (انـدوزال) و (اداوكنسوس) و (هرغة) و (وادى سوس) و (تبيوت) و (رودانة) و (هشتوكة) الى بلاد أيـت باعمران ، فان فى كل قبيلة من هذه القبائل مدرسة لمدرسها خزانة على نحو ماتقدم ، وقداطلعت على الجل أيام الطلب من كثرة التنقلات فى هـذه الانحاء زمانا كنا فيه كما قال ابن زريق البغدادى :

ماءاب من سفر الا وأزعجه ... رأى الى سفر للبين يزمعه

ولنرجع الى مانحن بصدد تتبعه من سفرنا ، فاننا لما خرجنا من بـلـد (تيان) المذكورة ، طلعنا مع جبل (الكست) قاصدين (تاوودانت) عـلى وزن (تارودانت) وجعلنا على طريقنا بلدا يسمى (ءانمالوس) ثم سلكنا بعده قبيلة صغيرة ذات مدرسة علمية تسمى (تيكشيران) ولم يتجاوز عدد سكانهامائـة عائلة ، وقبيلة بنى باحمان المتكونة من مائتى عائلة ، وأهل تاوودانت شرفاء ادريسيون •

ولمااشرفنا على (تاوودانت) فى محل اسفل منا وهد ، جلسنا للاستراحة قليلا ، مسرحين أبصارنا وبصائرنا فى أشجارها ومائها ومناظرها الجميـلة الجبلية ، فغشيتنا جلالة ومهابة من تلك الجبال المكسوة بالخضر ، مـن تين وأعناب ولوز وكنارية (التين الشوكى) وغيرها منأنواع الفواكه ، ولمااسترحنا مقدار نصف ساعة ، هبطنا اليها من الجبل ، فى مضيق وعر صلـب ، باليد والرجل معا مخافة السقوط فى بهموته ، ونهبط على احجار وأخشاب منصوبة هناك بينصلد وصخر لاخر ، الى أن وصلنا للارض ، وهبطنا تحت الوعر على غدير ماء يدهش العقول فتحيلنا للجواز فى جوانبه الى ان جزناه ، ولايجوز فيه الامن لهجنانثابت ، وجاش جامع ، متوكل على مولاه الذى يحيى ويميت فحمدنا اللهعلى النجاة ، ثم قصدنا المدرسة (التاوودانتية) فدخلناها فى وقت الاصفرار ، ورحب بنا مدرسها الفقيه المرابط السيد محمد التبييوتىالملكى من أيت ملك الهشتوكى ، وفرح غايـة الفرح والسرور بنا ، بعدمـا سالنا فانتسبنا له ، وكان شقيقه الفقيه السيد ابراهيم معاصرى بالمـدرسة (الادا ومحمدية) وسألنى عن أحواله ، ولما أدينا العشاء قدم الينا (مفتوح عينها)(١) فى موائد لم تخل عن كل نوع ولون من الاطعمة والفواكه ، فأفضنا فىالمذاكرة

١) يعنى العشاء بفتح العين

العلمية ، فوجدته متشبعا فى فنى العربية والفقه ، وهما بضاعته ، وله كرم زائد • وطيب أخلاق • وعمره حينئذ يناهز الستين ، ثم بعد ذلك توفى ، ولعل وفاته فى عام ١٣٣٦هـ فلما أصبحنا طلبنا منه الوداع والدليل ، فعزم علينا بالمكث لانتظار الافطار ، فلم ننشب أن قدم الينا مائدة من خبز وطاجن وسمن وعسل وفاكهة وأوانى الاتاى ، فأفطرنا واشتركنا الدعاء ، وشيعنا أميالا وانصرفنا قاصدين مدرسة (فوكرض)

قد ذكرنا أن أهل (تاوودانت) غالبهم من الشرفاء الادارسة ، وقد ادتهم التنقلات هنا وهناك الى ان استوطنوا قبيلة (أمانوز) أوائل القرن الثامن تحت جبل يسمى أمقسو بوادى (لكوسة) فى أرض ذات اودية وعيــون وأشجار وكروم ، فأقاموا هنالك ماشاء الله ، الى ان كثروا وأثروا وتناسلوا ، فطغت عليهم قبيلة (مانوزة) من جملة من طغت عليهم من جبل (تاحوكات) فطلبوا منهم أن ينخرطوا معهم فى سلك جزولة وعدادها وأن يتركوا لكوسة قبيلتهم فابوا فأكثروا عليهم النهب والقتل والاسر ، شأن غيرهم من (تاحوكات) ومن انتمى اليهم ، لكون هاتين القبيلتين متعاديتين منذ قرون طويلة ، وأحقاب كثيرة فلما ضعفت (لكوسة) عن مقاومة قبيلة (امانوز) استسلم اكثرهم للانخراط فى سلكهم ، والانتظام فى عقدهم وعددهم ، وكره آخرون ، وانتقلوا متفرقين فى أنحاء الارض • فأما أهل (تاوودانت) هؤلاء فقد انتقلوا الى موضعهم الان بجبل (ايت صواب) وهم فيه الى هلم جرا

وكان انتقالهم كليا اواسط المائة الثانية عشرة والف فــى أيام السلطان المولى عبدالله بن اسماعيل الفيلالى ، ولازالت رسوم ديارهم وربوعها وجامعهم هناك الى الان ، وهى الان على يد بنى حصن القلب وبنى أوكنال وغيرها، وفى ملكهم وحوزهم ، وكثيرا ما اجتاز عليها لكونها مسلوكة فى طريق القبلة ، فاقف معتبرا منشدا قول من قال حين وقف على البديع السعدى بمراكش :

ديار بأكناف الملاعــب تلمع	وما ان بها من ساكن فهى بلــقــع
ينوح عليها الطير من كل جانــب	فتصمت أحيانا وحينا ترجــع
فخاطبت منها طائرا متقلبــا	لــه شجن فى القلب وهو مروع
فقلت على ماذا تنوح وتشتكى	فقال على دهر مضى ليس يرجع

وأما (لكوسة) فجلهم قد انتقل الى جبل (درن) بالمنيزلة أيام السلطان مولاى عبدالله بن اسماعيل ، وعددهم مائة وثلاثون كانونا ، فى (المنيزلة) ٥٠ و عين (بكرسة) ٣٠ و (اداوزال) ٥٥ ولازالوا الى الان يسمون لكوسة وعليهم شيخ من انفسهم وأنفسهم يسمى هاشما ، ولازالت المواصلة تجرى بينهم وبين من بقى منهم بـ(مانوزة) وهم أيت (فم الحصن) ويقدر عددهم اليوم باربعين أسرة •

ومن وادى (لكوسة) انتقل اليها الشيخ الامام الولى الصالح شيخ الجماعة فى وقته السيد محمد بن ابراهيم اللكوسى التامانارتى الى (تامانارت) فــى حياته وتوفى بها ، وروضته هنالك مزارة عظيمة وله موسم عظيم تاتيه الرفاق من جميع الآفاق ، ويشهدونه ويشاهدون بركة عظيمة ، وله فيها عقب ونسل كثير الى الان ، وهم مرابطوا القصبة • وكانت لهم الرئاسة هناك زمانا طويلا بحصن (تامانارت) من قبل رهط (تاحوكات) الى ان طم عليهم عباب جزولــة فهجموا عليهم فى حصنهم ، وقتلوا بعضهم ، ونجا البعض فارين الى القصبة وتولى مكانهم اسلاف القائد البشير الحالى بن عمر بن الحاج أحمد الشريف الكثيرى أصلا ، من ذوى كثير ، بجبل (لكوسة) المنتقلين من فاس ، بسبب فتنة موسى بن العافية المشهورة • وهم من الادارسة ، فولتهم جزولة أمر هذا البلد أيام المولى الرشيد (١) ثم عزز رئاسته بعد ذلـك بظهائر سلطانية الى الان وبعد ، وكانت بينهم وبين المرابطين المذكورين فتن يطول عددها ، وقتــل وتخريب لايمكن حدها ، ويستنفر كل واحد شيعته وحزبه ، ثم كانت العاقبة للقائد الكثيرى ، فغلب على الحصن ولازال به الى اليوم •

وينتسب جمهور (لكوسة) الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وبيدهم عمود نسبهم (٢) فى ولاداتهم ورسومهم ، وتقدمت فيهم فطاحل من العلماء المحققين والمدرسين المتقدمين ، وقد ذكر منهم الشيخ الامام محمد بن أحمد الحضيكى جماعة كثيرة مدفونة فى المقبرة اللكوسية المشهورة فى ذلك الوادى ولازالت الهيبة العلمية عليها بادية ، ولم تخل عنها مع طول الزمان فى تلك البادية ، وقلما مر على وأنا حاضر شهر الا وأنا زائرها ، معتبرا وواقفا منشدا قول على رضى الله عنه – على ماقيل – على جبانة الكوفة :

سلام على أهل القبور الدوارس	كانهم لم يجلسوا فــى المجالس
ولم يشربوا من بارد الماء شربــة	ولم ياكلوا ما بين رطــب ويابس
ألا فاخبرونا أين قبر ذليلــكــم	وقبر العزيــز الباذخ المتشاوس

أما نساهم الذين هم بـ (فم الحصن) بـ (أمانوز) اليوم ، فقد انقطع عنهم العلم منذ زمان طويل ، مقداره تقريبا مائتا عام فأكثر ، لاشتغالهم بالحروب الجزولية ، وقد هزموهم مرارا الى ان انخرطوا فى سلكهم كما تقدم ، وقــد ذكرنا فيما تقدم مابينهم وبين قرية (ءاوالا) من كثرة الفتن المستمرة مــن زمن السلطان سيدى محمد بــن عبدالله العلوى ، الى عصر السلطان سيدى

---

١) بل تولوا من عهد السعديين • وتوجد تراجمهم فى (القسم الخامس) وهناك التوسع فى الكلام حولهم ان شاء الله

٢) يجد القارىء ذلك فى ترجمة الفقيه سيدى محمد بن ابراهيم الافرانى المسكن التامانارتى الاصل فى (القسم الثالث) من هذا الكتاب ان شاء الله •

محمد بن عبد الرحمان عام ١٢٧٨هـ واما اولاد الشيخ محمد بن ابراهيم المذكور فقد استرسل فيهم العلم والدين والصلاح ، شان جدهم الى الان • وقدتقدم فيهم فحول من العلماء النظار ، وذكر منهم (الحضيكى) فى (طبقاته) غيرواحد ، ومازال فيهم من يجعل الله فيه البركة اليوم ، ومنهم العالم العلامة الاستاذ الطاهر بن محمد بن ابراهيم البكرى الافرانى وطنا ، شيخ الجماعة اليوم بالسوس الاقصى بلا مدافع ، وشاعر المشرق والمغرب بلا منازع ، وولداه العلامة السيد محمد بن الطاهر ، والسيد عبدالله بن الطاهر ، وهو شيخنا سماعا واجازة عامة مطلقة ، وقد بقيت من علمائهم بقية بقصبة (تامانارت)(١)

ولما خرجنا من مدرسة (تاوودانت) حسبما تقدم افضى بنا الطريق الى جبل وشعاب (أيت صواب) الى أن وصلنا الى مدرسة (تانالت) فاسترحناقليلا فاذا بعض طلبتها من ثقات أصحابنا ، قدبصرينا فى بعض زواياها ، فعزمعلينا أن نتناول من طعامه ، فساعدناه وذهبنا الى بيته فى المدرسة ، فقدم اليناامن اللحم والخبز والسمن والعسل ، وورد علينا فيه جماعة كثيرة ممن عرفناهم لكون الزمان زمان استراحة ، أيام الاربعاء والخميس ، والفقيه اذذاك غائب وهو الفقيه السيد محمد بن عبد الله أقاريض الصوابى البحياوى فاسترحنا هناك وصلينا الظهر ، وانصرفنا شاكرين لله ولهم وودعونا توديع مشوق لمشوقه ، وعاشق لمعشوقه ، وقطعنا (ساقية صنهاجة) تحت المدرسة ، وهى بلادبين الجبال • ملتفة بالاشجار • من زيتون وأنواع الفواكه ، فلاتسمع فيها الاخرير العيون فى الاودية ، وتغاريد أطيار مشجية ، ولكن ماؤها وهواؤها وخيم ، ولكثرة المكروبات لايخلو ايضا ، مثل ساقية توشكا على بعد منه بنحو أربعين كيلومترا ، من الامراض الحموية والتيفوس ، كما ذكرنا عند التعرض لها ، وطلعنامعجبلها القبلى العالىالمطلعليها قاصدين (فوكرض)ثم سلكنا قبيلة (ايكيسل) ثم طلعنا جبلها القبلى العالى المسمى فجة ازكزا (تيزى ايزكزا) ولما طلعنا على ذروته جلسنا للاستراحة فوق صخور عظيمة فى الموضع الذى قتل فيه الحاج احمد اليربوعى (الانزيضى) المانوزى من (أفرا) وقصته أن (أيتسى) الزمورى ، وكبيرهم الحاج أحمد بن سى واخوانه كانت بينهم وبين (أيتأفرا) ــ اليرابيع ــ عداوة كبيرة افضت الى القتل والتخريب ، فلما كان زمان الذهاب الى حج بيت الله الحرام ، استعدتجماعة من قبيلة (أمانوز) لاداء هذه الفريضة ، وفيهم الحاج أحمداليربوعى الافراوى المقتول ، وذلك عام ١٣١٨هـ فخرجوا من (أمانوز) باحتفال الناس واحتفائهم على عادة الزمان من الاحتفال فى تشييع حجاج بيت الله الحرام ، وقدسلكوا الطريق الجوفية حوالى البلد ، وخرج الكبير والصغير والذكر والانثى معهم وكنت اذذاك فيمن خرج وأنا ابن اثنتى عشرة سنة ، وكانت لهم ضجةعظيمة

١) يجد القارىء اسماء علمائهم فى (القسم الثالث) ان شاء الله

بالتسبيح والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، مع الخضوع والخشوع والبكاءصار مكاء ، ووجوههم كأنما البست تلونات الحرباء من تلون الاشواق وقصدوا زيارة اولياء مقبرة (اكرسيف) فلما وصلوا وانحشر اليها الناس من كل جانب ومكان ، وذبحوا هناك ودعوا الله تعالى مخلصين له الدين ، وتواصوا هناك ، وتودعوا ورجع الجل من الناس الى منازلهم ، وبقى مع كل حاج أهله وعشيرته الاقربون الى (أيت أمار) بـ (تاهالا) فرجعوا أيضا وبقى الحجاج مع أثقالهم ، فلما وصلوا فجة (ازكزا) الموضع المذكور ، وكان الحاج احمد بن سى المذكور وولده صالح وأصحابه من (بنى سنتر) مترصدين هناك الحجاج ، لقتل مطلوبهم الحاج أحمد اليربوعى المذكور ، فلما توسطوهمرموه بالرصاص من بين الحجاج ، فسقط ميتا والعياذ بالله ، وهربوا مخافة قبيلة (ايتصواب) لكون الموضع موضعهم ، وهم المسئولون عنه فى القوانين السوسية ، ولم نسمع فى التاريخ المتقدم بالسوس الاقصى منخفر جوار بيت الله الحرام ، ولاذمة رسوله صلى الله عليه وسلم قبل هذا اليوم ، ولميستح هؤلاءالناس منالله ورسوله ولا من المومنين ، نعم أنهم منجهة الشرعمعذورون والحق لهم ، والمقتول موتورهم ، ولهم عليه القصاص فى أى موضع أصابوا فيه غرته حتى فى الحرام ، قال الشيخ خليل وغيره من المتقدمين والمتاخرين (ويوخذ المقتص منه ولو فى الحرام واخرج منه عند القتل لئلا يلوثه لان روحه مباحة لما ترتب عليه) على ان الذين فعلوا هذهالفعلة وهم بنو(سىأزمور) صاروا عند الناس خاصة وعامة ممقوتين من ذلك اليوم ، رغما عن كونهم أسرة شرقية عربية أموية عثمانية ، فمن يومئذ تقهقرت أحوالهم الى السوراء حتى تدهورت أعوام ١٣٤٠ هـ بالكلية ، بعد ما كانوا عليه من الغنى والعز والجود والكرم • وقيل ان لله غيرة على حرمه وأهلها وأن قصروا ، لاسيما حرم سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، وقد كان عاقبة قاتليه ان والدهم الحاج أحمد مات شريدا فى بعض البلاد الغربية (١) ووولده صالح سقطفىبئر يستقى منها لبهيمته وقت الدراس ببلد المقتول (افرا) ومات بهاولم يتفطنله أحد ، حتى فاظت روحه ، والبهيمة واقفة على البير ، وبقى اولاده واولاد أخيه وأبناءعمه فى الذلة والمهانة والفقر •

ولما استرحنا هناك هنيئة وقد دنا المغرب تاهبنا واخذنا فى المسير ، قاطعين حقول وسواقى بلدة (أمالو) (اى الظل) ، والتقينا ببعض الاحبة الناءها ، وعرض علينا البيات والضيافة على العادة ، فجازيناه خيرا ، وشيعنا الىأن خرجنا منأرضهم ، وأشرفنا على مدرسة أيت يحيا (فوكرض) ورجع

١) تدل كلمة الغرب فى اطلاق أهل سوس على مراكش فما وراءها من المغرب نفسه •

فتقدمنا ودخلنا اولا الى الولى الصالح السيد عبد الحق صاحب القبة عن قبلة المدرسة ، ووهبنا له ثواب ماتيسرت قراءته من القرءان الكريم ، ودخلنا المدرسة ، فخرج للقائنا الفقيه العلامة السيد الحسن التدرارتي الباعمراني ورحب بنا ، ولما فرغنا من صلاة المغرب ومايتبعها تقدم بنا الى محل الضيافة وهو يومئذ مصرية تحتية ، اذ لم يكن يومئذ غيرها ، وقد اجتزنا بها بعدذلك فوجدنا بناء كبيرا زائدا على كل ماكنا رأينا ، لاسيما عام ١٣٥٣هـ أيام الاحتلال وقدساقتنى القدرة اليها لبعض الشئون ، فأضافنى رئيس القبيلة وشيخها هناك ومدرسها أيضا ، وهو الفقيه السيد العربى بن الحاج عبدالحميداليعقوبى الذى أفاض على سجال الانعام ، من أنواع الاطعمة والفواكه والعلوفات جزاه الله احسن الجزاء ، وقد مدحته بابيات رنانة فرح بها غاية

وأما الفقيه السيد الحسن المذكور فانه أيضا قدم لنا من النعم ماغمرنا به، جزاه الله خيرا ، وقد جرت بينى وبينه مذاكرة علمية ، فوجدته علامة أديبا مشاركا • لاسيما فى العلوم الرياضية والهياة والنحو والملغة والحساب والفقه ، وبضاعته فى الحديث مزجاة (١)

ولما أصبحنا وافطرنا تودعنا معه وانصرفنا شاكرين ، وهبطنا سالكين طريق (ايغرم) ووصلناه قريبا فلقينا رجل من الاخوان يسمى المقدم أحمد فأقسم علينا أن نتغدى عنده ، فساعدناه ودخلنا فتغدينا ، وانصرفنا جاعلين (تامضلوشت) على طريقنا الى (تيرمتمات) الى (تاهالا)

ومما اتفق لى فى عام ١٣٣٧هـ وانا مدرس بمدرسة سيدى مسعود أفولوس (الديك) النظيفى اننى فى بعض قدماتى الى (امانوز) مسقط رأسى قد وصلت الى وادى (تامضلوشت) هذه ، فوجدته حاملا من السيول مالاطاقة لى به ، فحصرنى عن العمارة ، والليل قد اقبل ، والنهار قد أدبر • والظلام قدأرخى سدوله • والطريق مخوفة • وأنا ثقيل لكونى حاملا مالا له بال من الريال الناقص الحسنى فى مزود ، فجلست على شاطىء الوادى انتظر جزره ونقصانه ، فأبت الرياح والصواعق والرعد وانهمار الامطار الا طغيانه ، فاستولى على جنون الشبيبة ، والجنون فنون ، فحدثتنى النفس بخوض ذلك السيل الجارف ، فتقدمت اليه وتعلقت بشجر خروع فى وسط لجة ماء • وجعلت مزود المال على عاتقى وقد اثقلنى ، ثم بعد ذلك وثبت الىموضع عال قليلالسيل ، ثم وقفت وأصلحت من شأنى ، وشمرت عن عزمى وحزمى • واستحضرت ذهنى وجاشى ثم خضت وسط الوادى وقد بلغ السيل حلقومى ثم سقطت فى موضع غائر وجرفنى السيل وساقنى مقدار غلوة ، على اننى

١) فى (الفصل الاول) من (القسم الرابع) أشباع الكلام على كل رجال تادرارت العلماء ان شاء الله

لم اخرج عن شعورى ، بل تعلقت بذراعى وشددت على مزودى اكثر مما كنت ، وعندئذ دعوت الله قائلا «لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين» فاذا شجر خروع عال عارضنى فتعلقت به تعلق الغريق ، متمكنا من الطلوع الى موضع عالقليل السيل ، فطلعت واصلحت حالى ثانيا ، ، ووقفت والماء تحت السرة لخفة السيل هناك ثم ندمت على ما فعلت ، فحدثتنى النفس بالوقوف هناك على تلك الحال تارة حتى يذهب معظم السيل ، وتارة بالعبور الالايزداد الوادى بازدياد الامطار فى النواحى البعيدة ، كل ذلك والليل قد ضرب بأطنابه ، والوادى قد أقبل بعبابه ، ولامغيث ولامطلع الا الله سبحانه وما اكثرالطافه ، ووقفت مقدار ساعة الىأن تمكنت العشاء ، فاحسست بضعف سورة الماء ونقصانه عن مواضعه ، وعلمت أن السيل بعد حين يذهب معظمه وقوته ، وأيقنت بالنجاة من تلك التهلكة التى القيت فيها بنفسى ولم أعتبر بقوله تعالى «ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة واحسنوا» ولكن «لن يصيبنا الا ما كتبالله لنا» ثم حدثتنى النفس ايضا بالتقدم للعبور ، والبدر فى ذلك كله قد ألقى أشعته على صفحة الماء ، وللسيل حس زائد كأنه الرعد القاصف • لكثرة الصخور والحجارة والمغائر فى بطن الوادى ، ولما تحققت نقصانه باشتداد حسه ، تذكرت أمثال العامة فيمن كثر سكوته ، وفيمن كثر كلامه ومنها قولهم : (الوادى الساكت أشد خطرا من الخرخار) لان التكلم يبرز ما فى نفسه ، بخلاف الساكت فانه لايعلم مايريد ، ثم تقدمت فعبرت الى كل ... ورى على الصخور العظام ، بحيث لو سقطت عنها لهلكت الى ان وصلت الى الوادى ، ثم وقفت أيضا قليلا حتى استرحت ، ثم اندفعت أيضا ووثبت على بعض الصخور ، ثم احسست بنقصان ظاهر فى الوادى ، فعبرت الى ان وصلت الشاطىء ناجيا وتاليا قوله تعالى «رب انزلنى منزلامباركا ، وأنتخيرالمنزلين» وذهبعنى بعد قرعسن الندم ماغمرنى من التحير ، تاليا قوله تعالى «ومن عاد فينتقم الله منه» ، وسبب كثرة سيول هذا الوادى انسياب جميع اودية تلك النواحى عليه ، وهو مركز جامع لها ، ولما أصلحت شأنى انطلقت الى حال سبيلى فرحا مسرورا ، لما نجانى الله من هذا السيل العرم ، متمثلا بقول ابن حمديس الصقلى يصف خرير الوادى بين الصخور وفوق الحجارة :

ومطرد الاجزاء تصقل متنه ... صبا أعلنت للعين ما فى ضميره
جريح باطراف الحصا كلماجرى ... عليها شكا اوجاعه بخريره
كأن جبانا ريع تحت جنابه ... فاقبل يلقى نفسه فى غديره

وتقدمت لقرية (تامضلوشت) بعد انصراف الناس من صلاة العشاء فوجدت جماعة من أهل البلد ممن صلى مع الامام ، مازالوا جلوسا معه بباب المسجد ، فسلمت وتعارفنا ، ففرحوا بنا ورحبوا ، ثم اندفعوا لسؤالى عن كيفية اجتيازى للوادى ، فمنقائل انك طائر ومنقائلانك تمشى على الماء ومن ومن ، غير ان الجميع قد استحال عنده الجواب المعتاد بدونهلاك ، فحكيتلهم

الواقع من اوله الى اخره ، فحمدوا كلهم الله تعالى على لطفه بنا وهو اللطيف بعباده

ثم راودونى على الذهاب معهم للمبيت في البلد ، فابيت الا البيات مع الامام في المسجد ، وأخذ الراحة والجمام معه في مسجده ، وكـــان له المام بالعربية والفقه والادب فأنزلنى فى بيته وجاء كل واحد من أولئك الرجـال بالعشاء المختلف النوع ، خبزا وكسكسا وعصيدة وسكرا وآتايا ، قضينا هنيئة من الليل ، وانصرف الجميع كل الى داره (١) ، فلما أصبح الصبح ، وفرغنا من صلاته وحزبه • تودعت مع من حضر • وشيعنى الامام الى بلدة (تيرمتمات) حاملا أثقالى ، وتودعت معه هناك بعد خروج بعض أصحابنا هناك نائبا عنه ، وسار فى صحبتى الى قرية (ايتمار) حيث موضع الاخوان والاصحاب ، فنزلـت عـلى حبيبنا الفقيه السيد محمد من (أيت اومغار) وداره بازاء المسجد ، وبت هناك مكرما معظما ، وحضر الضيافة غالب أهل البلد ، ولما أدينا صلاة الظهر غده ارتحلت مع بعض الاصحاب حاملا اثقالى الى البلد ، ووصلت قبل المغرب ولله الحمد على ماهدانا اللهم اجعلنا لك من الشاكرين •

ولما وصلت البلد فى هذه السنة المذكورة وهى السنة التاسعة والعشرون أقمت فيه نحو شهرين فى دارنا ، بين الاهل والاخوة والاخوان والاعمام والعمات ثم انزعجت قلقا للطلب ، فحدثتنى النفس بالرحلة الى (تحت الحصن) بالـغ للتلقى من الشيخ العلامة الربانى المجاهد الكبير السيد على بـن عبدالله بـن صالح ، فى مدرسة زاويته هناك ، وتسوقـت سوق الاحـد بـ (تاهالا) بقصد مصاحبة بعض الاصحاب هناك الى (الغ) فاجتمعنا هناك بالسيد محمد بن عابد من بنى العالم الغازى الكرسيفى ، وذهبنا معا الى ان وصلنا مدرسة قبيلة ايغشان فدخلناها وقت العصر ، ورحب بنا الفقيه العلامة الاديب البارع السيد عبدالله ابن محمد بن عبدالله الالغى بن أخى صاحب زاوية (تحت الحصن) وابن مؤسسها أولا ، كما تقدم ويأتى ان شاء الله ، فلما اجتمعنا به وسألنا وانتسبنا له فرح غاية الفرح ، ووقعت بيننا وبينه مذاكرات علمية ، وكان علامة اديبا شاعرا مفلقا له اطلاع كبير على الفنون الادبية وممن تشير اليه بذلك الاصابع فوقعت بينى وبينه مقطعات شعرية ، ومساجلات أدبية ، ومما خاطبنى به قوله :

أمحمد الندب ابن أحمد من غـدا ... فذ السيادة والمجادة اوحدا

لك فى القلوب مهابة اوتيتها ... ومكانة تقذى العدى لن تجحدا

ايه فقد حزت العلا عن رغم انـ ... ـف الحاسدين وفقت أنت الفرقدا

وقد أجبته بأبيات تاتى ان شاء الله (١)

---

١) كانت هذه الحالة معتادة فى بعض القرى السوسية متى طرق ضيف مسجدهم ، يأتى كل واحد بما تيسر ان كان الضيف غريبا ، وأما ان كان لـه معاريف فى القرية فانه ينزل عندهم . وفى بعضها يوجد من هرى الجماعة ما يكفى الضيف

٢) كان ينوى ان يذكر فى سجل آخر حياته هذا مساجلاته مع الادباء، ولكن ذلك لم يقدر له

ولما اصبح الصباح كشفنا له عن القصد الذى قصدناه من رحلتنا • فاخبرنا بان الفقيه المذكور وهو عمه السيد على بن عبدالله قد أصدر أوامره بنقصان طلبة مدرسته ، لكثرتهم وشدة المسغبة فى هذه السنة ، وانه لايقبل الزيادة على مابقى عنده ، فاستغفرت الله ورجعت عن ذلك الى الدار ، ولما هممت بالوداع ، حملنى على المقام عنده اياما ، والمذاكرة من دون صحابتى ، فأنفت من المقام مراعاة لحرمة صحبة السفر ، والفراق فيه دون الوصول الى أوطان الجميع ، فاعتللت له بذلك ، وواعدته العودة بعد ذلك ، ولما لاح وجه غراب البين • والدموع تنهل مثل مكنون اللؤلؤ من مآقى العين ، ودعنى بعدما اخذ القرطاس والقلم بقصيدة اوشبهها ، وهى ألذ من وصل الصب لمحبوبه فى الكرى والحلم ، ملتزما فى أشطار قافيتها الاتيان بلفظة مـن الشلحة السوسية نصها :

محمد بـن أحمد بـ (أوالا) ... متى تدور فى ذراكم (تاوالا)(١)

واسال الله الكريم (اديوى) ... يوم زيارة يداوى (الحبنيوى)(٢)

فتشتفى الاحشاء من (أماركى) ... والعين من دمع بها (كانكى) (٣)

وترتـوى أكبادنا مـن (ايريفى) ... وتنزوى عن القلوب (تاغوفى)(٤)

لولا الضرورة لما (راك اجغى) ... تذهب اذ ودك بى قد (امغى)(٥)

لكننى اودع قلبى (تولغوين) ... لكم وان قد طرتم بـ(تيفراوين)(٦)

ثم عليكم مـن سلامى (كيكانـى) ... ياسيدا مطهرا مـن (اركنى) (٧)

فتودعنا واشتركنا الدعاء على نية العودة اليه والعود احمد ، ورجعت الى البلد ، ولم أقم الا أياما حتى خطر ببالى شد الرحلة الى زاوية (تيمكيدشت) لتنبيه بعض الاصدقاء الى ذلك المقام •

الكلام على المثل : العود احمد واول من قاله

ذكر الشيخ أحمد بن خالد الناصرى شارح (شمقمقية) ابن الونان عـنـه قولها :

وعد لما عودت من بذل اللهى ... والعود احمد لكل مملق

---

١) أوالا : بلد الكاتب وتاوالا : النوبة

٢) اديوى : أن يأتينى ، لحبنيوى : حبى

٣) أمارك : التشوق ، وأنكى : السيل

٤) ايريفى : العطش ، وتاغوفى : الغمة

٥) راك اجغ : أن أتركك ، امغى : نبت

٦) تولغيوين : الامشاج ، وتيفراوين : الاجنحة

٧) كيكانى : كثيرا ، واركان : الوسخ

مانصه : اختلف في أول من قال العود احمد ، فقيل مالك بن نويرة اليربوعي حيث يقول :

جزينا بني شيبان أمس بقرضهم ... وعدنا بمثل البدء والعود احمد

والاصح أن أول من قاله خداش بن حابس التميمي ، وذلك أنه خطب فتاة من بني ذهل ثم من بني سدوس يقال لها الرباب بعد ان هام بها مدة ، ثم أقبل يخطبها ، وكان أبواها يمتنعان لجمالها وميسمها ، فردا خداشا ، فاضرب عنها زمانا ، ثم أقبل ذات ليلة راكبا ، فانتهى الى محلتهم وهو يتغنى ويقول:

ألا ليت شعرى يارباب متى أرى ... لنا منك نجحا او شفاء فاشتفي
فقد طالما عنيتني ورددتني ... وأنت صفيي دون من كنت اصطفي
لحى الله من تسمو الى المال نفسه ... اذا كان ذا فضل به ليس يكتفي
فينكح ذا مال دميما ملوما ... ويترك حرا مثله ليس ينتفي

فعرفت الرباب منطقه ، وجعلت تسمع اليه فحفظت الشعر ، ثم أرسلت الى الركب الذين فيهم خداش ان أنزلوا بنا الليلة فنزلوا ، فبعثت الى خداش ان قد عرفت حاجتك فعد الى خاطبا ، ورجعت الى أمها ، وقالت يا أماه : هل أنكح الامن أهوى ، والتحف الا من أرضى ؟ فقالت بلى ، فما ذاك ؟ قالت فانكحيني خداشا ، فقالت وما يدعوك الى ذلك مع قلة ماله ؟ فقالت اذا جمع المال السيء القبيح الفعال ، فقبحا للمال ، فأخبرت الام أباها بذلك ، فقال ألم نكن قد صرفناه عنا فمابداله ؟ فلما أصبحوا غدا عليهم خداش فقال بعد ان سلم : العود احمد ، والمرء يرشد ، والورد يحمد ، فارسلها مثلا • والقصة طويلة فليراجعها من أرادها هناك • ثم قال : نقل الشيخ اليوسي في (زهرالاكم) أن عبد الملك بن مروان رحمه الله قال لحاجبه : هات بدرة من المال ، فوضعها بين يديه ، وقال لمن حضر من وجوه العرب : أيكم انشدني صدر هذا البيت (والعودأحمد) فله هذه البدرة ، لم يكن فيهم من يعرفه ، فقال للحاجب : اخرج وانظر من بالباب من العرب ، فخرج فاذا بفتى طال مقامه هناك لظلامة بينه وبين أبناء عمه ، فلما سال قال له الفتى أنا احفظه فقال له انشدنيه فقال لا الابين يدى أمير المومنين ، فاعلمه الحاجب ، فقال لئن دخل ولم ينشدنيه لاعاقبنه ، فدخل فذكر ظلامته في خبر طويل ، فأمر برد ضيعته ثم انشد لاوس بن حجر

جزينا بني شيبان صاعا بصاعهم ... وعدنا بمثل البدء والعود أحمد

فقال أخطأت ، فقال ياامير المومنين أبلعني ريقي ، فقال أبلعتك ، قال قالت اليمن أنه بيتها ، قال امرؤ القيس :

فان كنت قد ساءتك مني خليقة ... فعودى كما نهواك فالعود احمد

فقال اخطأت ، فقال ياامير المومنين قالت ربيعة انه بيتها ، قال المرقش :

واحسن فيما كان بيني وبينه ... وان عاد بالاحسان فالعود أحمد

فقال أصبت ، وانك لظريف ، فممن انت ؟ فقال انا من حي جانب عجرفة قيس ، وعنعنة تميم • وكسكسة ربيعة ، وطاطاة اليمن ، وتانيت كنانة • انا امرؤ من بني عذرة • فامر له بالبدرة ، والاشعار في هذا الباب طويلة

الرحلة إلى (تيمكيدشت)

سافرت الى زاوية (تيمكيدشت) في ١٦ رجب (١) عام ١٣٢٩هـ على طريق بلد (اوكضيشت) مع بعض الاخوان ، قاصدا سوق الجمعة وهو يومئذ بقرية (تينزكيت) قبل انتقاله الى موضعه اليوم ، بمقربة من الجندلة (تالوست) وسبب انتقاله أن أهل (تينزكيت) قد تضرروا به من كثرة اختلاطهم للديار • وكثرة الدخول والخروج ، واختلاط الرجال بنسائهم ، وكثرة افسادهن ماديا وأدبيا ، بحيث يختلسن من مدخرات الشعير والذرة والتمر والاثاث ويبعن خفية من غير جدوى بثمن بخس ، فقاموا لذلك مشتكين على القبيلة ، فامتنعت أولا ، ثم بعد أن تسوق الناس في بعض الايام خرج أهل البلد عليهم بالسلاح خرجة رجل واحد ، فارغموهم على الانجلاء ، واضطرت القبيلة حينئذ الى تحويله ، بعد أن قام هناك مدة تسع سنين ، لان تاسيسه سنة ١٣٢٣هـ ولما تسوقته للجواز الى (تيمكيدشت) اجتمعت فيه ببعض اصحابنا من بلاد بني منصور وهو محمد بن باها من بني علي ، وبلقاسم بن الحسن ، وبلقاسم من بني علي التامساوتي (الزاو) به يعرف ، والشيخ محمد (همو) بن الحاج ، وهو رئيس القوم ، أرادوني على أن أذهب معهم ضيفا فذهبت ممتثلا خائفا وادى ايسي ، جاعلا طريقي على الحصن المسمى بالاصبع (أضاض) مارين تحته • معتبرين به ، وقد انجلى عنه أهله للفتنة الواقعة بينهم وبين آل (كدورت) أزيد من خمسين سنة ، الى أن استنفروا عليهم قبيلة (أمانوز) تحاصرهم الى أن فني ماعندهم من الاقوات والماء ، فجعلوا يأكلون من شجر التين الشوكي الى أن فني وخرجوا ليلا فارين الى منتجاتهم ، وذلك أعوام التسعين واحسبه عام ١٢٩٦هـ وتفرقوا شذر مذر حتى ظن الناس أن لم يبق منهم أحد ، الى ان وقع الاحتلال عام ١٣٥٢هـ ورجعوا (وهم ايت الفاسي من تينزكيت) الى بلادهم

١) وجدت بخط جامع الرحلة مانصه : ابتدأت القراءة بتيمكيدشت لاربع خلت من المحرم عام ١٣٢٩هـ والمدرس العلامة الولي الصالح سيدى ناصر بن الحاج عبدالكريم المانوزي (المتوفى عام ١٣٥٦هـ على عهد صاحب الزاوية المرابط السيد محمد بن الهاشمي بن الحنفي) ، هذا وقد مضى ان الكاتب كان الى شهر ذي الحجة عام ١٣٢٩هـ في اداومحمد عند ابن عبو • فيكون ماهنا هو الصحيح • لاماكان تقدم قبل : فليعلم ذلك

شأن غيرهم ، ولكن لم يبق الا اولادهم واحفادهم ، وجددوا بناء حصنهم واستردوا املاكهم

وانا لو تتبعنا امثال هذا مما وقع من الظلم والجور والخراب والقتل في كل بلد وكل قبيلة ، وكل قطر من الاقطار السوسية لطال بنا الكلام ولخرجنا عن الموضوع ، وقد وقع في هذا الوادي الايسيوي من ذلك مايفوت الحصر ، ومنه ان أيت علي من (تامساوت) ايت منصور ، كانت بينهم وبين اهل بلدهم أيت امغار ، فتن عظيمة يطول شرحها ، وتفرقت عليهم قبيلة (أمانوز) زمنا طويلا ، فبيت بنو امغار اعداءهم ، أيت علي المذكورين ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، ونجا منهم من نجا ، واجتمعت قبيلة (أمانوز) من غير أيت الربع ، فتكاثروا عليهم • وغلبوهم في ءاخر الامر ، ورجع اليهم سم غدرهم وأحاطوا بهم من كل جانب ومكان ، وأخذوا بمخنقهم ، فلما أيسوا من النجاة والسكنى استسلموا للقهر ، وخرج اكثرهم ليلا الى حلفائهم أيت الربع من أمانوز وأسكنوهم ببلدة (امكنسن) وذهب بعضهم الى (ايفدى) وبعضهم الى (طنجة) وبلاد الغرب (يعني الكاتب ماوراء مراكش) وامتلك اعداؤهم بنو علي أرضهم وديارهم ، وذلك في حدود عام ١٢٠١هـ فأما الذين استوطنوا بـ (أمكنسن) تحت حماية أيت الربع (أوالا) وغيرهم ممن والاهم ، وهم الحاج المحفوظ المنصوري واخوته ، فقد أصابوا فيه بلدة طيبة الهواء والمرعى ، وسعة أرض ذات حرث ، فاشتغلوا بالحرث والادخار ، واتخاذ الانعام والنحل وغير ذلك من أسباب الثروة ، الى ان صاروا اثرى أهل البلد ، بل صاروا ينافسون أهل البلد في الاقتناء ، والتطاول في البنيان والافتخار ، الى ان أحفظوهم فحنقوا عليهم ، وصارت العقارب تدب فيما بينهم ، والغيبة والنميمة تسريان ليلا ونهارا ، ونار الغيرة والمنافسة في ازدياد ، وشعلة البغضاء والشحناء في اتقاد ، فاشتكى أهل (امكنسن) و (تاسكفسا) و (تيزكي) ماناالهم من هؤلاء السكان الاجانب ، من امتلاك الاراضي والتطاول الذي سيؤدي الى مغالبتهم على أوطانهم يوما ما ، الى اخوانهم أهل (اوالا) فاستشاروهم في الايقاع بهم ونفيهم عن ارضهم ، فامتنع أهل (اوالا) من ذلك كله ، مراعاة لحسن جوارهم وحمايتهم ، ووفاء بعهدهم ، وحفظ عرضهم بين القبائل المجاورة ، فصاروا على هذا الحال زمانا طويلا ، اكثر من ٢٠ سنة ، فتناسلوا وأثروا ، حتى رفضوا عهد اهل (امكنسن) ومجاوريهم ، وتمسكوا بعهد (اوالا) وحدهم، وتطارحوا عليهم بأنواع التضرعات والتملقات ، ولكن أهل (اوالا) من حسن سياستهم مع اخوانهم (امكنسن) واضرابهم ، عمدوا الى هؤلاء الاجانب السكان، وشرطوا عليهم شروطا مؤكدة ، وقرروا عليهم قرارات لايتعدونها فيما بينهم وبين (امكنسن) فقبلوها ظاهرا لاباطنا ، مخافة اجتماع الجماعة عليهم ، فما كان غير سنين قليلة حتى لاحت عليهم لوائح الطغيان وعادوا الى الاستطالة .

فاوعز اهل (اوالا) لاخوانهم (امكنسن) ومن جاورهم بالايقاع بهم ، وبعدما طاروا بهذا التسليم الذي هو متمناهم زمانا طويلا ، اوعزوا هم أيضا الى اعدائهم بني منصور من ايت علي في (تامساوت) ورئيسهم محمد بن الحاج ان يصبروا معهم يدا واحدة عليهم ، فأصبحوا عليهم بكرة ، وأحاطوا بهم احاطة الهالة بالقمر ، فتمنعوا يوما كاملا • ثم استنفروا عليهم قبيلة (أمانوز) كافة فهجموا عليهم في ديارهم ، وقتلوا البعض وانجلى البعض معفوا عنه ، وهرب كبيرهم بلقاسم بن الحاج عمرو الى زاوية (تحت الرمال) بوادي (تيملت) وذلك سنوات ١٣٣٣ هـ وبعضهم استوطن (تارسواط) عند أرحامهم واصهارهم ابناء همو بن مسعود الى عام ١٣٥٣هـ بعد سنة الاحتلال فرجعوا الى أوطانهم الاصلية (أيت منصور) كما تقدم ، والى الله ترجع الامور

فـائـدة

الحاج عمرو المذكور من بني عمرو من بني ءاجنا من أولاد أبي درقة الشريف المشهور ، وهو الحاج عمرو بن ادريس بن محمد بن علي بن عمرو ابن يحيا بن محمد (ضما) بن "محمد (فتحا) بن ابراهيم بن أحمد بن عيسى ابن عمرو بن يحيا بن الحسن بن يوسف بن عبد السلام بن أبي بكر بن الولي سيدي أحمد بن "محمد ابى درقة المذكور بن يوسف بن كنون بن عمران بن عبد الرحمان بن سليمان بن الحسن بن عمران بن محمد بن أحمد بن كنون بن أحمد بن ادريس بن ادريس بن عبدالله الكامل بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه •

ومن الحوادث ايقاع ايت (كادورت) بـ (وادي ايسي) أيضا بأيت الشيخ في عام ١٣١٢هـ وهم فرقة جبارة طاغية لهم ثروة وسطوة على من عداهم من أبناء جنسهم بذلك الوادي الايسيوي ، وسبب فتنتهم أن أحدهم وهو ولد السيد بلقاسم ابن الشيخ قتل غدرا بعض كبار (ايسي) في موسم الولي الصالح السيد بلقاسم الفيلالي الشهير ، وهو من أهل أوائل القرن العاشر فيما يقال يقام على ضريحه موسم موقت كل سنة معظم محترم عند القاصي والداني • فاستخفه الطغيان ، والشباب جنون ، فقتله ، فهاج الناس في الموسم وانفضوا هاربين خائفين ، وكل يترقب خائفا من عدوه ، فلما مضت سنة اوبعضها ذهب الى ناحية (تيمكيدشت) فبلغ أعداءه قبل خروجه خبره ، فبيتوه في طريقه مع أصحابه ، فقتلوه شر قتلة ، ومثلوا به شر مثلة حتى انهم قطعوا مذاكيره وحشوها في فيه ثم تمالئوا مع أعدائه من أهل (كادورت) وغدروا بهم وهجموا على ديارهم ، وقتلوا البعض وهرب البعض الى مأمنهم من (عنق الرمال) (اكرض ايهلان) أعداء (كادورت) وبعضهم الى (تاكموت) فقبلوهم وفرحوا بهم اذ كانوا من جنسهم جزولة و (كادورت) من جنس (تاحوكات) فاقاموا بين

اظهرهم يقاتلون اعداءهم باخلاص ونية شان أهل البلد ، فيقتتلون ويقتلون، واستمرت الفتنة قائمة بينهم احقابا طويلة وان كانت قبل ذلك بين البلدين الى أن وقع الاحتلال أيضا عام ١٣٥٢هـ فرجعوا شان غيرهم من المهضومين فارتجعوا أملاكهم وديارهم ، وارضا لم يطئوها قبل ذلك ، بعدما اقتسم أهل البلد أصولهم وأموالهم بينهم ، كما تقسم المواريث ، ودون في الرسوم والعزلانات (١) والامر لله ، (وماربك بظلام للعبيد) ورجعوا من منافيهم الى مواضعهم عام ١٣٥٣هـ بعد الاحتلال وبعدما مضى على غيبتهم نحو من ٥٠ سنة

ومن الفتن فتنة ايت (ايمي ازال) و (تيزركين) من عداد قبائل (تاسريرت) بذلك الوادى ، فقد هجم عليهم أهل (تيزركين) وهدموا بلادهم مرارا وتركوها قاعا صفصفا ، ثم يرجعون ويبنون ديارهم ، ثم ينعطفون عليهم بالقتل والخراب فعلوا بهم ذلك ازيد من ٢٠ مرة ، وقد شاهدت (٢) غالبها أيام التعاطي بـ (تميكيدشت) وغيرها .

ومنها ان قبيلة (ازرن) وقع بين رؤسائها بنى عبيد من موضع (تيمقبيت) فتنة عظيمة غدرهم عمهم الرئيس محمد بن ابى بكر ، فقتل البعض ، ونجا البعض الى (تاسريرت) وذلك عام ١٣٣٣هـ وممن نجا صبى صغير كان يرعى الغنم ، ويلقب بالمسلم ، فلما كبر تسلط على اعدائهم الذين اجلوهم ، فجعل يتصيدهم وحده من الحقول والجبال والاودية وبين ازقتهم الى ان قتل منهم رجالا ونساء مانيف على العشرين ، وقتل الرئيس محمد بن ابى بكر وولديه وبعض نسائه وعمومته ، فتطارحوا على مرابطى (تيمكيدشت) أن يتوسطوا لهم في الصلح والهناء ، وأن يرجعوا الى بلدهم امنين مطمئنين ، فوقع انبرام الصالح على ذلك ، ورجعوا الى (تيمقبيت) بلدتهم ، بعز عظيم ، وذلك عام ١٣٤٨هـ وكان هذا الملقب بالمسلم كثيرا مايغشاني ، وأنا مدرس بـ (مدرسة المرابطة) السيدة مواسة بنت علي ويقيم عندى ماشاء الله ان يقيم ، وربما يباشر لى بعض الاشغال ، وفي المدرسة بنت عمه خديجة بنت أحمد خادمة المدرسة وابنتها ، وكان ولدها ممن انجلى معه ، ثم رجع برجوعهم (ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا)

وممن انجلى عن حصنه ومعقله اهل أصبع بنى محمد (أضاض نيست محمد) بوادى ايسى ، بعد قتال ودفاع سنين بينهم وبين اعدائهم (بني منصور) وغيرهم ، وتفرقت عليهم قبيلة (أمانوز) وذلك عام ١٢٦٢هـ وكانوا امنع من عقاب الجو ، فأصاب فيهم أهل (أمانوز) ومن معهم الفرصة بسبب حمل

---

١) المراد بالعزلانات : مايعزل به بين الاقسام والتفاريق من الرسوم

٢) يعنى مايدل كتابة على ذلك

الوادى حولهم وحيلولته بين الله والاغاثة ، فهجموا عليهم ، فخربوا ديارهم ثم رجعوا بعد تسعين سنة ايام الاحتلال .

ولنرجع إلى ما كنا فيه من ذكر الرحلة

واما وصلت (تامساوت) ضيفا عند اصحابنا المذكورين ، وهم محمد بن باها (الاصم) به عرف ، وبلقاسم بن الحسن ، والفقير بلقاسم (الزاو) اجتمع على اكثر أهل البلد مقدمين للعشاء مسرورين بى ، ومغتبطين لما تقدم من أمر العداوة الواقعة بيننا وبينهم . راجين في تمتين علائق الصلح والهناء وروابط الود ، فتكفلت بكل خير ، وسلم عن اخوانى بنى الربع ، وضمنت أن لايعودوا الى معاداتهم . وأن يسيروا في قبيلة (أمانوز) حيث شاءوا مطمئنين امنين . فاستبشروا بذلك ، وأرسلت بذلك كله الى عشائرى وعمومتى . فوافقوا عليه وتابعهم عليه غيرهم

غريبة

ولما تناولنا العشاء بعد أداء العشاء ، أفضى بنا الكلام الى ضيق البلد وقلة أرضه ومزارعه ، وارتفاع جباله الشاهقة الى عنان السماء ، وكثرة المياه الجارية من غير جدوى ولا فائدة ، فقال بعض الحاضرين : هل لك ياسيدى أن تتفرج على الذئاب ؟ فسكت ، ثم أعاد فلم أعرف لكلامه معنى ، الى أن فصل فقال : أظنك ياسيدى شاكا في كلامى ، طارحا له في زاوية الاهمال ، فمرنا بذلك تر العجب مما يسرك ، فقلت له افعلوا مابدا لكم ، فخرج جماعة منهم في اخر الليل ، وقد دخلت الذئاب والثعالب والظربى الى الساقية ، بين الفدادين والمزارع ، وسدوا عليها أنقاب منافذ الجبال التى دخلت منها ، وهى اربعة عشر نقبا فيما أخبروا به ، بحيث يجلس كل واحد في نقب ، وياخذ بحجارة صغيرة ويضرب بها اخرى ، فاذا جاء الوحش للخروج عند انبثاق الفجر يجد النقب مسدودا بسماع الحس ويرجع الى الساقية ، الى أن تطلع الشمس ، فيخرج عليه جميع أهل البلد رجالا ونساء ، فيأخذونه بسهولة كيفما شاءوا ، فقد اخذوا منه تلك الليلة ما ينيف عن اربعين وحشا ، مابين ذئب وثعلب وغيرهما وخلوا سبيل الباقى ، وخرجت اليهم ، ورأيت من ذلك مااستغربته من شدة ضيق البلد ، الى أن بلغ الامر ماأرى .

وقد أذكرتنى هذه الغريبة ماكان يضاحكنا به أحد احبابنا من علماء حاحة أيام معاصرتنا له بمدرسة (اداومحمد) الهشتوكية في أندية أفاضل الطلبة ، وذلك أنه يقول مباسطا : ياسيدى محمد قد سمعنا بأن بتلكم البلاد بلادا ياخذ اهلها الوحوش باليد لضيقها ، وسمعنا بأن بقرتهم اذا ولدت ياكلون ماتلده لئلا يزاحمهم في حليب امه ، وانهم ياكلون الوطب اذا انقضى

زمن المخض (١) ، فانكرت أن يكون من ذلك ماسوى أكل مالبقرة، وكانت هذه المحادثة في عام ١٣٢٦هـ فلم تصل سنة ١٣٣٠هـ حتى رأيت الجميع بعيني ووقفت عليه ، وذلك سر قول الله تعالى : (اولم يسيروا في الارض فينظروا) الاية •

ولنرجع الى ما نحن بصدده من أمر الرحلة وان امتدبنا الكلام الى الاستطرادات ، لعدم خلوها من الفائدة التاريخية التي لم يتعرض لها احد ولايتعرض لها من قبل ولامن بعد في ذلك كله (٢) فنقول : لما أقمت في (تامساوت) في (أيت منصور) ثلاثة أيام للضيافة متجولا في أنحائها وأطراف جبالها ، وقد رأيت خلال هناك منمغارات أنواع المعادن كثيرا تقدم فيها العمل للاقدمين منأهل القرن العاشر ، الى الرابع عشر ، ثم صارت مهجورة شانكل المعادن بالسوس الاقصى لغلبة الاشتغال بالتجارة الان على أهلها بالمدن المغربية وأقطار أوربة ، فلم يبق لهم اشتغال بالمعادن النحاسية والرصاصية والاثمدية وغيرهما مما كانوا يألفون التعدين فيه

ثم ارتحلت بعد الضيافة الى مدرسة (أفيلال) حيث المدرسة العلمية ومدفن الامامين الشيخين الصالحين السيد بلقاسم المشهور الفيلالى المتقدم الذكر ، والامام العلامة الشيخ محمد بن أحمد الحضيكى التارسواطي المانوزي صاحب التآليف الحسان من الطبقات وغيرها ، ونزلت فيها على جماعة من الاصحاب منهم العلامة مدرس المدرسة السيد محمد بن علي الغازى الكريسيفي والسيد الحسن بن الحنفى الحضيكى ، وابن عمه السيد الطيب ، والسيد البخارى ، والسيد محمد بن بلقاسم الحضيكي وغيرهم ممن لم أحصهم ، من مدشر افيلال ، وتجولت في أنحائها ، وزرت فيها ضريح الولى العلامة خاتمة محققى بلاده سيدى احمد الفقيه التاهالى نسبة الى قبيلة (تاهالا) الذى أخذ فيزمانه عن علماء فاس وتلمسان وغيرهما ، وقد ذكره الامام اليوسي في بعض قصائده وحلاه واثنى عليه خيرا ، وذكره الحضيكي في طبقاته المتقدمة ايضا

---

١) يذكر هذا عن (زمور) في أحواز الرباط ، ثم ان في (أيتيحيا) منأيت صواب ينقل الصغير من البقر على الاعناق الى قمة الجبال التى يسكنها أهلها فيكبر هناك ، لان الكبير لايمكن ان يصعد بأى حال على رجليه ، هذامماينقل منغرائب وعورةتلك الجبال التى لاهلها من الفضل والدين والعلم رايات خافقة ، وفيها كان محمد بن عبد السلام الفاسى يأخذ القراءات ويعلم العلوم

٢) أقول : لهذا حرصت على ترك هذه المستطردات كما هى ، وقد كنت تنبهت للكتابة حول العادات السوسية فى (مجموع) لم يتم لتوقفه على كثرة الجولات في سوس كنت امنع منها فى زمن الاستعمار ، ثم شغلت عنها في زمن الاستقلال (ولله الامر من قبل ومن بعد)

ثم ارتحلت الى قرية (كادورت) اسفل منه ، ودخلت البلد ، وتلقتني جماعة من الاصحاب ببابه ، منهم السيد موسى من بنى يبورك ، والفقير ابراهيم بن ادريس وولده السيد على ، وغيرهم من الاصحاب ، بفرح وسرور ، كما هو شانهم في محبة الضيف واهل العلم والفضل ، حتى أن نساءهم يتساقطن علينا بالفرح والزيارة ، واستمطار الادعية ، فأقمنا بها ثلاثا بعد امتناعهم من التسريح اول الضيافة فتجولت في أنحاء سواقيهم الكثيفة بالاشجار ، الملتفة النخيل ، الكثيرة العيون ، القليلة الارض ، المكتنفة بالجبال الشامخة • وان اسم هذه القرية كمسماها (١) ، على الحقيقة ، الا ان سكانها من أحب الناس المكارم والمفاخر من الكرم والجود ، والديانة والسكينة والوقار ، والانقياد الفضل وأهله • وحكى أن العلامة الامام محمد بن أحمد الحضيكى المتقدم الذكر خرج في حياته في بعض الابكارات ، بقصد التطواف على قرى(ايسي) واستماع قراءة صبيانها في المكاتب فبدأ بقرية (كادورت) ووقف منصتا متفائلا من الصبيان فاذا هم يتلون قوله تعالى (يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهمخصاصة ومن يوقشح نفسه فاولئك هم المفلحون) فتعجب من صدق الفال ، فقال كذلك كنتم ياأهل (كادورت) لانهم من سلالة ابى أيوب الانصارى الخزرجي رضى الله عنه كما في موالدهم وعمود نسبهم ، ثم هبط مع الوادى الى عنق الرمال (اكرض ايملان) فوقف وسمع الصبيان يتلون آية توافق حالهم ، فتعجب من صدق الفال فيهم ، وقال كذلك كنتم ، ثم تقدم الى (ايمي ايسي) فسمعهم يتلون آيةاخرى توافق حالهم ، ثمرجع الى(أيتمنصور) ووقف بـ(تامساوت) فسمع صبيانهم يتلون (لاالى هؤلاء ولا الى هؤلاء) فتعجب من صدق الفالات على الجميع ، فانصرف راجعا الى زاويته (أفيلال) وكذلك كانت أخلاق هذه البلدان الى الان جودا وبخلا ووسطا ، فأهل (كادورت) اجود الثلاثة واسمحها واحبها للضيف

فريسة

ساقتنى الاقدار الى زيارة (أفيلال) عام ١٣٢٩هـ مرجعي من (تيمكيدشت) الى مسقط رأسى ، فدخلت القبة الفيلالية فجأة من غير أنيرانى أحد ، فما استكملت الدعاء للولى حتى اجتمعت على جماعة من النساء والشواب والعجائز فلما راين حسن ظاهرى وبهجتى ووسامة وجهى ، نادين بعض الرجال فجاءوا وانا ملتثم ، فما وقعت عينه في وجهى حتى نادىبأعلى صوته (الامام المهدى الامام المهدى)، فلما خف اجتماع الناس على من كل ناحية كشفت عن وجهى

---

١) يريد أنها هوية كالقدر ، لان كادورت تشليح لكلمة قدر بكسر القاف

فقلت له انا فلان ابن فلان الفلاني ، فاذهبوا الى حال سبيلكم ، فمازادهم ذلك الاطغيانا كبيرا ، فخرجت من القبة ، وذهبت الى مرابطي (افيلال) فاتبعني عالم كبيرمنهم ، فردهم عني بمشقة وعناء • ومزاحمة بباب داره ، فانظر الى بساطة هؤلاء القوم ، وشدة اعتقادهم في الامام المهدى ، وقد وقع لى مثل هذا أيضا بوداى سملالة وسأذكره ، وعدد كوانين قرية (كادورت) وما اليها نحو ٥٠٠ كانون

ولما قضيت في الضيافة بـ (كادورت) ثلاثا ، تقدمت الى بلدة (عنق الرمال) فنزلت على الاخوين في الله الفقيهين العلامتين السيد أحمد بن محمد اولشلح ، به يعرف ، وابن عمه السيد محمد بن محمد (فتحا) ابى الجنان وبتنا عندهما احسن بيات في اجزل ضيافة، وقطعنا معهما في المذاكرة العلمية شطرا من الليل ، وغالب المذاكرة معهما في الفرائض والانكحة والوصايا والبيوع ، لان الاول قاضي تلك الاودية زمنا طويلا ، وله باع في النوازل، وله رحلة علمية الى فاس • وهو الاخير من علمائها في صدر هذه المائة، وابن عمه الثاني أبو الجنان له باع في العربية والفقه والحساب والفرائض ، وغالب أخذه من الفقيه العلامة الصوفي البركة السيد عمر بن أحمد بن الحاج عمر نيت أوشن من (آل الذيب) بمنكب (تافراوت) وطنا ومنشئا ، العبلاوى (نسبة الى أيت عبدالله) اصلا ، المدرس بـ (اكفى) ببعقيلة حياته ، الاخذ عن الشيخ ابن العربى الادوزى ، وعن الشيخ محمد بن عبدالله بن عبد الوافي الاكمارى المتوفى (١) ببلدته (المنكب) سحر الاربعاء ثاني ربيع الاول عام ١٣٣٥هـ وقد عدته في مرضه وفرح بعيادتي لحسن ظنه بأهل العلم ، وقد ترك من اقتفى سبيله في العلم والفضل ، وهو ولده الفقيه البركة السيد محمد بن عمر • والسيد الحسن (٢) ، وأمهما المرابطة الخيرة الصالحة القانتة العائدة السيدة عائشة بنت الولى الصالح ، شيخ الجماعة بالسوس ، سيدى الحاج احمد بن عبدالرحمن الجشتيمى رحمه الله وهى الى الان في قيد الحياة ، تزار من سائر الافاق ، وترشد الناس ولاسيما النساء الى السنة المثلى ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، شكر الله لها سعيها ءامين (ثم توفيت يوم الخميس في ذى الحجة عام ١٣٦٣هـ) ولايزال الفقيه أبو الجنان المذكور يزورهم ، وقد اجتمعنا به عندهم مرارا ، وقد استدعانا أيضا بـ (عنق الرمال) للضيافة ، الفقيه السيد أحمد بن على بن بلا ، وكان من اهل الثروة ، وممن أخذ عن الشيخ الحاج عابد بن عبدالله بن عمر الكثيرى التيفيراسيني البوشوارى الهشتوكي ، فبتنا

---

١) يعني سيدى عمر

٢) توفى الحسن ١٣٧٩هـ او في أوائل ١٣٨٠هـ وأما محمد فقد توفى قبله بسنين

عنده ، وهؤلاء الثلاثة الفقهاء بقية البلد ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر • ومركز هذه القرية كمركز (كادورت) في قلة الارض ، وضيق البلد واحاطة الجبال ، وان كانت (كادورت) أضيق منها ، غيرانها كثيرة العيون الجارية ، وعدد عيونها على ماقيل تسع عيون جارية ، وغالب مائها سائح في الوادى ، بخلاف ماء (عنق الرمال) فانهم في غالب الاحيان يحتاجون اليه، وغالب فتن البلدين تحصل على الماء ، لان أهل (كادورت) يقطعونه عنهم أيام البارود والقتال حتى يصطلحوا (ولله الامر من قبل ومن بعد) لان أهل (كادورت) على الوادى الاعلى بعد (أيت منصور) وهي مجتمع الماء ، ومن هناك يفرق الى عنق الرمال ، (اكرض ايملالن) (وأعلى المنكب) (أفلا ايغير) والتلعة أسفل ، وهما أوسع مما قبلهما ، ومن هناك الى (بني منصور) يسمى وادى (ايسى) ومقدارهم نحو الف ومائتي أسرة ، ويليهم من جهة القبلة (بنو يزيد) من (تازونت) الى (انليوى) ويقدر عددهم بمائتي اسرة ، وهم من سلالة يزيد ابن معاوية بن أبى سفيان ، انتقلوا من الاندلس ، لما اضمحل فيها ملك بنى عمهم بنى مروان في القرن الرابع الهجرى ، ولازالت فيهم بقية من العلماء المعتبرين ، وأهل الفطنة والذكاء ، والغيرة الدينية شأن أجدادهم الى هلم جرا ولايضرهم من يطعن فيهم من الاغبياء الحمقى ، والدجاجلة أهل الزيغ والضلال الذين ليس لهم دين ولا ايمان ، الذين قال فيهم جدهم السلطان المرواني الاندلسى في أحقر واجهل منهم : (عرفتني فسببتني ، ولوعرفتك لاجبتك) وقد أدركنا فيهم من فحول العلماء مايفتخر بهم الدهر ، مثل العلامة السيد الحاج أحمد بن محمد وابن عمه العلامة المرحوم السيد الحاج محمد بن أحمد المتوفى في نحو ١٣٠٩هـ ووالده العلامة الاديب الحبيب السيد احمد بن الحاج محمد المولود عام ١٣٠٣هـ (والمتوفى عام ١٣٦٤هـ) والعلامة الصوفى الكبير السيد المكى بن محمد المتوفى يوم الاحد ١٠ رمضان عام ١٣٤٦هـ واولادهم مازالوا الى الان على طريقتهم المثلى ، ومكتبتهم من أعظم الخزائن العلمية السوسية ، وقد خالطتهم في بلادهم وغيرها ودخلت كل بلد منها مرارا ، وعرفت الجميع معرفة (الجيد والعينانا) (١)

ملاحظة

من أعتبر بعين البصيرة أهل وادى (ايسى) كلهم ، وجد أخلاقهم متقاربة في الفطنة والذكاء والدهاء والكرم والتيه والتكبر والتجبر ، اذ لابد لكل من له مكانة فيهم من القوة أن يسطو بغيره ، ممن يخالف هواه ، ولذا كان الشقاق

---

١) ذلك اقتباس من البيت المعروف في شواهد الالفية :

أعرف منها الجيد والعينانا   ومنخرين أشبها ظبيانا

يكثر دائما بينهم ، ولايخلو زمان من الازمنة الا وهم فيه فى مرج وحيص وبيص من قتل وسبى وتخريب واجلاء ، حتى اننا شاهدنا بانفسنا من سخط منهم على زوجته ، فعمد الى انفها فقطعه وشوه صورتها ، ثم طلقها غيرة أن تتزوج غيره ، وقد فعل ذلك رئيس (بنى منصور) همو بن الحاج من بنى على التامساوتى بامرأته ، مع كثرة أولادها معه ، وفعله ابن الاشقر الكادورتى أيضا برجل من ضعفاء البلد لامر ما ، وكانوا هم أيضا ممن يجنحون لاهل الثروة اكثر من غيرهم ، فلا ينقادون للعلماء ، شأن غيرهم من القبائل، الا الاغنياء منهم والدجاجلة . واكثرهم من حملة القرءان يشارطون فى المساجد ، لضيق بلادهم عن الفلاحة ، الى ان استفحل امر التجارة فى المدن المغربية فى هذا القرن الرابع عشر ، فتسارعوا اليها واضربوا عن الاشتغال بالقرءان والعلم وتسابقوا الى فاس ومراكش وغيرهما ، فحصلوا الدراهم ، وصارت الارض عندهم فى البيع مثل التبر ، وقد شاهدت فيها فى مواضع كثيرة (لوحا) واحدا من الارض لم يكن فيه اكثر من خمسين شبرا بيع بالف ريال حسنى أى مايعادل آلافا من الفرنكات فصاعدا (١) وقس على ذلك مواضع قلة الارض مثل وادى (أملن)

ولما خرجنا من (عنق الرمال) هبطنا مع الوادى ، وسلكنا قرية (شفا المنكب) و (تلمة ايسى) وتجولنا ، فوجدنا العين التى سلكتها الطريق تموج بالماء والنساء صادرات واردات للاستقاء منها ، مع أنواع الحلى والحلل والميس والزهو والتبكير والتبختر فى الجميع والتشدق فى الكلام ، والتبطع والدلال والغنج ، وأنواع المباهاة والحبور (٢) فما شئت من ذلك كله او اكثر فخذه ، ثم خرجنا لفحص (ذات الريح) فى ازغار (تيواضو) وهى ارض سهلة ذات أحجار وحجارة (٣) متسعة مكتنفة بالجبلين العظيمين القبلى والجوفى وهو فى المساحة مقدار ستة كيلومترات الى أن وصلنا قرية (ذات الريح) (تيواضو) المذكورة ، وهى قرية ذات سور حصين وأبراج ، وهى ملتفة الاشجار نخيلا ولوزا وزيتونا وكروما وغير ذلك ، وهى بشاطىء الوادى والجبل ، ويفصل الوادى بينها وبين (تيمكيدشت) واشتركتا فى السواقى والعيون ، وسائر المنافع ، حتى كأنهما قرية واحدة واهلها أهل سكينة ودعة ينقادون لرؤسائهم ، وهم لهذا العهد ابناء صالح ، وأبناء هدى ، وتقام فيها الجمعة . واخلاقهم منافية لاخلاق اهل (ايسى) لانهم اشحة على الخير ونساؤهم

١) استغرب الكاتب ذلك بالنسبة للوقت الذى كتب فيه ماكتب وهو أواخر العقد السادس من هذا القرن ، ونحن الان فى أواخر عقده الثامن ، ولو رأى الان لزاد استغرابه . ثم ان ماعبر به المترجم اهل ايسى هو فى عهدته

٢) يطلق الحبور عند الشلحيين على الغنج : احابورن

٣) كذا

اجود من رجالهم ، وانهم مكر ودهاء وغرور ، لكون العدو احاط بهم من كل جهة وحاميتهم أيت (كادورت) لانهم من جنس (ناحوكات) وقد طرقتهم قبيلة (امانوز) الجزولية مرارا بالهدم والاهانة ، الى ان استكانوا وخضعوا لطاعتهم شأن غيرهم من بلاد (ايسى) وفيهم حلم وصبر لمن جاورهم ، لاسيما لطلبة مدرسة (تيمكيدشت) وربما يجلسونهم فى بيوتهم أو بساتينهم وأجنتهم آخذين منها مايشاءون وما يستطيبون ، فلا يحركون لهم ساكنا ، بل يقولون لهم مرحبا مرحبا بتذلل وخضوع ، بخلاف غيرهم ، وهم أهل لهو وهوى ولعب ليلا ونهارا ، رجالهم ونساؤهم فى ذلك سواء ، يخرجون لوسط القرية كل ليلة ، فيلعبون مناوبة . فاذا أضافوا ضيفا عزيزا عندهم أكرموه بالامر للنساء باللعب بالرقص والتصفيق والغناء وأنواع الدفوف ، واخراج البارود عند ذلك كله ، ويختلط الرجال بالنساء من غير عيب عندهم ، وربما يلفى فيهم طلبة علم ، يخالطونهم من غير حياء ولاتستر ، فتراهم يلعبون ويغنون بسكينة ووقار ، فلاتسمع الاهمسا . وترى الرجل وزوجته وأولاده الكبار ذكورا واناثا هناك مختلطين متضاحكين ، ينادى بعضهم بعضا كانهم فى أعز بيوتهم ، وربما يرى الرجل بنته العذراء البكر تناغى الاجنبى وتساره (١) وهو لذلك مرتاح نشيط ، وهكذا حالة (ايسى) كلها و (اكنان) وبلاد أملن وما والاهم من القبائل ، وقد ضاهوا فى ذلك أهل القبلة مثل (تامانارت) وبلاد اقة و (اكفى) و (الفجة الخضراء) و (أيت وابل) و (تيزونين) و (تامزران) الى بلاد (الويدان) الى بلاد وادى الجبل من سائر بلاد الجريد ذات النخيل لاسيما أمكنة الحراطين (٢)

وصولنا لزاوية (تيمكيدشت)

ولما دخلناها تقدمنا اولا الى روضة الشيخ السيد أحمد بن محمد ، وكانت قبة واسعة عالية رحبة الاكناف . مربعة الجوانب ، مزوقة بأنواع الزليج والمرمر ، على الشكل الاندلسى ، لان البنائين الذين اسسوها وردوا من قبل السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان العلوى لما له من علاقة ومحبة مع ولد صاحب الروضة ، وهو الشيخ سيدى الحسن بن أحمد ، البالغ مبلغا فى الشهرة والمنزلة عند أصحاب الرئاسة سوسا وغربا ، وقد أنفق فيها السلطان على ماقيل ستة عشر الف ريال سكة زبيلية (٣) فجاءت فى

١) يعني بالاجانب من ليسوا من محارمها الذين تحل لهم مخالطتها .

٢) عهدة كل هذا على المترجم

٣) من السكك الشهيرة التى أدركنا الناس يتحدثون عنها وقلما ترى فى عصرنا : سكة زابيل هذه ، وهى سكة اسبانية منسوبة الى لفظة ايزابيلا اسم احدى ملكات اسبانية .

أحسن شكل وأنمقه وأروقه ، بحيث لم تكن لها فى أضرحة القطر السوسى ثانية ، الاماكان من زاوية الولى سيدى احمد بن موسى السملالى ، ثم استمرت هذه القبة فى حسنها وتنويقها الى ان اصابتها عين الكمـال عام ١٣٣٦هـ فتهدمت منها القبة العالية وسقطت ، لثقلها على الاخشاب الحاملة لها ولغيرها وسبب هدمها وخرابها زيادة على ماذكرنا ، وخراب اكثر ديار السوس الى مراكش الامطار المسترسلة المشوبة بالارياح العاصفة تسلطت على الدنيا من ابتداء ذى الحجة الى عاشرها يوم النحر ، فابتدأ الخراب ليلته واسترسـل سبعة أيام متوالية ، حتى لم تبق دار ولاغيرها ولو أسست بالحجارة والجير والجص وغير ذلك الا انهارت وتهدمت ، وصار من عنده من الاغنياء كثرة الفرش من أحمال الشعر والحنابل والزرابى والقطائف والزنابيل والحصر وغيرهـا يخرجها ويلفها على الحيطان لوقايتها ، فلم تغن شيئا ، وتهدمت الديار وصارت أمتعة الناس فى البراح تنهمر عليها الامطار أياما ، وهـم يتضرعون الى الله فى المساجد وبيوتهم ، أن يرفع عنهم ذلك الطوفان الجارف مـثـل السيل العرم (١) فلما انقشع سحاب تلك المصيبة العظمى ورجعت الى الناس افئدتهم رجعوا الى اصلاح البناءات المنهارة ، وطلبوا البنائين من كل جهة بالمزاحمة والمنازعة ، فمن يومئذ ابتدأ غلاؤهم فصاروا يعملون بريال حسنى ونصـف ثم بريالين ونصف أى مايعادل مائة فرنك فى اليوم الواحد ، ثم تفاقم أمره فصار يزداد فى كل شهر غلاء وطلوعا بكثرة انتشار الناس فى المدن وتجارتهم وخروج أنواع الاجناس النصرانية والافرنجية الى المغرب ، بعد الاحتـلال الفرنسى الواقع مبدؤه عام ١٣٢٤هـ قبل ايام السلطان المولى عبد الحفيظ بن الحسن ، وصار أهل الاودية مثل (ايسى) و (أملن) يتنافسون فـى البنيان والدوائر (٢) والقصور وغيرذلك ، حتى صار العارف بالبناء عندهم اعز من العالم ثم تفاحش أمره فى المدن مثل الدار البيضاء ، حتى وصل فى سنة ١٣٣٠ الى سنة ١٣٤٠هـ الى أكثر من مائة فرنك فى اليوم وهو أمر لم يعهد مثله ، وكان فى الاعوام الماضية قبل الاحتلال ارخص شىء ، اذكان بنصف فرنك فى اليوم أو بقرش ، وقد استخدمت أنا نفسى بعض البنائين بهذا المبلغ غير مامرة

وقد اخبرنا من أدركناه ممن أدرك أهل الوباء الواقع عام ١٢١٤هـ أيام السلطان المولى سليمان بن محمد أن أهل سوس فى ذلك العهد وقبله لايبنون بالاجارة ، ولايعرفون ذلك ، الامن كان فقيرا جدا ، فانه يحترف به • ولكن من أراد البناء يجمع جماعة من البنائين على أشغاله ويسمونه تيويزى (التعاون)

---

١) وجدت بخط المترجم ما يشبه هذا ، وهو : فـى الاربعاء ٢٨ شـوال ١٣٥٧هـ ابتدأت الخراب من كثرة الامطار حتى انقطعت السبل شهرا

٢) يعنى السلاهم من الملف

ويبنون له حتى يفرغ ويمونهم غداء وعشاء وكليبية (١) فقط ، بالعصيدة او الكسكس او الخبز بالادام ، الى هذا العهد القريب ، فجعلوا يبنون بالاجرة التافهة (٢) الى ان كان عصرنا هذا فى اول هذه المائة الرابعة عشرة ثم تفاقم الامر على نحو ماذكرنا ، وصار الناس يبنون بما ذكر انفا وزيادة المئونة أربع مرات فى اليوم ، وهى الفطور على مائدة مشتملة على خبز وخمسة أنواع الادام سمن وزيت هرجان وعسل ومطحون لوز (أملو) وطاجن لحم مطبوخ طبخا جيدا ، ثم فى الساعة الحادية عشرة يوضع لهم الغداء وهو الدشيش باللحم والبيض والسمن ، ثم بعد صلاة الظهر يقدم لهم ماتقدم فى الفطور ، ثم فـى العشاء يقدم لهم مثل ماتقدم فى الغداء ، مع عمل الاتاى فى الكل وغيره من الفواكه ، فانظر قيمة هذه النفقة فى هذا الغلاء الذى يباع فيه الشعير بفرنك ١٠٠ للصاع والسكر بـ ٧٠ فرنكا للكيلو ، والزيت والسمن والعسل بـ ٧٠ فرنكا ، تجد قيمة مواد يوم للبناء الواحد ١٠٠ فرنك بله اكثر من البناء الواحد فماظنك بماكثر من الاجارة ، أمر لم يعهد مثله فيما سمعنا ، وذلك كله فـى حدود الثلاثين ، الى حدود الخمسين فى المائة الرابعة عشرة ، ثـم زاد الامر وصار الناس يغبط بعضهم بعضا فى ذلك ، بحيث ان من لم يشتغل بالبناء الدار يعد عندهم صعلوكا فقيرا ، ولايملك نقيرا ، وانهمك الناس فـى كسر الصخور للبناء بها ، حتى صارت الجبال الصغيرة دكا دكا ، الى ان وقع الاحتلال فى جبال جزولة عام ١٣٥٢هـ واحتلت بلاد (أملن) و (امانوز) وماحـولها ، وخيمت قواته فى (اربعاء تافراوت) فكان مـن قدر الله ان سلطهم على كسر صخور الروابى والتلول لبناء الادارات ، فكسر كل مابقى هناك ، وكذلك بنيت جميع ادارات القطر السوسى ، فجاء جزاؤهم من جنس عملهم ، ولله فى خلقه شئون :

واعلم علم اليوم والامس قبله ... ولكنى عن علم ما فى غد عم

وأقامت قبة (تيمكيدشت) كذلك زمانا يقرب من ٢٠ سنة على هذه الحال وراودت القبائل ذات الاعتقاد فيها السيد الهاشم بن الحنفى ، رئيس الزاوية وحفيد السيد فى بنائها ، فامتنع من ذلك الى ان هلك نحو عام ١٣٤٥هـ ثم لما توفى وتولى أمرها ولده محمد بن الهاشم جمع لها البنائين فى عام ١٣٤٦هـ فبناها •

---

١) أراد بالعكيبية بضم العين ، وكاف معقودة : ما يوكل بين الغداء والعشاء واسمه العربى الهجورى بفتح الهاء

٢) اقول : ادركت فى الغ أن الحصاد والسقى انما يكونـان بالتعاون لا بالاجرة ، وانما على المعمول له ان يقوم بالمئونة للمناسبة لبساطـة طبيعـة البلد ، ثم تغير ذلك حتى لا يجد الانسان اليوم من يعينه الا باجرة يومية بنحو ٣٠٠ فرنك ، ونحن فى ١٣٧٨ هـ

أحسن شكل وأنمقه وأروقه ، بحيث لم تكن لها فى أضرحة القطر السوسي ثانية ، الاماكان من قبة الولى سيدى احمد بن موسى السملالى ، ثم استمرت هذه القبة فى حسنها وتنميقها الى ان أصابتها عين الكمال عام ١٣٢٦هـ فتهدمت منها القبة العالية وسقطت ، لثقلها على الاخشاب الحاملة لها ولغيرها وسبب هدمها وخرابها زيادة على ماذكرنا ، وخراب اكثر ديار السوس الى مراكش الامطار المسترسلة المشوبة بالارياح العاصفة تسلطت على الدنيا من ابتداء ذى الحجة الى عاشرها يوم النحر ، فابتدا الخراب ليلته واسترسل سبعة أيام متوالية ، حتى لم تبق دار ولاغيرها ولو أسست بالحجارة والجير والجص وغير ذلك الا انهارت وتهدمت ، وصار من عنده من الاغنياء كثرة الفرش من أحمال الشعر والحنابل والزرابى والقطائف والزنابيل والحصر وغيرها يخرجها ويلفها على الحيطان لوقايتها ، فلم تغن شيئا ، وتهدمت الديار وصارت أمتعة الناس فى البراح تنهمر عليها الامطار أياما ، وهم يتضرعون الى الله فى المساجد وبيوتهم ، أن يرفع عنهم ذلك الطوفان الجارف مثل السيل العرم (١) فلما انقشع سحاب تلك المصيبة العظمى ورجعت الى الناس افئدتهم رجعوا الى اصلاح البناءات المنهارة ، وطلبوا البنائين من كل جهة بالمزاحمة والمنازعة ، فمن يومئذ ابتدأ غلاؤهم فصاروا يعملون بريال حسنى ونصف ثم بريالين ونصف أى مايعادل مائة فرنك فى اليوم الواحد ، ثم تفاقم أمره فصار يزداد فى كل شهر غلاء وطلوعا بكثرة انتشار الناس فى المدن وتجارتهم وخروج أنواع الاجناس النصرانية والافرنجية الى المغرب ، بعد الاحتلال الفرنسي الواقع مبدؤه عام ١٣٢٤هـ قبل أيام السلطان المولى عبد الحفيظ بن الحسن ، وصار أهل الاودية مثل (ايسى) و (أملن) يتنافسون فى البنيان والدوائر (٢) والقصور وغير ذلك ، حتى صار العارف بالبناء عندهم اعز من العالم ثم تفاحش امره فى المدن مثل الدار البيضاء ، حتى وصل فى سنة ١٣٣٠ الى سنة ١٣٤٠هـ الى أكثر من مائة فرنك فى اليوم وهو أمر لم يعهد مثله ، وكان فى الاعوام الماضية قبل الاحتلال ارخص شيء ، اذ كان بنصف فرنك فى اليوم أو بقرش ، وقد استخدمت أنا نفسى بعض البنائين بهذا المبلغ غير مامرة

وقد أخبرنا من أدركناه ممن أدرك أهل الوباء الواقع عام ١٢١٤هـ أيام السلطان المولى سليمان بن محمد أن أهل سوس فى ذلك العهد وقبله لايبنون بالاجارة ، ولايعرفون ذلك ، الامن كان فقيرا جدا ، فانه يحترف به . ولكن من أراد البناء يجمع جماعة من البنائين على أشغاله ويسمونه تيويزى (التعاون)

---

١) وجدت بخط المترجم ما يشبه هذا ، وهو : فى الاربعاء ٢٨ شوال ١٣٥٧هـ ابتدأت الخراب من كثرة الامطار حتى انقطعت السبل شهرا

٢) يعنى السلاهم من الملف

ويبنون له حتى يفرغ ويمولهم غداء وعشاء وعكبية (١) فقط ، بالعصيدة او الكسكس او الخبز بالادام ، الى هذا العهد القريب ، فجعلوا يبنون بالاجرة التافهة (٢) الى أن كان عصرنا هذا فى اول هذه المائة الرابعة عشرة ثم تفاقم الامر على نحو ماذكرنا ، وصار الناس يبنون بما ذكر آنفا وزيادة المئونة أربع مرات فى اليوم ، وهى الفطور على مائدة مشتملة على خبز وخمسة أنواع الادام سمن وزيت هرجان وعسل ومطحون لوز (أملو) وطاجين لحم مطبوخ طبخا جيدا ، ثم فى الساعة الحادية عشرة يوضع لهم الغداء وهو الدشيش باللحم والبيض والسمن ، ثم بعد صلاة الظهر يقدم لهم ماتقدم فى الفطور ، ثم فى العشاء يقدم لهم مثل ماتقدم فى الغداء ، مع عمل الاتاى فى الكل وغيره من الفواكه ، فانظر قيمة هذه النفقة فى هذا الغلاء الذى يباع فيه الشعير بفرنك ١٠٥ للصاع والسكر بـ ٧٠ فرنكا للكيلو ، والزيت والسمن والعسل بـ ٧٠ فرنكا ، تجد قيمة مواد يوم للبناء الواحد ١٠٠ فرنك بله اكثر من البناء الواحد فماظنك بما اكثر من الاجارة ، أمر لم يعهد مثله فيما سمعنا ، وذلك كله فى حدود الثلاثين ، الى حدود الخمسين فى المائة الرابعة عشرة ، ثم زاد الامر وصار الناس يغبط بعضهم بعضا فى ذلك ، بحيث ان من لم يشتغل بالبناء المدار يعد عندهم صعلوكا فقيرا ، ولايملك نقيرا ، وانهمك الناس فى كسر الصخور المبناء بها ، حتى صارت الجبال الصغيرة دكا دكا ، الى ان وقع الاحتلال فى جبال جزولة عام ١٣٥٢هـ واحتلت بلاد (أملن) و (أمانوز) وماحولها ، وخيمت قواته فى (اربعاء تافراوت) فكان من قدر الله أن سلطهم على كسر صخور الروابى والتلول لبناء الادارات ، فكسر كل مابقى هناك ، وكذلك بنيت جميع ادارات القطر السوسي ، فجاء جزاؤهم من جنس عملهم ، ولله فى خلقه شئون :

واعلم علم اليوم والامس قبله ولكننى عن علم ما فى غد عم

وأقامت قبة (تيمكيدشت) كذلك زمانا يقرب من ٣٠ سنة على هذه الحال وراودت القبائل ذات الاعتقاد فيها السيد الهاشم بن الحنفى ، رئيس الزاوية وحفيد السيد فى بنائها ، فامتنع من ذلك الى ان هلك نحو عام ١٣٤٥هـ ثم لما توفى وتولى أمرها ولده محمد بن الهاشم جمع لها البنائين فى عام ١٣٤٦هـ فبناها .

---

١) أراد بالعكبية بضم العين ، وكاف معقودة : ما يؤكل بين الغداء والعشاء واسمه العربى الهجورى بفتح الهاء

٢) أقول : أدركت فى الغ أن الحصاد والسقى انما يكونان بالتعاون لا بالاجرة ، وانما على المعمول له أن يقوم بالمئونة المناسبة لبساطة طبيعة البلد ، ثم تغير ذلك حتى لا يجد الانسان اليوم من يعينه الا باجرة يومية بنحو ٣٠٠ فرنك ، ونحن فى ١٣٧٨ هـ

ولما فرغت من زيارة ضريح السيد احمد بن محمد المذكور خرجت منه معرجا على والده السيد محمد بن ابراهيم ، وهو على شفا زقاق المدرسة ، مما يلي الايسر ، ودعوت له ، وتقدمت لجهة المسجد والصومعة ، فشخصت بصري في ارتفاع الصومعة وعلوها ، وهي مسدودة مغلقة ، لا يؤذن فيها لاحد حتى للمؤذن ، وذلك لامر صاحب الزاوية السيد الهاشم بن الحنفي المذكور ، ثم سألت عن الفقيه مقرئ الزاوية السيد محمد بن الحاج الطيب التونيني المانوزي (وقد سبقت ترجمته) ، ليقف معي واسطة في الابتداء عند الفقيه ، وتسلم مفتاح بيت ، فرحب غاية ، واعلم صاحب الزاوية ففرح أيضا ، وعين لي بيتا نفيسا تحت القبة ، وله فرجة ، وهو أمام القبر الخارج في حائط القبة في الحومة الضيقة الذاهبة ازاء القبة ، وأخذته ، وجاء جزاه الله خيرا بالبسط والفرش والكتب والمئونة ، وكان صاحب الزاوية المذكور لا يخرج من داره ، ولا يراه أحد من زائره أو غيره ، الا الخواص من أصحابه ومن الطلبة ، منهمكا في اللعب بالدفوف والغناء والرقص مع جماعة من الرجال والنساء ليلا ونهارا ، فلاتسمع الا الطبول والصياح في جميع الاوقات ، فما اجتمعت به الا بعدحين ، فابتدأت بالقراءة ب(تيمكيديشت) في رابع المحرم (١) عام ١٩٢٩ هـ ، والمدرس فيها الشيخ العالم العلامة الصوفي الرباني سيدي ناصر بن الحاج عبد الكريم التونيني المانوزي ابن المقدم المذكور (وقد تقدمت ترجمته واسم أبيه) وكنت قد اجتمعت به اول يوم فرحب وفرح كما هي عادته مع أهل العلم

ولما ابتدأت بـ (تيمكيدشت) راودت المدرس سيدي ناصر بن الحاج عبد الكريم المانوزي على افتتاح جمع الجوامع مع التلخيص في البيان والمعاني والبديع ، وافتتاح مؤلفات علم الكلام والمنطق مثل السلم وغيره والتفسير (٢) فأبى ، وقال لابد لي من اذن صاحب الزاوية ، وهو السيد الهاشم بن الحنفي المذكور ، معتقدا بأن جميع الفنون لاتتعاطى الا باذنه وأمره ، فكاتبت السيد الهاشم في ذلك ، فوعدني بعد حين ، بعد أن تقدم الي بتدريس الشيخ خليل وابن عاصم والزقاقية والرسالة والخلاصة لابن مالك وغير ذلك ، نائبا عن المدرس سيدي ناصر المانوزي المذكور ، فساعدته وأقمت ستة أشهر في التدريس من غير انجاز وعده في مطلوبي ، وتكررت المكاتبة بيننا تارة بلطف وتارة بعنف ، وتقدمت اذا لم يساعدني على مرادي أن يساعدني على الرحيل الى مدارس أخرى ، لما علمت من أنه محب لاقامتي هو وجميع الطلبة ، ثم

---

(١) وقد تقدم الكلام حول وقت ابتدائه هنا وانه في رجب لا المحرم

(٢) قد تقدم أن المترجم اخذ هذه العلوم عن ابن عابو الذي ذكر انه أتقنها ولعله انما يريد التبرك باعادة اخذها هنا ، والا فانه لحذقه قد يكتفي بمرة فضلا عن مرار • وقد وصف نفسه بالتحصيل

امر السيد ناصر بافتتاح مصنفي التلخيص والسلم ، فختمناهما في أقل من ثلاثة اشهر ، كل ذلكوأنا جاد مجتهد في ماموريتي من تدريس الفنون المتقدمة وزيادة فنون اخرى ، الى أن أظلم الجو بيني وبين الحسدة من الطلبة لامور كثيرة سببتها المنافسة والمعاصرة ، التي تمنع المناصرة ، فيأمور يطول شرحها واسباب يطول ذكرها ، ولابأس أنْنلم بشيء منها بتقديم مقدمة على ذلك • لتكون كبراعة الاستهلال في الدلالة على المقصود

فنقول : لما توفي صاحب الزاوية وشيخها وامامها الشيخ الحسن بن احمد بن محمد عام ١٢٩٧هـ ولم يعقب سوى بنت توفيت صغيرة ، وترك اولاد اخيه سيدي المدني وسيدي الحنفي وسيدي الهاشم والمكي وغيرهم ، وترك معهم اخته لالة خديجة بنت أحمد المتوفاة عام ١٣٢٤هـ تنافس هؤلاء الاحفادامر الزاوية مع بنت الشيخ دنية المذكورة ، وكانت مسموعة الكلمة لان الناس يلتفتون اليها بعين الاعظام والاكبار ، مراعاة لوالدها واخيها الشيخ الحسن ابن أحمد ، فكان الزوار يردون ليلا ونهارا بانواع الهدايا ، فلا تسمح لابناء اخوتها الا بما تريد ، فتعطي من تشاء وتحرم من تشاء ، فحازت لهذاأمر الزاوية ، وصار على يدها أمر الطلبة والمدرسين ، وهي قائمة بمئونة الجميع امالها من الثروة والجاه ، الىأن قام اولاد اخيها سيدي الحنفي دونها لما نبغ فيهم الفقيهالسيد الهاشمبنالحنفي وأخوهالسيدالحسن بنالحنفي بحجةانهمامن اهلالعلم ، وأنهما احق بها واهلها ، وان امرالزاوية لايتولاه الا العلماءوورثتهم في العلم ، لا الجهال من الرجال والنساء ، وكان هذا أيضا منتهى هوى الطلبة وذوي الرأي والعقل ، فثار الجمهور على لالة خديجة ومن نحا نحوها منابن أخيها السيد المحفوظ الذي ليس بعالم ، ومالوا الى أولاد السيد الحنفي وهو الفقيه السيد الهاشم ، فالقوا اليه زمام الزاوية ورضوا بمئونته وأوامره ، وكانوا تحت طوعه في امره ونهيه ، واعانهم على ذلك اخوته الاشقاء واكبرهم احمد بن الحنفي ، والعربي ، وهو أصغرهم سنا ، واكثرهم جسارة • والسيد المدني وهو الخليفة عن أبيه السيد الحنفي ، فقام السيد الهاشم بامور تلك الزاوية من عام ١٣١٢هـ الى ان توفي عام ١٣٤٥هـ مع منازعات وقعت بينهوبين لالة خديجة التي كانت تبعث بالمئونة للطلبة فكانوا يتركونها للكلاب وياكلون مئونة السيد الهاشم مع قلتها وخشونتها رغبة فيه واستنكافا من استحواذ المرأة علىأمورهم ، ووقعت امور أدت الى حروب بينها وبين اولاد اخيها الى ان توفيت في السنة المذكورة ، فتنازع في تركتها ، وهي شيء يجل عن الحصر ، وارثوها وهم ابن اخيها السيد المحفوظ وأبناء ابن أخيها يتقدمهم أصغرهم العربي بنالحنفي ، فادعى أولاد السيد الحنفي ان أموال الزاوية لاتورث ، وانما هي لمن تولى أمر الزاوية ، فتفرقت عليهم قبيلة (أمانوز) فرقتين فرقة معأبناء السيد الحنفي ، وفرقة مع سيدي المحفوظ ، فوقع القتال في الزاوية شهورا ، وكانت الغلبة للعربي بن الحنفي فاستصفى تلك الاموال ، غير أنه

لم يعط للزاوية نقيرا ولاقطميرا ، بل اتخذ جماعة من صعاليك اهل (امانوز) يضرب بهم من حاد عن رايه ، وصار عمه المحفوظ مهضوم الحق ، بذهاب ثروته وقتل ابنته في الحروب ، الى ان توفي أيضا عام ١٣٣٣هـ فتولى العربي جميع مابقي بيده ، وتزوج امرأته ، وحاز ابنته الباقية الى ان ماتتا مسمومتين عام ١٣٣٦هـ وكان أخوه الاكبر أحمد بن الحنفي المسيطر قبله على وادي (تيمكيدشت) قد توفي أيضا وترك زوجته زهور بنت أبي الحديد الصويرية وابنتيه معها فاطمة وفاضم ، فتزوج العربي المذكور بها ، واحتضن البنتين مع مالهما ، ولما صفا الجو للاخوة الاشقاء الاربعة أبناء السيد الحنفي وهم الهاشم والمدني والعربي والحسن ، وقعت المنافسة بينهم أيضا ، بأن طالبوا كبيرهم المدني بن الحنفي الخليفة عن أبيه زمانا طويلا بمالهم الذي حازه ، وكان فيما زعموا اكثر من ثلاثة ملايين ريالا سكة فرنسية وزيبلية وشيئا كثيرا من الذهب واللبان والفضة الغير المسكوكة ، وهرب لزاوية (اييغد) بـ (أمانوز) عند صهره السيد محمد بن علي بن الحاج الوجيه الشهير ، فنقل اليه أمتعته وصناديقه المملوءة ذهبا وفضة ، وكان من ثقات أصحابي ، وقد رأيت هذه الصناديق في بيت صغير مقفل دائما في بعض الايام ، فبقي الثلاثة بـ (تيمكيدشت) متنافسين ، لاسيما العربي وصاحب الزاوية الهاشم بن الحنفي لان الاخير غلب بانتسابه للعلم وبالمدرسة ، فله بذلك قوة عظيمة ومهابة خارجية مع ماله من الدهاء والمكايد ، وعجائب الحيل في التمويهات ، والترهات التي لايطلع عليها غير خالقه ، فاستكان له الصغير العربي بن الحنفي ظاهرا

وأما الفقيه السيد الحسن بن الحنفي ثاني العالمين فانه نجا بنفسه ، وانفرد عزبا في دار هناك ، بناها اخوهم الهارب الى (أييغد) المدني بن الحنفي وتوطنها واتخذ طباخة ، وتخلى عن جميع أمور الزاوية ، تخوفا من غائلة صاحبها وكان يخالط طلبة المدرسة احيانا وأحيانا فلا ، وكان فقيها مشاركا مشاركة حسنة ، لاسيما في الحساب والفرائض والتنجيم والتعاليم ، وعلم النار ، وربما يتعاطاه والجداول والاوفاق وغير ذلك ، الى أن كانت سنة ١٣٢١هـ

في هذه السنة ١٣٢١هـ انعزل صاحب الزاوية عن الناس جميعا ، لاسيما الطلبة في المأذنة اى الصومعة مع بعض أصحابه الفساق وأهل اللهو واللعب بالدفوف قد استخلصهم لنفسه ، ومكث فيها أزيد من أربع سنين ، ثم انتقل الى داره ، وهو على تلك الحال • وزيادة مخالطة النساء بأنواعهن ، زاعما - والزعم مطية الكذب - انه مجذوب لاحرج عليه ، فصار الطلبة يتقولون عليه أنواع الاقاويل ، وصاروا يقترحون عليه الخروج الى المدرسة لحضور التدريس وغيره ، فأبى ولج في لهوه مع قرنائه ، فلاتسمع ليلا ونهارا الاالضرب بالدفوف والرباب والموسيقى ، وأنواع زغاريد النساء الشواب المحصنات وغيرها • يبعث اليهن في الانحاء القريبة والبعيدة فيلبين اجابته بارتياح لزعمهن انه ولي

اوغوث كما اعتقده سائر طلبة مدرسته ، فيقمن عنده أياما بل أشهر بل أعواما فيما رأينا وشاهدنا وأزواجهن في كل ذلك مرتاحون راضون ، ويزورونهن عنده ان شاء ، وان لم يشأ فلا ، معتقدين في ذلك أن رضا الله في رضا الشيخ

ثم افترق الطلبة عليه فرقتين ، فرقة مع الفقيه السيد الحسن أخيه ومع سيدي العربي المتحمل لمئونة الزاوية ، وفرقة مع المدرس السيد ناصر المانوزي المتعصب لصاحب الزاوية السيد الهاشم ، فوقع بين الفرقتين شر عظيم ، أدى الى المقاتلة والجروح فبعث اليهم صاحب الزاوية ووعدهم ومناهم حتى سكتوا واستكانوا على دخل ودغل ، الى ان وصل موسم المولود والعادة أن يحتفل الناس به هناك ، وذلك عام ١٣٢٨هـ فلما امتلا الموسم بأنواع الناس الزائرين ، بعث الى الطلبة أن يخلوا المدرسة كلهم وأن يخرجوا منها أمتعتهم وأجلهم لذلك ثلاثة أيام ، ومن أقام بعدها فلا يلومن الانفسه سواء كان قريبا أو بعيدا ، سواء كان من جهته أومن المعادين له ، حتى المدرس سيدي ناصر وشيعته ، فاستعد الطلبة للرحيل وصاروا يخرجون أمتعتهم الى السوق ليبيعوها ، فباعوا الفراش وأنواع الكتب والدقيق والادام وغيرها ببخس من الاثمان ، فلما كان يوم السبت لم يبق في المدرسة أحد ، وتفرق الطلبة شذر مذر ، بعد توسط كبراء القبائل ووجهائها في العفو فأبى الا تنحيتهم ، ثم بعد شهر صار يكاتب من أحب منهم أن يرجع ، فكان منهم من رجع ، ومنهم من امتنع الى ان رجع مقدار ثلاثين فقط ، والباقي لم يسمح له بالرجوع ، لاسيما القرباء فانه لم يقبلهم ، ولم يقبل الاالغرباء الاباعد ، مثل أهل (وزكيتة)(ومتوكة) و(حاحة) و (سكتانة) وأهل (الويدان) (١) ثم نهى المدرس أن يقبل احدا ممن جاء بعد الثلاثين ، فمضت سنة أو أكثر على هذه الحال ، الى عام ١٣٢٩هـ التي وردت فيها الى (تيمكيدشت) فلما وردت أشاع الطلبة وغيرهم أنه لايقبلني ليمينه الجهيد ، فقبلني وانفتحت بذلك ءامال كثير من المطرودين فجاءوا • فمنهم من أقام مقبولا ، ومنهم من منعه ، فلما أقمت ماأقمت كما تقدم ، وصرت مرعي الجانب ، معظما مبجلا من لدن صاحب الزاوية بما قمت به من أعباء التدريس ، ونشر العلم وبثه ، وانثال على الطلبة يتوسطون بي لدى صاحب الزاوية فكان يسرع الى مرضاتي في قبول شفاعتي فلما رءاني اخوته سيدي الحسن بن الحنفي وأخوه سيدي العربي كذلك ، حركتهما الغيرة والمنافسة فاتخذا كل حيلة في فصلي عن صاحب الزاوية وافساد عقلي ، فكنت اذذاك ليس لي علم بما جرى بينهم ، وما وقع من المنافسة والمنافرة ، فصار سيدي الحسن يرد على كل يوم الى بيتي ، يأكل معي ويذاكرني ، ويستدعيني الى

١) مراده بالويدان بلد (ايسافن) وذلك هو تعريبه الحرفي ، والوادي لايجمع بالويدان وان اشتهر هذا الجمع ، وانما يجمع بأودية وأوداء

داره ، ويكرمني بأنواع الاطعمة والاشربة ، وذلك كله أمر تدبر بالليل ، الى أن آنساني وأنست بهما ، ثم صارا يلقيان على سبيل النصح والاستشارة في جميع شؤنهما الى أن تمكنا مني تمكنا بليغا ، فصار يلقيان الى مايجدان في صدورهما من أخيهما سيدى الهاشم مستكتمين ذلك كله ، فوقعت صبغة ذلك كله في قلبي •

ولما علم بذلك كله أهل المدرسة وغيرهم لما يرون من كثرة التردد الى بيوتهم والغشيان لمجالسهم ، وكثرة انعامهم علي بأنواع البرور ، والتزلف الى ، دسوا الى بعض من له معي الفة وصحبة من تلاميذى ، فاستدعاني الى بيته فجرت المذاكرة في ذلك كله ، فلما ءانس الايناس مني ، وقبول التلقي ، صدمني بما عنده صادعا بذات صدره وصدور أهل المدرسة ، وشيعة سيدى الهاشم قائلا أرى أن تفارق ذلك الرهط ، من أخوة صاحب الزاوية وشيعتهم ، فانهم دسيسة وحيلة لوقوع الشنئان بينك وبين سيدى الهاشم وليس لهم في اكرامك نية صحيحة ، ولامحبة أكيدة ، لما هو معلوم من حالهم ، من ان كل من كان من أوتاد هذه الزاوية بكثرة المنفعة والمصلحة لابد أن يدسوا لتقويضه وسعى الفساد بينه وبين أهل الزاوية ، فلما سمعت منه ما سمعت سكت عنه ، وربما خاطبته بما يناسب المقام ، الى أن تفارقنا بسلام ، فلما علم ذلك الرهط من الاخوة بذلك بوسائط المرجفين ، رجعوا الى بالملام ، في قبول اقوال مثل هذه ، وزادوا في التقرب الى والتزلف والانحياش ، أكثر مما كانوا عليه من قبل ، الى أن اسود الجو ، وأظلم مابيني وبين أهل المدرسة ، وراجت بيننا اقاويل ومكاتبات ومعاتبات أدت الى مباغضات (١) وأما صاحب الزاوية سيدى الهاشم فهو في حيز السكوت ، ولم يبدها لاحد من الفريقين ، بل ربما يرجح كفتي على كفة غيرى ، تحلما منه أومكيدة ، ولما رأيت الحال ، وتفطنت للمئال قطعت التدريس • وانقطعت عنه وعن مجالس الطلبة ، وراودوني على مواصلة العمل ، فامتنعت فكان ذلك منية لاعداء الزاوية ، وفيه لي مصلحة لاتخفى من بعد ذلك ، فما كان غير قليل حتى بعثت الى صاحب الزاوية أن يأذن لي في الانصراف ، ومبارحة زاويته ، معتذرا له بأمور ، منها أنني قد عزمت على السفر للطلب بفاس أو مصر أوغيرهما من بلاد الله ، ومنها أن الوالدة قد نهتني عن المقام بهذه الزاوية طرفة عين ، ومنها أنني بالمقام فيها يتفاقم الامر ويتسع الخرق على الراقع ، فقال أقم حتى أستخير الله لك ولنا ، فأقمت نحو ثلاث ، فبعث الى الشيخ سيدى ناصر المانوزى المدرس ، فقال لي ان صاحب الزاوية يأمرك بالمقام ، قائلا لك : ان أمرك لايستقيم في غير زاويتنا ، فان أردت الاجرة على التدريس أعطيناك مع زيادة التزويج باحدى بناتي ، والاتحاف بكل ماتحتاج اليه ، من عبد وأمة ودار وغير ذلك ، فلما سمعت منه ذلك أنفت

١) بل الى الضرب فيما شاع على الالسنة

منه أن يراودني بمثل هذا ، فما زادني الا نفورا لما في نفسي من همة عالية في التوقان الى الطلب ، وشهامة في التنافس في الامور الغالية وفي أعمال السبب الى المراتب العالية ، فأقمت نحو ستة من غير خروج الى التدريس ، الا ماكان من الخواص الذين بيني وبينهم مودة متينة ، ولهم في القلب مكانة مكينة ، فانهم ياتونني في جميع الاوقات لقراءة الشيخ خليل وابن عاصم وابن عاشر والزقاقية والفرائض والحساب والتفسير وجمع الجوامع والتلخيص ومقامات الحريري وغيرها مما يهمهم ، مابين العشرين الى الثلاثين طالبا ، وربما يخالطهم من ليس على شاكلتي ممن قصده الاستفادة او التجسس

وفي أثناء كل هذا يتردد الى المخالفون لهذه الزاوية من أصحابي ، مثل ذوى يزيد ، وأيت (تحت الحصن) الالغيين ، والكرسيفيين ، وغيرهم • والكل يندبني للخروج منها الى غيرها من بلاد الله ، ففي بعض الايام زارنا صديقنا الفقيه العلامة الاديب سيدى أحمد ابن الحاج محمد بن بلقاسم اليزيدى (المتوفى في ربيع الاول عام ١٣٦٤هـ) وتذاكرنا الامر ، فعنفني وعاتبني على الاقامة على المذلة والهوان ، منشدا قول الشاعر في مثل :

ولا يقيم على ضيم يراد به   الا الاذلان عير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته   وذا يشج فلا يرثى له أحد

فصادف مني في انشاد هذين البيتين أذنا واعية ، وأثار في القلب الى الارتحال فيها داعية ، وهو حينئذ يشتغل في الطلب بمدرسة (ابي مروان) بسملالة على شيخنا علامة العصر سيدى الطاهر بن محمد الافراني الشهير ، فلما رأى مني لوائح الاستجابة والقبول أشار علي بكيفية تحويل أمتعة البيت والحيلة في ذلك ، ففعلت ، واخذت المفتاح وسلمته لطالب من وادى سوس بـ(ايرازان) من أصدقائي ، ممن يقرأ علي ويباشر أمورى ، وواعدته الرجوع بعد حين ، ثم سافرت الى (ابي مروان) بسملالة ، ولما وصلته وجدته في انتظارى ، وقد فرح بي وفرح جميع الطلبة • واستدعاني الفقيه الاستاذ سيدى الطاهر في الحال ، وسألني عن أحوالي ومرادى ، فأعربت له عن تفاصيله وسألني عن أحوال (تيمكيدشت) وصاحبها سيدى الهاشم بن الحنفي وعما يتعاطاه من اللهو والهوى والضرب بالدفوف والجمع بين الرجال والنساء ، بمجلسه وغير ذلك ، فأجبته معتذرا عن تلك الاحوال بامور من جانب الشريعة واهية ، قائلا ان أهل السماع في الصوفية كثيرون ، فقال نعم والجمع بين الرجال والنساء؟ ثم قال ياسيدى انما نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر ، ثم أفضنا في المذاكرة في الادب وغيره ، وهكذا سائر هذه الايام ، ثم افتتحنا القراءة عليه بالمنهج وتكميله أياما بلا مواد علمية (١) عندى ، وقد كنت تركتها بـ (تيمكيدشت) ثم الجأتني الضرورة الى العودة والاتيان بها ، فاستأذنت سيدى الطاهر بن

١) يعني بلا كتب للدراسة

محمد فأذن لى بعد أن حذرني من التخلف في (تيمكيدشت) اذا عزموا على في الاقامة ، فذهبت اليها ، ولما وصلت شاعت الاخبار فى الزاوية بأني عازم على التحول الى (بومروان) فأرسل الى صاحب الزاوية عازما على قهرمانه: الفقيه السيد محمد بن الحاج الطيب المانوزى ، اذكان من قبيلتي وحبيبي ومحب الطرفين ، فجعل يفتل لى فى الذروة والغارب، قائلا انه ينكت في جلال زاويتنا ومهابتها أن تتحول لزاوية أخرى ، من غير عذر قوى ظاهر من اذن أو غيره ، لاسيما مثلك ممن يتعاطى التدريس فيها مدة عامين ، فذلك كله مما يخدش فى وجهها ، على أنه لم يعوزك عندنا شيء من المئونة والاثاث والكتب ، وسنرشحك ان شاء الله لما هو أليق بمنصبك من المدارس الكبرى ، ذوات الزكوات والاعشار والطلبة ، الى غير ذلك مما أثقل به عقلى وسمعى ، فخجلت عند ذلك وخضعت لتملقه فى المواعدة والمطمعة ، وخرجت من عنده الى بيتى فى المدرسة ولسان حالى ينشد :

تكاثرت الظباء على خداش ... فما يدرى خداش مايصيد

فتذكرت قول الشيخ سيدى الطاهر بن محمد ، وتحذيره لى وحاله المنشد:

امرتهم أمرى بمنعرج اللوى ... فلم يستبينوا الرشد الاضحى الغد

ثم رجعت الى موضعى أولا من التدريس ، جادا ومجتهدا ، دؤوبا على الاقراء ليلا ونهارا فأقمت بعد ذلك ثلاث سنين درسنا فيها البخارى ثلاث مرات ، وابن أبى جمرة والتفسير مرة ، وجمع الجوامع والتلخيص ومنظومة الاخضرى والسلم مرارا ، والمقنع كذلك ، والفرائض والحساب والشيخ خليلا مرة واحدة ، والعاصمية كذلك ، ولامية الزقاق والفروق للقرافي والرسالة لابن أبى زيد والمقامات للحريرى ، والالفية لابن مالك ، ولامية الافعال مرارا والفية العراقى مرة ، ودالية اليوسي مرة ، ولامية ابن الوردى والشنفرى ، ومقصورة ابن دريد ، وروضة الازهار بالبعقيل ورسالة الماردينى والكامل للمبرد مرات ، والقوانين لابن جزى ، وابن عاشر مرتين والسنوسية مرارا ومطالعات كتب التواريخ، وأيام العرب، والعروض• والخزرجية• والحمدونية والدمنهورية •

فلما كانت سنة ١٣٣٤هـ فى شعبان منها ، قدم وفد من اعيان (ايدوسكا) بهيلانة برئاسة شيخهم عمر بن على البيهاميدنى الدوسكويسى الى زيارة (تيمكيدشت) ويقصد الاتيان بالمدرس الى زاويتهم مدرسة سيدى عبدالله بن يبورك من (توملیلین) بانتخاب صاحب الزاوية ، فانتخبت من بين طلبة المدرسة بحضور جم غفير من علمائها ، فأوجبوا على الذهاب مع الوفد، للتدريس فى الزاوية المذكورة ، بمرتب سنوى له بال سيأتى ذكره

ذكر بعض الاحداث الواقعة خلال هذه السنين

فى رجب عام ١٣٣٠هـ الموافق ابريل سنة ١٩١٤م اجتمع علماء القطر

السوسى قاطبة بمدينة (تيزنيت) على نصب امير يراس الناس لتدبير امور الجهاد ، لما انتشر أمر الحماية الفرنسية على المغرب بأمر (١) سلطانه الحالى اذذاك المولى عبدالحفيظ ابن المولى الحسن ساخطين عليه وعلى الحماية، فاجمعوا على مبايعة علامة زمانه الشيخ أحمد الهيبة ابن الشيخ ماء العينين القلقمى الصحراوى بعد مراجعات بينهم ، وكان اذذاك مستوطنا لتزنيت بعد وفاة أبيه فيها ، فبايعوه وأمروا القبائل بالاجتماع عليه فجاءوا اليه مهرعين ومن كل حدب ينسلون ، من (السودان) الى (شنكيط) الى (تافيلالت) الى (درعة) الى (مراكش) ولم يتوقف أحد عن مبايعته ، واتته رسائل المبايعة من المدن المغربية ، ولما تم له الامر فى بلاد السوس ، خرج من قرية (٢) تيزنيت بجر الحجر والمدر ، فى أناس لايحصيهم غير خالقهم ، واعانه على ذلك خصب العام ، وكثرة الخيرات فيه ، فوصل لتارودانت (٣) فبايعه قائدها احمد الكابا المقتول مذبوحا بعد ذلك فى محل معلوم من قبيلة (اداوزال) واولاد أيت ابن عيسى ، من رؤساء قبيلة اولاد يحيا ، وقائد هذه القبيلة ناصر بن الحاج على ، ورؤساء (تيبيوت) (٤) والقائد العربى الضرضورى الاولوزى وجاء جميع قواد سوس وكبيرهم القائد حيدة بن مايس المنابهى ، والقائد على بن مالك ، وقواد (هوارة) و (هيلالة) ـ ايلالن ـ و (سكتانة) و (هشتوكة) فلما اجتمع له هذا العدد العديد جندهم واستخلف عليهم أخاه الشيخ مربيه ربه ، وكان جليلا سائسا حاذقا ، صارما لوساعدته الاقدار ، وخرج بهذا الجيش العظيم دون نظام ، ولاتعبئة حسنة ، الا فى الاجتماع الظاهرى ، وسلك بالناس طريق (المنيزلة) بعد مراجعات وقعت بينه وبين الباشا الاعظم السيد عبدالملك المتوكى الذى كان يحكم مابين (ردانة) الى مراكش ، وكان قد لاطفه ان يسلك بالجيش طريق اكادير الى (حاحة) الى (الشياظمة) و (الصويرة) فـ (دكالة) فـ(مراكش) ويدخلها من هذه الوجهة ويتقوى بهدايا قبائلها وزكواتهم واعشارهم وينكب عن ارض متوكة (ومزوضة) ريثما يتقوى هو أيضا وقواد الحوز بما يقبضونه من الدولة الفرنسية من الاموال الباهظة من صناديق السلاح وغيره مما تعطيهم اياه للدفاع عن (مراكش) وعنها فامتنع الخليفة أن يسلك بالجنود غير

---

١) ليست الحماية بأمره وانما اضطر الى الموافقة عليها

٢) هى مدينة مسورة لاقرية ، وهل يخفى القمر

٣) لم يدخل الهيبة تارودانت في هذه المرة وانما دخلها أخوه مربيه ربه وغالب هؤلاء القواد الكبار وردوا عليه فى (تيزنيت)

٤) لم يكن رؤساء تيبيوت سوى شيوخ تحت باشوية تارودانت ، وأول من تقيد منهم السيد محمد بن ابراهيم بعد خلع الفرنسيين للحاج حماد بن حيدة ونفيه لمراكش فى نحو ١٣٤٦هـ

أرض (متوكة) لاختصارها وقرب مسافتها الى(مراكش) فاحتشد قواد الحوز بجنود جرارة (١) لمعارضته والدفاع عن اراضيهم ، فلما دنت منهم عساكر أهل السوس ، نكصوا وفشلوا كارهين لمقاتلة الامير مولاى أحمد الهيبة متعللين بخروجه للجهاد فى سبيل الله ، بل انضموا اليه وتركوا قواد الحوز اقفر من وتد بقاع

ولما وصل خليفته المذكور أرض (مزوضة) جاءه قوادها وقواد (حاحة) و (متوكة) بالهدايا العظيمة ، منهم القائد عمر المزوضي والقائد محمد النكنافي النفلوسي الحاحي الاتى ذكره بعد ان شاء الله ، والقائد عبدالرحمان الكيلولي (الحاحي) (٢) والقائد السيد الايكيدرى الايزلضني الحاحي ، والقائد كورما وجميع قواد قبائل حاحة ممن لم تحضرني أسماؤهم ، وأمر مناديه ان ينادى فى الاسواق بسقوط أحكام القواد عن الرعية ، وان يستوى الكبير فى ذلك والصغير ، والحر والعبد ، والذكر والانثى والرئيس والمرؤوس فى الاحكام الشرعية ، ونصب لذلك علماء سوس ، مثل الشيخ سيدى علي بن عبد الله الالغى السوسى (٣) والشيخ الحاج عابد بن عبدالله بن عمر التيفيراسيتي الوادريمي البوشوارى ، والشيخ السيد محمد (ضما) بن محمد (فتحا) بن عابو الولياضي الاداومحمدى الهشتوكي وغيرهم من علماء سوس والصحراء القائمين بدعوته ، حتى صار كبار القواد مثل المتوكي وغيره بين الرعية لايبالى بهم ولايؤبه لهم ولايسلم عليهم لاحتقارهم ، ففسدت قلوب الرؤساء وصاروا تحت سلطة أهل العلم والدين الذين تولوا أمور الديانة والسياسة ، والكل فى خدمتهم ، وحقدوا عليهم ، ولما استكمل جنوده في أرض (مزوضة) واستعرضها هناك ، وهى مثل الجراد المنتشر • قدم على الجميع اخاه المذكور (٤) وأمره بالمسير الى (وادى تانسيفت) خارج مراكش ، وتقدم الامير احمد هو بنفسه الى دخول مراكش ، وفى مقدمة جيشه القائد الاعظم السيدالطيب الكنتافي(٥)

---

١) ليس هناك الاشرذمة أمام مراكش انفضت ساعتها ، راجع ذلك فى (القسم الثالث) عند ذكر دخول الهيبة لمراكش

٢) الحاحيون لم يردوا على الهيبة الا قبيل هروبه من مراكش بنحو يومين والذى لاقاه فى مزوضة بعض خلفاء القائد عبدالملك فيما سمعناه وهنا وفى بعض الاسماء والحوادث تخليط

٣) هذا بقى فى تيزنيت ، وسيدى الحاج عابد رجع من الطريق الى داره ، وأما أعبو فقد كان معه حتى انهزما من مراكش

٤) كان مربيه ربه سبقه من تيزنيت ، وقد تقدمه بايام الى مراكش ، ولم يره الا هناك

١) لم يغادر الكنتافى داره فى هذه الايام حتى مربه الهيبة منهزما ، وانما الذى كان كبير محلة الهيبة هو حيدة بن مايس

مع رعيته ، والقائد محمد النفلوسي والقائد الكيلولي مع رعية الكل من (حاحة) والقائد يرعى السباعى ، والقائد عمر المزوضي مع رعيتهما ، وهؤلاء كلهم اهل بساطه ، وخدمته بمحبة عظيمة خالصة ، لما بينهم وبين المتوكي والاكلاوى من المنافسة والعداوة ، ولما دنا من مراكش وهو يجر الشجر والمدر ، خرج الباشا الفقيه السيد المدنى الاكلاوى وأخوه القائد التهامي والقائد العيادى الرحماني لمدافعته ، فلما تراءى الجمعان فشلت عساكرهم شان غيرهم من غير طعن ولاضرب ، وانقلبوا من المدافعة الى المداهنة والمهاداة (١) ، فتلقوه بالهدايا بنحو عشرة كيلومترات من (مراكش) وقد قيل أن الاكلاوى أهدى اليه خمسين عبدا كل عبد بفرس ، وعلى رأس الجميع مائدة مملوءة بالنقود الذهبية والفضية وأن القائدين المتوكي والرحماني فعلا مثل ذلك (٢) وحملهم على اخراج القباب المملوءة بالحرير والملف ، وأنواع السلاح للجيش ففعلوا ، وأمرهم بالمسير امامه لـ (مراكش) فتقدموه في جيوش لايحصيها غير خالقها ، رافعين أعلامهم ولما وصلوا الى أبواب المدينة انحشر ايضا أهل المدينة اليهم رجالا ونساء بالبارود والزغاريد وانواع الزينة والحبور ، وذهبوا به الى دار المخزن ، وفيها خليفة سلطان (٣) الوقت المولى عبد الحفيظ ، فأهدى مايناسبه ، واقره فى داره . ولم يتعرض له بسوء . وذلك كله فى نحو عاشر (٤) رمضان عام ١٣٣٠هـ ولما تمكن من دخول المدينة ندب رؤساء الجيش من القواد السوسيين والصحراويين لاخذ الابراج التى على الابواب ، والصوامع العالية ، مثل الكتبية المشرفة على المدينة وغيرها ، وأمر بفتح الابواب ليلا ونهارا ، زاعما أن على كل باب رصدا يدفع ، وروحانية تقمع ، وان المدافع والبارود والرصاص وغيرها من «الات الكفاح فى حقه لاتنفع ، بل اعتقد جمهور الخاصة والعامة الا قليلا (وقليل ماهم) ان المدافع تلهج بنصره ، وتقدس الله وتسبحه ، والاطيار كذلك ، وأن البارود والرصاص لاتصيب أصحابه لبرودتها عنهم ، فى مزاعم كثيرة مثل هذه ، ولذلك كان اكثر جبابرة القطر السوسي (وحاحة) و (الشياظمة) و (دكالة) و (عبدة) والحوز كله الى جهة (درعة) و (سجلماسة) خاضعين له ، متابعين من غير مدافعة بخيل ولارجل ، ولا فكروا فى ذلك لذهاب عقولهم ، وطيرانها بهذه الخرافات المزعومة ، مع شدة شكيمتهم ،

---

١) لم يخرج هؤلاء لمدافعته بل لملاقاته ، الا ماكان من جند قليل ، كان يتهيأ للدفاع ثم اضمحل وذاب ، بل التحق بجيش الهيبة

٢) هذه خرافة وانما أهدوا الهدايا المعتادة من الخيل . فرس من كل واحد او صرر من المال

٣) هو مولاى بوبكر ، ومن أراد تحقيق كل هذا فليراجع الجزء الذى خصصناه بالقائد الناجم ، والذى خصصناه لثال ماء العينين

٤) بل فى نحو الثالث من الشهر

وكثرة عددهم . بل اشيع واذيع ان كل من لم يبايعه تسلط عليه الاسود والذئاب والافاعى فتفرسه وتنهشه ، حتى ان قائد ماسة عبدالله بن بلقاسم تأخر عن مبايعته (١) ريثما يتهيأ له ، فأذيع انه اصيب بجيوش القمل والضفادع ، وأن مرابط (تيمكيدشت) السيد الهاشم بن الحنفى قد اختلس الجنون خزانته العلمية ، وأصيب بجنون ، وأن كل من سرق شيئا يصير مقعدا زمنا فى مكانه ، الى غير ذلك من الخرافات

وكذلك عم الامن والامان جميع البلاد فى تلك الاشهر الاربعة الاولى قبل انهزامه من مراكش ، فما ضاع فيها عقال بعير ، ولاظهر فيها سارق ولاخائن ولانصب فيها حارس على دار ولا على حانوت ولا على متاع أياكان ، فقالت الشعراء فى ذلك وأطنبت ، ومما زادهم اعتقادا هبوط الاسعار هبوطا لم يعهد مثله ، اذ يباع الشعير بنصف فرنك (نصف بسيطة اذذاك) للعبرة منه ، والقمح بفرنك واحد ، والكبش بالسوس بريال حسنى ، واللوز بقرش اى ربع فرنك لرطل الحلو منه ، وأما المر فلا يباع أصلا

وكنت اذذاك مترتبا للتدريس بزاوية (تيمكيدشت) فلما سمعت بقيامه بتيزنيت وامتلات الدنيا عياطا ومياطا ودعاوى لاتعد الا من الخرافات ، انحدرت منها الى قبيلة (تاهالا) واستملتهم لجمع هدية سنية ، وتعيين رؤسائهم للوفود فى صحبتى ، وكذلك فعلت بقبيلة (أمانوز) حتى جمعوا لى مالاباس به ، وعينوا معى مايزيدعلى مائتى خيل وبغل ، فاشترينا ما يناسبنا من الهدايا ، وذهبنا قاصدين حضرة تيزنيت ، وأنا رئيس الجميع فدخلناها ضحوة ، وعينت لنا من قبله دار واسعة وهى للتفلوسى الحاحى أيام ولايته لسوس عام ١٣١٩هـ وفيها من القباب والمصارى (٢) والمسارح مايتعجب منه ، ونفذ لنا مايكفينا فاكثر ، من لحم وسكر ودراهم بلا نظام فى ذلك كله ، بل يفيضون علينا ذلك بالتبذير ، كما يفعلون بالجميع ، فلما كانت الساعة الرابعة بعد العصر فى أيام حارة مصيفة ، خرج الينا الامير أحمد الهيبة على العادة ، الى قبته المضروبة له مع كتابه ووزرائه ، من أعظمهم حبيبنا العلامة السيد الحاج الحبيب الميلكى الهشتوكى ، والقائد سعيد بن أحمد الباعقيلى وغيرهما ، واجتمعنا به على هياة حسنة ، وفرح بنا ورحب ، وضحك وهش وبش . وتقبل الهدية . وقدمت اليه قصيدة طنانة كنت قدانشأتها فى طريقنا وقرئت بين يديه ، فاهتز لها ، وزاد فى الاكرام والاعظام ، وذهبنا الى خليفته

١) بل هو القائد محمد الاغبالويى ، لا القائد عبدالله الذى ماصار قائدا الا بعد هذا الحين

٢) جمع مصرية وهى الغرفة العليا من البيت فى اصطلاحنا

اخيه العلامة سيدى النعمان (١) واخيهما الامير مربيه ربه المتولى من بعده فرحبا بنا ايضا ، ودار بينى وبينهم من سلاف كئوس الآداب مايصمي الالباب

وفى تلك الايام القصيرة اجتمعنا بكثير من علماء سوس ونواحيه ، و(الركيبات) و (درعة) و (سجلماسة) الى (شنكيط) فنفق سوق الادب ، وعادت عكاظه ، فلا تمر ساعة الا وترى اوتسمع قصيدة طنانة غريبة من اديب غريب ، وكثرت الغبطة فى ذلك حتى قدم الى الامير احمد من القصائد مالوجمع لبلغ مجلدات كثيرة وصدرت منه أيضا هو واخوته أبناء الشيخ ماء العينين عدة قصائد ، هى سبب نفاق سوق الادب ، اذالناس على قدم اميرهم وسنعرض لايرادما عندنا من بعض تلك القصائد (٢) مما لم تعد عليه يد الدهر ، وأقمنا بقرية تيزنيت خمسة عشر يوما ، كلها غرر فى جبهة الدهر غير أن نظام الناس وسياستهم تحت زوايا الاهمال ، وكثيرا ما أعمل الفكر وامعن النظر فى المستقبل ، اذا استرسل مثل هذا الاهمال ، متفرسا فيه عدم نجاح الاعمال . اذ الفوضى لاتاتى بخير ، والناس فى هذه الايام فيما خيل لى كأنهم مجتمعون للعيد ، لاسيما وقد أسندت الامور الى غير أهلها من الطلبة والعلماء والصوفية ، الذين هم بمعزل عن امور الرئاسة والسياسة ، وترى اهل الرئاسة من القواد العظام فى مذلة ومهانة وخضوع ، قد أدى بهم الحال الى أن يدوسهم أدنى رعاياهم بالالسن والاقدام :

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس

والامير أحمد الهيبة وأخوته ليس لهم الا الاسماء ، فلايامرون ولاينهون بل اشتغلوا بما تعودوه من قبل من الاشتغال بالعلوم ، وتعاطى الاداب نهارا وبالتجهد والعبادة ليلا ، واقتفى اثرهم من شاكلهم من العلماء الذين اخذوا بزمام الامور ، وأما العوام من ذوى الرئاسات والهيئات فقد انسلخوا من الامور كما تقدم ، خائفين من العلماء المذكورين ، لتنبيههم على عدم التدخل فى الامور القليلة والجليلة ، بل انهم كالمساجين لايرفعون رأسا ، حتى انى فى بعض الايام تكلمت فى شئونهم ، راغبا فى ارجاع عزهم ، واعمال افكارهم وسياستهم ، مستعينا فى ذلك ببعض العلماء من الاخوان ، فساعدتنا الاقدار

١) اشتهر بالنعمة ، وان كان شيخنا الاستاذ الافرانى سماه أيضا بالنعمان فى قصيدة فصح له تضمين هذا البيت :

أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره هو المسك ما كررته يتضوع

٢) حقا ، ولكن الغالب فى ذلك من سقط المتاع ومما ليس له من الشعر الا الاعراب والتقفيه ، وعندنا غالب ماقيل هناك من السوسيين على الاقل الا نحو عشرة أو عشرين ـ على الاكثر ـ فقط . وقد ذكرنا كل ماعندنا فى ترجمة الهيبة فى (القسم الثالث)

ونودي بذلك ، فرجعت اليهم الحياة بعد الممات ، ومع ذلـك كله لم يعجبني النظام ، وتفرست فيه الفشل في المستقبل ، لاعراض الامر عن كل سياسة حتى تفرقت بين العلماء قددا وتشتتت بددا

وبعد عشرة أيام من مقامنا بعث الى الامير بواسطة صاحبي الوزير العلامة السيد الحاج الحبيب الهشتوكي والوزير سعيد بن أحمد ، ففاوضوني في كيفية نظام قبائل الجبال والتولية عليها ، فقالوا راينا ان نولي على كل قبيلة عالمامنها ، لنكون مستندين على الحق ، فقلت لهم الراى بـل تتركون ذوى الرئاسات والبيوتات الكبار على ماهم عليه من قبل . وتعـززونهم بالولايات وأما الطلبة فمنهم من لايصلح الا للاكل والشراب والعبادة ، بـل أكثرهم بله مغفلون ، لاتقبل شهادتهم ، وان كانت ترجى بركتهم ، كما قال ايـوب السختياني رضي الله عنه : من أصحابي من أرجو بركته ، ولا أقبل شهادته وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يولي دهاة الصحابة مثل عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومعاوية بن أبي سفيان وخالد بن الوليد (١) وابـي عبيد الثقفي وغيرهم ، مع حضور كثير من الصحابة السابقين اهل بدر

فلما سمعوا مني ذلك استصوبوه ومالوا اليه ، لاسيما القائـد سعيد الباعقيلي الصدر الاعظم عنده ، فانه مال اليه اكثر من الفقيه الوزير السيد الحاج الحبيب الميلكي المذكور ، لان ذاك أمي ، وهذا من اهل العلم المتعصبين لجنسهم ، مع أن فيه نباهة وافاقة ينظر بهما من ستر رقيق

ولما شاعت هذه الاخبار ولم تعجب الطلبة ولانشطت قلوبهم اليها ، تئامروا فيما بينهم على الاضراب عن هذه السياسة فاجتمعوا الى صاحبنا الشيخ المرابط العلامة السيد الحاج عابد بن عبدالله بن عمر التيفراسيني الوادريمي البوشواري الهشتوكي ، القائم الاول بالدعوة الماء العينية الكبير النفوذ فـي بسيط هشتوكة وجبالها ، ففاوضوه والقوا اليه ماسيجدونه من تولية رؤساء القبائل ، وتخوف اختلال الامور من بعد استقلالهم بها ، وان عادتهم وششنتهم الظلم والطغيان ، فمال الى قولهم او كاد • فاجتمع بنا في جماعة ، منهم شيخنا العلامة السيد محمد بن عابو الهشتوكي ، وشيخنا العلامة الرئيس المرابط السيد علي بن عبدالله الالغي ، والعلامة الشيخ السيد المحفوظ الادوزي • وغيرهم ، ففاوضنا فيما ناله من شكاة الطلبة ، فوقفت امامه مجابها دون حياء مني ، وانتهرت بعض الطلبة الذين معه بقول : الطلبة لايصلحون الا للعياط

---

١) ذكر خالد بن الوليد هنا انما هو جمع للنظراء على سبيل التمثيل ، والا فان المعروف أنه لم يل شيئا من أمور المسلمين بعد وفاة ابي بكر رضي الله عنه ، وكان عزله من أول الاعمال التي عملها عمر بـن الخطاب في صدر ولايته . وكذلك أبوعبيده . فالذي استحضره الان أن الذي ولاه هـو أبوبكر لاعمر

وأكل الكنارية ـ أكناري (التين الشوكي) ـ والهمز واللمز حوالي المدارس ولايحسنون غير ذلك ، فليتركوا القوس لباريها وللرياسة أهل وأحكام تخصها لايعرفها غير اربابها الذين غذوا بلبانها ، والطلبة بمعزل عنها ، وأنشدتهم :

وللتدابير فرسان اذا ركضوا فيها ابروا كما للحرب فرسان

وأعلمتهم بأن الامر اذا فوض اليهم يصير الى ماقاله الشاعر :

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس

وأنهم اذا لم يعملوا بماذكرنا يصير أمرهم لعبة ، وأن عليا رضي الله عنه لمافوض امر التحكيم الى أهل العراق ، بعد امتناعهم ممن عينهم من عبدالله ابـن عباس رضـى اللـه عنهـمـا ، او الاشتر النـخـعـي رضـي اللـه عنه فشلوا امام مفوض معاوية وهو عمرو بن العاص داهية العرب المعروف، وغلبهم عمرو ، وبايع معاوية فوقع من الخلاف والفشل في معسكره على ماهو معروف في التاريخ ، ومالم يفد فيه الا ان عليا عض على يديه وقـال أأعصى ويطاع معاوية ؟ ثم ينشد البيت المعروف :

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد الاضحى الغد

على ان ذلك زمان صالح ، كيفما كان الامر فيه ، فما ظنك بزماننا هذا

فلما سمعوا مني ماذكر استصوبوه وجازوني خيرا ، وانفضوا وتركوا كلا على عمله ، وبعد هذا كله لم يعجبني ذلك النظام الخالي من التدبير في جميع شئونه الداخلية والخارجية ، لان اكثر المدبرين هم الاعراب الصحراويون الذين لايعرفون من أحوال الامور الا أحوال الجمال والصحارى والفيافـي والرمال ، وأما الامير المولى أحمد فانما هو صورة يدخل ويخرج منصوبا لاغير فان كلمته في أمر من الامور او شاورته اجاب بنعم ، ضاحكا مقبلا على عبادة ربه ، لايفتر لسانه عن ذكر الله ، والسبحة يسردها في يده من غير التفات ولاتفكير في تلك الامور ، ولا تلك الجيوش المحشودة ، ولاتلك العذراء المنشودة ولذلك ، فاني لماتبين بعد ايام أن الامر لايتم على هذا الحال رفضتهم هاربا قبل صلاة الفجر في اثنى عشر فارسا من أصحابي ، راجعا الى بلادي بعدما ندبوني لقيادة بعض العسكر الى (رودانة) ثم الى (مراكش) فرجعت الى تدريسي ، ولزوم أموري ، فراسلوني مرارا فلم أعد اليهم ، ولا اجتمعت بهم الابعدما اختل أمرهم • وتقلص ظلهم من (مراكش) و (رودانة) ورجعوا الى (كردوس) بعقيلة في ولتيتة (١)

---

١) كل ماذكره المترجم لم نسمع به من عند الحاضرين اذذاك ، ونحـن لا نحمله الاعلى الصدق فيما يقوله عن نفسه لاننا نعلم منه جراءة ولا علينا في غيرنا ان ظن ظنونا

دخوله لمراكش

وفي نحو عاشر رمضان (١) من العام نفسه دخل مراكش كما تقدم ، وتقدم الى دار المخزن ، وفيها خليفة السلطان المولى عبد الحفيظ بن الحسن وهو أخوه صاحبنا في الله المولى أبوبكر بن الحسن ، وحاشيته من عبيده وأصحابه ، فتركهم ولم يتعرض لهم بسوء في مساكنهم ، وأهدى له الخليفة المذكور هدية نفيسة ، وتمكن من مراكش وأخذ ابراجها وأبوابها وأسوارها وصوامعها ، ولما تمكن منها اصطفى لنفسه ذويه من الاعراب الصحراويين أهل اللثام ، ومن انتمى اليهم لاغير فيجميع شئونه ، وحالوا بينه وبين علماء سوس الذين قاموا به وعززوه ونصروه فحقدوا عليه ، ونهوه عما يشتغل به الاعراب فيالمدينة من العيث والغصب في متاجر التجار ، ومايفعلونه مع الباشا عبدالملك المتوكي ، والباشا المدني الاكلاوي ، وأخيه الحاج التهامي ، والقائد العيادي وغيرهم من عمال الحوز المتأخرين عن البيعة ، وذلـك أنهم رسموا لهؤلاء العمال ان يتقدموا الىالامير بالخدمة والهدايا ، فاذا تقدمـوا بهداياهم أوقفوهم زمنا طويلا بباب الامير احمد بلا اذن لهم ، قصد اهانتهم وتحقيرهم بل كانوا يسبونهمفي الازقة والابواب ، وينادونهم بالنصارى والمجوس ، وربما يضربونهم فلما رأوا الجفاء العظيم ، اجتمعوا ليلة من الليالي بدار الاكلاوي المدني ، فأفضوا اليه بماناالهم من الاعراب وعيثهم ، وأنهم يدافعونهم اكثر ما أمكنلهم ، ولولم تكن لهم بهم طاقة ، وأن الموتأهون عليهم من تلك المذلة ، فقال السيد المدني مهلا . فان استعمال الحيلة في تفريقهم احسن مـن ان نحارب جيشا عظيما من أهل المغرب فيه من الشجعان والابطال وذوى الحروب والقوة مالايغلب ، وقالوا له ماذاترى ؟ فقال ارى ان نجتمع كل ليلة ، ويأتي كل واحد منابهدية عظيمة من الذهب والفضة ، وأذهب بهاكل صباح اليه ، حتى تتمكن المعرفة ، وتستحكم الخلطة ، فقبلوا منه فكرته

ثم صاروا يجتمعون كل ليلة في دار السيد المدني هذا ، ويأتي من وصل دوره بما عين له ، فاذا أصبح الصباح ذهب السيد المدني بذلك الى الامير ، فيجد على أبوابه الاعراب الصحراويون خاصة للعسة والحراسة ، فاذا رأوه مقبلا نحوهم اقبلوا عليه بالسب والشتم ، وينادونه ياولي الكفر ، ويامحمي النصارى ، أنتكافر . وأنت نصراني حقيقي ، فيرضخ لهم بشيء مما معـه فيسكتون ، فيستاذن عن الوزير محمد الامين الصحراوي ، وهو شاب لـم تحنكه الامور ، ولاحلب الدهر اشطره ، فياذن لهويعطيه أيضا أضعافمايعطيه للامير ، فيدخله عليه ، فاذا دنامنه ـ على ماحكى ـ يبالغ في التأدب لجلالتـه

١) قد بينا وقت دخوله في ترجمة الهيبة . وانه نحو ثالث رمضان

بالانحناء والمشيعلى الركب الى ان يصل امامه ، فيضع له بيده تلك الامـوال المنبثة ، ويفاوضه فيما أراد مما ينفعه هو وأهل دائرته المتقدمين ، مستعينا عليه بالوزير المرشو وغيره ، وهكذا يفعل كل يوم ، الى ان ملك قلوبالامير والوزير والمسس ، فلما ثبتت الالفة ، واستحكمت المحبة ، وسقطتالكلفة وحصل بغيته ، ونال منيته ، شرع فيأعمال المكر بأهل دائرة الامير منقواده ورؤساء جنوده ، فاستهوى البعض منهم بالعطايا والمداراة ، واظهار النصح فخدعه بالخضوع له ، والبعض ممن له دهاء ونباهة مثله ممن ساس الامـور كالكنتافي (١) والنفلوسي والكيلولي (٢) وقواد الحوز وسوس مثـل القائد حيدة ، والقائد عياد الجراري (٣) وأخوه القائد عبد السلام ، والقائد أحمد الكابا الروداني ، وغيرهم ممن تقوى بهم الامير ، وصاروا له حرزا حصينالم يخدعواله ، بل حذروا الامير والوزير وغيره من مراوغته ، وغائلة مخالطته وانه يسر حسوا في ارتغاء ، فاجمع رأى هؤلاء القواد المذكورين على ان يبعثوا احدهم الى الامير للمفاوضة معه في جميع الامور ، ومن اعظمها عدم مخالطـة الاكلاوي المذكور ، وعدم الانصات الى خلب بروقه ، ولاالى غرور ترهاتـه وشروقه ، وأنهلاهم له لامحالة الا في تفريق شمل الامر والمأمور ، وابتغاء الفتنة بين الامير والرعية في الورود والصدور ، فقال لهم القائد الكنتافـي والنفلوسي (٤) والقائد الناجم ، نحن لها ان قبلها الامير ، فتـقـدمـوا اليه واستاذنوا عليه ، فاذن لهم . فلما اطمأن بهم المجلس تكلموا فيما جاءوا اليه وابدأوا وأعادوا في النصح . جزاهم الله خيرا . لـو وجدوا لهم أذنا صاغية ومنجملة ما نصحوه به أن قالوا له : انقواد مراكش الاكـلاوي والمتوكـي والعيادي لايستقيم معهم أمر من الامور مع أي دولة ، ولو اجتهدت فياصطناع المعروف معهم وغرستها على يدهم ، وفعلت معهم من الخير والجميل مافعلت ، واعتبر يامولانا بمافعلوه مع السلطان المولىعبد العزيز ، وأخيه السلطان المولى عبد الحفيظ ، وغيرهم من السلاطين الذين يلعبون بهم مع انهم صنائعـهـم وشربوا نعمتهم ، فكيف بك انت وأنت اجنبي عنهم ، مهاجم لبلادهم من غير معرفة ولاتبصر ، ثم استرسلوا في الكلام حتى طلبوا منه ان ياخذ منـهـم حذره . أما بقتل وامانفي الى قطر بعيد كـ (ردانة) أو (تيزنيت) أوغيرهما من البلاد البعيدة فقال أما القتل فلا سبيل اليه بعدما قالوا لااله الا الله ، وأما النفي ايضا فلم يستوجبوه لانهم مثلكماو اكثر في الخدمة فلما أيسوا منـه

١) لم يحضر في مراكش اذذاك

٢) لم يكونا الى مراكش اذذاك لانهما لـم ياتيا الا قبل فرار الامير بنحو يومين بعدما تم الدست عليه

٣) هذا لم يذهب الى مراكش

٤) راجع ما تقدم قريبا عن هذين

وعلموا أنه لايتم له امر مع هؤلاء الذئاب ، وانه بمعزل عن سبل السياسة ليس لهمعرفة ولاالمام بشيء منها ، انفضوا الى محلاتهم ءاخذين حذرهم من الامير والمامور ، كلذلك والوزير محمد الامين يسترق السمع ، ويفرغه في قالب سره ، ليوجهه الى شيطانه فلما سمع الاكلاوى بهذا الاجتماع اسرع بهدية الى الامير والوزير بالغ فيها ، ودخل على الامير وسلم وتأدب ، وفاوضه في أموره المهمة عندهمن غير المام بسبب ذلك الاجتماع الذى هو القصد المقصود والحوض المورود ، ثم خرج مع الوزير شيطانه ، فاوحى اليه بكل ماصدر وجرى بين الامير والقواد من أوله الى ءاخره ، فذهب الى أصحابه القواد الثلاثة المتوكي والاكلاوى والعيادى.ومن كان علىشاكلتهم.فتفاوضواواجمعواأمرهم على أن يبعثوا الى العدو أن يتقدم الى مراكش ، فتحرك العدو بعساكر جرارة ومدافع لاتعد ، فيقوة غريبة ، لانه أول لقاء مع الجيوش السوسية الاسلامية ، وهو معهذه القوة معول على قوة هؤلاء وغدرهم لمايدور بينهما من المفاوضة زمنا ليس بالقليل • ولماتيقن الامير خروج العدو من الدار البيضاء قاصدا محاربته ولما علموا بذلك هم أيضا ، ذهبوا الى الامير فقالوا له ان العدوقد تهياقاصدا لقتالنا ، فيجب أن نستعد اكثر منه واكثرنا من أهل المدن الذينلايقوون على المقاتلة . ولايقوى عليها الا أهل البوادى الاقوياء المتمرنون على الحروب والشدائد والطعان ، والكر والفر ، ولابد يامولانا ان تامر اهل سوس والصحراويين بالخروج ويعينهم كل واحد منا بحصة من جنوده ، ونبقى بمراكش مع من يدافع عنك ، لما عسى انيحدث ، قاصدين أن يخرج أهل دائرته وحاميته الذين ينصحون له ، وذلك مكيدة وخديعة منهم ، فاجابهم بالقبول ، لصفاء سريرته ولعدم تدبيره ، فلما سمع اهل سوس ومن معهم من أهل الصحارى ماعزم عليه الامير احمد ، اسرعوا اليه قائلين كيف تخرج أهل دائرتك وحاميتك ، وأهل شوكتك من جنودك ، وتبقى اعداءك قواد الحوز أهل المكر والخديعة ؟ بل يجب تقديمهم لجهاد العدو شرعا وسياسة ، وقدقال الله تعالى : (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) وانما نحن تبع لهم ، وردد فتراجعوا الكلام بينهم ، فوجدوه مصمما على تقديمهم ، لسوء حظه وسوء تدبيره ، وقال لهم انكم جئتم للجهاد بنية اعلاء كلمة الله ، لالغرض ولالخوف منغير الله ، وندبهم فانتدبوا ، وخرج أكثرقواد سوس والصحراء يجر كل منهم شجعانه وابطاله شاكين أنواع السلاح ، وخرج من (مراكش) مايقرب منثلاثة عشر الفا من أهل سوس ، وأهل صحراء عرب معقل الشجعانالاقوياء الذين لايفرون ولايعرفون الهزيمة :

من كل منتدب لله محتسب ... يسطو بمستاصل للكفر مصطلم

* * *

لاينزل الطعن الا فى نحورهم ... ومالهم عن حياض الموت تهليل

ولم يتركوا بمراكش مع الامير الا الاعداء وحامية ضئيلة من العلماء ، وارباب المشورة ، بل كان ذوو العقول منهم الذين تنبهوا لمكيدة قواد الحوز قد خرجوا من مراكش قاصدين الجهاد أو راجعين الى اوطانهم •

ولما استكمل الجيش عدته ، امر عليهم الامير أخاه مربيه ربه ، وكان أحسن تدبيرا منه ، الا أنه لم يساعده أولا وءاخرا ، فتقدم الى العدو بهذه الجنود ، ولما تراءى الجمعان وتلاحم العسكران ، أبدى ذووالبطولة والشجاعة فى جهادهم مايسطر ويشهر ، لاسيما القائد حيدة وجنده ، والاغضف الصحراوى وغيرهما ، ولم يقف العدو امامهم أقل من ساعة ، ثم انهزم وتبعه الناس يقتلون وياسرون (١) وفتكوا به فتكة بكرا ، فرجع ادراجه الى معسكره البعيد

ولما بلغ انهزام العدو اصحابه وشيعته من قواد الحوز وغيرهم ممن ارتشى ، جددوا اليه المراسلات بالجد ، وتجديد عسكر اضخم مما قبل ، مع زيادة عدة مدافع وقراطيس وغيرها ، وانهم بمجرد وقوع وهن مافى جيوش المسلمين ياتونهم من ورائهم ضاربين فيهم ، وفعلا ساعدهم العدو الكافر ، فجاء باضعاف مضاعفة ، وساق جميع المغاربة منبربر وغرب وغيرهم ، وحصل اللقاء ، ووقع القتال ، والتحم الابطال ، فحمل المسلمون على العدو حملة شديدة بقلوب مخلصة لله ، وتزحزحت صفوفه للانهزام ، حتى لم يبق له من قوة ولانظام ، وذهبت عنه ريح النصر قرب العصر ، فلما ءانس القائد العيادى وقبائله من الرحامنة وجيرانهم الذين حلت الجيوش الاسلامية السوسية بأرضهم مانم فى عسكر العدو ، وخافوا ان تمت عليه الهزيمة ثانية انلايعود الى القتال ، قاموا قومة واحدة على المسلمين من ورائهم ، فهجموا اولا على معسكرهم الذى فيه مئونتهم العسكرية والعدة ، وفيه الخليفة مربيه ربه مع ادالته القليلة ، وضربوا فيه قتلا ونهبا ، وكذلك فعل اخوانه قواد الحوز الاكلاوى والمتوكى بمراكش ، فقد حاصروا (٢) فيه الهيبة أيضا ، ولما سمع عسكر المسلمين ماتمهن قواد الحوز من الغدر فشلوا ورجعوا متفرقين شذر مذر ، كل الىقبيلته وبلاده ، وهرب الخليفة أيضا مع باقى العسكر السوسى

١) كان اللقاء اولا فى اربعاء الصخور ، ثم فى سيدى بوعثمان ، فلميقع أىانتصار للمسلمين

٢) لم يحرك هؤلاء القواد ايديهم فى (مراكش) الا فى صبيحة هروبالهيبة بعدما وصل العدو الى أبواب مراكش ، وينبغى انيراجع هنا الجزء الذى خصصناه لاخبار القائد الناجم من هذا الكتاب وهو (العشرون) فقد وصف الحالة كما هى ، وكذلك ماكتب فيه اخبار الهيبة • وهو (الرابع)

قاصدا (مراكش) لاغاثة اخيه الامير احمد ، فوجده خارجا (١) من مراكش، سالكا طريق الكنتافي بوادى نفيس مع باقي قواد حاحة والنفلوسي والكيلولي والقائد الكنتافي والقائد الناجم والقائد التريعي (٢) وغيرهم من قواد وادي سوس اذ الكل من شيعته ، ومن سوء حظه وسوء تدبيره أن الكنتافي وأهل حاحة ارادوا ان يعسكر (٣) فوق (مراكش) بعمالة الكنتافي على حصار مراكش والمدافعة عنه ، فأبى وأجفل اجفال النعام ، قاصدا (ردانة) ولولا ان الكنتافي وحاحة المخلصين له لاخذ باليد في مراكش ، لتكاثر عساكر القواد الحوزيين عليه ، ووقع بـ (مراكش) من القتل والاسر مالايوصف ، وقتل كل من يلبس اللباس الازرق من السوسيين والصحراويين بلا مراعاة ال ولاذمة ، وقتل فيه من علماء الركيبات وشنجيط جماعة كثيرة ، وأما علماء سوس فقد نجا اكثرهم ، لما لهم من المخالطة والتعارف مع تلك الاقطار الحوزية فحقنت لذلك دماؤهم ، وان كانت قد ذهبت أموالهم ، وأعان الاعداء على ماهم عليه بقاء حامية (مراكش) بالامير لان الامير خرج فارا من اخر الليل مع شرذمته المراقبة على الابواب القريبة منه واكثر الناس في ذلك الوقت غاطون في نومهم . ولم ينتبهوا الا على جلبة عساكر العدو ، فوجدوا الامير ومن معه قد بارحوا (مراكش) فوقعت بينهم وبين العدو داخل (مراكش) معركة عظيمة(٤) أفضت الى قتل من شاء الله واسر من شاء الله

وكانت جماعة من قواد سوس مثل الجرارى عبد السلام والقائد حيدة ابن مايس والقائد أحمد الكابا قائد (ردانة) اذذاك والقائد الحنفي(٥) الاخصاصي وقواد هشتوكة ممن تاخروا بـ (مراكش) وحاصرهم العدو بها ولم يخرجوا الا بشروط مضمنها نكث بيعة هذا الامير . والتعاهد مع العدو الكافر . فقبلوا ذلك فخلى عن طريقهم وانصرفوا

وأما قواد حاحة مثل القائد محمد بن أحمد النفلوسي والقائد عبدالرحمن الكيلولي وغيرهما ، فانهم لشدة شوكتهم ، وقوتهم دافعوا عن انفسهم مدافعة الابطال وقتلوا منهم عددا ، وخرجوا بلاشرط ، ولحقوا بالامير في أرض (أغمات) قاصدا (كنتافة) الى (تارودانت) ودافعوا عنه عساكر العدو مع الكنتافي الى أن نجا من مخالب العدو بدخول ارض الكنتافي ، ورجعوا عنه الى حاحة بلادهم ولولا قواد حاحة لاخذ الامير ذلك اليوم باليد بأبواب (مراكش) وخارجها

١) بل لم يخرج الهيبة حتى دخل عليه اخوه فأخبره بالهزيمة

٢) لم يذهب معه في هذا الطريق اذذاك احد من هؤلاء المذكورين فالحاحيون ذهبوا على طريق حاحة . والناجم والتريعي تبعاهم فيما بعد في غير تلك الطريق على حاحة

٣) هذا لا أصل له

٤) لم تقع معركة بمراكش ، وانما وقع شىء خارج باب الرب بين بعض الهاربين المدافعين عن أنفسهم وبين المطاردين من أعوان المتوكى والاكلاوى

٥) القائد المدنى هو الموجود اذذاك بـ (مراكش) لا الحنفي

لتكاثر العدو عليه رغما عن مجالدة الابطال الذين معه من عرب معقل وسوس

ولما تمكن قواد الحوز من مراكش بكرة ذلك اليوم وهو يوم العيد عيد الفطر (١) عام ١٣٣٠هـ وسمع العدو بهم تقدم اليها بجنوده ، ولماوصل لـ (تانسيفت) خارجها اطلق مدافعه فرحا فاهتزت مراكش ، ودخل المدينة بعدما ارسى مدافعه عليها بجبل (كليز) المطل عليها ، ولم يثق بالقواد ، وان كانوا من شيعته فكان من أمره ماكان

وأما الامير أحمد الهيبة ، فانه لما اطمأن قلبه برجوع العدو عنه في أرض نفيس وشيعه صاحبه القائد الطيب الكنتافي الى حدود ارضه بجنوده مدافعا عنه . أغذ (٢) السير الى (ردانة) مخافة ان يسبقه اليها قائدها احمد الكابا المشروط عليه نقض البيعة بـ (مراكش) فدخلها وبعث الى قبائل نفيس و (اداوزال) بالايعاز بقتل الكابا اذا مربهم . فاخذ بـ (اداوزال) وقتل وقطع رأسه وعلق بـ (أساراك اوراغ) (٣) بـ (ردانة) مدة سنتين . وتقدم اليهم أيضا بقتل القائد حيدة البرحيلي المنابهي ، الا انه تمنع بعدد وعدد لحزمه واحتياطه حين سمع بقتل قرينه الكابا

فلما استقر الامير بـ (رودانة) بعث الى جميع قواد سوس فجاءوا اليه غير حيدة المنابهي المذكور ، وناصر قائد (اولاد يحيا) المستقر بـ (فرايجة) فوق (رودانة) لانهما خافا على انفسهما ، فتجنبا ببلادهما ، وعقد الامير مع الناس أن يدافعوا عن بلاد السوس خاصة من (اكادير الى الصحراء الى طرفاية) ودخل معهم أيضا حاحة الى السويرة ، وقننوا لذلك قوانين ونظموا نظما كانت كلها اوهى من بيت العنكبوت ، لما في قلوب الناس من هروب الامير بـ (مراكش) بلا مقاومة عظيمة ولاقوة ، ومتاركة القائد الكنتافي الذى الح عليه في المقام معه على المدافعة عن (مراكش) وقتل القائد احمد الكابا والايعاز بقتل القائد حيدة المجاهد للعدو الكافر في ارض (ابن كرير) ببلاد الرحامنة (٤) ولعدم حسن سياسته لانه صحراوى (٥)

ثم أنه بعد ايام بعث الى القائد ناصر اليحياوى فامتنع كحيدة كما تقدم فعد ذلك منهما شقا لعصاه ، فأخرج عساكره لمحاصرتهما اشهرا ، وقتل من الفريقين من الشجعان مالايحصى ، غير أن من قتل من جانب الامير ليس له

١) كان يوم الخروج قبل العيد بنحو خمسة أيام ، وأدرك العيد الهيبة في (ردانة) وقد بينا بيانا شافيا ناقلين عمن حضروا ماوقع للهيبة حين الخروج وفي ذلك مخالفة غير قليلة لما هنا ، وذلك في (الجزء الرابع)

٢) اغذ السير : اسرع فيه

٣) أساراك : البراح ، الساحة ، وأوراغ : الاصفر اى الساحة الصفراء ذلك تعريبها ، والمقصود الساحة العمومية في (تارودانت)

٤) اعجبا من المترجم فقد أقران أحمد الكابا وحيدة نقضا البيعة وخامرا مع العدو ثم صار يدافع عنهما

٥) اوليس من الصحراء من يحسن السياسة ؟ وماهم الا كالناس

خلف لكثرة الفشل فيه ، ووقوع الادبار عن امره ، وماضاع من عدوه يضاعف مضاعفة كثيرة من (مراكش) من العدو الكافر ، واقام على هـذا الحال نحو سنتين (١) والامر لايزداد الاشدة ، وقبائل سوس تنقطع عن ادالة رودانـة وعرى الاخوة تنفصم ، وأمر العدو يشتد كل يوم ، ومدافعه بجنودها تتسرب الى اصحابهالى أن قوى أمرهما (٢) وحاصرا (ردانة) وسربا الاموال الى جيرانها من قبائل (هوارة) فقلبوا عليه ظهر المجن وصاروا عليه يداواحـدة مع العدو فخرج الامير من (ردانة) هاربا أيضا محكما لعادته (٣) فاجـفـل الى ارض (هشتوكة) و (هوارة) والقائدان حيدة وناصر فى اثره ضربا وقتلا ، الى ان تمنع بأرض (هشتوكة) فوقفوا ردءاله لما لهم منقوة خيل ورجل ، فاستقر بـ (أسرسيف) بقبيلة (ايت ميلك) قريبا للجبل ، متحفزا للهروب ايضا متى طرقه طارق ، ومعه الخليفة مربيه ربه

وأما خليفة (تيزنيت) الشيخ النعمة ابن الشيخ ماء العينين ، فانه قام عليه أهلها قبل ذلك بأيام ، واخرجوه لسوء تدبير أصحابه ، فذهب (لروجان) فاقام فيه ، فصار الامير يكابد عدوين واحد من بين يديه فى (تيزنيت) والاخر من خلفهفى (ردانة) (٤)

ولما استقر بـ (أسرسيف) استخلفعلى (هشتوكة) القائد الناجم الشجاع المشهور ، فصار يفتك بهم أسرا وقتلا ، ويأخذهم بالتهم بالعداوة (٥)

وبعد أيام وفد عليه (٦) القائد الاعظم عبد السلام الجرارى وشاورهفى أنيتدخل للصلح بينه وبين القائد حيدة ومنمعه من احزابه ، فأخـذه وأمر بقتله لمداخلته للعدو فى زعمه ، وقاتله الفقيه السيد احمد بن مبارك ابوالطعام الرخاوى المجاطي اقتصاصا منه بعمه فيما مضى ، لان الـقـائد عبد السلام الجرارى قتله فى فتنة بينهم وبين قبيلة أيت رخا (٧) ، ولما قتل القائـد

---

١) بل لايتجاوز ذلك نحو ثمانية اشهر فى (ردانة)
٢) يعني ناصرا وحيدة
٣) هذا كله مبين فى (الجزء الرابع)
٤) فصلنا ماوقع للنعمة فى (الجزء الرابع)
٥) فصلنا ذلك فى الجزءين (الرابع) وفى (العشرين)
٦) أى على الهيبة
٧) هذه احدى العجائب فى كلام هذا الكاتب الذى يخطئه التثبت كثيرا فى بعضماكتبه ، فان الذى قتله الفقيه الرخاوى هو القائد سعيد المجاطـي ، وأما الجرارى فانما اطلق عليه اعرابى رصاصة ، وقتل القائدين مفصل فى غير ما محل فى هذا الكتاب وفى (القسم الخامس) ترجمة القائد عبد السلام بين تراجم ءاله

عبد السلام بـ (أسرسيف) وكان اخوه وخليفته القائد عياد الجرارى من ثقات اصحاب الامير احمد الهيبة ، ومن السابقين الى بيعته قبل اخيه المقتول تغير مابينهما ، وانسل منه ءاخذا حذره ، وقلب له ظهر المجن ، لما علم من سوء تدبيره هو واصحابه الصحراويون ، وكذلك فعل اكثر رؤساء السوس ، فقام عليه الجرارى بعدما قامت عليه (تيزنيت) عدوة الجرارى ، بعدما حاصرهـا وقطع عنها الماء فى الموضع المسمى بو (الصنصار) وقامت أيضا عليه (العوينة) و (أكلو) فحاربهم الجرارى مع حزب الامير الى ان خضعوا ظاهرا ، ولكن لما قتلأخو الجرارى انقلب الجميع ، وذلك عام ١٣٣٢هـ

وبعد ذلك بأيام قتل الاعراب أصحابه ايضا شيخ الجماعة علامة سوس ورئيسها بلانزاع . سيدنامحمد (ضما) بن محمد(فتحا) ابنعابو الولياضىالادا و محمدى غدرا مع القائد صالح بن الحسين الاداومحمدى ، ولكنه أفلتمنهم وقتل الفقيه وحده بالموضع المسمى (بويكرا) رموه بالرصاص ، وهربـوا ساعتئذ مع اميرهم الى الجبل بموضع (تيمكر) وانسحب نفوذه عن بسيط (هشتوكة) اجمع

وأما الفقيه ابن عابو رحمه الله فقد بقى فيه الروح اكثر من عشرساعات وهو يكرر سورة (الرحمن) الى سورة (الواقعة) ويكرر (تبارك اسم ربـك ذى الجلال والاكرام) ثلاثا الى ان فاظت روحه ءاخر الليل وذلك عام ١٣٣٢ هـ

ولما استقر الامير احمد الهيبة فى (تيمكر) منجبال (هشتوكة) استخلف القائد الناجم على (هيلانة) ـ ايلالن ـ وما حولها ، وكان رجلا شهما كـمـا ذكرنا ، فهو يراوح ويباكر عساكر الحكومة الفرنسية ، ومعها رئيسها حيدة ابنمايس بالقتل والسلب . الى ان قويت شوكة الحكومة باستيلائها على مدينة (تيزنيت) وما حولها من اولاد جرارة (١) وبعد ذلك باشهر قلبت هيلانـة (ايلالن) للامير احمد الهيبة ومن معه ظهر المجن ، فاحاطوا به احاطة الهالـة بالقمر بموضعه ، لاسيما اولاد سى احمد : الشيخ ابرهيم واخوانه الذيـن أخذوا بيد الحكومة الفرنسية ، وحاربهم القائد الناجم اياما ، الىأن استولوا على مامعه ، فهرب الامير الى (بعقيلة) وتوغل فى جبال (جزولة) الى المـوضع المسمى (كردوسا) موضع وزيره القائد سعيد بن احمد ، فاقام بداره واطاعته تلك الجبال من(ايت وادريم) وجبال (اداوكثير) و(اداكنيضيف) (وأيتعبدالله) و (ايسافن) مـن جهة الشمال الى (وادى نـول) ولمطة و(ايـت بـاعمران) و (الاخصاص) الى (تيندوف) من جهة اليمين والصحراء ، وكابدوا معه العدو من جهتين من جهة (ادوسكا) و (اداوزكرى) شمالا ومن جهة (تيزنيت) يمينا وجوفا ، ووقعت حروب يشيب لها الوليد

---

١) نزل ابن دحان فى (تيزنيت) بعد صدر ١٣٣١هـ فبقي فيها الى ان تمكن من مجاوريها ، وذلك قبل حيدة

حروب القائد حيدة بن مايس المنابهي

لما احتلت القوة الفرنسية (تيزنيت) برئاسة القائد حيدة بن مايس المنابهي البرحيلي السوسي شرعت في شحنها بالعدد والعدد ، وفوضت امرها الى القائد حيدة ، فاستعد لمقاتلة ماوراءها من القائد المدني الاخصاصي ، وايت باعمران ، واستنفرت له الحكومة الفرنسية قبائل السوس ونـواحيها ، وحاحة والشياظمة ونواحيها ، وجبال درن الى (مراكش) ولما تكامل جيشه العرمرم قصد به الهجوم اولاعلى قبائل الاخصاص ، فاستنفر له القائدالمدني الاخصاصي ـ وهو شهم جواد بالاموال والعدة ـ قبائل أيت باعمران الى(وادي نول) وقبائل (مجاطة) و (مانوزة) من جهة القبلة ، وتوافى الجيشان ، فاما جيوش (مجاطة) و (أمانوز) وجبال (اداولتيت) فقد تحركوا الى المنكب الابيض (ايغيرملولن) بأولاد جرار ، وأما جيوش جهة اليمين من القائد المدني و (أيت باعمران) فقدتحركوا الى (أيت برايبم) والحصن الاحمر (اكادير زكاغـن) وتوافوا هناك ، ودارت بين الجيشين مراسلات في شان الصلح ، مبنية على المراوغة والمخادعة أياما ، ولم يتكامل جيش المسلمين من جهة اليمين ، حتى هجمالقائد حيدة وجيوشه ، فتوغل من جهة الاخصاص (١) وتوغـل ولـده القائد حماد بن حيدة في أيت باعمران من جهة الساحل ، ووصلت القـوة الاولى الى (الحصن الاحمر)

مصرع حيدة بن مايس

فلما بلغت جيوش حيدة ما بين الجبلين ، وكادت تهجم على (أيت باعمران) وتوغلت في تلك الاودية ، وأشرفت على البلاد ، طوقتها جيوش المسلمين مـن (مجاطة) و (الاخصاص) وناوشتها الحرب ، ووجدتها كالبنيان المرصوص ، لايملكون منها شيئا ، ولما رأى القائد مبارك البيبراني المجاطي ما حل بالناس من المدافع والرشاشات ، وأنواع التهويلات التي تصد الخيل عـن التقدم ، وكان شجاعا بطلا ، ذا حيل وخدع في الحروب والوقائع ، خاض فيها عمره ، وتمرن عليها . وتمرس برجالها . جرد جريدة قدرها ثلاثمائة فارس ، ممن عرفوا بالشجاعة والنجدة ، وزحف بهم الى ماوراء الجيوش الفرنسية الحيدوية وأتاها من خلفها . فلم يكن غير هنيئة حتى شد عليها ما بين الجبلين . بالخيل والرماة ، وفاجأهم بما لم يكونوا يحتسبون ، فلما سمعوا البارود قد أتاهم

١) لحيدة زحفان الى تلك الناحية مات فـي الثانـي منهما ، وهذا السيد خلط بينهما

من ورائهم ، ووابل القرطاس منهل عليهم كالامطار الغزيرة ، تقهقروا الى الوراء ليمكن لهم عند الهزيمة الاتصال بيسائط (تيزنيت) فوجدوا الطريق منسدا عليهم بالخيل والرماة ، واما الجنود الاسلامية المقاتلة لهم ، فانها لما علمـت ان العدو لما تقهقر صار في قبضتها لامحالة ، لانحصاره بين الجبال ، وانه لاعلم له بالحروب الوعرية ، انقضوا عليه انقضاض البزاة على الصيد ، ووقع الجزع والهلع في عساكره الجرارة ففشلت ، فجعل الناس يقتلون وياسرون لاسيما من له وجاهة اولباس غير سوسي ، ودخل الناس خلال العـدو وهـو مندهل لايضرب ، بل همه الحيلة في النزول عن الخيل والتعلق بالجبل طلبا المنجاة ، ولكن حيل بينهم وبين مايشتهون ، وتخطفهم الناس من كل فج وترى الواحد منهم اذا دنا منه من أراد ان يقتله يلقي على وجهه جلبابه ، لئلا يرى الموت ، ومنهم من يجهر بالهيللة لينجو ، ومنهم من يصيح ياعباد الله ابقـوا علينا فانما نحن اخوانكم

وقد كنت حاضرا وعلمت انّ اكثر الجنود الحيدوية من أهل سوس وحاحة والشياظمة وعبدة ودكالة والحوز ممن استكره من المسلمين ، فجعلت أصيح ياعباد الله ، يامعشر المسلمين ، قد ظهرتم عليهم فلاتقتلوهم ، فانماهم اخوانكم المسلمون قد أكرهوا على قتالكم ، ودونكم والغنيمة ، وقتل الرؤساء خاصة ، وكان جماعة من العلماء مثل العلامة سيدي علي بن عبدالله الالغي ، والعلامـة سيدي الطاهر بن محمد الافراني ، وسيدي البشير بن المدني ، وأمثالهم من الذين اعتيد منهم ان لايتخلفوا عن الجهاد حاضرين ، فوافقوا على ذلك وندبوا جماعة ممن رغب في الاجر والثواب ، أن ينادي في الناس بالابقاء وان لايقتل الاكافر (١) او رئيس راض بالكفر ، فعند ذلك امتثل الناس فاشتغلوا بالاسر والسلب من غير مانع (٢)

وأما القائد حيدة فانه لما راى مانزل به ، وان الباب قد انسد ، ولـم يمكنه الخروج منه بحيلة ولاقوة ، ثبت ودافع بجريدة مـن خاصته وعبيده وحشمه ، وقصده القائد مبارك المذكور ، فوجده كالبنيان المرصوص ، ولكن لم يلبث أن ابذعرت عنه تلك الفئة ، وتمزقت بالرصاص والنهب عن آخرها ووصلت الخيل الى معسكره ، ولما ايقن بالهلاك جعل ينادي ويصيح اين القائد المدني الاخصاصي ؟ واين القائد مبارك ؟ واين فلان وأين فلان من رؤساء الجيش الاسلامي ، راجيا منهم ان يتلافوا امره بالاخذ بالاسر ، قبل أن يهلك بيد بعض الاوغاد بالقتل ، لما سمعه بعض الناس تفرس فيه ، انه هو وضربه

١) ثم يحضر مع حيدة اي كافر الا اذا كان معه بعض رؤساء جند منظم
٢) في كثير من كل هذا مافيه ، والذين حضروا لايخبرون الا بماذكرنـاه في محلاته من هذا الكتاب

رميا بالرصاص على مركوبه وجندله صريعا في حينه (١) ، فوقع النهب في أخبيته وخزائنه التي فيها عياله وامواله وامتعته ، فنهب فيها مايفوت الحصر من الذهب والفضة والاثاث والسلاح ، واكثر من نهب تلك الامتعة قبائل (مجاطة) ذكورهم ونساؤهم

وقد نهب اذذاك فيما قيل خمسمائة جمل ، وثمنها حينئذ ثلاثة ءالاف فرنك للجمل (٢) ومن بنادق صاصبو الفان ، لغلاء السلاح الرومي حينئذ، واخذ بعض الناس فيه صناديق ذهب وفضة وقماش ، وقطعت يد بعض نسائه لدمالج ذهب فيها ، واحتيزت نساؤه، الى ان افتديت بعد ذلك بأيام ، وقطع رأس القائد حيدة . وطيف به ، وعلق بـ (كردوس) بيعقيلة حيث الامير احمد شهرا ، الى أن سرقه بعض الناس ليلا لمال اخذه من ولده القائد الحاج حماد

وحصل عز كبير وهيبة عظيمة للمسلمين الباقين ، بقتل هذا القائد ، ودخلهم نشاط كبير لمقاتلة العدو (٣)

وأما ولده القائد الحاج حماد فانه لماسمع بقتل والده ، وهو وجنوده كما ذكرنا على ساحل (ءايت براييم) محاذيا لوالده معززا له ، فشل وذهبت ريحه وهرب لحينه ثانيا عنانه الى باب (تيزنيت) وخرج منها في جوف الليل الى (ردانة) محل عزه

وقد قتل من رؤساء هذا الجيش الفرنسي ماينيف على المائتين وفيهم من القواد ازيد من (٤) ثلاثين مثل القائد سعيد بن الحسن الامزالي واضرابه من ذوي الباس والرئاسة ، وذلك كله في ١٣ ربيع الاول عام ١٣٣٧هـ (٥) وكان

١) الثابت ان حيدة انما مات برصاصة طائشة ، ولذلك لم يعرف أحد انه أصيب طوال ذلك اليوم . ولم يعلم به الا في اليوم الثاني وفي ترجمة القائد المدني الاخصاصي تبيين ذلك في (القسم الخامس)

٢) استغلي الجمل بثلاثة ءالاف فرنك ، ولو حضر الان بعد الحرب العالمية الثانية فمابعد لمااستغلاه بذلك الثمن بالنسبة لاضعافه المضاعفة التي وصلتها الاسعار الان

٣) وقع خلط وخبط وتزريف في سوق هذا الكلام كله ، فقد جمع الكاتب خبر زحفين اثنين لحيدة ، ولم تكن في اولهما حرب الا في (وجان) وأما الثاني فهو الذي قتل فيه ، فاجفل كل من معه وانهزموا وتركوا امتعتهم للنهب ولم يقع قتال كثير ، وقد فصلنا خبر الواقعتين معا في محلات ، ولا معنى للتهويل في التاريخ • فأما نهب الاموال العظيمة والامتعة والبهائم والخيل والسلاح ، وفرح الناس بذلك فرحا عظيما فذلك كله صحيح

٤) نعم قتل رجال مشهورون في ذلك المضيق الذي قتل فيه حيدة وهم هاربون ولكن القواد المقتولين هم نحو ثلاثة او أربعة بين الموتى

٥) بل ذلك في سنة ١٣٣٥ هـ

الذكر في هذه الغزاة لـ (مجاطة) وخصوصا منهم (ايت بنيران) رهط القائد مبارك البنيراني وايت علي ، فان لهم في هذه الغزوات الذكر الجميل والبلاء الحسن

غزوة آيت باعمران الثانية

ولما وقع لجيش حيدة ماوقع ، وانتشر ذكر ذلك في المغربين ، امتعض الفرنسيون لذلك ، فاستأنفوا جيشا ءاخر اعظم منه ، مركبا من أهل المغرب الوسط وأهل السنغال السودانيين وأهل المغرب الاقصى ، وندبوا قواد الحوز الذين تحت نفوذهم للخروج معهم ، منهم التهامي الاكلاوي عظيمهم ، والقائد العيادي الرحماني ، والقائد الطيب الكتنافي ، وقواد (حاحة) اجمعون ، والمتوكي (١) والشياظمة ، وقواد (رأس الوادي) من السوس و (هوارة) و (هشتوكة) الى باب (تيزنيت) الى قواد هيلانة من جهة القبلة وكل قائد برأس قبائله وقومه ، وعلى الجميع الجنرال (كورو) (٢) بمدافعه وطائراته ورشاشاته ، وءالات تدميره فتحرك في شهر شعبان من السنة المذكورة ، الموافق شهر ابريل العجمي ، وصار الى (تيزنيت) بجنوده ، فملات عساكره المدينة وضواحيها من (ماسة) الى (اولاد جرار) الى (الساحل) فاندهش الناس وملئت قلوبهم رعبا ، وبلغت القلوب الحناجر

فانحشر له المسلمون من كل حدب ينسلون ، وانقسموا على ثلاثة اقسام على حسب انقسام العدو وقوته ، فأما (بعقيلة) و (رسموكة) و (سملالة) و (أمانوز) الى رأس الخيط بـ (أمان) فقد انحشروا لـ (وجان) وفيه الخليفة الشيخ النعمة ابن الشيخ ماء العينين ، وأما أهل (مجاط) الى (امانوز) الى (افران) الى (تامانارت) فقد تحركوا الى (المنكب الابيض) (ايغيرملولن) فوق (اولاد جرار) وأما أهل اليمين من (الاخصاص) و (أيت باعمران) الى (وادي نول) فقد تحركوا الى جهة الساحل بـ (أيت براييم)

واقعة وجان

ولما خيم العدو بـ (تيزنيت) ونواحيها ، وخف بجيوشه الى (وجان) لقربه منه بمداخلة الشيخ أحمد الامازري الباعقيلي من (وداي الجبل) وكانت له رئاسة وعصبية بجبال (بعقيلة) اكسبه اياها ذكاؤه ودهاؤه ، وما تقدم له من البلاء في حروب الحاجيين الكيلولي والنفلوسي أعوام ١٣١٥هـ الى ١٣٢٠هـ

١) لم يحضر القائد المتوكي بنفسه ، وانما حضر بوسلام (عبد السلام) خليفته

٢) الذي سمعت اذذاك رئيسا هو الجنرال لاموط

كما ذكرناه قبل ، ونصح لامته في تلك الحروب المخزية ، وبزاعز قواد (بعقيلة) القائد عدى بن أحمد من بلدة (كردوس) ثم لما قام الامير المولى احمد الهيبة بالامر بالسوس ، وخدمه القائد سعيد الباعقيلي واخوته ، واووه ببلدتهم (كردوس) حقد عليهم الشيخ احمد الامازرى لانهم من اعدائه ، فلما زحف العدو بجيشه لـ (وجان) وزحف الناس اليهمن (ولتية) وغيرها ، جعل يثبط الناس عن مدافعة العدو عنه ، لان (وجان) في عداد قومه (بعقيلة) ولكن لم يطاوعه قومه ، لانه من باب الجهاد المفروض عينا عندهم ، لمفاجاة العدو بلادهم ، بل نبذوه ، وصار ذلك سبب مقتهم اياه ووقعت معركة عظيمة بـ (وجان) في ١٢ شعبان عام ١٣٣٦هـ (١) الموافق ابريل العجمي قدم فيهاالعدو قبائل (هشتوكة) وأهل (وادى سوس) و (حاحة) و (الشياظمة) وتترس بهم ثم اتبعهم بالسينيغاليين السودانيين ، وأهل الغرب الاوسط من الجزائريين ثم اتبعهم بفيالق اللفيف الاجنبي (لاليجيون) صفوفا مثل البنيان المرصوص، والمدافع والطائرات تمطر وابلا من القنابل وتفتك بالبناء ، وتهدم على الناس الدور والاسوار والبناءات والابراج ، وكلما قدم العدو صفا افناه الناس قتلا وذبحا وأسرا ، ولكن انما يقتلون اخوانهم ، فالمسلم يقتل المسلم عياذا بالله، ترى أسرابا من الفرسان تحمل على الناس وهي ترمي الى جهة السماء كراهية قتل المسلمين ، حتى ان سربا من فرسان (حاحة) انحازوا الى المسلمين • وهربوا من العدو ، وجعلوا يوصون الناس ان لايضربوا ، ودام القتال ثلاثة أيام والقتل والخراب والهدم كاد يقضي على (وجان) فاخلاه الناس ، وهرب منه الخليفة النعمة بعدها ، وقتل فيه من الفريقين مالايحصى ، لكن القتل من العدو اكثر . وفيها قتل القواد أولاد دليم من (هشتوكة) وهم تسعة (٢) وقتل من العدو الاف ، ومن المسلمين قتل بـ (رسموكة) ١٣٠ رجلا ، ومن (بعقيلة) ٤٠ رجلا لكونهم مثبطين من الشيخ احمد كما تقدم ، ومن مجاطة أزيدمن ٧٠ رجلا ، وذلك ان (مجاطة) و (أمانوز) و (أملن) كانوا بـ (المنكب الابيض) كما تقدم برئاسة الفقيه سيدى على بن عبدالله الالغي ، فأوصاهم ان لاينفروا لـ(وجان) ولو سمعوا رعودا من البارود . وقالوا له لانقعد عن نصرة اخواننا بـ (وجان) ونتركهم يحصدهم العدو ، ثم ياتي الينا ، فزحفوا ثاني يوم ، وتركهم العدو حتى توسطوا الجبل المطل على (وجان) فصوب عليهم مدافعه واطلق عليهم قنابلها المفرقعة العظيمة الحجم ، وقتل منهم اكثر من سبعين فارسا ، وكانت القنابل تقع في الصخور والصلود ، فتتفرقع منها شظايا ، وترمى بقوة عجيبة فمنها قتل اكثرهم ، ووبخهم الفقيه سيدى على بن عبدالله الالغي المذكور على ماارتكبوه من المخالفة ، هو والقائد سعيد الكردوسي ، على ان ذلك كله لم

١) بل سنة ١٣٣٥هـ
٢) كـذا

يوهنهم . (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وماضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين)

واستفيد ممن حضر الواقعة مع الفقيه المذكور أنه لما أحس المسلمون بمداخلة الشيخ أحمد الامازرى للعدو ، ندبوا (اداولتيت) كلهم الى (بنى حامد) الى (أمانوز) للمدافعة عن (وجان) وكنت ممن انتدبلها مع شرذمة من شجعان قبيلتى اخترتهم من ذوى الكريهة والطعان . وممن لايقعقع لهم بالشنان ، متقلدين بالرباعيات (١) حاملين أغمادا وأكياسا ومزاويد من القرطاس اى الرصاص الرومي ، فسلكت بهم بين الاشجار الملتفة حوالى (وجان) حاميا عمن تترس بالاسوار والبروج والسواقي . فكان العدو مع ذلك يضرب بالكور (القنابر) (٢) ويقع في حائط اوبرج اودار اوسور أوشجرة كبيرة فتخر ساجدة على من تحتها ، ساقطة عليه ، ومن عناية الله ولطفه المعدود من كرامات أهل الاسلام ان اكثر من سقط عليه ماذكر ناج ، خارج تحت الهدم وغيره من غير باس ، بل ينفض صاحبه عن نفسه الغبار ، فيضرب العدو من جديد ، كأن لم يصبه شيء (وماذلك على الله بعزيز) في حق المجاهدين رضوان الله عليهم ، وقد وقع للصحابة رضوان الله عليهم مثل العلاء بن الحضرمي وسعد بن ابى وقاص رضى الله عنهما

وقد رأيت في ذلك اليوم على اكثر الفرسان حمرة الدم من اعلاهم الى حوافر خيلهم ، كأنما خاضوا بحر دم سائل ، منهم الفقيه المذكور ، والقائد سعيد المذكور من كثرة الجراحات فيهم وفي خيلهم ، ولم يفت ذلك في عضدهم ولا وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ، ودام ذلك على الناس ثلاثة ايام بلياليها والخليفة الشيخ النعمة ابن الشيخ ماء العينين قد خرج لما راى الامر لايزداد الا شدة •

ثم بعد ذلك اوعز الرئيس الشيخ أحمد الامازرى لقبائله بالخروج والتخلي عن (وجان) ونادى في الناس ان البلد بلدى ، ولااريد ان تكونوا ايها المسلمون سببا لهدمه فاجمع الناس على الخروج لما فيه من منفعة للمسلمين ظاهرة ، لان (وجان) ليس بمركز حربي للعدو لمجيئه تحت جبال (ولتيتة) ومراد العدو في احتلاله واخضاعه ان لايوتى من خلفه اذا تقدم لـ (تيزنيت)

ولما انجلى الناس عن (وجان) بانجلاء الخليفة المذكور، بعد أن استولى الخراب والهدم على جل البلاد ، انحازوا الى الجبال ، واجتمعوا هناك بفقههم

١) نوع من البنادق
٢) يجرى على الالسنة القنابل باللام كما عند المترجم ، والصواب بالراء كما بينه شكيب أرسلان ، وكما كان اهل الجبليين قبلنا يستعملون الكلمة كالشرقاوى المصرى والزيانى ، تشبيها للقذيفة بالقنبرة اى الطائر المعلوم

وقضيضهم ، وعقدوا مؤتمرا عظيما ، مشتملا على رؤوس القبائل المدافعة ، ومن جملتهم الخائن القائد احمد الامازرى الباعقيلي ، فتكلم الناس بمايتعلق بالمدافعة عن الاوطان ، والبلاد السوسية ، فتكلم هو وقال : انني قد اجتمعت مع رئيس الحكومة الفرنسية المتولى لقيادة الجنود فعقدت معه صلحا ، مضمنه أن ينسحب الناس أى المسلمون عن بلاد (ولتيتة) وأن يشمل الصلح (بعقيلة) و (رسموكة) و (سملالة) و (املن) الى رأس الخيط بـ (أيت وسيم) من دون (أمانوز) و مجاطة الى جهة اليمين ، فلاصلح لهم الا اذاقبلوه ، والا فليخرجوا عن بلادنا ، وليقاتلوا فى واجهات بلادهم ، فتكلم الحاضرون بلسان واحد قائلين نحن لانترك اخواننا المسلمين ، ولا نفترق معهم الى ءاخر نفس ، ورفضوا كلامه وصلحه ، وأبرموا امرا على تدبير اغتياله

كيفية اغتياله

لما رفض الجميع كلامه غير ثلة من قبيلته ، المعدودة من دائرته ومن أهل مائدته الذين هم من ثقاته ، وانسحبوا من (وجان) ومن جميع بلاد (بعقيلة) الى (المنكب الابيض) و (ميرغت) و (ايت باعمران) وغيرها ممن فى الجهات المخوف هجوم العدو عليها ، شرع فى عقد مؤتمر من قبيلته ، مضمنه أن كل من قاتل او تحرك أو أعان فعليه عقوبة مالية ، وهدم داره ، الى غيرذلك من أنواع التخذيلات ، وجعل يباكر العدو ويراوحه فى المفاوضة على العمل فى أمر الاحتلال ، بعدما ارضخوا له بشيء من متاع الدنيا الدنية ووعدهم أياه بالقيادة على جميع قبائل (جزولة) وذلك كله على يد عاملهم الحاج الطيب الكنتافى المتولى على جميع مااحتلوه من السوس (١) وذلك من (اكادير) الى (تزنيت)

وجعل الشيخ أحمد المذكور يعقد المؤتمرات فى بلاد (بعقيلة) مع نفاليسه واعيان قبيلته ، وهويعدهم تارةويمنيهم اخرى وتتبع قرى بعقيلة ومداشيرها بالبيات معهم والاحتفالات والقاء الخطب ، والآراء الراجعة الى قضاء اغراضه وفى كل ذلك يكيد له أصحابه مكايد ، وينصبون لوقوعه حبائل ومصائد ، ويسرون له حسوا فى ارتغاء ، ويباكرون المسلمين بأسراره ويراوحونهم ، والمسلمون فى كل ذلك مشتغلون بمقاتلة العدو ومشابكته بـ (ايت باعمران) و (المنكب الابيض) (ايفيرملولن) وغيرهما . ويحتسون كئوس المنايا من افواه المدافع والقنابل والرشاشات الى أن قيض الله لهم نصرا مبينا بانهزام العدو وتقهقره كما سنذكره قريبا

وراود أهل الصلاح والفلاح من (ولتيتة) الشيخ احمد المذكور على الرجوع الى دخول الجماعة . والسمع والطاعة . بل جاء جميع طلبة (ولتيتة) وهم اكثر

١) يعنى فى جهة تيزنيت الساحلية

من ألف طالب ، وفيهم العلماء . ورغبوه فى الرجوع ، فلج وتكبر عليهم ولم يعر كلامهم اذنا ، ولاسمح لهم بقبول كلمة واحدة ، فدعوا عليه بالهلاك العاجل وانفضوا ، فمامكث غير ثلاث حتى قتل شر قتلة فى بلدة (تين عسان) من (بعقيلة) بات فيها ، وأصبح محصورا فيها مع شرذمة من دائرته ، لاتتجاوز ستين رجلا مسلحا ، فسلموه بعد قتال قليل ، وأخذ باليد بعد قطع يده بالرصاص ، ولولاذلك لم يوخذ لشجاعته وثبات جاشه فى أمثال هذه ، اذهو فتى الكريهة ، يخوض غمار الموت ولايبالى ، مع دهاء وفكر وبسالة لايدرك شأوه فى ذلك كله .

ولما اخذ وقيد أحاط به جمع كثير من المقاتلة ، وفتشوه فوجدوا عنده مكاتيب العدو وظهائره ، ومعلومات تدل على جميع ماابرمه معه ، فقرروه فأقر بالجميع ، وغالب من تألب عليه ، وداخل فى قبضه وقتله ، دائرته وأصحابه . تقربا منهم الى الله لخيانته للوطن والاسلام ، ثم أمروا بعض من قتل له أباه ، اوبعض اقاربه ، فقتله بخنجر يضربه به الى ان برد وانقضى ، ثم وضعوه للكلاب ، ولكن انتدب بعض الناس لمواراته فواراه ، وعمت اخباره البلاد ، وحمد الناس الله حين لم يتسع خرقه على الراقع ، وطارت اخباره وبشائر قتله الى المجاهدين . وهم راجعون من واجهة العدو منتصرين ، ذلك مايتعلق بامره

وأما مايتعلق بامر العدو ، فانه لما فرغ من احتلال (وجان) رجع عنه الى (تيزنيت) و (اولاد جرار) فملات عساكره جميع تلك السهول الى وادى الغاس) وذلك انه استنفر المغرب الاقصى باجمعه ، واستعان أيضا باهل المغرب الاوسط ، لكونهم مستعمرين من قبله منذ زمن بعيد اى من سنة ١٢٥٢هـ(١) فأما أهل المغرب فقد قاد كل قائد منهم قبيلته التى تقيد عليها ، فالقائد العيادى الرحمانى مثلا يقود قبائل الرحامنة ، والحاج التهامى الاكلاوى يقود القبائل التى تحت نفوذه من (مراكش) الى (درعة) الى جبال (وزكيثة) و (سكتانة) و (دمنات) وما الى ذلك كله ، والقائد عبد الملك المتوكى من سوس الاقصى الى (مراكش) وقس عليهم قواد المغرب جميعه

ثم انه لمارجع من (وجان) انكمش بجنوده الخاصة به فى داخل (تيزنيت) وباقى أهل المغرب خارجها ، وفرض عليهم مراقبة عظيمة ، وسدد نحوهم مدافعه ، واحتاط لنفسه مخافة الغدر احتياطا كبيرا . وأقام على ذلك خمسة عشر يوما وهو يراسل القبائل المتمنعة القريبة لطلب الاستسلام مثل القائد المدنى الاخصاصى ، والقائد مبارك البنيرانى المجاطي وغيرهما ، بل ندب من قبله قواد الحوز المتقدمين الى ملاقاة المسلمين ، وعينوا مؤتمرا يشتمل على خمسين رجلا من الجهتين

١) كان مبدأ احتلال الجزائر ١٨٣٠ م نحو ١٢٤٥هـ

مـؤتمر (مـيرغت)

تقع قرية (ميرغت) بين (الاخصاص) و (اولاد جرار) وهى مسقط راس الفقيه العلامة قطب زمانه سيدى محمد بن سعيد الاخصاصى الميرغتى دفين (مراكش) ناظم المنظومة المعروفة بالمقنع فى التنجيم رضى الله عنه ، وتقع فى عداد ايالة القائد المدنى الاخصاصى

وعين الجانبان خمسين فارسا لكل جانب من رؤساء العسكر فى كل، وانا واحد ممن حضر المؤتمر فى جانبنا ، وفينا رئيس الجميع الفقيه العلامة المجاهد العظيم سيدى على بن عبدالله بن صالح الالغى ، والقائد الاعظم الشجاع البطل السيد مبارك البنيرانى المجاطي وغيرهم من شجعان القوم

ومن الجانب الفرنسى ، الذى عينهم الجنرال الفرنسى (كـورو) وفيهم رئيس الحوز باشا (مراكش) ونواحيها الحاج التهامى الاكـلاوى ، والقائد الاعظم العيادى الرحمانى والقائد الافخم السيد عبد السلام المتوكى خليفة الباشا الاكبر عبدالملك المتوكى البووابوضى ، والقائد الاكبر الحاج الطيب الكنتافى المتقدمو الذكر ، وغيرهم من قواد (هشتوكة) و (هوارة) و (حاحة) و (الشياظمة) وغيرهم

وكانوا قد سبقونا الى النادى ، واستقر بهم المجلس ، ونحن فى الطريق ذاهبين ، ولما كنا فى أثناء الطريق استوقفنا القائد مبارك المجاطى ، فقال لنا: الرأى عندى أن نميل على هؤلاء الرؤساء بالقبض والاسر ، فانهم ان وقعوا فى قبضتنا تبذعر هذه الجموع فى اسرع من لحس الكلب أنفه ، وأنهم عيون الحكومة وقلبها ، وان كانوا مثلنا فى العدد والعدد ، فنحن أقوى واشجع وأمرن على الحرب ، لاننا بدويون وهم حضريون • ومن لم يستاسر منهم قتلناه ، وفى فدائهم لنا بعد النصر قوة عظيمة تقابل بها عدونا من بعد ، فماذا تقولون ؟ فمال الناس الى كلامه ، غير الفقيه الرئيس الاستاذ على بن عبدالله المذكور، وكان سليم الصدر ، شديد الورع ، والتمسك بالسنة ، فقال : وكيف يحل لنا غدرهم ونحن معهم فى أمان ؟ وعقدنا معهم ماعقدنا ، فلايحل لنا الا الوفاء، فراجعه مرارا فأبى فتكلمت وأنا أجسر الناس على الفقيه رحمه الله ، فقلت كيف نعتبر الوفاء بيننا وبينهم وقد صاروا ظالمين لنا من وجوه كثيرة ؟ لانهم أخذوا بيد العدو ، وقاتلوا دونه بأموالهم وانفسهم برضامنهم ، وانهم هجموا علينا فى عقر أرضنا وجاسوا خلال ديارنا ، طالبين لاعلاء كلمة الكفر ، الم يقل الله تعالى : «ولاينال عهدى الظالمين» اولم يقل تعالى فى ادنى من هؤلاء : «وأما تخافن (١) من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء» الاية ، فاذالم تكن خديعة

---

١) العجيب كيف استدل بالاية ضد ماتدل عليه من الوفاء وعدم الخيانة

او حيلة فلا ننال منهم أبدا ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : «الحرب خدعة» وهذا المؤتمر نفسه انما عينوه خديعة ، ليلتمسوا خللا وتفريقا ، اويلتمسوا رايا واهيا . وليسبروا أفكارنا قـوة وضعفا . او ليستميـل بعضنا بالمودة والرشوة او . او . او الى غيرذلك ، فمال الناس الى كلامى . ولكن الله سلم فصاح على الفقيه بكلام اشرف معه على البكاء ، وقال انعود خائنين لا والله لا احضركم فثنى عنانه للرجوع ، فساعدناه حينئذ ، وذهبنا اليهم ، فالفيناهم جلوسا. فلما دنونا منهم . قاموا اجلالا لنا واعظاما قومة شخص واحد ، وعانـقـونا ورجعوا الى مجالسهم

فلما استتم الناس الكلام والسلام افتتح الفقيه سيدى على بـن عبدالله خطبته وتكلم ووعظ ووبخ . ومن جملة كلامه قوله لهم : ياقواد الحوز وغيره كيف سولت لكم أنفسكم هذا الامر ؟ اذ عمدتم الى النصارى فادخلتموهـم الى اوطانكم على المسلمين ، وتزعمون أنكم من عداد أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومامنكم من أحد الا وهو حامل لكتاب الله ، حاج لبيته ، فما رضيتم بتوليتهم التى قال الله فى شأنها : «ومن يتولهم منكم فانه منهم» حـتـى عززتموهـم ونصرتموهم وواسيتموهم بأموالكم وانفسكم ، ودخلتم معهم فى سفك دمـاء اخوانكم المسلمين وتخريب ديارهم وتدمير اوطانهم واوطانكم : «الـم يـأن للذين ءامنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله» ولو كان فيكم ادنى شعرة من الايمان لملتم مع أخوانكم المسلمين على عدوكم ميلة واحدة ، ولاخذتكم النخـوة عـلى دينكم وأهله ، فتتخلون عن العدو ، وتخذلونه فيفشل ويرجع عنهم ، ولكن لاحياة فيكم (ولاحياة لمن تنادى)

فأجابه كبير القواد والقوم الحاج التهامى الاكلاوى باشا (مراكش) ونواحيها قائلا اننا لم نجىء الا للمصالحة بينكم وبين الحكومة الفرنسية ، فقال له الفقيه المذكور أى صلح بيننا وبينها مادامت فى ارضنا ووطننا ، فقال الصلح عـلى شروط ثلاثة : اولها ان تخرجوا الامير مولاى احمد بن ماء العينين عن أرضكم والثانى أن تاتوا بهداياكم الى (تيزنيت) وتخضعوا للحكومة ، والثالث ان تسلموا السلاح لها الا ما اضطرت اليه الحاجة ، هذه هى الشروط التى القاها عليكم الجنرال الفرنسى (كورو) ، فان اختل واحد منها فلا صلح

فقال له الفقيه سيدى على بن عبد الله المذكور : فهذا اذن عين الاحتلال لاوطاننا ، والله لانقبل واحدا منها حتى لايبقى فينا نافخ من رجل او امرأة، فانفض المجلس كل الى فئته ، فاستعد الناس لهول عظيم ، واستنفروا جميع من بقى من (وجان) الى (تيبيوت) الى بلاد (اقـة) مـن جهة القبلة ، وشحنوا (المنكب الابيض) (ايغير ملولن) بأولاد جرار بالرجال والعدة والعدد الكاملة، وكان يومئذ من عداد (مجاطة) اقتطعوه من الجرارى القائد عياد الـذى زار

النصارى وأخذ بيدهم ، وكذلك شحنوا أيضا (أيت برايبم) الى (الحصن الاحمر) الى (ميزغت) من جهة الغرب

فاقام العدو بـ (تيزنيت) خمسة عشر يوما وهو يعمل الحيل والمكر ، وكان رجل من الاخصاص يقال له الشيخ على ، نفاه القائد المدنى الاخصاصى قد هرب الى الجرارى ، فجعل يتجسس مـواضع الضعف والخلل ، ويباكر العدو ويراوحـه بأخبار ذلك ، وأخبار الناس وقوتهم ، فدلهم عـلى موضع خاو من الادالة الا من عسة قليلة تقدر بمائة رجل فى بعض الشعاب ، فلما تحقق العدو ذلك جمع جنوده ، وأمرهم بالهجوم على ذلك الباب ، بكرة يوم قد خيم الضباب على الافق ، حتى لا يبصر الرجل الا صاحبه ، فهجم وضرب العسس بمدافعه ودخل على (أيت باعمران) من غير ملاقاة كبير مقاومة فى ذلك الباب ، ونصب المدافع على المداشر يضرب بها مارا فى طريقه الى جهة (ايسك) بمشهد سيدى محمد بن عبد الله وسط قبائل (أيت باعمران) وارسل الى أكابر القبيلة للخضوع ، فهربـوا الى (مجاط) و (الاخصاص) ولم يقبلوا اليه ، واستنفروا قبائل (مجاطة) و(الاخصاص) الى (أيت الخمس) الى (اصبويا) الى (زفاضة) و (اد أحمد) وأولاد (أبى السباع) وغيرهم ، فنفر الناس الى تلك الجهـة ، ووقعت المعركة الهائلـة ، واشتبك الرجال بالرجال ، وكثرت القتـلى والجراحات ، لاسيما فى العدو ، ووقعت هـــذه المعركة من طلوع الفجر الى العاشرة من نهار الاربعاء ٢٠ قعدة عام ١٣٣٥ هـ.

وخلاصة هذه المعركة أن العدو لما وصل الى (ايسك) ، خيم بجنوده على ربوة ذات قرار ومعين ، مشرفة على جميع ما حولها ، وهى مركز حربى مهم ، وبعث الى أكابـر (أيت باعمران) للحضور عنده ، وللتكلم معـه فى ابرام الشروط التى تمضى له ، فلم يأته منهم أحد ، بل فـروا منه حسبما تقدم لاستنفار القبائل ، فنفرت القبائل الآنفة الذكر ، غير ان قبائل (مجاط) و (أيت وافقا) و (أمانوز) و (أملن) ونواحيها و (اداولتيت) و (اداكرسموكت) و (ادا وباعقيل) و (ادا وسملال) مرابطون فى المنكب الابيض (ايغيرملولن) و(هيلانة) كلها من (أيت عبدالله) و (بنى على) وجيرانهم و (اداكنضيف) الى (اداوكثير) و أيـت (والياض) ونواحيها و (أيـت صواب) كلها الى (نكارف) مرابطون بـ (أيت باها) و (أيتوادريم) و (ادوسكا) العليا مخافة هجوم العدو الكثير عدده ومدده

ثم أن العدو قسم قبائل الحوز وقواده على واجهات اليمين الثلاث (المنكب الابيض) لحاحة ومتوكة والشياظمة الى عبدة ، وقائد الجميع القائد (١) الاعظم عبد السلام المتوكى وله فيهم نفوذ عظيم قبل الاحتلال ، مع ان كل قبيلة بقائدها

١) هو خليفة فقط لا قائد

الخاص ، والمواجهة الوجانية فيها (أيت صواب) وما حولها ونصف (ولتيتة) والواجهة الباعمرانية فيها (الاخصاص) وجميع قبائل (أيت بعـمران) الى (اكليميم) و (افنى) عربا وعجما (١) ، وهى الوجهة المهمة عند المغيرين ،ولهذا خصصوا لها قوة مشتملة على ثمانين (٢) الفا من الفرسان والرجال وقـوة عظيمة من المدافع والطيارات ، فحار الناس فى أمر العدو ، وتفريق قوته عليهم فى هذه الواجهات ، على انهم أقل من العدو قطعا ، لان عـددهم يقدر اذذاك بعشرين الفا تقريبا

ولما رأى عبدالسلام المتوكى كثرة عدد العدو على المسلمين ، اخـذتـه عليهم الغيرة ، فـدس اليهم بان يتحركوا الى جهة (أيـت باعمران) لتعضيد اخوانهم هناك على العدو الكافر ، قائلا لهم : اننا نحن هنا اخوانكم المسلمون ونحن مرابطون هنا للهجوم عليكم ، ولكن لانفعل حتى يتضح امر واجهة (ايت باعمران) فان غلبتم فيها عليه فنحن هنا مستعدون لغدره (٣) معكم او لايقاع الخلل فيه بالهزيمة والتفشيل ، وعلى كل حال فنحن معكم قلبا وقالبا ان شاء الله ، فلاتخافوا من واجهتنا ، وانفروا الى (أيت باعمران)

فتوثق الناس منهم . ونفروا الى (أيت باعـمـران) وانحشرت جيوش المسلمين من كل جهة بايمان واحتساب ، راغبين فى ثواب الله وتكاملوا بعد يومين فى موضع الوغى ، وقام العلماء والفقهاء والوعاظ على الناس بالخطب المبكية ، والتحريض على مبادرة العدو ومصادمته . وتشجيعهم عليـه ، فبات الناس وهم على ذلك يستعدون للمنازلة . وجواسيس الفريقـيـن تتردد ، والطائرات تزعق للاستطلاع والاستخبار ، وقسم الناس العسكر اربعة اقسام على العدو ، عند الحملة عليه ، وعينوا لكل قسم شجعانا من ذوى الكريهة الذين لايقعقع لهم بالمدافع ولايهولهم ازيز الطائرات ، ولا البنادق ولا الرشاشات

هذا كله والعدو أيضا منكمش بعساكره على تـل عظيم ، واحاط عليه سرادقه من الاسلاك ، والمسلمون من شيعته خارجون عنه ، وهم اكثر منه والكل يترقب حملة صاحبه ، غير أن الناس توافقوا على مصادمة العدو بعد الفجـر والحملة عليه ، فلما حان الوقت سمع الناس العدو يعبىء جنوده للمنازلـة وينصب مدافعه للمضاربة ، فصمدوا نحوه قبل ان يصمد نحوهم بالفرسان المهيأة لذلك ، فخالطوه بالخيل والرجل . مطلقين عليه شآبيب من القرطاس والرصاص ، وهجموا عليه . الى ان وصل بعضهم معسكره حيث يكون رؤساؤه فانزعجوا لذلك ، ودافعوا أيضا بقوة عظيمة من المدافع التى تدهش العقـول

١) عربا وشلوحا
٢) فى هذا العدد اغراق وغلو
٣) كلمة عابرة لايمكن ان يكون لها أصل

واطلقوها ، لكن لشدة الاختلاط يصيب اكثرها جنودهم . فاختلط الرجال بالرجال والفرسان بالفرسان بالبارود والخناجر والمزاريق ، من طلوع الفجر الى عاشرة النهار ، وكان في المسلمين قتل لاسيما في شجعانهم مثل الشيخ على ابن العربي الكوراني المجاطي وغيره ، ممن لاتذل انوفهم الا لعزة الواحد ، فان من شجاعة هذا الفارس على بن العربي اذا حمل على العدو لايثني عنانه الا اذا قتل أكثر من ثلاثين ، وله معرفة بالكر والفر والمخاتلة والماكرة في الوغى وربما يلاقي مائة فارس فيهزمها وحده ، ويقتل البعض ويجرح البعض ويأسر البعض . وكان رجلا قويا شابا طويلا شهما لايعرف معنى للنكبات ولا الاوجال ، شان قبيلته وقبيلة (أيت بنيران) ورجالهم . مثل القائد مبارك البنيراني وعصابته . فهؤلاء في الحروب كلهم صواعق لايهابون المنايا ، و(أيت الخمس) و (اصبويا) الى (وادى نول) أيضا اشجع منهم ، والحاصل ان هذه الحروب قد حضرها من أهل الشجاعة والشهامة رجال من ذوى الكريهة ، قد قطعوا أعمارهم في امثالها . وهي شنشنتهم وديدنهم . وقد غذتهم بلبانها

ولما اشتبك القتال مع العدو مع أهل (أمانوز) و (مجاطة) و (الاخصاص) الخ تأخر عن الحضور قليلا من قبائل (وادى نول) من (أيت باعمران) المذكورة وقوى العدو ، وتكاثر على الناس ووقف في نحره رجال شجعان استحر فيهم القتل . وقد قتل في المعركة الشيخ على المذكور الذى هو رحى الحرب . فتقهقر الناس مقدار كيلومتر واحد ، ثم ان عساكر (اصبويا) و (أيت الخمس) وغيرهم ممن تاخروا عن المعركة وصلوا الى اطراف المعركة ، ووافوها وهي في غاية الاحتدام . وقد سمعنا أبواقهم ومزاميرهم من بعيد ، فما وقعت أعينهم على العدو حتى وثبوا عليه كالاسود . وهم أهل جشع وشره الى الغنيمة لاسيما الى سلاح الرباعية والثلاثية . والقرطاس وهي عندهم اعز من الذهب والفضة

ولما تحقق العدو بمجيئهم . وعلم أنهم أهل كريهة اندهل وطاش ، لاسيما وقد سدوا عليه طريق الهروب الى السهل وطوقوه ، ولم يبق له عند الهزيمة الا الطريق الوعرة ، واما الجهة التي دخل منها فقد سدوها عليه ، فخالطوه مخالطة الماء للبن . بالقرطاس والسيف وغيرهما ، وكانوا جلادا أقوياء في الحرب ، من رجال المعاداة . لبداوتهم وخشونتهم على العادة في تصلب أهل البادية وقوتهم ، فما كان غير مقدار ساعتين . حتى تزحزح العدو عن المصاف . ولاحت منه علامة الانهزام ، ونحن حينئذ في شرذمة قليلة من الرماة في سفح تل اضطر العدو للمرور عليه في انهزامه ، لانسداد الطريق التي دخل منها كما تقدم . وكنا نحو ثمانين من قبيلة (أمانوز) ونحو مائتين من (ولتيتة) ممن عرفناهم ، وكانوا رماة لاتسقط لهم رصاصة الا في وسط ذات عدو أو رأسه . وقتلوا من العدو لاسيما من مسلمي الحوز مالايستهان به ،

فقلت لهم يجب علينا التحول من هذا الموضع ، فان العدو لامندوحة له عن المرور منه بقوته . ونحن قليلون لاطاقة لنا بحصره ، فأبوا الا المقاتلة . وفيهم بعض أهل العلم الذين لاخبرة لهم بمكايد الحرب ، قد قرأ عليهم ءاية «ومن يولهم يومئذ دبره» الخ . ونسي مابعد الا الاستثنائية ، فدوخهم . فكان سبب انتزاع سلاحهم . وذلك انه حملت علينا طلائع العدو بنحو أربعمائة فارس جلهم من الاكلاويين وغيرهم ، وقالوا في أثناء الحملة : اخواننا معشر المسلمين تحولوا من هذا الموضع . فان العدو مضطر الى المرور عليه ، فقلت لهم : الآن قد حصحص الحق . وظهر الامر . فأمرت اخواني الثمانين بالتحول معي . الى موضع مامون . ومركز أهم من هذا ، فتحولنا جميعا غير اولئك الناس . فما كان غير قليل ريثما وصلنا الى مركزنا . حتى أعاد العدو الكرة على الموضع . وطوق الباقين . وانتزع منهم السلاح . ولم يقتلهم . لان الجميع مسلمون . وقالوا لهم الم نتقدم لكم وقد اعذر من انذر بالتحول قبل أن يراكم العدو الكافر فنصير متهمين عنده ، فهربوا بلاسلاح . فما وصلونا حتى وصل العدو بكلكله الى المحل المذكور . وهو في كل ذلك يوالى قنابل مدافعه مثل الرعود على الناس . ولكن لايقضي شيئا لشدة المخالطة ، وهم أيضا يرمونه بالرصاص مثل المطر الغزير . ولما تحقق قوة المسلمين وغلبتهم جمع عساكره وانكمش هو ، وحماهم بمدافعه متقهقرا . جاعلا تلك الجبال الوعرة ممره . والناس في أتباعه محدقون به . وصار لايلوى على شيء . وقطع في انهزامه اكثر من مائة كيلومتر الى (تيزنيت) (١) والناس في اثره يقتلون ويأسرون . وكان انهزامه في الساعة الثامنة صباحا الى الساعة الثامنة ليلا في وقت العشاء . ووصل الى (تيزنيت) (٢) وسد أبوابها عليه دون عساكر المسلمين أهل الحوز شيعته . وخرج من ليله قبل الفجر ناجيا بنفسه ومن بقي معه الى (مراكش) و(الدار البيضاء) من حيث يامن . وترك قواد الحوز والقائد الجرارى وأمرهم بعقد الصلح مع المسلمين على الشروط التي يقترحها المسلمون ، فأصبح الصباح والناس مطوقون للجرارى (٣) و(تيزنيت) ولما تبين لهم ان النصارى خرجوا منها ، ولم يبق غير شيعتهم من المسلمين . فت ذلك في عزمهم . وكرهوا سفك دماء بعضهم لبعض . وتراسلوا فيما بينهم ، فعينوا موضع المؤتمر في بو

---

١) كـــذا

٢) هذا غير مضبوط ، وقد لعبت العاطفة دورها في غالب هذا . وقد بينا نحن ماعندنا في ذلك في محل ءاخر

٣) هذا فيه مافيه . فان الهدنة وقعت بعدما كاد المسلمون يتفرقون ضجرا مما لاقوا ، ولم يطوق اذذاك الجرارى ولا تيزنيت . وفي ترجمة القائد المدني الاخصاصي تبيين هذه النقطة . وهي في (القسم الخامس)

الصنصاد بين (تيزنيت) و (أولاد جرار) واجتمعوا هناك فيما بينهم وتلاوموا فيما يفعلونه من الاخذ بيد العدو ، وردوا الملامة كلها على الجرارى الذى استنصر بهم . ورتبوا عليه خسارة الحرب . ولكن بلا اجحاف . بل بمال يقدر بأربعين ألف ريال حسنى فضى . وشرطوا ان لايعود العدو لغزو سوس من (تيبيوت) فى جهة القبلة الى (تيزنيت) غربا الى صحراء السودان جنوبا الى (شنكيط) الى جبال عدان ـ ادرار ـ وكتبت خطوط الجميع . وقيدت رسوم الضمانات على رجال من الجانبين ، ولكن ذلك كله كان من باب العبث والغباوة من الناس اذ العدو ذهب ليستعد لقوة غير هذه . وينظر فى الوسائل التى تنفعه . من أعمال مكر وخديعة . وتضريب بين الناس وبث الشقاق . ولم ينم كما ينام المسلمون . والعقلاء من المسلمين أيضا لم يعجبهم ذلك . بل من حسن السياسة عندهم متابعة النضال والعدو الى مراكش . لان المسلمين مستعدون للانقلاب عليه والانتقاض قبيلة قبيلة ، متى وصلهم مدد اخوانهم السوسيين . ولكن لما رجع الناس الى مواطنهم استحلوا لذة الراحة وركنوا الى هدنة على دخن . وناموا عن العدو . وتفرقوا كل الى شغله . رئيسا ومرؤوسا بلاوازع ولا آمر ولاناه . معولين على بارقة هذه الغلبة التى ستكون وراءها أمور مستنكرة واعداء مكرة :

وما الدهر فى حال السكون بساكن ... ولكنه مستجمع لوثوب

حروب أخرى

ولما كانت سنة ١٣٤٢هـ دس الى قواد أطراف سوس بالهجوم على من يليهم من القبائل المعادية له . فتحرك الحاج حماد ابن المقتول بأيت باعمران حيدة بن مايس هو والقائد محمد بن ابرهيم التيبيوتى (١) وغيرهما من قواد (ردانة) ونواحيها الذين هم من شيعة النصارى الى قبائل (هيلانة) وقبائل (ايسافن) الذين هم من قبائل المسلمين ، فاستغاثوا بالناس فوقع النفير . واجتمع الناس من (أيت باعمران) و (الاخصاص) و (مجاط) و (امانوز) وأهلن وأعمال الجميع ، و (ولتيتة) و (أيت صواب) وأعمالها . بقيادة الامير المقدم سيدنا محمد المصطفى المدعو مربيه ربه ابن الشيخ ماء العينين الصحراوى الكردوسي سكنى (كردوس) باعقيلة . وجاء الجيش الى (أيت عبد الله) و (ادوسكا) و (أيت على) و (توفلعزت) و (ايسافن) ـ الويدان ـ ووقعت مقاتلة خفيفة قتل فيها من عسكر حماد بن حيدة ماينا هز الثلاثمائة فارس ، فاجمع

١) تقدم فى بعض الحواشى ان أهل تيبيوت لم يكونوا فى ذلك الوقت الا شيوخا . وأن أول من تقيد منهم هو المذكور هنا ولكن بعد خلع الحاج حماد ابن حيدة

الفريقان على الصلح لكونهما مسلمين . ولم يكن فيهم نصرانى واحد غير بعض الضباط ، ورجعت القبائل المهجوم عليها الى ماكانت عليه من قبل . ورجع اليها رؤساؤها المنفيون . مثل المقدم حمو بن بلقاسم المرتينى والمقدم سعيد ابن الحاج محمد المدعو ـ أزبابو ـ الداسكاوى وغيرهما ، وابرم الصلح بضمانة القائد المدنى الاخصاصى من جانب الامير المذكور ، وضمانة الحاج حماد بن حيدة من جانب النصارى . وانفض الناس كل الى حال سبيله . بعدما اعطى جانب النصارى غرامة الحرب . وكان الزمان زمان حرث وشغل ، فانثنى الجميع كل الى وطنه . بعدما فازوا بغنيمة لها بال من خيل وسلاح ، لاسيما عرب قبائل (أصبويا) الذين هاجموا عسكر الحاج حماد وطوقوه ، واستسلم غالبه اليهم من غير قتل (١)

ولما رجع الامير مربيه ربه المذكور الى (كردوس) حينئذ استدعى رؤساء القبائل للمؤتمر ، لما بين القائدين : القائد مبارك وشيعته مجاط . والقائد المدنى الاخصاصى وحكومته من الخلاف فى عقد الصلح مع شيعة النصارى من غير مشاورة رؤساء الجيش الاسلامى ، وقد أشرف على العز والنصر . واتهمه بأخذ المال من القائد الحاج حماد والنصارى . ورجع الناس وفى قلوبهم مرض من هذا الداء العضال . وحاشا القائد المدنى أن يرتشى . وان يأخذ الدنية فى دينه ، أو يخون أمته ووطنه . ولكن القائد مبارك وان كان له فى هذه الحروب كلها ذكر عال . وصيت شهير . وصولات على العدو . وثبات . ووثبات فانه من بعد ذلك يناجى (٢) القائد عيادا الجرارى رأس الطائفة النصرانية ، مع العداوة القديمة بينهما . اتقاء من الجرارى للقائد مبارك . ومخافة منه على هجومه عليه من جهة (المنكب الابيض)

ولما اجتمع الناس بـ (كردوس) كما ذكرنا تلاوم الناس فيما وقع من القائدين . واتهم القائد مبارك الامير مربيه ربه بالتعصب لجهة القائد المدنى وتصالح الناس ظاهرا . ورجع كل الى وطنه ، وفى ذلك كله تسرى العقارب بين القائدين . وتحريك القبائل السوسية عليهما ولهما ، فتحزب للقائد مبارك قبائل (مجاط) و (أمانوز) واعمالها ونصف (افران) وتحزب للقائد

١) قد ذكرنا أخبار ماوقع لحمو بن بلقاسم وازبابو فى ترجمتيهما فى هذا الكتاب . وأخبار حرب حمو بن بلقاسم تعدد ذكرها فى تراجم غيره . وقد كنا ذكرنا فى مقدمة الكتاب اننا قد نعدد ذكر واقعة واحدة عن رواة متعددين زيادة للايضاح

٢) اولا يناجى المدنى بدوره الحاج حماد أوأمثاله ؟ والحقيقة ان الانتفاع الشخصى قلما يخلو منه الرؤساء اذذاك . وان كانوا فى المجموع أحد الناس فى المقاومة

المدني (الاخصاص) و (ايت باعمران) سوى أيت الخمس ، وفي عام ١٣٤٥هـ
تهاجما ووقع القتال فيما بينهما على شأن القبائل الافرانية المنقسمة على
حزبين أيت (امسرا) و (ايت تانكرت) و (ايت رخا) مع القائد المدني وبني
شقراوة (اداوشقرا) ونصف (تانكرت) الباقي مع القائد مبارك ، فهجم الاخير
اولا على (تانكرت) واستولى عليها في ليلة واحدة ، وامتعض لذلك القائد
مبارك . واستنفر حزبه وقبائله فحمل على (تانكرت) حملة منكرة وحاصرها
وقتل اكثر شجعان القائد المدني . وأخذ الباقي وسلب ونهبت قبيلة (تانكرت)
عن اخرها . فخرجت ولم يبق فيها دار سالمة الا دار المرابطين : الفقيه العلامة
سيدي الطاهر بن محمد . والفقيه سيدنا البشير بن المدني الناصري وقرابتهما
فأخذ كل من أخذ بيد القائد المدني فقتل او نفي . وكذلك فعل بشقراوة
(اداوشقرا) فانزوى القائد المدني وشيعته الى (أهل امسرا) اعداء (تانكرت)
قديما ، فاستمر البارود والخراب . وتفرق الناس على هذين القائدين فرقتين
والعدو في أطراف البلاد يتربص بهم مثل هذه الدوائر . وهو ساكت . وربما
يمد القائد مباركا بدراهم وغيرها سرا . بواسطة القائد الجراري . وانما لم
يهجم على الناس لخوفه من التئامهم عليه ، فترجع الحرب بين الرجلين سلما
كما هي عادة أهل سوس مع العدو الاجنبي . فانهم متى دهمهم العدو وهم في
التحارب والتدابر . يجتمعون عن قريب . ويتناجون بسرعة مدهشة . كما
فعلوا في قضية الحروب الكيلولية والنفلوسية التي أتينا على ذكرها فيما
مر (١)

ولما استحر القتل في الناس ضجوا الى علمائهم في التوسط بين القائدين
في الصلح . قبل أن يتفاقم الامر . فذهب الفقيه المجاهد السيد علي بن عبد
الله الالغي . والفقيه سيدي الطاهر بن محمد الافراني . والمرابط الفقيه
سيدي البشير الناصري وغيرهم ممن لم نذكر ، وكنت ممن حضر ذلك المجمع
وقد وقع الصلح بعد جهد جهيد . ومحاولات بين الفريقين طويلة . بشرط
أن تتصل كل قبيلة بمن تحبه من غير اجبار . وأن تذهب خسارة هذه الحروب
من نفس ومال هدرا بلا محاسبة . لتعذر الصلح معها . فابرم الصلح على هذا
بعد استمرار الحرب سبع سنين من عام ١٣٤٤هـ الى عام ١٣٥١هـ

وفي هذه الحرب انقضت (٢) شجعان هذه القبائل . وفرسان كريهتها
وذوى النخوة والاباية الذين لاتذل انوفهم الا لعزة الواحد القهار . وصارت

١) هذا الذي قاله المترجم عما وقع بعد رجوعهم من تلك الحرب صحيح
كله . وهي انقى خبر حدثنا به بلاعاطفة . ويا ليته فعل ذلك في الجميع

٢) لم يهلك في هذه الحروب من يعلمون بالبسالة الا قليلون . والجل من
غمار الناس . على أن الموتى مطلقا غير كثيرين فيها . ثم أن المدني أخذ عن قتلاه
وخيله الهالكة نحو ثلاثين الف ريال

قبائلهم ليلة الهمزة للعدو . وانخفضت له بسببها شوكتهم ، وهكذا حال
المسلمين باسهم بينهم شديد شرقا وغربا . وكذلك يفعلون . مادخلهم عدو
قط الا مهدوا له بالخلاف بينهم الطريق (١)

الاحتلال التام

وكذلك كانت البلاد السوسية كلها تضرب كل قبيلة جارتها ، والعدو
محيط بهم من كل ناحية . واخذ بمخانق الجميع . وقد اشتعلت نار الحرب
ايضا بين أيت مربيط . بين القائد ابرهيم بن بلعيد المريبطي . وبين الشيخ
محمد ازنكض ـ الغزال ـ الوابلي سبع سنين . فاستنفر الاول (أقة) واعمالها
و (طاطة) واعمالها . وأمده العدو بعدة كثيرة . واستنفر ازنكض من (أيت وابلي)
الى (ايشت) و (تامانارت) و (أيت علي) وأمده القائد المدني الاخصاصي برجال
وخيل ومئونة ، فوقعت خطوب . وقتل من الفريقين جمع عظيم . وهدمت
القرى والمداشر . وقطعت الاشجار من نخل وغيرها . وقطع الماء عن الفجة
الخضراء (تيزكي يريغن) (٢) حتى يبست اشجارها . ودامت هذه الحرب أيضا
حتى قضى على تلك النواحي القبلية . الى أن كانت سنة ١٣٥٢هـ فهجم العدو
عليهم كما هجم على بقية النواحي الاخرى . فاحتلها بعد ان والى عليهم غارات
الطائرات شهورا . وهدم عليهم البناءات فانجلوا عنها . وهجم بالعدد والعدد
ووصل البلاد . وهرب الرئيس ازنكض ناجيا بنفسه ودائرته الى (سملالة)
ودخل حرم السيدة تعزى السملالية ، الى ان وصله العدو واستخرجه . وأخذه
اسيرا هو ومرابطو القصبة سيدي ابرهيم بن محمد واخوانه ، ونفاهم الى
(ردانة) فاقاموا فيها ثلاث سنين ثم أطلق سراحهم

وكذلك وقع في سنة ١٣٥١هـ ان اشتعلت الحرب في (ايشت) بين
اهلها وبين البرابر الذين انجلوا عن احواز (درعة) و (تافيلالت) الهاربين
من العدو مع الرئيس بلقاسم الانكادي . وهم أيت (خباش) و (أيت حمو)
(وأيت مرغاد) وغيرهم ، ويقدر عددهم باربعة ءالاف ما بين فارس وراجل .
وقد كانوا مجاهدين للعدو في بلادهم سنين تنيف عن العشرة وفعلوا في العدو
الافاعيل . وكثرت فيه نكاياتهم . ونهبوا وسبوا ، وفيهم شجاعة وثبات
وفروسية . معروفون بالرماية . ثم انهم لما غلبوا على بلادهم (درعة) (٣)
و (تافيلالت) واعمالها تحيزوا الى السوس مع رئيسهم المذكور . واستوطنوا
(تامانارت) تحت حكومة القائد البشير الاكرضي و (ايشت) الى (ايت سموكن)
الى (أمانوز) وكانوا يغيرون احيانا على العدو ، ويأتون بانواع الاسلحة . ثم

١) كلمة حق بالنظرة العامة

٢) هذه الحرب ذكرت بين تراجم ءال سيدي محمد بن ابرهيم الشيخ في
(الفصل الثاني) (القسم الثالث)

٣) هؤلاء من تافيلالت لا من درعة

سول لهم الشيطان فغدروا بـ (ايت ايشت) واخذوا ابراج البلد وأسواره . وتحكموا فيه بقتل الرجال . ولم يفلت الا من خرج بكرة الى السواقى . وتم لهم احتلال (ايشت) وضج الناس لذلك . وعلموا أن هؤلاء لم ياتوا الا للفساد والافساد . فتهيأ الناس لغزوهم واخراجهم عن الحكومة . ولم يتمكنوا من ذلك ثم فاجاهم احتلال العدو الاكبر . وخرجوا هاربين الى ناحية الصحراء . ثم بعد ذلك استسلموا فيمن استسلم هم ورئيسهم بلقاسم الانكادى . ورجعوا الى بلادهم ورجع رئيسهم الى بلاده (١)

وكذلك اشتعلت قبل هذا الوقت أى فى سنة ١٣٤٧هـ نار الحرب بين القائد البشير التامانارتى . وبين المرابط محمد بن الهاشم التيمكيدشتى . وسببها أن عم الاخير المرابط العربى بن الحنفى التيمكيدشتى تنازع مع ابن أخيه محمد المذكور رئاسة الزاوية ، فداخل العربى القائد البشير فى الامر. وابرموا قتل محمد بن الهاشم . ودسوا اليه أربعة رجال . كل بمسدسه ، فيهم محمد بن العربى المذكور . فجاءوا الى محمد بن الهاشم . فوجدوه فى المدرسة بين الطلبة . يداعبهم على العادة فى دكاكين هناك . فحاولوا اطلاق الرصاص عليه . فتفطن لهم بعض الطلبة . فما سددوا المسدسات نحوه للضرب حتى وثبوا عليهم . وناوشوهم القتال . وجرح البعض . وهرب محمد ابن الهاشم بعدما رمى برصاصات لم تصبه الى داره . فأخرج الاسلحة الى طلبته وعبيده وأصحابه . وقد نافوا عن ثلاثمائة رجل . فاخذ البلد . وخرج عمه العربى فارا بنفسه الى ذات الريح (تيواضو) من شيعته . ثم بعده الى (تامانارت) فافترق الناس عليهما فرقتين من (أمانوز) و (ايكنان) و(انزرن) و«تاسريرت» و(سملالة) الى (ادا ابرهيم) و (اداوسلام) و (تكنة) و(اداويزيد) فارسل الاكلاوى الى محمد بن الهاشم من (ايت ووزكيت) رجالا وسلاحا . ودامت هذه الحرب من سنة ١٣٤٧هـ الى ١٣٥٢هـ وفنى فيها من الفريقين خلق كثير من الطلبة وغيرهم ، وفيها قتل رؤساء (أمانوز) مثل بلقاسم بن على بن محمد نسى بوفتاس الايزربيى وابن عمه السيد الحسن بن عبد الله ، وعمر العندوز . والحاج سعيد بن على الامزاورى و"محمد ـ فتحا ـ بن عبد الله بوتبيسيبيت . وغيرهم من شجعان القبيلة . وهكذا شجعان كل قبيلة . ونهبت بلاد مثل (أيت باها) من (أمانوز) و (امكنسن) وغيرهما . وكذلك ذات الريح (تيواضو)

ووقع فى سنة ١٣٥١هـ خراب ذات الريح (تيواضو) وهى قرية فيها ازيد من ألفى نسمة تحت قرية زاوية (تيمكيدشت) وسبب ذلك ان محمد بن

١) بقى حيا فى بلده الى ان توفى نحو ١٣٧٦هـ وفى ترجمة مبارك التوزونينى أخبار الانكادى هذا مستوفاة . وهذه الواقعة مفصلة فى (القسم الخامس) فى أخبار ءال (ايشت) .

الهاشم عقد مع أهلها هدنة ، وهم من شيعة عمه العربى . واظهر لهم الامان الكثير . وجعل يستميلهم بانواع المكر والخداع ، فلما اطمأنوا بعث الى اعيانهم يدعوهم الى مأدبة الاكرام . فتسارعوا اليه معتقدين فيه أمانا عظيما . اذا كان قبل هذه الحرب مخدوما من قبلهم معتقدا عندهم ، فلما دخلوا داره ومحل ضيافته . والكل منهم مسلح برباعيته ، قدمت لهم موائد الاطعمة . ووضعت بين أيديهم . وقبل أن يغسلوا أيديهم للاكل احاطت بهم رجال القبض والاسر وهم ثمانية عشر . وجعلهم فى الحديد المثقل . وبعث من حينه الى قريتهم . وامر بهدمها . فما كان اسرع من لحس الكلب انفه حتى صارت خرابا يبابا . ولم يبق فيها الا اليعافير والا العيس (١) وأمر بهدم جامعها وصومعته . ومشهد صالح هناك وأحراق قبره . وأضرمت النار فى القرية حتى صارت عبارة عن كدية تراب . فتفرق أهلها شذر مذر . أيادى سبأ اكثرهم لمراكش وفاس . واستوطن المستضعفون من رجالهم ونسائهم قرية (كادورت) الى أن وقع الاحتلال فوجدهم فى الحرب . واستسلموا عن ءاخرهم . ورجع كل الى وطنه وشرعوا فى بناء دورهم بعد ذلك

وأما الاعيان المساجين فقد أقاموا فى السجن فى حالة يرثى لها . وخيم عليهم القمل والجوع . يتخبطون فى أبوالهم وغائطهم ، وتسلط عليهم من وحوش الرجال ناس من (أيت واوزكيت) لايعرفون الانسانية . فقضى الجوع على اكثرهم . وقتل الباقون بعد أن ذاقوا العذاب الاليم . وهرب بعضهم

والحاصل ان ابن الهاشم هذا اظهر من القساوة والفظائع وأنواع الهمجية مالم يعهد مثله فى تلك الجبال الجزولية . ولاعجب فانه رجل ما استقبل قبلة قط للصلاة . فما صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى (٢) ومن غرائبه أنه لما عين قائدا بعد الاحتلال ضرب على القبائل ضريبة مقدارها مليون من الريال الحسنى فى ظرف ثمان سنين ، دون الزرع والادام والدقيق والدجاج والغنم والبيض والتبن والخشب والبهائم والزرابى وأعشار القضايا . ولم يحاش فى ذلك حزبه ولاغيره . ولا شريفا ولا عالما ولا مرابطا . ولافقيرا ولاغيره . بل زاد على العلماء والمنتسبين وكثرت الشكايات فى الادارات والجرائد وغيرها . من ٢٢ ذى القعدة عام ١٣٥٣ الى عام ١٣٦٠هـ وقاسى الناس فى أيامه أهوالا ومحنا ، ولا يأمن الانسان معه على نفسه وماله ، وكانت لى عنده منزلة متينة لما تقدم من تربيته واقرانه حياة والده المرابط السيد الهاشم بن الحنفى سنة ١٣٢٨ فما بعدها أيام توليتى للتدريس بالزاوية . ثم بعد ذلك أظلم الجو فيما بينى

١) اقتباس من بيت الشواهد المعروف :

وبلدة ليس بها أنيس ... الا اليعافير والا العيس

٢) العهدة على الكاتب ، وستدرى ما فى قلبه عليه . فالله يرحم الجميع

وبينه في حياة والده وفارقته ، ولما تولى قائدا سعى في القائى الى التهلكة بكل ماامكنه سرا . ويجلنى ظاهرا . وكانت بيني وبينه ملاومات شفاهيات وكتابيات وأعانني الله عليه . فكبحت جماحه بالشكايات بعض الشيء في جميع ادارات المغرب الكبرى ، فلما كانت سنة ١٣٥٩هـ انقبض عن الادارة وعن حالها وعن أشياخها . لتخوفه من الجميع . فبعث اليه الحاكم مرارا فامتنع من أتيانه . وهم به وبقبضه . لولا أن الحروب الجرمانية العالمية فاجات الدنيا وعنده هو أيضا سلاح كثير مخزون . فخاف الحاكم من اثارة الفتنة فعزله وتركه وشأنه . ومازال عنده كل سلاح يسمى أبو الشفرة (١) بأنواعه من البوري وتاسدًا والترهالى وغيرها ، ومن انواع ذى القرطاس الانجليزى وصاصبو . وسبب بقائه عنده استسلام تلك القبائل على يده يوم احتلال الحكومة مع الحاكم الاول القسيان (سيكو) مدير مكتب (تافراوت) والقبائل التى سلمت السلاح على يد ابن الهاشم هذا هي (أمانوز) و (تاسريرت) و (وادى ايسى) و (اكنان) و (انزرن) الى (اداداس) و (أيت بونوح) ويقدر عددهم بالفى كانون . ولم يبق عندهم الا الكميات اى الخناجر المفضضة والمذهبة . ثم تحيل لهم بان دس الى الحاكم ان ياخذها منهم مخافة الفتنة ولم يساعده الحاكم . ولكن استبداده عدا على الناس فجردهم (٢) من الجميع ولم يترك لهم موسى صغيرة . عياذا بالله . وكشط البنادق من أبى الشفرة والخناجر بان جردها وقشرها مما عليها من الذهب والفضة ، وبعث بذلك الى اليهود . فصرفوا له البعض وضربوا له البعض سبائك

رجع إلى ذكر الحوادث

ومن الحوادث ما وقع في عام ١٣٣١هـ من الغلاء المفرط ، وانحبس المطر ولم تقطر منه قطرة واحدة الا في الاراضى المسماة المعادر القبلية ، فانها قد غمرتها السيول . وانحشر اليها الناس ممن لهم زريعة ، وكنت ممن حرث فيها بموضع يسمى (يوك الخير) وهو مملوك لايت امريبط . أهل (تيزونين) و (ايكفى) و (آقة) وغيرهم من القبائل القريبة والبعيدة منه ، ومن لم يكن له فيه ملك اخذه بالخمس مما يخرج منه على العادة . وهى أرض طيبة مما يحرث فيثمر ويدرك في اربعين (٣) يوما من حرثه فيحصد ، وهى في موقعها في الحدود الصحراوية مما يلى الغرب وهى عبارة عن رمال متجمدة ، وارض لينة

١) أنواع من البنادق الاهلية القديمة

٢) التجريد من الخناجر التى يتقلد بها عم جميع تلك القبائل المحتلة اذذاك وكان من أول يوم في جميع تلك الجبال

٣) هذا في عهدته . وهذه الارض ذكرها البكرى في (المسالك) في القرن الخامس بالجودة لما ذكر (تامدولت)

طيبة ذات مقابن واودية ووهاد وتلول . وتغرفها جبال (بانى) واكثر نباتها العنكريش الدفلى وشجر الاثل . وهو فيها اكثر واعظم حجما طولا وعرضا بحيث تاوى مائة نسمة الى ظل شجرة واحدة ، ويسكن تحتها الانسان فتكفيه الحر والبرد والاحتطاب . وهى وان كانت مملوكة للجيران . فانها تحت سيطرة عرب معقل (أيت اوسا) و (الركائبات) الى ماوراءهم ومن اشتدت منهم شوكته ، فهى تحت يد المذكورين يرضخ لهم أهلها بشيء قليل

عرب شنكيط ومن إليهم

هؤلاء الاعراب فيهم عفة ونزاهة وسماحة ، وللركائبات في هذه السنين السيطرة عليهم . لكثرة عددهم وعددهم بعد قبائل أسا . ورئيسهم في ذلك العهد رجل اسمه ولد الخليل . من فتيان زمانه واجودهم واشجعهم . وفيهم (١) علماء وادباء حلماء . رجالهم نساؤهم . وليس لهم شغل الا القراءة والخوض في العلوم العقلية والنقلية . والحفظ للمتون المتنوعة . وربما تجد احدهم حافظا للقاموس وايام العرب واشعارها وانسابها . متمهرا في الجميع . ويكون الشعر عندهم اسهل من النفس . ولازالت في غالبهم لهذا العهد العربية السليقية (٢) الفصحى . وكانوا يحبون العلم وأهله . والعالم عندهم في المرتبة الاولى في مكانة مكينة ، بحيث اذا أصبح احدهم يذهب الى خيمته فيسلم عليه وكيفية سلامه أن ينكب على ركبته فيقبلها . ويأخذ يده اليمنى فيقبلها ثلاثا ظاهرها وباطنها . ويخضع له وينصرف . فيتبعه العالم بدعاء حسن مما يناسب حاله (٣) فاذا ورد عليهم عالم آفاقى اجتمعوا اليه فيكون في ضيافة كبيرهم اولا ، ثم يستدعونه للضيافة واحدا بعد واحد . ويذبحون له كل يوم ناقة وكبشا وينحشر الناس للاكل معه غداء وعشاء . ويأتى كل واحد منهم باحلى ماعنده . وغالب قوتهم الحليب واللبن والرائب والزبد واللحم . ولا ياكلون الحبوب من شعير وقمح غيرهما الا نادرا . لان بطونهم تنتفخ بها . لعدم اعتيادهم لها . ويأكلون التمر مكانها . اللهم الا ماكان من أيت أوسا المجاورين لنا فانهم يتقوتون بالجميع (٤)

١) قبيلتا أسا والركائبات يقل فيهما العلم مثل كل قبائل (تكنة) (وحسان) وانما هو في قبائل الزوايا المعروفة في (شنكيط) رجالا ونساء

٢) للشنكيطيين ومن اليهم لهجة عربية خاصة بعيدة من العربية السليقية الفصحى فانها لغتهم الدارجة الخاصة بهم

٣) هكذا يفعل مال ماء العينين بعلمائهم وربما اختص ذلك بالمعتقدين منهم

٤) تبدل حال الصحراء كثيرا في المعاش فصار غالبهم الان يحب أكل الحبوب واما السكر فهو مشروبهم الوحيد

تقدمت لنا معهم أيام هناك كلها غرر فى جبهة الدهر . وكثيرا ما انشد فيها :

لله دهر جمعنا شمل لذته　　هناك اعذب من أمن على فرق
مرت لياليه والايام فى خلس　　كأنما سلبته كف مسترق
ما كان احسنها لولا تنقلنا　　من النعيم الى ذاك من الحرق
رق العذول لحالى بعدها ورثى　　لى فى الجوى والنوى والشوق والارق

وانشد أيضا :

نفسى الفداء لانس كنت اعهده　　وطيب عيش تقضى كله كرم
وجيرة كان لى الف بوصلهم　　والانس أفضل ما بالوصل يغتنم
بالشام خلفتهم ثم انصرفت الى　　سواهم فاعترانى بعدهم الم
كانوا نعيم حياتى والحياة له　　والان كل وجود بعدهم عدم

واكثر لباسهم الخنط (١) الازرق والقطن . ويأتى ذلك كله من بلاد السودان ومن جهة السودان المصرى ، وطهارتهم فى جميع الازمنة ترابية . ولايتوضئون بل يتيممون . زاعمين أن تناول الماء يضر بهم فى ابدانهم . وقد جرت بيننا وبينهم فى ذلك محاولات ادت الى محاورات . حتى حكى بعض الحاضرين أنه رأى أحدهم نزل فى غدير ماء للطهارة الكبرى من الجنابة . فبمجرد خروجه من الماء ونشفه تقشر جلده أجمع . حتى اشرف على الهلاك . وذلك لتربيتهم بالصحراء وهوائها . حتى صاروا مثل ضبابها . وهم اخف الناس اجساما وحركة . بحيث يثب احدهم على الجمل العشرى وهو يهرول فيركبه لخفة اجسادهم بعدم البطنة . وقلة الدم . وفيهم حسن وجمال . ورجالهم طوال شم الانوف . واسعوا العيون الى الكحل . وغالب نسائهم بيض عين دعج ولهن حركات وتغنج ورقة كلام وظرف وفكاهة فى أخلاقهن ، وربما ترى احداهن فى غيابات الخدر كانها القمر ليلة بدره فى ظلماته (٢) فى اشراقها وبياض اسنانها . وعادتهم أن لايفتروا عن الاستياك بشجر الاراك كما اعتاد بعض أهل فاس ونواحيها الاشتغال بمضغ العلك ونحوه

وفيهن أيضا عالمات أديبات واقلهن بضاعة فى الفقه التى معها المرشد المعين لابن عاشر . وارجوزة القرطبى . ومن الادبيات قصائد المعلقات السبع وغيرها من أيام العرب . وفيهن مدرسات للعلم فى جميع الاوقات . وجميع الانصبة . وقد شاهدنا امرأة وسطا تملى عليهن الشيخ خليلا بلا شارح . فخاضت فى شرح متنه . وحررت مسائله احسن تحرير بلا تكلف فى ادارة

١) الخنط بضم الخاء وسكون النون
٢) الضمير للخدر

املائه . وحولها من آخذات العلم مايزيد عن ستين امرأة . ويحضرن أيضا مجالس العلماء الذكور كثيرا

وغالب الجميع من الذكور والاناث ملتثم . لايكاد يتميز الذكر من الانثى الا بزى اللباس

بعض أخلاقه المذمومة

ومع هذا كله فلهم عوائد مذمومة فى اختلاط الذكور بالاناث فى المجالس اكلا وشربا ومفاوضة وغير ذلك . ويختلى الرجل بامرأة غيره ليلا ونهارا . وربما قطعوا زمنا طويلا فى ذلك من غير مراودة فاحشة بينهما . ولا بدو اوائحها منهما . مع مبالغة فى المراقبة على ذلك . واحصاء انفاسهما . وذلك لعلو همتهم . وصدق عفتهم . وقد جرب ذلك منهم . وكثيرا مايرد الاجنبى عليهم ذكرا اوانثى . فيبدى شيئا من الخنى ولو نطقا به . فيمقت عندهم ويطرد واذا حم له وراود امرأة او امرد منهم فانه ان لم يهرب فى الحين يقتل ويطرح للكلاب . وحكى أن رجلا من (أيت باعمران) تاجرا له منهم صديق ملاطف ينزل عليه متى قدم تلك البلاد الصحراوية . واذا ورد الرجل الصحراوى على ناحية (أيت باعمران) ينزل على صاحبه كذلك على العادة الجارية بين الاصدقاء والعادة أن من لم يجد صاحبه حاضرا فى داره او خيمته فان ربة داره تقوم مقامه فى القيام بالضيافة فى غاية الاكرام والاعظام . وان كان للمضيف اخوة او جيران فانهم أيضا يقومون . ففى بعض قدمات الباعمرانى على العربى الصحراوى لم يجده فقامت امرأته احسن قيام اكلا وشربا وفرحا وسرورا فلما كانت هنيئة من الليل فرشت له للنوم . واضطجعت بمقربة منه فدب اليها ، فقالت له ان كانت بينك وبين زوجى محبة فقد اديت حقه . وان كان شىء آخر فلتتربص حتى يأتى فيؤدبك . فاستل الرجل الباعمرانى من الخيمة ليلا وهرب . فلما قدم الصحراوى واخبرته بذلك ركب على جواده الى صاحبه فقطع مسيرة خمسين يوما حتى وصله فهم بقتله قبل أن يكلمه . وتفطن له . فقامت القيامة بالفضيحة بينهما . حتى أصلحت الجماعة ماوقع . ولم ينفصل منه الا بشق الانفس . ورجع لخيمته فطلق زوجته من غير جريمة . بل استنكارا واستقذارا لها لما صدر عملا بقول الشاعر :

اذا وقع الذباب على طعام　　رفعت يدى ونفسى تشتهيه

وأحوالهم فى ذلك عجيبة . وجلهم لايلبس شيئا فى زمن الصبا قبل أن يبلغ الحلم ذكرا كان او انثى . سواء فى ضاحية الحرارة او فى قرة البرد وحمارته (١) وهم فى مجتمعهم وعادتهم ينقادون لرؤسائهم ورؤساؤهم

١) المعروف لغة ان الحمارة بتخفيف الميم وتشديد الراء : شدة الحر لاشدة البرد . وان الذى يقال فى البرد صبارّة بمثل ذلك الضبط

ينقادون لعلمائهم . بحيث اذا عقد الرئيس امرا من حرب او سلم او صلح او غير ذلك ينقاد له غيره من غير مناقشة ولا بحث ولا كشف عن أمر ذلك لاداخلا ولاخارجا . بل يستصوبه الجميع . فلو ناقشه غير الرئيس بمراجعة عد من الحمقى . الا العالم فانه يسمع كلامه . ويعمل به . لانه عندهم في منزلة فوق منزلة الرئيس كما تقدم .

وغالب تجارتهم في القطن والودع والذهب مــن جهة السودان . قبــل احتلاله بالفرنسيس . والان قــد حيل بينهم وبين مايشتهون . كما فــعــل باشياعهم من قبل . ولم يترك لهم الا التجارة في الملح . ياتون به مــن بــلاد (الحمادة) باتاوة مضروبة عليهم فيها .

الحروب السودانيــة

كانت بينهم وبين الفرنسيس حروب من جهة السودان حيث هاجم مدينة (تيمبكو) مرسى (١) السودان ، وكانت في ذلك ملاحم عظام . ولهم فــيــه جهاد كبير ومكانة عظيمة حتى اعيته فيهم الحيلة من حيث انهم يغيرون ويغنمون فيصحرون . ولهم خيل ضمر . ونجب كذلك تسمي عندهم العشريات . لخفتها وسرعتها . حتى تضرب عشرة أيام في يوم . ثم تقدم الى جهة (ادرار) ثــم الى جهة (شنجيط) قبلة . وطوقهم من كل جهة فجعلوا يتقهقرون شيئا فشيئــا للصحراء الموالية للسوس (٢) ثم عم جميع البلاد

وفي ٣ صفر عام ١٣٥٣هـ شرعت الحكومة المحتلة في تعبيد (٣) الطرق مابين عاصمة السودان (سان لوى) وعاصمة السوس (اكادير) ففرغت منه في المحرم عام ١٣٥٤هـ وبينهما وبين (الرباط) عاصمة المغرب الوقتية ثلاثة الاف وثلاثمائة كيلومتر . فتخرج السيارة من العاصمة السودانية ، فتخترق تلك الصحارى الى (روسو) وتقطع هناك بعض الانهار على معدية . ثــم تسير في ارض يشق المشي فيها على الماشي على مقدار ثلاثمائة كيلومتر . ثــم تشق الادغال والاحراش و (نواكشوط) ومقابر النصارى المقتولين هناك ، ثــم تخترق أشجارا شائكة . وجبالا من رمال الى (اكجوجت) وسط سهل منبسط الى (عطار) وهي عاصمة وسط ارض صخرية بمثابة حصن منيع فيما مضى

١) ليست على البحر بل هي بعيدة منه وكانه يقصد بالمرسى مطلق المكان المهم

٢) احتل الحوض عام ١٣١٨هـ ثم احتلت (شنكيط) بعده بقليل ، ثم اتى الوادى فطم على القرى

٣) المراد بالتعبيد مطلق الكنش وتعيين ممر السيارات في الصحراء لا التصريف المعلوم

ثم (فوركلو) ثم جبال (ادرار) ثم بجبل معادن الحديد . وهــو جبل هناك . ثم الى صحارى مهولة مخوفة فيها الى (تندوف) خمسمائة وخمسون كيلومترا ثم (فم الحصن) ثم تخترق غابات من النخيل . فتصل الى جبل (بانــي) فالى السوس فـ (تيزنيت) فـ (اكادير)

حروب حــاحــة

وفي سنة ١٣٣٢هـ تقدمت الدولة الفرنسية المحتلة الى نواحي (السويرة) وهي تحت نفوذ (حاحة) يومئذ . وخصوصا القائد الشجاع البطل مــحمدا النفلوسي النكنافي المجاهد . مستعينة بمعاضدة قواد الحوز الذين هم اعــداء (حاحة) ومن اكبرهم عداوة لهم القائد الاعظم عبد الملك المتوكي . والقائد خبان الشياظمي وغيرهم . ولما دخلت الحكومة الفرنسية (السويرة) استمالــت الجيران المذكورين بانواع اللطائف . واتت من انواع المكر والخدائع فــي البربريهم . واسباغ انواع النعم والهدايا والمجاملة ما يظنونه خلقا طبيعيا من الفرنسيين . وذلك مصداق قوله تعالى : (يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون) الاية . واقاموا نحو سنتين وهم يتحفزون للوثبة على (سوس الاقصى) والحال ان خليفة الامير الشيخ أحمد الهيبة ابن الشيخ مــاء العينين وهو الشيخ الولي بـــ (اكادير) الذي هو باب سوس (١) ثم ان الحكومة راودت حاحة والشياظمة ومتوكة على اقتحام سوس وسلوك بلادهم اليه . فقبل الجميع غير (حاحة) فان القائد النفلوسي تعلل لها بانه لابد من مشاورة غيره من قواد (حاحة) وهم متعددون . مثل القائد الكيلولي . والقائد الزلطني والقائد الزمزمي والقائد الحسن (٢) التامري . والقائد علال البوزياوي . وان كان الجمــيــع تحت (٣) نفوذه . فصار النفلوسي يقدم رجلا ويؤخر اخرى لذلك . وكان من أهل الطريقة التيجانية . وشيخ الطريقة هناك في وقته الشيخ محمد بن سعيد التيلضيبي الحاحي التامري المستوطن بـــ (نكنافة) وهو معتقده . والشيخ يانف من ذلك كله . فاشار على القائد باشهار الحرب على من ناواه وهاجمه . فاستنفرت الحكومة الفرنسية النصرانية زيادة على مالديها من عساكر السوس والواسطيين ــ الجزائريين ــ قواد الحوز المتقدم ذكرهم . واستنفر النفلوسي جميع قبائل (حاحة) وامده صاحب (اكادير) المولى الوالي بشرذمة مــن (٤)

١) امتد بدء الاحتلال الى سهول سوس ومدنه (ردانة) و (أكادير) وتيزنيت من أوائل عام ١٣٣١هـ

٢) كانت أيت آمر من عداد أيالة الكيلولي وماتولى القائد الحسن الابعد الاحتلال

٣) لانفوذ لانفلوس على غيره من اولئك القواد اذذاك

٤) هذا هو الذي يدل على ان تلك الحرب وقعت في اوائل ١٣٣١هـ لافي ١٣٣٢هـ

الفرسان من أهل اسوس . وكان النفلوسي ممن يذكر بالشجاعة الفائقة ، والبسالة في الحروب والشهامة . بحيث اذا ذكر ترتعد فرائص الفراعنة من اعاديه المتوكى والشياظمة وغيرهما (١) وكانت له خزائن ومدخرات من الاموال والسلاح وغيرهما . وقسم السلاح والقرطاس على من ليس معه شيء منه . فلما وصلت العساكر المعادية موضعا يسمى (سميمو) وهي في عدد وعدد . صبحتها (حاحة) وخالطتها بقوة لايستهان بها . وطوقتها من كل جهة وفتكوا بهافتكة بكرا الى أن عض بقيتها ناب الجوع . وجعلوا يرمون الخبز من الجو بالطائرات . ثم جاء قواد الحوز يدا واحدة مع الفرنسيين . فافرجوا عنه بعد حروب يشيب لها الوليد . ثم اشتعلت نار الحرب بينهم وبين (حاحة) وكان النصر حليف (حاحة) في ذلك كله مقدار سنتين (٢) ونصف اظهر فيهما حاحة من الشجاعة والثبات مالم يعهد مثله الا في زمن الصحابة

ولما رأى الفرنسيس أمر الحرب لايزداد الا شدة . مع حروب اخرى بينه وبين زيان . وابتدأت حرب (٣) ابن عبد الكريم الريفي . وكانت الفرصة سانحة لحاحة وغيرهم من المجاهدين لولا أن الفرنسيس تدارك الجميع باخوانهم المغاربة المخاربة (٤) ويحكى أنه لما اشتد عليه الامر وطال عليه أمد الحرب وخشى من اتساع الخرق على الراقع شاور القائد عبد الملك المتوكي وغيره من اعداء حاحة في قضية الحرب . فقال له ان الحديد لايفلح الا بالحديد . والنجاح هو أن تجعل قيادة الجيران لابن عم النفلوسي الذي نفاه عن وطنه سنين ، وتلتزم له بالقيادة في موضع عدوه بعد الغلبة . وتدس بمال له بال لعسكر (٥) سوس لتنقطع المادة عنهم . ففعل ذلك . وعمل باشارته . حتى لم يبق مع القائد النفلوسي الا قبائل حاحة . فكابدوا حروبا يشيب لها الوليد . وفيهم بعض كفاية . ثم دسوا أيضا بالمال الى فرسان (حاحة) لان الفارس يغلب مائتين من رجال العسكر . لاسيما وحاحة أهل شجاعة عند الركوب . لايقاوم

١) عرفنا محمدا هذا في مراكش وهو شاب خائر العزيمة وقد حدثني عن سبب مقاومته بعد ان كان في عداد قواد حاحة المستسلمين بعد مغادرة الهيبة لمراكش

٢) وقعة واحدة فقط ثم انقضى الامر وكان يوم ثورة الحاحيين على الفرنسيين شديدا لاقى فيه الفرنسيون عنتا . وذلك بعد ما دخل الحاحيون تحتهم في خبر تطول قصته

٣) لم تبتدىء حرب ابن عبدالكريم الا بعد الحاحية بسنوات

٤) كلمة تحرف لها لفظة المغاربة . كناية عن أنهم مخربون

٥) لم نسمع بان هناك اغاثة سوسية الى حاحة وان كان النداء لها في الاسواق يتوالى الى ماشاء الله

الفارس منهم طردا وعكسا . ولهم مكايد عجيبة في الفر والكر . فاخذ جل رؤسائهم المال . وأمروا الرعية بالترجل . وعدم الركوب في ساحة الوغى ولم يتفطن لذلك القائد محمد النفلوسي في اول الامر . حتى دخل الوهن في عسكره ومال اكثر الناس الى القائد مبارك من بني عدى التكنافي المنفي بعدما وعدهم ومناهم . ولما رأى القائد محمد الامر لايزداد الا شدة . شرع في نقل خزائنه وهي شيء يفوت الحصر الى جبل (اداوبوزيا) من جيرانه وتحت نفوذه . ونقل ماعدا الحبوب . ومطامير السلاح والقرطاس . وصفائح الخيل (١) ووقع الفشل عند ذلك في أمر (حاحة) ففي بعض الايام . ذهب بقوة عظيمة . لمقابلة النصارى في نواحي السويرة . واذا بجيرانه المتوكي والشياظمة هاجموه من ورائه بقوة عظيمة من قوتهم وقوة الفرنسيس . فقصدوا نحو (أفوغال) (٢) عاصمته فلم يلقوا غير مقاومة ضئيلة ودخلوها . واستولوا عليها . وأول من احتلها ابن عمه المنفي القائد مبارك ند عدى المدسوس لها المترصد لاحتلالها

ووصله الخبر وهو في حالة النضال مع العدو . فتفرق عنه أصحابه وتأخر هو الى مامنه بجبل (اداوبوزيا) حيث أمن على نفسه وماله . مع جماعة من فرسانه (٣) فخافت منه الدولة الفرنسية اعادة الكرة . فراودوه ان يدخل تحت أمرهم . والتزموا له بكل خير فابى . وتوسط له اكبر اعدائه القائد عبد الملك المتوكي في ذلك بعهود ومواثيق ومواعيد أمن معها على نفسه . وتوثق به في كل ماأراد . الاما كان من امر العودة الى خدمة النصارى قيادة وغيرها . فانه تعفف عنها . ونزل عن الامر . وخير في الاستيطان . فاختار سكنى مدينة (مراكش) وله فيها أصول ورباع . فاستوطنها معززا مكرما . حائزا لشرف الدنيا والاخرة . وصار اكثر المسلمين يزورونه ويعرفون له حقه . وقد زرناه مرارا متعددة في قدماتنا الى (مراكش) وبالغ قواد الحوز من أعدائه وغيرهم في تعظيمه . والاسراع في مرضاته . وقضاء أغراضه وحاجاته . وكذلك كبار النصارى يزورونه ويتعجبون من صرامته وشجاعته . لانه لم يتغير عن عظمته الاولى وابهته

والحاصل ان القائد محمدا النفلوسي ممن ترك دويا عظيما في الدنيا واشتهارا جسيما عاليا . لاسيما في خلقه البهي في حسنه وجماله . وطول

١) يعني نعالها الحديدية وكانت مما يدخر لعسر الحصول عليها في الحروب والانحصارات مع شدة الحاجة اليها في ذلك

٢) أفوغال . من الشياظمة لا من حاحة . والمشهوران الذي قصده الفرنسيون زاوية الحسني

٣) حديث هذه الحرب كثيراً مايخالف الواقع . لعل الكاتب انما كتب ما سمع من غير تثبت

قده . وخلقه من كرم وحلم وظرف . وفي ديانته وعفته . ورفع همته عن سفاسف الامور . وهو تيجاني الطريقة . وله معرفة فائقة بادارة الخيل والمناورة في الوغى كرا وفرا . وغناء كبير .وقد تعلم ذلك من ابيه القائداحمد المتوفي في حروب سوس(١) عام ١٣١٩هـ وله أيضا مناورات حربية مع بلاد النصارى . ومبارزات غلبهم فيها . وكانوا ياتونه لذلك . وتوفي في شهر جمادى الاولى عام ١٣٥٧هـ

ثم استسلم معه قواد (حاحة) ومن اعظمهم الذى يباريه في المنزلة القائد الجليل السيد عبد الرحمن الكيلولي . ونفي الى مكناسة . واقام فيهامدة خمس سنين . وامر بالرجوع . وتوفي قريبا من رجوعه . ويقال انه توفي مسموما على جرى العادة في أنهم يدسون للاطباء عند تسريح العظماء تسميمهم . وذلك لئلا يشغب عليهم في بلاده ان اقام فيها معزولا عن ولايته فيتشوش منه(٢) ولهذا القائد الكيلولي أيضا أموال طائلة . لانه قرين النفلوسي . وعليهما معا يدور أمر (حاحة) الى (السوس) ولهما أيضا نفوذ في قواد الشياظمة . وسمع أنه لما تحقق الغلبة نقل صناديق كثيرة من الذهب والفضة الى يهودى ممن كان من الملاطفين له في السويرة . ولم يبين عينه برسم ولازمام ولاتقدم بشيء من ذلك الى اقاربه . ثقة منه في اليهودى . ومخافة من اقاربه . فلما توفي استولى اليهودى على الجميع واستاثر به وانتفع به دون أقاربه واخوانه المسلمين ـ وكذلك يفعلون ـ وتوفي عام ١٣٤٣هـ (٣)

حروب زيان

أما حروب (زيان) ومايليها . فان الذى كان يتزعمها هو القائد الاعظم محمد بن حمو الزياني . وكانت عاصمته (خنيفرة) وهي مدينة عظيمة (٤)

١) الذى توفي حتف أنفه في سوس عام ١٣٢٠هـ هو عمه . وأما أبوه فانه قتل في داره بيد أحد عبيده بعد أن كان قائدا في (تيزنيت) بعد أخيه . وقد رجع منها عام ١٣٢١هـ

٢) هذه خرافة يتداولها صغار العقول ، فدس السم في الطعام الذى كان معتادا في الجنوب لم نعتده من المحتلين فيمن تحت ايديهم . الا اذا وقع نادرا جدا فلا ندرى . والمورخ يجب عليه أن لايقول الا الحقائق

٣) حدثني ادريس منو ان عبدا لعبد الرحمن الكيلولي هذا كان معه يخدمه في السجن بمكناس وكان يتعدى عليه ضربا حتى مرض . فقال العبد للحاكي لوكان سيدى يرأف بي لدللته على خزينة دفنها القائد مبارك أخوه لايعرف مكانها غيري . ولم ينشب العبد ان مات

٤) بل صغيرة على وادى ام الربيع وليس فيها الان بعد ما عمرت الانحو ١٨٠٠٠ نسمة

بربرية يشقها الوادى العظيم المشهور

ولما احتلت الدولة الفرنسية مدن المغرب الكبرى . ومن جملتها مكناسة التي هي سرة بلاد البربر التي بلغها (١) الاحتلال في سنة ١٣٣٣هـ بقيادة المريشال (ليوطى) أول نصراني فرنسي وطئت جنوده أرض المغرب . من بعد ان طهرت من رجس احتلال البرتغال لثغوره أزيد من سبعين سنة بجهاد الشرفاء السعديين . القائمين بالسوس الذين اولهم القائم بالله وأولاده المولى احمد الاعرج . والمولى محمد الشيخ والمولى الحران . وغيرهم . من بعدماكابدوا القوتين قوة السلطان احمد الوطاسي . وقوة العدو . وأتاح الله لهم الظفر بالجميع . والنصر المبين . كما دونت اخبارهم في غير ماكتاب تاريخي مثل (النزهة) و (الاستقصاء) وغيرهما

ولما رسخت قدم الجنرال (ليوطى) الفرنسي بـ (مكناسة) اصطنع جيرانها المحيطة بها من قبائل (كروان) و (بني مطير) و(مجاطة) وجبال اورية ـجبال زرهون ومايليهاـ ونصب لهم على يده قوادا . وندبهم الى مقاتلة جيرانهم ممن خرج عن طاعته . وكان محمد بن حمو المذكور قد ندب قبائله وغيرها لمجاهدة الفرنسيس . ومعارضته . طلبا لحرية ارضه واستقلالها. مثل ماكان (حاحة) و(السوس) لذلك العهد . وجمع جموعا عديدة . ووقع الاصطدام والقتال . فابدى من الشجاعة ما يتحدث به عنه الى ءاخر الدهر . وحارب نحوا من تسع عشرة سنة . واكثر محاربيه مع العدو ككروان بقيادة القائد علي الكرواني . وبني مطير بقيادة القائد ادريس الحاجبي

ومن أكبر الوقائع في هذه الحرب وقعة (الهرى) التي استوصل فيها من رؤساء جنود فرنسية اكثر من عشرين . فيهم الكولونيلات والقبطانات والفسيانات . وجمهورهم من البربر الذين يتترس بهم الفرنسيس.وتفصيلها ان العسكر الفرنسي تقدم بقوة عظيمة . وتوغل في تلك الجبال الى ان وصل للهرى المذكور . فانقض عليه عسكر (زيان) ومن معهم انقضاض البزاة وسدوا عليهم المسالك التي سلكوها . وجعلوا يقتلونهم كيف شاءوا . ويأسرون ويذبحون كالكباش الى ان أفنوهم عن ءاخرهم ودفن الفرنسيون هناك في مقبرة معروفة بهذا الاسم

وفي ١٠ ربيع الاول عام ١٣٥٤هـ دخلت مدينة (خنيفرة) وبت فيها ليلة واحدة . وتجولت في أنحائها . وفي الساعة الثانيةعشرة من الغد ركبنا الى (مكناسة) ومررنا بطريقنا على بعض القرى من قرية أهل (تاسكارت) واهل (مريرت)وأهل (الهرى) والجميع من الشرفاء العلويين . ولكن تحت ضغط وارهاق اولاد محمد بن حمو أمهروق واخيه الحسن الزياني . وتحت سيطرتهم وقد اخبرت انهم انتزعوا من هؤلاء الاشراف جميع املاكهم . فلم يتركوا لهم

١) الضمير لبلاد البربر لا مكناسة التي احتلت مع فاس

فقاولاحافزا ، حتى انهم يستخدمونهم . ويعاملونهم معاملة الانعام فى حمل الاثقال والاشتغال بنقل الازبال . وصاروا بذلك فى غاية من الاستخفاف وتبديل الاحوال . فلاطال بهم هذا الحال نحو عشر سنين . فانهم سيندمجون فى جملة تلك البرابر الهمجية . بلا دنيا ولادين . فلا حول ولاقوة الا بالله وقد خاطبت منهم حين وصولى رجلا ممن ينتمى الى العلم . فوجدت عنده من الادراك مايناسبه . غير أنه قد اشتكى مما ذكرناه بما يفتت الاكباد . ولايطيقه الجماد . فانا لله وانا اليه راجعون

وأهل (تاسكارت) فى الجبل الكبير بين (ايت يحندو) و (شقير) وأهل (مريرت) بين (أيت يحندو) و (الاقباب) فى طريق (ازرو) وجدهم مولاى عمر ابن الحسن . وأهل (اووكو) فى جامع مولاى سليمان بين (سجلماسة) (وخنيفرة) وهم من نسل مولاى محمد بن الحسن . وعدد الجميع تقريبا الف عائلة

حروب الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي الريفي

هذا الرجل من عظماء الرجال المجاهدين فى زماننا هذا . المكافحين عن وطنهم الذين اظهروا من الشجاعة والبطولة والاستبسال فى الحرب والاستماتة فى سبيل الله . واعلاء كلمته العليا . مالم يتقدم له نظير الا فى أزمان الصحابة رضوان الله عليهم . وقد الف بعضهم فى سيرته وأحواله فى حركاته وحروبه وسياسته ودهائه فيها . مما لم يتأت لاحد الا باعانة الله وعنايته . وقد رأيت فى ذلك كله تواليف تاريخية عديدة (١) للمغاربة والفرنسيين والاسبانيين . أطالوا فيها على حسب الايام ووقائعها . مما يدل على ان الرجل خالد بن الوليد فى زمانه سياسة . وشبيه بابن العاص دهاء ومكرا وحيلا . وقد خرج تاريخه فى جزأين ضخمين . ولذا امسكت القلم عن تلك المعامع . التى ليس بعدها لمن أراد الفتوة والشجاعة مطامع

١) كان قاضى زطاط السيد أحمد سكيرج جمع من أفواه بعض أصحاب ابن عبدالكريم جملة وافرة من حوادث محاربته . كما كتب فى ذلك ايضا وزير خارجيته صهر اخينا ابراهيم السيد عبد الكريم الريفى اخبارا لعلها تكون جامعة لكل ماوقع هناك فى الخمس سنين التى بقيت فيها الحرب قائمة . وقد حدثنا أنه تتبع الخبايا من الاسرار . فسجلها كلها . ولعله يكون قد كتب اكبر مرجع مغربى فى حرب الريف . ولابن عبد الكريم نفسه مذكرات . وقد كتب عنه الشرقيون مكتوبات لا تستوفى

رجع إلى حروب سوس

ومما شاع وذاع ان بنى سالم من (فم انغار) فى (تاهالا) جدهم سالم أسلم على يد القاضى السيد أحمد بن حمزة . ونحله حقل الحدادى بساقيته ممايلى الجرف . واسكنه بالدار الموالية (انغار) فوق الربوة مما يلى السيد ابى الرجاء ، ثم تاهل وكان له ولدان . ثم ان القاضى المذكور يتردد لمحل قضائه بردانة بامر السلطان . ففى بعض قدماته لبلده امر الاسلامى اولاده باغتياله فى طريقه . فاغتالوه ابل وصوله (تاهالا) قتله فاستولى على أصوله هناك ورسومه . ولم يبق للقاضى سوى ولد واحد فانقطع بجبال درن . ولعله بـ (كيك) ولازالت رسومه الكثيرة عند صاحبنا صالح من بنى سالم الى الان

أقسام الرئاسات القبلية بأداوتنان

لقبيلة اداوتنان ست رئاسات قبلية قبل الاحتلال وهى ١) شياخة السيد الحسن ابن الحاج محمد أبو الناقة على قبيلة (تانكرت) ٢) شياخة القائد احمد أشاو على قبيلة (بنى واعزون) ٣) الشيخ محمد النظام على قبيلة (انكريسم) ٤) شياخة الشيخ سعيد بن الطالب على قبيلة (بنى اوركا) ٥) شياخة محمد ابن الاشقر اوبوزيا على (فم ميكى) ٦) شياخة السيد احمد بن سعيد على قبيلة (بنى تالات) بافسفاسن

سلسلات بعض أنساب مغربية شهيرة :

نسب محمد بن تومارت

هو محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان ابن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رباح بن محمد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه . وقيل أنه محمد بن عبدالله بن و كليد بن ينصل بن حمزة بن عيسى بن ادريس بن ادريس الخ السوسى (١)

نسب يوسف بن تاشفين

هو يوسف بن تاشفين بن توفاوت وارتقطين بن منصور بن مصالة بن أمية ابن واتملى بن تامليت الحميرى الصنهاجى من ولد عبد شمس بن وائل . وامه حرة لمتونية بنت عمه اسمها فاطمة . وصفته اسمر اللون معتدل القامة نحيف الجسم خفيف العارضين رقيق الصوت اكحل العينين اقنى الانف له وفرة

١) فى هذه السلسلة وفى غيرها مما ذكره ابن خلكان كلام كثير

تبلغ شحمة الأذنه مقرون الحاجبين جعد الشعر ، مولده ببلاد الصحراء عام ٤٠٠هـ ووفاته عام ٥٠٠هـ

نسب عبد الله بن ياسين

هو عبد الله بن ياسين بن ومكو الجزولي التامانارتي السوسي (١)

نسب الامام محمد بن سليمان الجزولي

هو محمد بن سليمان الجزولي السملالي صاحب دلائل الخيرات كما في (الاشراف) وسليمان بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن سليمان بن سعيد بن يعلى ابن يخلف بن أبي عمران بن موسى بن علي بن يوسف بن عيسى بن عبدالرحمن بن جندوز بن عبدالرحمن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . توفي عام ٨٧٠هـ

نسب الامغاريين

جدهم هو دفين عين القطر محمد بن أبي جعفر بن اسحاق بن اسماعيل ابن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن الحسين بن عبدالله بن ابرهيم بن يحيا بن موسى ابن عبدالكريم بن مسعود بن صالح بن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكر بن تميم بن ياسر بن عمر بن يحيا بن أبي القاسم بن عبدالله المذكور بن ادريس بن ادريس بن عبدالله الكامل

نسب سيدي مزال (٢)

اسمه سيدي محمد (ضما) بن محمد (فتحا) بن يوسف بن جنون بن عمران ابن عبد الرحمن بن سليمان بن الحسن بن عمران بن جنون أيضا بن محمد بن أحمد بن ادريس بن ادريس الخ . توفي بفم (تانوت) وترك اولاده محمدا وعبد الله وعبدالرحمن ويحيا . ودفن عبدالرحمن بلادالهبط . ويحيا توفي بهوزيوة وكلهم يسمى باولاد أبي درقة . وهو محمد بن يوسف . ونقل من كتاب رفع التدليس . وكتاب التوثيق في النسب الوثيق الصحيح بالتحقيق

١) وقفنا له على سلسلة نسبين الاحكاكيين السملاليين الذين منهم سيدي محمد بن سليمان الجزولي الاتي بعده

٢) المقصود سيدي مزال البودرقي لاسيدي مزال بن عمرون الوكاكي — فيما قيل — الهشتوكي

ذكر بعض مشاهير شعراء اللغة الشلحية السوسية

ممن اعترف لهم معاصروهم بالافلاق (١)

السيد حمو الزاكموزي . والسيد علي بن سمهر الكرسيفي . والسيد بوتلضيل . وعبد الله تنرعمت . وأمادير الكثيري . وعبدالله بن موح الاساكي ومسعود بن همو مضين من تودمة . والاقرع اضعاير من بني الحسن الدروعي التيملي . وابلعيد من أميل . والرئيس بلعيد الوجاني . والرئيس موح بن بودرعة . والرئيس العربي الجراري . (ويزاد عليهم جامع وابوه محمد بن ايغيل ثم ولده محمد الذي لايزال حيا وهم في أقا) (٢)

تعقيب

انتهى ماوجد من الكتاب في مسودته التي مررت بها قبل اخراجها . ولاريب ان الكاتب الجليل انما كتب ماكتبه من شق القلم عفو الساعة . ولم يمهله الدهر حتى يراجعه وحتى يستتمه كمايريد . ولذلك نرى فيه اخطاء لاتحصى قد نبهنا على بعضها بحسب مانعرف . والمقصود اثبات الواقع . وقد نغلط نحن أيضا . ولكننا قلنا بحسب معلوماتنا . وكثير مما علقناه توصلنا اليه بدرس في الموضوع قبل أن نتصل بهذا الكتاب . والرزء الكبير هو في عدم اتمام الكتاب بيد المؤلف . فقد خصصه لحياته . ثم لم يذكر منها الاما بين عام ١٣٠٦ وعام ١٣٤٥هـ فبقي نحو عشرين سنة من غير ان يلم بها . ومااداه الى ذلك الاكثرة الاستطراد وتتبع الوقائع . حرصا منه على كتابتها لعلمه بأن كثيرين من السوسيين لايعتنون كاعتنائه . ولايغارون على سوسهم غيرته . وياليت الكتاب استتم هذه المستطردات مع استيفاء حياة الاستاذ . اذن لكان خير مرجع في حياته . وكذلك لو نقحه وتثبت في كل مايسوقه والقى عنه الاغراقات والغلو في الاشادة بسوسه ولو بالزيادة في الارقام احيانا لكان خير كتاب اخرج للناس عن حوادث سوس قبل ان تشتغل نحن بها . وانا احاول التنبيه على كل ماامكن لي مما يتضمنه كلامه مما يعتسف فيه بالعاطفة او بالغلط وقد اترك التنبيه أحيانا ان علمت ان القارىء النبيه يدرك اعتسافه وذلك كله في غير ما يتعلق بالتاريخ وامافيه فاحاول التنبيه الاماجهلته أوشككت فيه فانني اتركه في عهدته

١) يسمى الشاعر في الشلحة أنظام والجمع انظامن . وقد يطلق عليه أيضا امرايس (الرئيس) ولكن هذه الكلمة قد تخصص لمن يؤلف فرقة يرأسها ويسترزق ببضاعته تلك في المجامع والاسواق . اما انظام فربما اختص بنظم الحكم والمقارعة والمساجلة .

٢) تراجم آل ابن ايغيل في (الفصل الثاني) من (القسم الرابع)

والان نضيف الى حياة الاستاذ الباقية ماعندنا عنها . فبذلك تتم ترجمته وان كانت ترجمته الحقيقية تعرف من بنات قلمه التي جلوناها للقارئ . فهناك يظهر كثير من نواحي نفسيته ومعلوماته واخلاقه الحقيقية . وغير ذلك مما لايخفى على بصير يقرأ السطور ومابين السطور بالمعية اللبيب الذى يفهم بادنى اشارة . وفى كل اثناء ذلك ترجمته الحقيقية

في الحواضر

كان المترجم يشارط فى المدارس كما ذكر . ثم بعد عام ١٣٤٥هـ صار يتردد على الحواضر كثيرا . فيلم بفاس وبمراكش ومكناس والرباط والبيضاء كما يزور غيرها من المدن الصغرى . فقد حضر احقابا فى الرباط فى وقت حركة اللطيف نحو عام ١٣٤٩هـ فعاشر بعض الوطنيين وثاقفهم بقصائده وادبياته ثم قطن فيه ماشاء الله ، وكذلك كان قاطنا فى مكناس بعد عام ١٣٥٠هـ فى بيت خاص . وكان يلم دائما بالعلامة ابن زيدان . فيقترح عليه هذا ان يكتب له عن حوادث سوس . فقد حدثني العلامة ابن زيدان بذلك عام ١٣٥٤هـ وربما لايزال فى الخزانة الزيدانية بعض ماكتبه له . ولم أكن اعرفه قبل عام ١٣٥٤هـ فاجتمعت به عند ابن زيدان . وقد زرته أنا والاستاذ الاخ عبد القادر المسفيوى رحمه الله واتذكر انه جلس معنا . فتجشأ بصوت عال . فالتفت نحوه الاستاذ عبدالقادر المسفيوى تلقائيا من غير أن يقول له شيئا . فقال له المترجم اخالك ممن يعجبون باخلاق الافرنج حين يستنكفون من سماع الجشاء . فقال له ابن زيدان ان الاسلام أيضا يستنكف من الجشاء . أو غاب عنك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لصحابي تجشأ عنده : أحبس عنا جشاءك وقد كان للمترجم دالة على ابن زيدان لايراعي معها مقامه فى التعبير (١) حتى قال لى ابن زيدان يوما : انني لااعتمد عليه فيما يقوله . فكنت أحمل ذلك على ان السبب هو عدم احترامه له الاحترام المعهود لامثاله . لان للمانوزى جراءة واقداما فى كل المجالس ادلالا بعلمه وحفظه وادبه ولذلك نشوة . وقد كان يخبر ابن زيدان عن سوس بما يجهله . فيحسبه غير موافق للحق فيما يظهر له . فربما يتهمه بالتزيد والتنفج كما صرح لى بذلك

وقد كان المانوزى شارك أيضا فى تابين الوزير سيدى عبدالله الفاسي يوم توفي . فاجتمع ادباء أهله لتابينه . وقد سمعت أن هناك قافية له مصونة

١) حكى لى الاخ العلامة سيدى محمد بن أبى بكر التطواني السلوى أنه رأى كتابة له كلفه بها ابن زيدان عن حوادث سوس . فاذا فيها مايمس جانب الدولة العلوية بكل صراحة ووقاحة عجيبتين . كمايراه القارئ فى بعض مامر

وكذلك عاشر كثيرين من نبهاء الحواضر . كالقاضي العلامة السيد احمد سكيرج فيكون عنده كثيرا فى (زطاط) وهوالذى حدثه بكل ماشوقه الى زيارة سوس . فحمله ذلك حتى اعمل اليه الرحلة . وحتى اتصل بكثيرين من ادباء (الغ) وادباء (اولاد جرار) وادباء (تانكرت) فتبودلت القوافي فى ذلك الجوالعطر على يد الفقيه سيدى محمد بن على التازاروالتى الآتى ان شاء الله فى القسم الخامس

وهكذا كان المانوزى أول من أسمع الاذان الحضرية من فاس فمادونها مافى سوس من الادب وما اليه . ومن المقاومة المسلحة أزمانا . فكان تسجيل ذلك نشأ عن مجاذبته مع الحضريين أذيال المسامرات فيريد أن يظهر مكانة أهله . وقد كان رحمه الله يغرق متى حدث عن سوس . وذلك ظاهر ملموس فى الكتاب كما يستبينه القارئ من اول نظرة . ولعله معذور . فقد يلاقى من ينكر عن سوس كل شئ . فاراد هو ان ينسب له كل شئ . والمفيد فى الكتاب ماسجله من العادات ومن أحوال المدارس . ومن أخبار تنقلاته هو بين المدارس ففى قراءة كل ذلك حلاوة

وله مساجلات مع الادباء الذين اتصل بهم . ولكن ليس عندنا من ذلك كله الاماكان بينه وبين صاحبنا الاديب سيدى أحمد بن قاسم الزيانى . والى القارئ ماكتبه الى هذا الاديب . اسوق ذلك بقلمه ، قال :

فى عام ١٣٥٥هـ شاءت الاقدار ان تسوق الى وادى زم . وانا به . العلامة الاديب النابه أبا عبدالله محمد بن أحمد المانوزى السوسي . فانس غربتي وأطاح بيوسي اذ نزل ضيفا كريما على أخيه . والمرء كثير بأخيه . ولاسيما وكلانا بذلك الوادى غريب . وكل غريب للغريب نسيب

وليس اغترابى فى سجستان انني ... فقدت بها الاخوان والدار والاهلا
ولكنني ما لى بها من مشاكل ... وان الغريب الفرد من يعدم الشكلا

فمكث مع أخيه شهرا . ووددنا ان لو طال دهرا ، وانشدنا :

خرجنا على أن المقام ثلاثة ... فطابت لنا حتى أقمنا بها دهرا

وفى خلال هذه المدة كانت تجرى بيننا مذاكرات ومساجلات . وربما مراجعات ومجادلات . ولكنها فى الواقع مذاكرات احباب فى تصاف . ومراجعات طلاب فى آداب وانصاف . فوقع مرة جدال فى بعض مفردات اللغة ادى الى نضال . فانحاز اخونا السوسي جانبا . واعمل يراعه مداعبا . وماهى الادقائق حتى القى الينا بهذا الشعر الرائق ، وهو :

سللت علينا البيض والسمر والزرقا ... وجردت جردا كان ايسرها البلقا
واسقيت خلا كان قدما مواتيا ... كئوس شجار ما امر لها مذقا
واسمعته من كل امر امر لـو ... تجرعه صلد ارفت له فتقا

عهدناك الفا للمعالي حليفها ... تجاري الكرام الصيدان حاولوا السبقا
وتغضي حياء عن سفاسف لاترى ... لغيرسمير سامر النوك والحمقا
وتصبي اذا ما الشعر فتق نوره ... ذوو الحلم بالاشعار توردهم شوقا
وتهتز للاضياف عند طروقها ... وأحييت فضلا خالدا يملأ الافقا
وتستل في الاعداء سيفا مهفهفا ... اذاما الاعادي حاولوا الفتك والضيقا
وتفري بسيف الذهن في كل مفصل ... مفارقه والغمر يفتقد النطقا
وتبكي اذا ما الوعظ سل سنانه ... لسان حكيم ينثر الدر والورقا
وتندب ذا علم أتته شعوبه ... ومن دهره قهرا بكلكله القى
وترثي لذي فقر اذا ما فقاره اف ... تقرن لرفق يمسك الفتق والرمقا
عفا الله عنك عد ولا تك مدبرا ... ولد بفعال ما احيل لها ذوقا
فيا من له في القلب مني تقلب ... عليك سلام الله ما حنت الورقا
وما اشتد شوق الصب يبكي مرددا ... «سللت علينا البيض والسمر والزرقا»

فاجبته بقولي :

حنانيك خل العتب واتخذ الرفقا ... طريقا لمن قد ذاب في وجدكم شوقا
فعهده فيك ما تغير لحظة ... وحاشا عهودي في محبتكم تشقى
هو الحب لا ينفك فيك اذكاره ... وان بنتم فمنية النفس أن تلقى
واشهى الأماني أن تحطوا رحالكم ... بواد أرى ان لم تكونوا به يشقى
فما موجب التعنيف والود ثابت ... ومن دب فينا بالقطيعة لا يبقى
قدم بجياد العلم في كل مضمر ... تجول فتحوي في ميادينها السبقا
وما زال كاس الشعر بالكف مترعا ... وانت الذي تسقى ونحن الاولى نسقى
وقل جميلا ياعزيزي ولا تقل : ... «سللت علينا البيض والسمر والزرقا»

واستضافه مرة بعض غير المجانسين ، اذ لم يشموا للعلم رائحة ولم يكونوا من المجالسين ، فلبى دعوته بشرط ان يعجل أوبته فترك اخاه في الانتظار طيلة الليل وحتى ضحوة النهار . فكتبت اليه :

تركتم خلكم في مدلهمة ... قد ألقيتم عصا التسيار ثمة
فما سبب التاخر عن خليل ... ولم ترعوا له حرما وذمة
اراقكم المقام بغير جنس ... أم استلذاذ مطبخه وحمه

فاجاب معتذرا بانه جاء :

أتينا في الليالي المدلهمة ... لربعكم بعزمات وهمة
وقد شهد الذي ثبتت لديكم ... شهادته باجماع الايمة (١)
تجاسرتم بنطقكم وقدما ... تجاسركم بلا حلم ورحمة

(١) يعني ولد المخاطب

فلولا ما تقدم من عهود ... رميناكم بمنطاد ونقمة
فان زدتم نزد أو عدت عدنا ... لعقركم فنعلى غير رمة

ولما عزم على السفر ودعته بهذه القطعة :

اودعكم والدمع مني كما ترى ... السنت تراه في المحاجر اثرا
وقد هجتم الاشواق يوم وداعكم ... وقلبي ياخلف المعالي كما ترى
انست بكم عد الصيام فكنتم ... كما رمضان زار شهرا فطهرا
ولم لا وانت يا محمد زاخر ... بعلم كروض بالمعارف ازهرا
ففقه الامام أنت فيه امامه ... وتحفظ في التاريخ عادا وحميرا
فان يغربوا تلمم بكل غريبة ... وان يشعروا تكن من القوم اشعرا
تجاري وتجري في الميادين كلها ... ارى لك خيلا في النباهة حضرا
فيا عالما من سوسه جاء زائرا ... وقد طاب بل جاد اختيارا ومخبرا
وبز بعلم في كمال فضيلة ... ومن نبله نام به شهد الورى
رحلت وخلفت الغريب بترحة ... بوادي نراه من ذوي الفضل اقفرا
فهل يسمح الدهر الخئون بعودة ... ولكن بوقت لاترانى مقصرا
وحقك ما قصرت يوما بواجب ... فحاشا ولكن بي زماني قصرا
تجاوز عن المقدور ما قد رأيته ... فانت اجل من تغاضى واعذرا

انتهى ، في فاتح ربيع الاول عام ١٣٥٥هـ

ثم جاء في مثل هذا التاريخ من عام ١٣٥٦هـ ومكث ازيد من شهر طاب له فيها المقام . وزاد أخوه فيه اكثر حب وفرط هيام وجرت فيه مذاكرات أدبيات وفقهيات وفي خلال هذه الفترة ازمع سيره لزيارة السادة الشرقاويين بابي الجعد . ولعله لم يحظ من بعضهم بما يجب اوبما يحب . وهو ذلك الاديب السوسي الابي النفس . الى أن ساقته القدم للمسجد الاعظم حيث الفى الفقيه صديقنا أبا عبدالله محمد السموني يدرس فاحتفى به . وفي القصة يقول القطعة التالية :

بلفظكم الفصيح سبيتموني ... كما بشفا الشفاه شفيتموني
بني الشرقي(١) أناضيف نزيل ... غريب الشكل هلا تفهموني
حدته سوابق الاقدار حتما ... لحيكم بحقكم اقبلوني
فكم تبر تظنناه نحاسا ... غبي فازدراه بعين هون
وكم غمد حوى عضبا صقيلا ... يعود اذا انتضى رهن المنون
ابيت بحيكم ضيفا ذليلا ... اذن بمدى الهوان رميتموني

(١) الشيخ سيدي محمد الشرقي الرجل العظيم الذي عمرت به مدينة ابي الجعد ، توفي حوالي ١٠١٢هـ

عن عجل وشغل بال وتراكم هول السفر ، ربيع النبوى ١٣٥٦هـ محمد ابن احمد المانوزى .

ثم لم يزل ضيفنا يشرفنا بزيارته ويمتعنا بلطفه ويضفي علينا من ادابه وظرفه سواء في تاوريرت او مراكش او الرباط . ويسدى ويلحم في برود المحبة بما يقوى الارتباط . وكل أيامه تمر عامرة بالاداب مترعات كئوسها بين الاصدقاء والاحباب . الى ان جاءنى نعيه من مكناس وانا بـ(سيدى بنور) بدكالةفي جمادى الاولى عام ١٣٦٥هـ يوافق أبريل ١٩٤٦م ولعله توفى قبل هذا بيسير :

فكان مصابه فوق المصاب ... وما يطفا له جمر التهاب
وخطبه في القلوب اشد وقعا ... لقد أدمى وطار به صوابي

رحمه الله ، ولم تحضرنى مرثيته ولا من أشعاره الا ما قدمت . وان‌عدت لمقرى انقبالكم عنها وابعث بالجميع ان شاء الله . اخوكم أحمد لطف الله به

الكلمة الاخيرة

انللمترجم قصائد كثيرة قد توزعت كماتوزعت بنات قلمه . فقد حدثني صبيحة يوم ركبت فيه معه من (اكادير) الى (الغ) حوالي عام ١٣٦٣هـ ان له زهاءمائة مؤلف . ثم لم يظهر له فيما أعلم الا ما بين أيدينا الآن . والا نبذ في مجموعة لمدارس سوس . وقد كان حدثنى ان له تعليقا على قصيدتي العصيدة . ولكن لم نر له اثرا . وفى ذلك الصباح املى على نسبه الى ابسي فارس بن احمد الذهبي فكتبته عنه . وقد اخذ مني العجب كل ماخذ حين سمعت مالم اسمعه قط . ثم صرت أسال جيرانه وأهل بلده عن هذه النسبة . فلم الاقمن يلقي عنهاضوءا . الا ان بعضهم أخبرني ان هذه النسبة السعدية كان كتبها في ورقة فاعطاها لسيدى الهاشم التيمكيدشتي فناولها للاستاذ سيدى ناصر التونيتي . فرماها لما قراها . وقد كان سيدى ناصر رحمه الله في الورع جبلا عظيما . وأنا لااستبعد مايقوله المترجم لان الناس مصدقون في أنسابهم الا من‌ناحية واحدة . فابو فارس بن المنصور الذهبي لم يمر عنه الا نحو ثلاثمائة سنة . فهل كان يخفى عن جيرانهم أنهم من أبناء الملوك . وامثالهم ممن تسير باخبارهم الركبان . والناس في باديتنا متكاشفون . والبلاد بلاد علم لاتعد الثلاثمائة سنة فيها عهدا طويلا . اوجاء أسلاف المترجم مستخفين يحفظون انسابهم سرا . ثم لم يظهروا نسبهم الا منذ زمن قليل . علىأننارأينا فيما تقدم كيف ردد المترجم ذكرهذه النسبة . وحكاها عن احد اجدادهم في القرن الثاني عشر . واياكان . فان كل من أساله عن ذلك يتعجب . وربمانقف

على مايؤيد مايقال في ذلك . وانا الزم المترجم من ان يرود ذلك تزويرا . فليس هنالك الا ان ذلك صحيح غير انه ليس بمعروف . وانه تحت طي الخفاء حتى جاء هوفاظهره . اوكان حقيقة معروفة فلم يصل الينا الا اليوم . والمستقبل كشاف .

كان المترجم منقطعا في مسكن بمكناس سنين كثيرة يشتغل بالرقى والتمائم والجداول . ويغشاه المتطلبون والمتطلبات والمسترقون والمسترقيات لذلك وما اكثرهم حول الطلبة السوسيين في الحواضر . حتى وافاه أجله المحتوم في مكناس حيث دفن . فذهب مبكيا عليه من كل من يعرفه رحمه‌الله

وله ولديسمى عمر كان نجيبا ياخذ من القرويين . فلم يلبث أن توفي أيضا . فبقي من لايعرف قدر العلم من أهله . فاستولى الجاهلون من النساء والصبيان على كتبه . وفيها بعض ذخائر . والمترجم يعرف في الاوساط المانوزية بسيدى محمد بوزكر (بسكون الزاى والكاف المعقودة) وقلما تلقى من يعاشرونه الا ويحكى لك عنه مغربات . رحمه الله

خاتمة

انني اجتهدت فخرجت من مسودة حياة المترجم بقلمي ما يراه القارىء أمامه . ولا أكتمه . انني اتصرف قليلا فيما ليس من صميم الاخبار . ولامن‌لب عباراته . بل مما كان هو بنفسه لو خرج ماكتبه يصححه . فلم ازد أنا أن‌قمت مقامه . وقد أغلط فازيد كلمة او انقص . أو أبدل عبارة . وكيفما كان فاللباب كله بعباراته ونكته للمترجم رحمه الله وغفر لنا وله . وفي كل ذلك مايجعله خالدا في ظل قلمه .



انتهى الجزء الثالث من (المعسول)
ويليه الجزء الرابع ان شاء الله

فهارس الجزء الثالث من (المعسول)

الفهارس سبعة :

* الفصل الاول في الفصول
* الثاني في الرجال المترجمين في كل فصل
* الثالث الفهرس العـام
* الرابع في القوافي التى قالها المترجمون والمذكورون في اثناء التراجم كمترجمين
* الخامس في المنثورات كالرسائل وامثالها
* السادس في الخطإ والصواب
* السابع في الكلمات الشلحية التى فيها حرف مشدد

(الفهرس الاول في الفصول)

(الفهرس الثاني فى الرجال من كل فصل)

الفهرس الثالث العام

في كل ما عنون له في الكتاب او يستحق ان يعنون عنه

* * *

(الفهرس الرابع في القوافي التي صدرت عن المترجين)

الـــدال

الــراء

السيـــن

الضـــاد

القاف

الكاف

اللام

الميـم

النـــون

اليـــاء

الالف المقصورة

الاراجيـز

الفهرس الخـامس

في المنثورات ـ من الرسائل وغيرها من آثار المترجمين ومن اليهم

الفهرس السادس في الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطـأ	صواب
٤	٢	الحرسيلي	الحربيلي
٦	٦	العاشرة	العاشر
٦	٧	فسيذكر	فسيدكر
٧	٢٢	المالكة	المـالكـة
٨	٧	النحوية	والنحوية
٢٢	١٩	زاءه	ازاءه
٢٧	٢١	في هذه	في هذي
٣٢	٤	في الحاشية نسالكم	نسائلكم
٤٢	٢٣	جرما	جـزمـا
٥٤	٢٥	ترد الصدور الاعجاز	ترد الاعجاز على الصدور
٥٩	٧	بهم	بهمـــم
٥٩	١٦	اسادتذه	أساتذتـه
٦١	٥	من يسن	من سن
٦٦	٨	فاستلقى	فاستولى
٦٧	٣٣	بضهم	بعضهـــم
٧٠	٤	فوثبه	فوثبـــة
٧٠	٢٧	جاء	جاءت

صفحة	سطر	خطـأ	صواب
٧٨	٢٣	امروء	امـــرؤ
١١١	٤	الشيخ	الشيخ عليا
١٢٣	٢٠	بانوق	بانـــوف
١٢٦	٢٣	ايت اوفقاس	أيت بوفقاس
١٢٧		صواب السطر الثلاثين ومابعده بحذف المكرر كل مايملكونه من الحلى فقالوا للايبوركيين	
١٢٧	٣٥	وذا بحاس	واذ ايحاس
١٣٢	٢٤	والموارية	والموارבـــة
١٣٢	٣	في الحاشية اخيرهم	خـــيرهـم
١٣٤	١٧	واوعز	فـاوعـز
١٤١	٦	باءال	بـــال

هنا تكررت الارقام غلطا من ١٢٩ الى ١٤٤ وسنتمشى على هذا الغلط

صفحة	سطر	خطـأ	صواب
١٢٩مكرر	٩	اكياس	اكيس
١٣٠مكرر	٢٧	بمراكش	بمراش
١٣١مكرر	٢٦	تازوالت	تازاروالت
١٣٢	٣٠	لالى	لاولى
١٣٣مكرر	٢٦	مذا	مـــاذا
١٦١	١٨	ففه	ففيـــه
١٦٧	٤	فشارط	شارط
١٦٨	٢٧	بويركين	بويزكين
١٧٥	٢٢	صاع بصاع	صاعا بصاع
١٨٠	١٤	واءخر	وءاخر
١٩٣	١٢	في مصلاة	في مصلاه
١٩٣	١٩	الاجازة	الاجارة
١٩٣	٢٥	كل مامن	كـل من
١٩٨	٢٨	بهؤلاء	بهـذه
١٩٩	٢٨	ذانتنا	دانتنا
٢٠١	٣	مزيدا	مزبـدا
٢٠٢	٩	تذيل	تذييـــل
٢١٧	٧	لمسهورين	المشهورين
٢٢٨	٨	المساة	المسماة
٢٣٣	٤	السامم	السامـع

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٢٧	٧	يسقط هذاالسطر : الفقيه سيدى علىالايزربيبي(١)	
٢٢٩	٣	عليه	عليها
٢٣٧	١٢	وهى امى	وهو امى
٢٣٨	٥	قال سهمه	فال سهمه
٢٣٩	١٥	سيدى	سيد
٢٤٠	٢٥	يكاد وحيدا	يكاد يكون وحيدا
٢٤٤	٢١	اعناء	اعتنـاء
٢٤٥	١٧	ضواء	ضوء
٢٤٥	٢٥	عن ذكر الرحمن	عن ذكر ربه
٢٤٥	٢٩	تتحط	تنحط
٢٤٦	٢٩	نبست	نبس
٢٤٩	٢	(لـه)	(ز ائد فيحذف)
٢٤٩	٢٦	اولاه	أولاد
وقع بين ٢٥٤ وبين ٢٥٧ تقديم وتأخير فى الرقمين بينهما			
٢٥١	٢٥	بنى الطلب	بنى الطالب
٢٦٢	٤	جويا	جوفا
٢٦٨	١٦	لامواقهم	لأسواقهم
٢٧٤	٤	فى الحاشية لا يفهما	لا يفهمها
٢٧٥	٦	مـع ولده الفقيه	مع ولد الفقيه
٢٧٧	٣٠	زيادة	بلا زيادة
٢٧٨	٥	ولا تنالـه	ولا تنالها
٢٨١	١٤	مظهرها	ظهرها
٢٨٥	١٨	لاه	لأنـه
٢٨٧	٢٠	ينتظرون	ينظرون
٢٨٨	٢٠	بالفـر	بالسفر
٢٨٩	٢٠	سى الطالب	بنى الطالب
٢٩٠	١	اذا الناس	اذ الناس
٢٩٢	١٩	خيفـه أن	خيفة أن
٣٠٥	٢٢	اوادامه	الاريحية
٢٩٣	٤	فى الحاشية الاريحـة	من ادامـه
٣١٣	٢٥	بأمرها	بأمرهما

١) كنا عنونا عنه . ولكن لم نظفر بترجمته

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٢٠	١٠	فحماها	فمحاها
٣٢١	١٠	مجلدا	مجلـه
٣٢٦	٢٠	الماظم	الناظم
٣٣٤	٣٠	والموب	والمؤدب
٣٣٩	١٠	بن العافية	بن أبى العافية
٣٤٣	١٧	التكلم	المتكلم
٣٥٤	٢٢	العائد	العابدة
٣٥٠	٢١	الصالح	الصلح
٣٦٨	١٠	فى الحاشية ١) لم يغادر	٥) لم يغادر
٣٧٢	٢	الامر	الامـير
٣٧٣	١١	من الخلاف	الخـلاف
٣٧٣	١٤	الاصحى	الاضحى
٣٧٤	٣٦	الصحراويون	الصحراويين
٣٧٥	٢٢	وغرستها	وغرسته
٣٧٥	٢	فىالحاشية لمريكونا الىمراكش	فى مراكش
٣٧٧	١٥	وغرب	وعرب
٣٨٧	٤	فى الحاشية للقديفـة	للقذيفة
٤٠١	٣	اذا كان	اذ كان
٤٠٢	٤	وعن حالها	وعن رجالها
٤٠٣	٢٣	غيرهما	وغيرهما
٤٠٥	٥	أخلاقـه	اخلاقهم
٤٠٦	٥	فى الحاشية الكنش	الكنس
٤٠٦	٦	فى الحاشية التصريف	الترصيف
٤٠٦	٢٠	وبينهما	وبينها
٤٠٨	٤	فى الحاشية الفرنسيز	الفرنسيس
٤١٤	١	فى الحاشية نسبين	نسب بين
٤١٤	٢	فى الحاشية امجزولى	الجزولى
٤١٧	٣١	مدقـا	مـدقا
٤١٨	٤	طروقهـا	طروقهم
٤١٩	١٣	بوادى	بـواد
٤١٩	٢٦	المشرقى	الشرقى

الفهرس السابع في الالفاظ الشلحية التي فيها حرف مشدد